

ديوان

أسامة بن منقذ

حقته وقدم له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

عالم الكتب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



٢ ١٤٣٩

ديوان
أسامة بن منقذ



الطبعة الثانية
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلکس : ٢٣٣٩٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الذكتور أحمد أحمد بدوي

(١)

في يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ١٤٨٨ هـ (يوليه سنة ١٠٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ ، في أسرة توارثت إمارة شيزر ، وهي مدينة في الشمال الغربي لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبة ، يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاث ، وتنهض فيها قلعة شامخة حصينة ، وكان لهذه القلعة قيمتها في عصر الحروب الصليبية ؛ لمركزها الحربي الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ؛ فكانت مطمح الطامعين ، من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن . الصيد في النهار ، ونسخ كتاب الله في الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة والنخوة والإقدام . وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ؛ فلا ينهأ عن أن يمضى إلى حية يحز رأسها ، ويلقى بها في الدار مئنة ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصرعه منها ؛ وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه في رياضته المفضلة عنده ، وهي الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التي تعد للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التي كان يتلقاها الأمراء في ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، ومن ماثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومنتور ، وما اقتبسه من شعر السابقين ، وما أورده في شعره من ألفاظ لغوية استعملت في معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجري إلا على أقلام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بني منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيرا من أشعار أبيه وأعمامه .

كان أسامة أميراً لدى عمه أبي العساكر سلطان حاكم شيزر ، ولما لم يكن له عقب ، اتخذ أسامة ابناً له ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ؛ فكان يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعة وجرأة ، واشترك أسامة في المعارك التي دارت بين أسرته وبين الصليبيين ؛ دفاعاً عن مدينتهم (شيزر) . وعاش أسامة في تلك المدينة ، بين حب والده وعطف عمه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولاداً في آخر أمره ، حتى دبّ الوهن والفتور إلى العلاقة التي تربطه بأسامة ، وبدلاً من حبه وعطفه عليه ، أخذ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه . خوفاً على أولاده من مكانة أسامة ، وحذراً أن يثول الملك إليه دونهم ، فضى أسامة إلى الموصل ، لدى عماد الدين زنكي ، الذي صار أكبر أبطال الحروب الصليبية في وقته ، وأول خطر حقيقي داهم الصليبيين ،

فانتظم أسامة في جنده ، وحارب تحت قيادته في عدة معارك ، ولكنه لم ينس وطنه الأوتل شيزر ، عندما هاجمه الفرنج والروم . سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه ، وربما كان قد عزم على البقاء في شيزر ، بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ . غير أن عمه أبا العساكر لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على ملكه ، وأن ليس لأبنائه سلامة إذا ظل أسامة في شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ؛ فقتلتوا في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، فانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر ، وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها : معين الدين أنر ، واعتمد هذا الحاكم على أسامة في تصريف الشؤون السياسية ، وقد نجح أسامة في ذلك ، نجاحا رفع مكانته في دمشق ، واستطاع في تلك الحقبة أن يتصل بالفرنج عن قرب ، وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم . ولكن المقام لم يصف لأسامة بدمشق ، ويظهر من تلك القصيدة التي أرسلها إلى معين الدين أنر يعاتبه فيها — أن السر في نبو المقام بأسامة يعود إلى وشايات ، حملها الساعون إلى معين الدين ، صدقها ، فأنحرف قلبه عنه . يداننا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميري : معين الدين مالكة من نازح الدار ، لكن وده أمم
هل في القضية يامن فضل دولته وعدل سيرته بين الوري علم
تضييع واجب حق ، بعدما شهدت به النصيحة ، والإخلاص ، وانخدم

وما ظننتك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل التهي ذم »
ولا اعتقدت الذي يبنى ويبدك من ود ، وإن أجلب الأبداء ، ينصرم
لكن ثقاتك مازالوا بغشهم « حتى استوت عندك الأنوار والظلم »
والله مانصحوها . لما استشرتهم وكلهم ذو هوى في الرأي متهم
كم حرقوا من مقال في سفارتهم وكم سعوا بفساد . ضل سعيهم

ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها : من حياة ، وحرارة ، وقوة ، أن أسامة
كان يضمير في قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعهد هذا
العتاب الطويل ، بقوله :

فاسلم ، فاعشت لي ، فالدهر طوع يدي وكل ما نالني من بؤسه نعم

ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها في جمادى الثانية
سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) ، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله ،
وكان معه والدته ، وزوجه ، وأخوه محمد ، فأكرمه الخليفة أيما إكرام ، وأقطعته
إقطاعا ، عاش به في رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة في أول
الأمر أن يزج بنفسه في الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولي الظافر ألقى
بنفسه في خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك في المؤامرات
التي انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر . ورأى أسامة أن يعود
بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه
وبين الوزير المصري الجديد : طلائع بن رزيك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشرته لتلحق به ، ولكن السفينة التي كانت تحملهم أصابها عطب عند عكا ، التي كانت في يد الصليبيين ، فتهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد فقدوا كل ما حملوه معهم من مصر . وكان لذلك أكبر الأثر الأليم في نفس أسامة . وقد اتصل أسامة في دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية في عصره ، وكثيرا ما أرسل إليه الوزير المصري طلائع قصادد يبحث بها على أن يتوسط لدى نور الدين محمود ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصادد لم تثمر ثمرتها ، ولم يصنع نور الدين إليها .

ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك في الوقائع الحربية التي شنها نور الدين ، وإن كان قد ساهم في بعضها ، فقد حدثنا أبو شامة في كتابه : الروضتين ، عما أبداه أسامة من ضروب البسالة في حصار قلعة حارم

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشر سنين ، قضاها في دمشق ، أنه في حاجة إلى الراحة ، والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، ففضى إلى حصن كيفا ، وهناك عكف على البحث والدرس والتأليف ، وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه : من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هذه العزلة التي أرتضاها أسامة ، قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، ففضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلوات وثيقة ، عندما كانا

معا في بلاط نور الدين محمود، فأعطاه صلاح الدين دارا وإقطاعا دارة ، وجالسه وآنسه ، وذاكره في الأدب، وكان يستشيريه فيما يلّم به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوفا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده: مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه في الحلّ والترحال .

عاش أسامة في دمشق يشكو الكبر ، وثقلت الحياة عليه لطول عمره ، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤هـ (نوفمبر سنة ١١٨٨م) توفي أسامة، بعد أن أربى على التسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق .

(٢)

ترك أسامة عدة كتب ، عرفنا منها :

١ - كتاب الاعتبار ، الذي نشره المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورج (Hratwig Derenbourg) وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ومشاهداته: من معارك حربية وأحداث سياسية في مصر والشام، وهو يصور الوقائع التي دارت بينه وبين الفرنج، في صدق وإخلاص ، ويعلق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين، ويدون ما رآه من أعمال الأبطال، ولو كانوا من صغار الجند ، ويقيد الحوادث الفردية الغريبة، وينقل إلينا ضوضاء المعارك ، ويصف صلة المسلمين بالفرنج يومئذ في السلم والحرب ، ويصور طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم، ويجوى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا

ونوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة . وقيمة الكتاب في أن مارواه من حوادث تاريخية ومعارك ، تجلها بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ؛ ولذا كان من أهم ينابيع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية . وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢- كتاب لباب الآداب ، نشره الأستاذ أحمد مجد شاكر ، وقد رتبته مؤلفه على سبعة كتب ، الأول في الوصايا ، والثاني في السياسة ، والثالث في الكرم ، والرابع في الشجاعة ، والخامس في الأدب بمعنى مكارم الأخلاق ، وقسمه خمسة عشر فصلا ، وهو يورد في هذه الكتب ما يتعلق بها ، مما جاء في القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث متصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء ، والكتاب السادس في البلاغة ، تحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأورد جوامع كلم الرسول ، ونماذج من كلام البلغاء ، وذكر كثيرا من محاسن الشعر الموجز البليغ ، الدال على مكارم الأخلاق ، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر ، والكتاب السابع في الحكمة ، نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق في الاختيار .

٣- كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية ، تتحدث عن العصا التي عرفت في التاريخ ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤- كتاب البديع ، وقد جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر . وذكر محاسنه وعيوبه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبي الإصبع في كتابه بدائع القرآن . ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب ، وقد أعدناه للنشر .

٥ - كُتَابُ الْمَنَازِلِ وَالذِّيَارِ ، قَالَتْ عَنْهُ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ : إِنَّهُ تَرْجَمَةٌ كَتَبَهَا عَنْ نَفْسِهِ عَامَ ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهِ فِي حِصْنِ كَيْفَا ، وَالذِّافِعِ لَهُ عَلَى كِتَابَتِهِ زَلْزَالُ أَوْغُسْطُسَ سَنَةِ ١١٥٧ م ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ شَوَاهِدَ شِعْرِيَّةٍ كَثِيرَةً عَنِ الْمَنَازِلِ ، وَالذِّيَارِ ، وَالْأَطْلَالِ ، وَالرَّبِيعِ ، وَالذَّمَنِ ، وَالرَّسْمِ ، وَغَيْرِهَا . وَبِالْمَتْحَفِ الْأَسْيُويِّ بِلَنْجِرَادِ نَسْخَةٌ مِنْهُ .

٦ - مَخْتَصَرُ مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، لِابْنِ الْجَوْزِيِّ .

٧ - مَخْتَصَرُ مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، لِابْنِ الْجَوْزِيِّ أَيْضًا .
وَالْحَايَاتَانِ مَخْطُوطَانِ بَدَارِ الْكُتُبِ .

٨ - تَارِيخُ الْقَلَاعِ وَالْحِصُونِ .

٩ - أَخْبَارُ النِّسَاءِ .

١٠ - التَّارِيخُ الْبَدْرِيُّ ، وَقَدْ جُمِعَ فِيهِ أَسْمَاءُ مِنْ شَهْدِ بَدْرٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ .

١١ - التَّجَاوِزُ الْمَرْبُوحَةُ ، وَالْمَسَاعِي الْمُنْجِجَةُ .

١٢ - التَّوْمُ وَالْأَحْلَامُ .

١٣ - الشَّيْبُ وَالشَّبَابُ .

١٤ - التَّأْتِي وَالتَّسْلِي .

١٥ - ذَيْلُ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ .

١٦ - أَخْبَارُ النِّسَاءِ .

١٧ - نصيحة الرعاة .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها في كتبه التي بين أيدينا .

(٣)

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق في كتبه : الاعتبار ، والعصا . ولباب الآداب ، وما تفرق في كتب مؤرخيه : تكريده القصر ، والروضتين ، في أخبار الدولتين ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وشذرات الذهب ، وجمهرة الإسلام ، ذات النثر والنظام . ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه ، وعنى به من بعده ابنه مرهف ، وكان صلاح الدين مشغوبا به ، كما ذكرنا ، وقد رآه ابن خلكان ، وذكر أنه بأيدي الناس . وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان^(١) ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها وموازتها بما له من شعر متفرق في الكتب ، وسنلحق بالديوان في الطبقات المقبلة إن شاء الله ما عثرنا عليه في هذه الكتب ، ولم يكن مذكورا في الديوان .

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض : فباب للغزل ، وأنحر لشكوى الفراق ، وغيرها للوصف ، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائي ، ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء ، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون ، برغم الدوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو ، حتى لقد قال :

ظلمت شعري ، وليس الظلم من شيمي يطيعني ، حين أدعوه ، وأعصيه
يهم أن يذكر القوم الأتنام بما فيهم ، فأزجره عنهم ، وأثنيه
وليس من خلق ثلب الغنى وإن جنى . ولا ذكر ذي نقص بما فيه

(١) محفوظه بالدار تحت رقم ١٦٨٧٧ ز .

وفي ذلك مسحة من ترفع الإمارة التي تحول بينه وبين النزول إلى مستوى التشاتم والمهاترة .

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض ، كان يجزئ القصيدة الواحدة ، فيضع غزلها مثلا في باب الغزل ، ومديحها أو نغرها في باب المديح أو الفخر ، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده . ولهذا النظام فائدته في تتبع الدراسة الفنية ، لكل فن من فنون الشاعر على حدة ، وإن كانت الحاجة تدعو ، عند دراسة بناء القصيدة ، إلى دراسة أجزائها كلها ، لمعرفة الجو الذي توحى به ، وإدراك مدى الصلة التي تربط بين عناصرها .

ويبدو ، لأول ما نقرأ الديوان ، أن أسامة لم يدون كل ما قاله من الشعر ، لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه ، لحذف منه ما لم يرقه ، حيث يقول :

كلما رددتُ في شعري النظر بان ضعف العي فيه ، وظهر
ليس يرضيني ، ولا يمكتني مجد ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجيل الفكر في تقليله فإذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم إن رأى مافيه من عيب ستر

وذاك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى ، كان ينبغي أن يصل إليه مستوى شعره ، ولا بد أن كان لذلك أثره في تهذيب أسامة لشعره ، وأخذه إياه بالتقويم والتنقيح ، حتى ظهر شعره في هذا الثوب من القوة والجزالة ، مما يذكرنا بشعر الفحول ، الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهرا للتلاعب بالألفاظ ، أو الجري

وراء محسن لفظی، من غیر أن يكون فی البيت معنی جلیل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فلدیه ما یقوله، فی أسلوب قوی، وعبارة رصینة .

وتتدفق خواطر أسامة فی قصیدته، ویرتبط بعضها ببعض، حتی یصبح البيت لبنة، فی بناء ملتحم مؤتلف، خذ مثلا قوله :

لا تجزعنَ نخطب فكلّ دهرک خطب
وحادثات اللیالی مملّة، ما تغب
تروح سلها، وتغدو علی الفتی، وهی حرب
ولا تضق باصطبار ذرعا، إذا اشتدّ كرب
فصبر یومک مرّ وفی غد هو عذب
کم صابر الدهر قوم فأدرکوا ما أحبوا
وكلّ نار حریق یخشی لظاها سنخبو

تر فيه التحام الخواطر وتسلسلها، ولا تجد ذلك فی مقطوعاته القصیرة فحسب، بل فی قصائده الطویلة أيضا، حتی لیخیل إلیک أحيانا أنك تقرأقطعة مثورة، لا قصيدة منظومة . ویطول نفس أسامة أحيانا حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتا، كذلك التي كتبها علی لسان نور الدین، یعدّد فيها وقائعه مع الفرنج.

وينهج أسامة فی كثير من الأحيان المنهج التقليدي، فبدأ قصائده بالغزل حين یفتخر، أو یمدح، أو یشکو، وحيناً يبدأ موضوعه من غیر مقدّمة غزلیة،

كهذه القصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لاقى الفرخ وهزمهم ، فقال أسامة .

كلّ يوم فتح مبين ، ونصر ، واعتلاء على الأعادي ، وقهر

ومضى في قصيدته .

ولكثرة ما أطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمّنه بعض قصائده. حتى قد اتهمه بعض سامعي شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى التّضمين ، الذي تراه في قوله ، يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى إليه ، ولي شكية ، أنت فيها « الخصم والحكم »
وما ظننك تنسى حقّ معرفتي « إن المعارف في أهل النهي ذم »
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى « استوت عندك الأنوار والظلم »

وفي هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبي : واحر قلباه ممن قلبه شيم .

أما قصيدة أسامة التي مطاعها :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبر فليس له نهى عليه ، ولا أمر
فقد ضمّنها من شعر أبي فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبي ، وأبي صخر
الهدلي ، وغيرهم . وليس التّضمين بكثير في شعر أسامة . وأكثره ما جاء في
هاتين القصيدتين .

تلمس في شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ولا مزاح ، إلا قليلا نادرا ، وليس في باب الملح الذي عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من

الفكاهة، ولعل من أرقها قوله، وقد كان له جار من الأمراء يعرف بابن طليب،
وقعت في داره نار، فاجترقت، فقال أسامة :

أنظر إلى الأيام، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا، وكان هلاكها بالنار

(٤)

وجدت الأحداث الكبرى التي مرت بأسامة صداها في شعره، وصور
آثارها في نفسه تصويرا قويا، ولعل من أقوى هذه الآثار عمقا في نفسه،
اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول: شيرز، الذي شهد مدارج طفولته،
وملاعب صباه، وملاهي شببته. وقد وجد أسامة البقاء في هذا الوطن،
شقاء لا يطيقه، بعد أن جفاه عمه، وقلب له ظهر الحجن، فكتب إلى أبيه
قصيدة، يحدثه فيها عما يعتلج في صدره من الهم، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه
من الغدر، وما ناله من سوء العقوق، ويقول له :

أشكو إلى عليك هما ضاق عن كتمان صدرى، وما هو ضيق
وطوارقا اللهم، أقرئها الكرى وتلظى بي صبغا، فما تنفرق

ويأبئه بأنه قد صم على فراق دار الهون، ما دام الحقد عليه قد وجد سبيله
إلى قلوب ذوى قرباه، فيقول له :

دعني وقطع الأرض، دون معاشر كل على، لغير جرم، مُحْتَق

تغلي على صدورهم ، من غيظهم فتكاد ، من غيظ على ، تحرق
أعيا على رضاهم ، فيئت من إدراكه ، ما النجم شيء يلحق
قد أفسدوا عيشي على ، وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبني أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفوني فالأبعاد أرفق

وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذي نأى به عن الضيم ،
وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه راضيا به ،
ما دام ذلك في سبيل احتفاظه بأنفته وعزّة نفسه :

أأسام خسفا ، ثم لا آبي ، فلست إذا أسامة
هيات ، لا ترضى المعأ لى صاحباً يرضى اهتضامه

وألقى أسامة بنفسه في المعارك تحت لواء عماد الدين زنكي ، ولم ينقص
عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو غروا صدر أبيه عليه ، فاضطر أسامة إلى أن
يرسل إلى أبيه استعطافا ، يزيل به من نفسه أثر هذه الواقعة ، التي لم يحدثنا
التاريخ عنها شيئا ، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبي من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ، ماذا من نواك لقي
وناظر قرحت أجبانه ، أسفا عليك ، في لجة من دمعه غرق
وبعد ما بي ، فاشفائي يهددني بشوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قدرانت عليه ، من السواشين بي ، جفوة يهماء ، كالغسق
أما كفاهم نوى دارى ، وبعذك عن عيني ، وفرقة إخوان الصبا الصدق

وأنتى كل يوم قطب معركة درية السمر والهندية الذلق
 أغشى الوغى مفردا من أسرتى، وهم إذا الخيل خاضت لجة العلق
 وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كيسى ولا حمقى
 وكان موقفه من دمشق حين نبت به ، كموقفه من وطنه الأول ، فارقتها ،
 غيرراض باحتمال الهوان ، برغم ما ألمسه فى شعره من حبه لمعين الدين ،
 إذ يقول له :

ولست آسى على الترحال عن بلد شهب البراة سواء فيه والرخم
 تعلقت بجبال الشمس منه يدى ثم انثنت ، وهى صفر ، ملؤها ندم
 أما حياته بمصر، فقد مرّ عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام ، وتنقل
 الملك والسّلطان ما صحّ أن يقول معه :

خمسون من عمرى مضت، لم أتعظ فيها ، كأتى كنت عنها غائبا
 وأنت على بمصر عشر بعدها كانت عظة كلّها وتجاربا
 شاهدت من لعب الزمان بأهله وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا
 ولعلّ الأزمات السياسيّة التى مرّت به فى مصر ، كانت تملأ صدره بالهم حيناً ،
 والنقمة على الزمن الذى دفع به إلى مصر ، فيقول :

يامصر، مادرت فى وهمى ولا خلدى ولا أجالتك خلواتى بأفكارى
 ما أنت أول أرض مسّ تربتها جسمى ، ولا فيك أوطانى وأوطارى
 لكن إذا حمت الأقدار كان لها قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حيناً إلى الثورة ، والتي لا بد أن تلم بمن يخوض لحة السياسة – وجد في مصر ما كان يصبو إليه : من مال ومجد ، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يرتجى الـ آمل : من رفعة ومال وجاه

فاستردت ما خولتني ، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي !

كنت فيها ، كأتى في منام زال منه ما سر ، عند انبأه

فلا جرم كان شديد الحنين إلى مصر ، بعد أن فارقها ، وكان يتمنى أن يلي

دعوات الملك الصالح ، التي وجهها إليه مرة بعد أخرى ، يدعوها فيها إلى العودة

والعيش معه . وهنا يحسن بي أن أقف قليلاً ، أئين رأى الملك الصالح فيما أتهم

به أسامة : من المشاركة في قتل الظافر ، فالصالح يبرئ أسامة براءة تامة من هذا

الإثم ، ويراها نقي الصفحة ، طاهر اليدين ، وها هو ذا يرسل إلى أسامة ، يدعوها

إلى مصر ، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر ويقول له :

على أنه تد نال بالقدر من بني نبي الهدى ما لم ينله بنو حرب

وهل نال منهم آل جرب وغيرهم من الناس فوق القتل والسبي والنهب

غدا والغا كالكلب ظلما وحزبه دماءهم ، لاحاطه الله من حزب

وياليت لو كان فيه من الوفا لمالكه بعض الذي هو في الكاب

وحاشاكم ، ما ختم العهد مثله ولا لكم فيما جرى منه من ذنب

ومن مثل ما قد نالكم من دنوه يحاذر أن تدنو الصحاح من الحرب

كان لكثرة الترحال أثره في شعر أسامة ، فكثيرا ما شكى الفارقة والافتراق ،
 وكثرة جوبه البلاد . وتحسّ في هذا الشعر لوعة الحرمان ، وألم الشوق إلى الوطن
 المفارق ، والآل الغائبين ، فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باقى العِمرِ مغتربٌ ناءٍ عن الأهل والأوطان والسكن
 لا تستقرّ جِادى فى معرّسها حتى أرّوعها بالشّدّ والظّعن

ويقول :

أين السّرورُ من المروع بالنوى أبدا ، فلا وطنٌ ولا خلانٌ
 عيدُ البريّة موسم لعويله وسرورهم فيه له أحزان
 وإذا رأى الشّمل الجميع تراحت فى قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرحيل الدائم ، مصدر ألم لأسامة ، يؤزق حياته ، وينغص
 عليه عبسه . وكان له أثره في مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه
 عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدد ثروته ، نهب بعضها عقب الحوادث التي جرت بعد مقتل
 الظافر . وغرق بعضها في البحر عند خروج أسرته من مصر - أثره البالغ
 من نفسه . وأثره القوي في شعره ، شكى ذلك إلى الملك الصالح ، وطلب منه
 المعونة . فقال له :

أنا أشكو إليك دهرًا لحي عو دى . وأعراه ، فهو يبس سليب
 وخطوبا رمى بها حادث الدهر سوادى . وكلهن مصيب

أذهبت تالدى وطارفى الطارى ، فضع المورث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق قى ، وذا منهب

ويظهر أنّ الفقر قد عبّه بناه حيناً من الدهر ، حتى رأياه يصف نفسه بأنه
لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون اليه ، ظانين فيه الغنى
واليسار :

ولكنّ مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى؟ والحظّ حرب الفضائل
وكان أكبر ما يؤله فى حالة الهسرة التى ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ،
أخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحيناً يقول لهم :

متى رآن الشامتون ضرعاً لنكبة تعرقنى عرق المدى
هل بزنى الخطب سوى وفرى الذى كان مباحاً للنوال والتدى

فإذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ،
ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه
من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال . وبرغم
ما كان بينه وبينهم : من إحزن وبغضاء ، عزّ عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت
حياتهم ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ،
وينبوعاً لقوته واعتزازه . قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ،
وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة
يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمن ، وإذا أفردت بالرزء ما أنفك أسوانا
ما استدرج الموت قومي فى هلاكهم ولا تخرمهم مثني ووجدانا

فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطب فيهم ، عز أوهانا
وأقتدى بالورى قبل ، فكم فقدوا أخوا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا
ويدفع عن نفسه أن يظنَّ به ظانٌّ وقوفه من هذه الكارثة، وقوف من لا يعنى
بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جرّاه ، دارانا
يقول بالظنّ إذ لم يدر ما خلقى ولا محافظتى من حان أو بانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره كم أوغروا صدره غيظا وأضعانا
وما درى أنت فى قلبى لفقدهم نارا تلظى ، وفى الأجنان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دى دمهم وإن أرونى مناواة وشتانا
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثة وجتى ، حين ألقى الخطب عريانا

وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ترى أودعوه رحمة ملأت مئوى قبورهم روحا وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بلين تحت الثرى ، عفوا وغفرانا

ولما علت سنّ أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل
الحياة عليه ، فحينما يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينما تنهال
عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته فى عهده السالف ،
فقد كانت كفه مألفا للسيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما

يمشى الأسير منقلا بالكبل ، وحينما يأسف على أنه لم ينل في شببته ، من المتع والملاذ . ما كان جديرا أن يظفر به في عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساعنى أن أحال الزما ن للى نهرا ، وجهلى وقارا
ولكن يقولون : عصر الشباب يكون لكل سرور قرارا
فوجدى أتى فارقته ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أثر فيه يومئذ أنه رزق ابنة بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ، فوجد اليتيم ينظرها ، وكان تفكيره في يتمها وضعفها مجابة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون تخبرها أن سوف تيم عن قرب ، وتنعانى
وهى الضعيفة ، ما تنفك كاسفة ذليلة ، تمتري دمعى وأحزانى

وصور لنا أسامة نفسه محميا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا
وئرا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالمقيد
بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه
عاجزا عن تلبية داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنت قواى عن سعى إلى الحرب
وكنت إن توب داعى الوغى لبيته بالطعن والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته
وأترابه ، فعاش غريبا فى جبل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلين والأوطان . والأتراب ماتوا

ولبس عيش المرء فا رقه الأحبسة واللذات
فلام أشقى بالبقا ء ، وكم تعذبني الحياة

(٥)

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ، ونجم الدولة مجد،
وعزّ الدولة، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه مجد - قوية وثيقة ، يضمّر لأبيه
الحب وخالص الإجلال ، ويعني أكبر ما يعني ، بأن يكون راضيا عن خطواته ،
وأهدافه ، كتب إلى أبيه يستأذنه في فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها
قصيدة طويلة ، منها :

فاسمح ببعدي عنهم برضاك لي إن الذي ترضى عليه موقف
حتى إذا آثر أسامة البعد كتب إلى أبيه قصائد يشوق فيها إليه ، ويحدثه
عن آماله في لقائه والحياة معه ، فإذا سمع أسامة أن تغيرا ألم بقلب والده عليه ،
بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالي وللشفعاء فيما أرتجى من حسن رأيك فيّ ، وهو شفيعي
أعذبت لي من جود كفك موردى فصفا ، وأمرع من نذاك ربيعي
وبك اعتائت ، وطلت من ساميته نغرا يجمدك لا بحسن صنيعي
وقضى ببعدي عنك دهر جائر وإلى جنابك إن سلمت رجوعي

(٢١)

وكتب مرة إليه من مقتربه قصيدة منها :

بي لوعتان عليك ، يضعف عنهما جلدى : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب الإشفاق مما أنت فى ملاقى

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أَنْظَنَ أَنَّى بَعْدَ بَعْدِكَ بَاقِي أَجْزَى عَنِ الْأَشْوَاقِ بِالْأَشْوَاقِ
أَبَا الْمُظْفَرِ ، دَعْوَةَ تَشْفِي الظَّمَا مِنِّي ، وَإِنْ أَضْحَى بِهَا إِحْرَاقِي
لَمْ أَسْتَكُنْ أَبَدًا لِحَطْبِ نَازِلٍ إِلَّا لِبَعْدِكَ فَهُوَ غَيْرِ مَطَاقِ
فَإِذَا أَطَعْتَ الْوَجْدَ فَيْكَ أَطَاعَنِي قَلْبِي ، وَيَبْدَى إِنْ عَصَيْتَ شِقَاقِي
فَإِذَا ذَكَرْتِكَ خَلْتُ أَنَّى شَارِبٍ ثَمَلٍ سَقَاهُ مِنَ الْمَدَامَةِ سَاقِي

ولعل والده رأى هذه القصيدة غير مبينة عما يضمره قلبه لولده من لآع
الشوق ، فقام أحد مؤدبى أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه يصف فيها حال هذا
الوالد المعذب .

ولمّا شئت إخوته فى البلاد كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى
الفراق ، فإذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالعتي ، وصادق الحبّ والمودة ،
وحدث أن أخاه مجدا أسره الفرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس
وابنه نصر ، فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشيزر من صلة مقطوعة أن
يكتب إليه ، مستعينا به على فك أسراخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ،
إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بفك أحمى من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدمي

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ولم يسع في فكك أخيه .

أما صلته بعمه ، حاكم شيزر ، وابن عمه ، فيظهر أنه حاول جاهدا الإبقاء على الصلة التي تربطه بهما ، وبذل في سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة ، ولعل خير ما يصور موقفه في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلقن أهل ودي	ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ، ويئست منهم	فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم قوادى	كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا	كأني ما سمعت ، ولا رأيت
تجنوا لي ذنوبا ما جتها	يداي ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا	كما قد أظهره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا ، وتبدو	صحيفة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمه ، حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت الثفرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال شيزر بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا . وكل هذا يدلنا على ما امتازت به نفس أسامة : من حب يضره لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم ، يظللهم جميعا الود والوثام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهد كان جديرا به أن ينجح ، وأكد المس في شعره أنه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

(٦)

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة ، الملك الصالح طلائع بن رزيك ،
ودار بين الاثنين كثير من المراسلات التي تنضح عن ود مكين بين قلوبهما ،
وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فمضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه
إلى مصر حيناً ، وتعب عليه إشاره البعد عنها حيناً آخر ، وتأخذ عليه أحياناً
أنه مقل في رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيراً ما حدثه الصالح عما قام به من
حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا معا
على حرب الصليبيين . وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية
في حياته ، وكان الصالح معجباً بمواهب أسامة في الحرب والسلام ، يرى فيه
مخاربا شجاعاً ، وشاعراً مفلحاً ، وخطيباً بارعاً ، وحكماً في إبداء الرأي صائباً ،
يقول له :

وجهادُ العدوِّ بالفعل والقول ، على كل مسلم ، مكتوب
ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت إذ تشب حروب
أنت فيها الشجاع ، مالك في الطعن ولا في الضراب يوماً ضريب
وإذا ما حرّضت فالشاعر المفلح فيما تقوله والخطيب
وإذا ما أشرت فالحزم لا ينكر أن التدبير منك مصيب
لك رأى مذ قط إن ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب

(٢٤)

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن
 يجتمعا معا على حرب الصليبيين في وقت واحد، حتى تنشبت وحدتهم، ولا يستطيعوا
 الحرب في جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح ، يجهز الاثنان جيشيهما ،
 ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك
 الرأى إلى نور الدين ، إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا فبأمتنا لك ، بازال يدرك المطلوب
 والقي عنا رسالة عند نور الدين ما في إلقائها ما يريب
 قصدنا أن يكون متنا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
 فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدناهم الفضاء الرجيب
 وعلينا أن يستهل على الشام مكان الغيوث مال صيب

فهو يعد بالجيوش والمال ، ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو
 كفييل بأن يلقي بهم في البحر . أرسل رسالة إلى أسامة يقول فيها :

فلو ان نور الدين يجعل فعانا فيهم مثلا
 ويسير الأجناد جهرا ، كي ننازلهم نزالا
 ونبي لنا ولأهل دو لته بما قد كان قالا
 لرأيت للافرنج طرا في معاقلها اعقالا
 وتجهزوا للسير نحو الغرب، أو تصدوا القملا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو ، والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بالغ العبد فى النيابة والتحريض ، وهو المفوه المقبول
فراى من عزيمة الغزو ما كا دت له الأرض والجبال تميل

وكان رأى أسامة كراى الصالح فى الاجتماع ووحدة الكلمة ، ومضى الملكين
معا إلى الحرب . وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ،
ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير
مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له ما نزل بالقدس :
من محن على أيدى الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء : من الغدر الذى لا يحول
بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يبرم . وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع
الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح وتشكر أياديه ، وكان
الصالح يبره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة يجد غضاضة فى سؤال الصالح
ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالبحور فى ، ولم يزل يجور على مثلى ، ويعتسف
لحت نوابه عودى ، وأنفد مو جودى، وشتت شملى ، وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرنجيا وفى يدك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندی طبعك الکریم ، فإهني نوالا تنيله وثيب
 جاءني والبعاد دوني ، كما جا بت فيافي البلاد ریح هبوب
 وعجيب أن المواهب تسرى ويقيم المسترفد الموهوب

(٧)

ومدح أسامة غير الصالح ، معين الدين أنر حاكم دمشق، عندما كان في كنفه،
 وبعد أن فارقه وجاء إلى مصر، يثني عليه بالجوهر الذي تعبده فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من بجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثني عليه ببلانه في حرب الصليبيين وانتصاره عليهم ، فيقول له :

أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا فل غراريك أيها السيف دهر
 بك زاد الإسلام ياسيفه المخذم عزاً ، وذل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبي الفتوح وزير الظافر، وابنه نصرًا على نعمه
 وما أولاه من الفضل والكرامة . وفي ديوانه قصيدة ، لا أدري لمن وجهها ،
 مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العدل . أما رأيه في نور الدين محمود :

فهو المحامي عن بلاد الشام جمعا أن تذالا

وميد أملاك القر نيج وجمعهم حالا فخالا

ملك يتيه الدهر والدنيا بدولته اختيالا

فإذا بدا لناظرين رأيت عيونهم الكمالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم : في طهارتها ، وامتلائها بالجوع والعطش . وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباهج الطيبة للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا فضله عليه وعلى الإسلام .

(٨)

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره وثباته وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع نخره في شعره ، فما قاله مفتخرا بشجاعته :

لخمس عشرة نازلت الكفاة إلى أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا
أخوضها ، كشهاب القذف مبتسما طلق المحيا ، ووجه الموت قد كلبحا
بصارم من رآه في قتام وغى أفرى به الهام ، ظن البرق قد لحا
أعدو لنار الوغى في الحرب ، إن نعمدت بالبيض في البيض والهلمات مقتدحا
فسل كفاة الوغى عنى ؛ لتعلم كم كرب كشفت ، وكم ضيق بي انفسحا

وهو يعلم أن مكانته في السلم رهينة بما يبدية في الحرب من بسالة وإقدام :

إن يجلسوا في السلم منزلي من العز المنيف
فبما أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف
فطلما أقدمت أقدام الخوف على الخوف
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

وفي كثير من شعره ، افتخر بصبره على المكروه وأحداث الزمان .

(٩)

ولأسامة نظرات صائبة في الحياة ، أوحى إليه بها تجاربه ، وطول عمره
وما تقلب عليه من حوادث الزمان ، وعبر الأيام .

يرى أسامة لكل شيء في الحياة نهاية ، فلا بقاء لأمر ، ولا خلود لحادث ،
فلا سرور غاية ينتهي إليها ، ولا أحزان حد تقف عنده ، وإذا كانت الحياة تجري
على هذا المنوال ، فمن الواجب استقبال حوادث الأيام ، بحسن الصبر ، وقلة
الاهتمام ، فإن الشدائد إذا كانت ستمتقضي وتزول ، فمن العبث أن يزيد المرء
آلام نفسه :

خفّض عليك ، فلا تمور نهاية وإلى النهاية كل شيء صائر
فاستقبل صروف الزمان بالصبر :

الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهموم ، كما انقضى زمن السرور

بل إنّ هذه النظرة تنتهي بصاحبها إلى قلة الاكتراث بما في الحياة من سعادة
وشقاء :

لما رأيت صروف هذا الدهر تلعب بالبرايا
يعلوها هذا ، ويهبط ذا ، وقصرهم المنايا
ورأيتهم مسترجعا نزر المواهب والعطايا

متغايير الأحوال مختلف الضراب والسجاياء
لانعمة فيه تدوم ، ولا تنوم به البلياء
لم اغتبط فيه بفا ئدة ولم أخش الرزاياء

والمرء يتغلب على شدائد الحياة بالصبر :

إذا ما عرا خطب من الدهر ، فاصطر فإن الليالي بالخطوب حوامل
فكل الذي يأتي به الدهر زائل سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائل
وليس الصبر وسيلة لتحمل المكروه حتى ينقض فحسب ، ولكنه الطريق
إلى نيل الأمل ، والظفر بالأمانى :

اصبر تنل ما ترجيه ، وتفضل من جارك شأواً العلاء سبقاً وتبريزاً
وأستطيع أن أعد أسامة بهذه النظرة إلى الحياة متفائلاً ، إذ هو ، عند الشدة ،
واثق من زوالها ، وإذا كان الأمر على ذلك فلا معنى لليأس ولا خير فيه :

يا آلف الهم لا تقنط ، فأياس ما تكون يأتيك لطف الله بالفرج
ثق بالذي يسمع النجوى ، وينجي من البلوى ، ويستنقذ الغرقى من اللجج

وإذا كان كل شيء في هذه الحياة إلى انقضاء ، فمن الواجب ألا يدع المرء
فرصة سعادة تمر من غير أن يأخذ منها بالنصيب الأوفى :

وتغتم اللذات إن ممرها مر السحاب

وأوحت إليه تجاربه في الحياة أن القرب من السلطان غير مأمون العواقب ،
ولا شهى الثمرة ، فنادى بالبعد عنه ، وإيثار العيش في حمول وهدوء :
ارض الحمول ، تعش به في نجوة مما تخاف ومن معاندة العدى
أما الحياة في جوار ذوى السلطان ففي خطر دائم ، وقلق لا يهدأ :
لاتقربن باب سلطان ، وإن ملأت هباته غير ممنون بها الطرقا
فإن أبوابه كالبحر ، راكمه مروع القلب ، يخشى دهره الغرقا
وأسامة ممن يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويدين بالخط ، ويرى الرزق مقسوما ،
لا حيلة في تبديله :

فؤض الأمر راضيا جف بالكائن القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كاحم على وضم
وافتقار القوى ترهبه الأسد في الأجم
أن للخلق خالقا لا مرء لما حكم

ولكن الناس جشعون يتكالبون على الحياة ، ولا يزهدون فيها إلا متكلفين
مكرهين .

(١٠)

وأفرد أسامة في ديوانه بابا للتراء ، خص جزءا كبيرا منه برثاء ولده أبي بكر
عتيق ، وكان قد وصفه بين أترابه قائلا :

عتيق كأهللال ، إذا تبدى لسارى الليل من تحت الغيوم
تقول إذا به الأتراب حفا : أهذا البدر ما بين النجوم

(٣١)

وأكد ألمس في تشبيهه بالهلال يبدو لسارى الليل ، أنه كان أملاً لأبيه ،
طالما تمناه ، ليكون رفيقاً لولده الآخر مرهف ، فلا جرم كان لموته لذعة ألم
في قلبه ، أمضته فمضى إلى شعره يشكو إليه وقدة الحزن ، ولا سميّا أنه نكب به
وقد قارب الثمانين من العمر ، لا أمل عنده في خلف يأتي به .

وأسامة يحدثنا عن شغل فؤاده الدائم بابه الزاحل ، فيقول :

كيف أنساك يا أبا بكر ؟ أم كـيـف اصطباري ؟! ما عنك صبري جميل
أنت ، حيث أتجهت ، في أسودى عـيـ سنى وقلبي ، عمثـل لا تزول

ويصف لنا انصرافه بعد زيارة قبره ، يملأ قلبه الأسى والشجن :

أزور قبرك ، والأشجان تمنعني أن أهتدى لطريقي حيث أنصرف
فما أرى غير أحجار منضدة قد احتوتك ، وماوى الذرة الصدف
فأنثني ، لست أدري أين منقلبي كأننى حائر في الليل معتسف

وقد أثار فيه هذا الحادث المؤلم ذكرى من مضى من أهله ، فأخذ يندبهم ،
ويتوجع لمصيرهم ، بل أثار فيه الألم لحياته القلقة المشردة ، التي لا تأوى إلى وطن :

رمتنى في عشر الثمانين نكبة من الثكل بودى حملها من له عشر
على حين أفنى الدهر قومي ، ولم تزل لهم ذروة العلياء ، والعدد الذثر
فلم يبق إلا ذكرهم وتأسفى عليهم ، ولن يبق التأسف والذكر
وأصبحت لا آل يلبون دعوتى ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
كأننى من غير التراب ، فليس لى

من الأرض ذات العرض ، دون الورى ، شبر

ولكن أسامة ينتهى بالتسليم للقدر ، ما دام ذلك مصير الأحياء أجمعين ،
وإن الدنيا كلها - مادام ذلك عقبى أمرها - لا تستحق عناء طلبها ، ولا التعب
في جمع ما يخرج المرء منه وهو صفر اليدين .

(١١)

ليس في غزل أسامة هذه الحرارة القويّة التي تشعرنا بقلب دلهه الحبّ ،
وأضنته لوعة الغرام ، ولا أكاد أتبين له إحساسا تفرد به ، أو لمحات امتاز بها ،
وليس معنى ذلك أنه لم يذق الحبّ ، بل أرجح أنه ذاقه ، وإن كان لم يشغل
قلبه كلّهُ ، وقد استعمل أسامة تشبيهات الأقدمين وأساليهم في وصف عواطف
الحبّ ، ومما يلحظ على غزله أنه شك حزين ، لا تكاد تلمح فيه ابتسامة سرور ،
وقد يرقّ أسامة أحيانا ، ويتخذ أوزانا مرقصة ، ونحس ببعض نبضات الحياة
في غزله ، كقوله :

قل لمن أوحش بالهجر جفوني من كراها
والذى أوهم عيني أنّ في النوم قذاها :
يا ملولا ، قلبا استرعى عهدا فرعاها
يا ظلوما ، قلبا استعطفته ، صدّ وتاها
زدت في تبهك ، والشئ إذا زاد تنأهى
تتفضى دولة الحسن ، وإن طال مداها
راحتى لو سمع الشكوى إليه ووعاها

غير أنّ الصّم لا تسمع دعوى من دعاها
 وهو لو نادى عظامى رمة لبي صداها

هذا وكان أسامة عندما يبدأ غرضاً من أغراض شعره يجعل روح غزله
 مناسبة لهذا الغرض . واستمع إلى غزله في مفتتح قصيدة عتاب ، إذ يقول :

ولوا ، فلما رجونا عفوهم ظلموا فليتهم حكوا فينا بما علموا
 ما مرّ يوماً بفكرى ما يريهم ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
 ولا أضعت لهم عهداً، ولا أطلعت على ودائعهم في صدرى التهم
 وعلى هذا النسق مضى ، حتى قال :

وبعد ؛ لو قيل لى : ما ذا تحبّ؟ وما مناك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
 هم مجال الكرى من مقلتي ، ومن قلبي محلّ المنى، جاروا ، أو اجترموا

وهاك من غزله في قصيدة استعطاف :

أطاع ما قاله الواشى ، وما هرفا فعاد ينكر منّا كلّ ما عرفا

(١٢)

وعتاب أسامة فيه رقة ورفق بالغ ، واستعطافه جدير أن يستل الضغائن
 من القلوب ، تشغرفيه بحرارة العاطفة ، وصدقها ، يقول لابن عمه يستعطفه :

هبنى أتيت بجهل ما قذفت به فأين حللك، والفضل الذى عرفا

ولا ، ومن يعلم الأسرار حلقة من يير فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا
ما حدثتني نفسي عند خلوتها بما تعنفني فيه إذا انكشفا

وبعد فشعر أسامة من النوع الجزل الفخم ، لا يكاد تجد فيه من الهنات
إلا ما يعدّ ويحصى ، فهو في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جدّوا
شباب الشعر ، وكسوه حلة من الفخامة والقوة والجلال .

أحمد أحمد بدوي



مقدمة

حامد عبدالمجيد

يعد أسامة بن منقذ في طليعة رجال عصره أدبا وتصنيفا ، وممارسة لألوان النشاط السياسي في المحيط الذي عاش فيه ، أغرم بالأدب شعره ونثره ، ونهل منه حتى ارتوى ، ووجد في الشعر متنفسا يترجم به عن عواطفه ، ويسجل فيه حسه ومشاعره ، إزاء ما كان يمر به من أحداث عنيفة ، كانت تدفعه إلى القول دفعا ، فكان له مع الزمن ديوان ضخم ، عنى بترديد النظر فيه بين الحين والحين ، يستعيد به ذكريات غالية عنده ، أو يصور لنفسه حوادث قوية مرت به ، وكان يجيل قلبه في أرجائه بالحو حينا والتعديل حينا آخر ، وكان تطلعه إلى مثل أعلى في البيان يدفعه إلى معاودة النظر في شعره بين وقت وآخر ، ليلبغ منه بالتهذيب إلى ما يبغيه من سمو في القول ، وقوة في البيان . واقتدى أسامة في ذلك بما يحفظه التاريخ لكبار رجال القول من إقبالهم على تنقيح شعرهم ، وتلمسهم أسباب الإجابة ، فلا يزالون يغيرون ويحورون في قريضهم حتى يصلوا به إلى الغاية ، ويروا أنهم قد أوفوا على التعبير الذي يبين عما في نفوسهم أوفى بيان وأتمه ؛ وحينئذ يذيعون شعرهم في الناس ، معتبطين به ، وإن كانوا قلما يرضون عن أنفسهم ، بل يتطلعون دائما إلى مزيد من الإجابة والاتقان .

وقد عنى أسامة في أثناء حياته بجمع ديوانه ، فكتبه بخطه ، ونقله عنه محبو أدبه ، وراه ابن خلكان في مجلدين بأيدي الناس ؛ وروى منه بعض ما راقه فيه وهو يترجم لصاحبه في كتابه وفيات الأعيان .

وظفر شعره منذ حياته بعناية الأدباء وتقديرهم ، فاختر له العماد الأصفهاني في حريدته ، وقرن ما اختاره له بأسمى عبارات الإعجاب والإجلال ، كما اختار له الرشيد بن الزبير في كتابه جنان الجنان . وكان ديوانه مما أحب صلاح الدين الأيوبي صحبته وقراءته ، وترديد النظر فيه بين الحين والحين؛ حتى لقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى معارضته فيما كان صلاح الدين يعجب به من قصائده .

روى العماد الكاتب قال ^(١) : "لزمت خدمة السلطان (صلاح الدين) ، أرحل برحيله ، وأنزل بنزوله ؛ وكنت ليلة عنده ، وهو يذكر جماعة من شعراء الزمان ، وعنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامه بن مرشد ، بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، وإلى استحسانه مصروف ؛ وقد استحسّن قصيدة له طائية ^(٢) لو عاش الطائيان لأقرا بفضلها ، وأن خواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها ، على أن الشعراء المحدثين ما منهم إلا من نظم على رويها ووزنها ، واستمد خصب خاطره من مرزها "

والحق أن شعر أسامة جدير بالحب والتقدير ، فهو من النوع الجزل الفخم ، تستمع إليه فيروقك معناه ، وتعجبك حلته المتينة النسيج ؛ التي لم يضح صاحبها بجودتها في سبيل زخرف أوزينة ، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي ، والذي ساعده على ذلك

(١) يريد القصيدة التي مطلعها :

أجيرة قلبى إن تدانوا وإن شطوا
ومنية نفسى أنصفونى أر اشتطوا

راجع الديوان ص ٧٨ و١٧٤ و ٢١١ .

(٢) الروضتين ١ : ٢٤٧ .

ثقافة واسعة من مآثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفحولهم، وقد تجلبت هذه الثقافة الأدبية الرفيعة، فيما اختاره من نصوص ممتازة جمعها في كتابه لباب الآداب وسواه. فقد كان الرجل واسع الاطلاع؛ معدودا من علماء عصره ووجار مثقفه، فلا غرابة أن تأثر أسلوبه بأسلوب هؤلاء الرجال الممتازين، وأن اقتبس منهم حيناً، وضمن شعره بعض قولهم حيناً آخر، فنثقافة الشاعر ذات أثر كبير في أسلوبه.

وأسامة يعد بحق في الطليعة بين شعراء عصره الذين خلد الأدب من بين أسماءهم: المهذب بن الزبير وأخاه، وطلائع بن رزيك، وعمارة اليمنى، والعماد الأصفهاني. ولعل سرتفوقه—فضلا عن ثقافته الأدبية الواسعة التي تحدثنا عنها— أنه كان يعنى بالتعبير عما يمر به في الحياة من تجاربه الشخصية، فكان لحياة التجربة في نفسه أثرها في قوة شعره.

ولقد هيا له طول العمر لإنتاجا غزيرا في الشعر، جمعه في ديوان كبير. ولسنا ندرى متى جمع أسامه ديوانه، وأغلب الظن أنه قام بجمعه في أنحريات أيامه؛ ففيه شعره الذي قاله في شيخوتخته. ويحوى الديوان معظم شعر أسامه، فلم نعثر في مراجعه المختلفة إلا على النادر الذي لم يرد في الديوان.

ولما كان أسامة هو الذي قام بجمع ديوانه، واختار أن يقسمه إلى أبواب الشعر الغنائي المعروفة في عصره، ورأى أن يجزئ القصيدة الواحدة المشتملة على أغراض متنوعة، أجزاء يضع كل جزء في الباب الذي يناسبه—فقد احترمنا النهج الذي ارتضاه أسامة لديوانه، وأشرنا كلما أمكنا ذلك— إلى باقي أجزاء

القصيدة في أماكنها المختلفة ، ليتسنى للباحث دراسة نظام القصيدة عند أسامة ،
ومنهجه في تأليف قريضه ، وطريقته في التخلص من غرض إلى غرض .

رتب أسامة ديوانه على حسب أغراض الشعر الغنائي ، من غزل ، ومدح ،
ووصف ، وثناء ، وغيرها ، مبتدئاً بالزل ، ولعل بدأه الأبواب بالغزل ، لما
للغزل من صلة بكل قالب ، ولأن القصيدة العربية تبدأ بدءاً تقليدياً بالغزل ،
فربح ذلك لديه بدء ديوانه بهذا اللون العاطفي المؤثر .

ومضى أسامة يرتب شعره في كل باب على حسب الحروف الأبجدية ، من
غير أن يستغرق هذه الحروف في كل باب ، كما كان مقلاً في القوافي القليلة
الاستعمال كالثاء والذال .

أحسن أسامة في ترتيب ديوانه على الوضع الذي ارتضاه لإذاعة شعره
في الناس ، أم أنه كان من الخير أن ينهج نهجاً آخر في ترتيب ديوان ؟

لاريب أن اختيار أسامة لهذا اللون من الترتيب له مزاياه التي لا تنكر ، من
خلق جو واحد للقصائد ذات اللون الواحد ، مما يهيئ للقارئ أن يدرك فن الشاعر
وطريقته ومنهجه في كل غرض من أغراض شعره .

أما المنهج الذي فضله في ترتيب ديوان الشعراء فهو الترتيب التاريخي الذي
يعرض فيه الديوان شعر الشاعر على حسب تاريخ إنتاجه ، منذ بدأ الشاعر يقرض
الشعر إلى اليوم الذي صمت فيه قلم الشاعر عن القريض .

هذا الترتيب التاريخي هو الذي يبين في وضوح عن تطور فن الشاعر من
الحدائث إلى الشيخوخة ، ويجعلنا نصحب الشاعر في كل أدوار حياته ؛ مرحلة

مرحلة ، نعرف نوازع نفسه ، ونبضات قلبه ، كلما تقدم به العمر ، إذ الشعر صدى الأحداث ، ونظرات الحياة ، وتجارب الأيام التي تختلف من أجلها النوازع ، وتتغير أحكام الشاعر على ما يمر به من الظروف والأحوال .

وقد كنا نفضل أن لو أضاف أسامة - وقد اختار ترتيب ديوانه على حسب الأغراض - في رأس كل قصيدة أنشأها ، تاريخ إنسانها ، والظروف التي أحاطت بها ، لنعرف الجوى الذي أحاط به عندما قرضها .

وبعد فقد عثرت دار الكتب على نسخة من ديوان أسامة ، كتبت في صفر سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة ، وفي كل صفحة ثلاثة عشر سطرا ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها ونشرها . ولما كان بعض شعر الديوان قد ورد في مراجع أسامة المختلفة ، كريدة القصر ، ومسالك الأبصار ، والروضتين ، ولباب الآداب فقد وازنا بين رواية الديوان وما جاء في هذه المراجع ، مثبتين ما جاء فيها من خلاف إن كان .

وقد شرحنا ما احتاج إلى شرح من ألفاظ الديوان ، لكيلا ندع بين القارئ والاستمتاع بشعر الشاعر عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

ووضعنا في آخر الديوان عدة فهارس ، تسهل الرجوع إلى أجزاء الديوان وقصائده ، كما رقمنا القصائد والمقطوعات ليسهل الحديث عنها في دراسة شعر أسامة ونقده

حامد عبد المجيد



مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ثَقَّتِي بِاللّٰهِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين ، وأصحابه البررة المتقين ، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين
صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أقالك الله صفقة الندم ، وأقلك من زلة القدم ، وعاذك من خطإ المقال
واجتراحه ، وحصائد اللسان وجراحه ، ولأجعلك ممن إذا قال ، ندم واستقال ،
فأني [كلفت^(١)] بنظم الشعر في غرة [العمر]^(٢) أظنه من المآثر والمناقب ،
[وأعدته من الذخائر]^(٢) للعواقب .

فلها علت سني ، وانجلت جاهلية باطلي عنى ، ووضح لي أن الشعر لهو وهون ،
وأن الشعراء يتبعهم الغاؤون ، أكبرت خطي وأعظمت ، وندمت على تفريطي
فيما نظمت . على أني بحمد الله ما فئت برقت ولا هجاء ، ولا مدحت لطمع
ولا رجاء ، تنزهاً عن رقت المقال ، وترفعاً عن من الرجال ، فحاولت أن أغسل
عني وضره ، وأعني أثره ، فعصاني منه ما شاع ، ومثلت به الأفواه والأسماع ، فعدت
إلى تقليله وتمحيصه ، [وثقت] بتخليه وتلخيصه ، وفيه بعد ذلك عيوب يشهد

(١) تكة لسقط بالأصل بملها بيم المعنى .

(٢) » » » » يستقيم المعنى .

٤٨
بها إنصافي وإفراري ، ويشفع في سترها اعترافي واعتداري ، وأثبت في هذا
الجزء منه ما حصلت منه على الاختصار ، لا على الاختيار ، وفيه ما فيه ، مما
لا أنكره ولا أخفيه ، فظهره قائل صدق وعدل ، وساتره أخو كرم وفضل ،
وأنا القائل :

كَمَا رَدَدْتُ فِي شِعْرِي النَّظْرَ بَانَ ضَعْفُ الْعِيِّ فِيهِ ، وَظَهَرَ
لَيْسَ يُرْضِينِي ، وَلَا يُمَكِّنِي بِحَمْدِ مَا قَدْ شَاعَ مِنْهُ ، وَاشْتَهَرَ
فَأَجِيلُ الْفِكْرِ فِي تَقْلِيلِهِ فَإِذَا قَلَّ اخْتَصَرْتُ الْمُخْتَصِرَ
وَبِهِ فَقَرُّ إِلَى ذِي كَرَمٍ إِنْ رَأَى مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سَتَرَ
وَقَدْ جَعَلْتَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى سِتَّةِ أَبْوَابٍ :

الباب الأول - الغزل . وينظم في سلكه شكوى الفراق ، ووصف الحنين
والاشتياق ، ثم ما يجوز أن يلتحق به ، من مكاتبات الإخوان ، ومعاتبات
الخللان ، وما يجذب هذا المعنى بأهدابه .

الباب الثاني - الأوصاف .

الباب الثالث - الملح .

الباب الرابع - المديح . ويتشبه به القول في الفخر المتضمن مآثر الإنسان
وخلاله ، ثم الحماسة الراجع معناها إلى التمدح بالشجاعة والبسالة

الباب الخامس - الأدب . ويتعلق بسببه الأمثال ، وما يجري مجراها ،
أو يلاحظ مغزاها ، ثم وصف الشيب والكبر ، ثم الزهد لمن تأمل واعتبر .
الباب السادس - المراثي .

وكلُّ باب من هذه الأبواب المذكورة مرتَّبٌ على حروف المُعْجِم ، فصلاً
فصلاً ، ليقترب تناوُلُ ما يُقصد منه ، والله تعالى المستولُّ في رحمةٍ توجب
العُفْران ، وتكفِّر جرائرَ الألسان ؛ إنَّه جوادٌ مَنَّان .



باب الغزل

قافية الباء

(١)

قال :

صَاحِبِهِمْ بترفِقٍ مَا أَحْصَبُوا^(١) وَتَجَافَى عَنْ تَعْنِيْفِهِمْ إِنْ اذْزَبُوا
وَدَعِ الْعِتَابَ ، إِذَا بَدَتْ لَكَ زَلَّةٌ إِنْ الْهَوَى مُتَجَرِّمٌ^(٢) لَا يُعْتَبُ^(٣)
وَإِزِلْ لَهُمْ جَوْرَ الْمَلَالِ ، وَحَمَلُهُ صَعْبٌ ، وَلَكِنَّ الْقَطِيعَةَ أَصْعَبُ

(٢)

وقال :

بِنَفْسِي قَرِيبُ الدَّارِ ، وَالْمَهْجَرُ دُونَهُ وَبَعْدُ التَّقَالِي^(٤) غَيْرُ بَعْدِ السَّبَابِ^(٥)
أَرَاهُ مَكَانَ الشَّمْسِ بَعْدًا ، وَبَيْنَنَا كَمَا بَيْنَ عَيْنِ فِي التَّدَانِي وَحَاجِبِ
وَهَلْ نَأْنَعِي قَرَبٌ ، وَمِنْ دُونِ قَلْبِهِ نَوَى قُدْفٌ^(٦) أَعْيَتْ ظَهْوَرَ الرِّكَابِ
تَجَنَّبَنِي لِي الذَّنْبِ الَّذِي مَا جَنَّبْتُهُ وَلَا هُوَ مَغْفُورٌ بِعِذْرَةِ تَائِبِ

(١) أحصب : اقاد .

(٢) يقال تجرم على فلان أى ادعى ذنباً لم أضله .

(٣) العتبى بالضم : الرضا . واستعبه : أعطاه العتبى ، كاعتبه .

(٤) تقالوا : تباغضوا . وبينهم قال .

(٥) السباب : جمع سبب ، كالسبابس جمع بسيس ، وهما المغازاة .

(٦) نوى ونية وظلاة قذف ، محرمة وبضمين وكسبور : بيبة .



وملّ ؛ فلو أهدى إلى خياله بدا لي منه في الكرى وجه عاب
وضنّ ؛ فلو أنّ النسيم يطيعه لحنيني برد الصبا والجنائب^(١)
إذا رجعت بالياس منه مطامى علقّت بأذيال الظنون الكواذب
وأعجب ما خبرته من صبابي به ، والهوى مازال جمّ العجائب
حنيني إلى من خلب^(٢) قلبي داره وشوقى إلى من ليس عنى بغائب

(٣)

وقال :

حتى متى أنا شائمٌ إيماضٍ بارقةٍ خلوبٍ؟!
والأمّ ألقى اللائمين عليك بالوجه القطوب؟!
وأعلل النفس العديلة فيك بالأمل الكذوب
وأقول : تصلحك الخطوب ، وأنت من بعض الخطوب

(٤)

وقال :

نشدتكم يا مدعين سلوةً عن الحب ، لم تستحسن الظلم في الحب
وما بالله يلتقى البريء من الضنى حريرة ما يأتي المسىء من الذنب
وكيف استمرّ الجور فيه ، وأوجبت عقوبة ما تمنجني العيون على القلب

(١) الجنوب : ريح تحالف الشمال ، مهيا من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا والجمع جناب .

(٢) الخلب : بالكسر : حيلة رقيقة تصل بين الأخلاق ، أو السكبه .

(٥)

وقال :

قَرَّ إِذَا عَاتَبْتُهُ كَانَتْ قَطِيعَتُهُ جَوَابِي
مُتَجَرِّمٌ^(١) أَبَدًا يُجْرِعُنِي مَرَارَاتِ الْعَنَابِ
كَمْ سَهَلَتْ عَيْنَاهُ لِي مِنْ وَصْلِهِ وَعَرَّ الطَّلَابِ
حَتَّى وَقَعْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّلَوْنُ فِي حَسَابِي

(٦)

وقال^(٢) :

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خَيَالِكَ الْمُتَابُ فَالَمَّ ، وَهُوَ بُوْدُنَا مَرْتَابُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ خَيَالِ زَائِرٍ مُتَعَبِّ^(٣) ، عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ
مُسْتَشْرِفٍ^(٤) كَالْبَدْرِ خَلْفَ حِجَابِهِ أَوْ فِي الْكُرَى أَيْضًا عَلَيْكَ حِجَابُ !
أَنْكَرْتُ هَجْرِي ، وَالزَّمَانُ مَجْبُورُهُ^(٥) يَقْضِي بَانَ يَتَهَاجِرُ الْأَحْبَابُ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى هَجْرِكَ طَائِعًا وَإِذَا اقْتَسَرْتُ ، فَمَا عَلَى عَنَابُ
وَدَى كَعَهْدِكَ ، وَالذِّيَارُ قَرِيبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْقَطَعَ الْأَسْبَابُ .
ثَبَّتْ ، فَلَا طَوْلُ الزِّيَارَةِ نَاقِصٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِغْبَابُ^(٦)

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٢) وردت هذه القصيدة أيضا في خريدة القصر : ١٠٣ ، وياقوت : ٥ ، ٢٠٣ .

(٣) في الخريدة « متعب » . والتعب مخاطبة الإدلال . والإعتاب مصدر أعتبه : أعطاه العتي وهو الرضا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ياقوت . واستشرف الشيء : رفع بهمه إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس .

(٥) على هامش الديوان « بئدره » .

(٦) ترتيب الأبيات الثلاثة الأخيرة في الخريدة وياقوت يخالف ترتيب الديوان . والإغياب مصدر أغيب إذا نجاه

القوم يوما وغاب يوما .

(٧)

وقال :

نفسى بزهره دُنْيَاهَا مَعْدَبَةٌ فِكَيْفَ حَالُ مَنْ الدُّنْيَا تُعَدَّبُهُ
ومن سَمَّتْ لَوْصَالِ الشَّمْسِ هَمَّتْهُ فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ إِنْ عَزَّ مَطْلَبُهُ

(٨)

وقال :

واعص اضْطَبَارَكَ إِنْ تَكَمَّلَ أَنَّهُ لَكَ مُسْعَدٌ ، فَالْهَجْرُ يُظْهِرُ حُوبَهُ^(١)
وَيَحْسَبُ قَلْبِكَ مَا بِهِ : مِنْ حُبِّهِمْ فَعَلَامَ تَقْرَفُ بِالصَّدُودِ نُدُوبَهُ^(٢)

(٩)

وقال :

لَيْسَ طَرَفِي جَارًا لِقَلْبِي ، وَلَكِنْ دَمٌ هَذَا بَدِمَعَ هَذَا مَشُوبٌ
خُلْطَةٌ فِي تَبَايِنِ الْحَالِ : هَذَا أَبْدًا ظَاهِرٌ ، وَذَا مَحْجُوبٌ
وَإِطْرَفِي فِي كُلِّ نَهْجٍ مِنَ الْحَسْبِ وَجِيفٌ ، وَقَلْبِي الْمَجْنُوبُ^(٣)
وَسَهَامُ الْعْيُونِ أَخْفَى مِنَ الْوَهْمِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ تَدْمِي الْقُلُوبِ

(١) الحوب : الإثم .

(٢) قوف القرحة : قشرها . والنُدُوبُ : جمع نُدْبَةٍ وهى أثر الجرح الباقي على الجلد .

(٣) الوجيف : الاضطراب . والمجنوب اسم مفعول من جنبه : قاده إلى جنبه .

(١٠)

وقال من تصيدية كتبها إلى الملك الصالح^(١)، جواباً عن قصيدة كتبها إليه

من نظمه :

أطع الهوى ، وأغص المَعَاتِبِ واضدِفْ عن الواثِي المُرَاقِبِ
وتَغَنِّمِ اللَّدَاتِ إِنِّ مَمَّرَهَا مَرَّ السَّحَابِ
وانظُرْ إلى الأغصانِ حَامِلَةً شُمُوساً فِي غِيَاهِبِ
من كل حَاوٍ ، قد تَكَنَّفَهُ نَعَائِنُ الذَّوَابِ
فِي وَجْهِهِ ضِدَانٍ ، كُلُّ مِنْهُمَا لُبٌّ سَالِبٌ :
نَارٌ بِلَا لَفْجٍ تَضَرَّمُ ، وَسَطٌ مَاءٍ غَيْرِ ذَائِبِ
هَذِي بِقَايَا سِحْرِ بَا بِلَ ، وَهِيَ مِنْ إِحْدَى الْعَجَائِبِ
فُخْدَارٍ يَا أُسْدَ الشَّرَى مِنْ فَتْكَ أَحْلَاطِ الرَّبَّارِبِ^(٢)
غَضْبَانُ أَفْدِيهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ : مِنْ مَغَاضِبِ^(٣)
دَعَّ ذَا ، فَا عُدُّرُ الْفَقَى فِي غِيَّهِ ، وَالْفُودُ شَائِبِ

(١١)

وقال :

مَنْ زَيْنَ الْأَخْوَانَ الرَّطْبَ بِالشَّئِبِ وَنَظَّمَ الدَّرَّ بَيْنَ الرَّاحِ وَالْحَبِّبِ
وَمَنْ تَرَى غَرَسَ الْأَغْصَانَ حَامِلَةً شَيْئاً تَرَدَّتْ دِيَابِحِي الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
وَقُلْ لِشَادِنِ آرَامِ الكَّاسِ : أَلَا فَانظُرْ إِلَى مُلْجِ فِي شَادِنِ الْعَرَبِ^(٤)

(١) هو طلائع بين رزيك (٤٩٥ - ٥٥٥٦) ولي وزارة الخليفة الفاطمي : الفاتر بنصر الله ، ثم وزارة العاضد

وكان شجاعاً حازماً جواداً عارفاً بالأدب شاعراً ولوعاً بغزو الفرنج . (٢) الزرب : القطيع من بقرة الوحش .

(٣) المغاضب : جمع منغضة وهي ضد الرضا . (٤) شدن الظبي : قوى واستخنى عن أمه .

نَارُ الْحَيَاءِ بِحَدِيثِهِ بِلَا لَهَبٍ قَدْ مَازَجَتْ مَاءَ حُسْنٍ غَيْرِ مُنْكَسَبٍ
سُبْحَانَ بَارِي سِهَامٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ مِنْ الْمَلَاخَةِ لَا مِنْ أَسْهُمِ الْغَرَبِ^(١)
إِذَا رَمِينَ فَمَا دُونَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ حُرْسِنَ ، مِنْ جُنِّ تَحْمِيٍّ وَلَا جِبِّ
كَانَتْ، وَلَيْلُ الصَّبَا تُنْحَفِي دَيَاجِرُهُ عَنِّي سَبِيلَ النَّهْيِ وَالرُّشْدِ، مِنْ أَرْبِي
أُعْصِي النَّصِيحَةَ فِيهَا غَيْرَ مُعْتَذِرٍ وَأَرْكُبُ الْغَيَّ عَمْدًا غَيْرَ مُتَّيِّبٍ^(٢)
وَأَحْمِلُ الضَّمْنَ فِي وَجْدِيهَا، وَأَرَى حَمَلَ الْهَوَى مِنْ وَقَارِ الْحَلْمِ أَجْمَلٍ بِي
حَتَّى إِذَا نَادَتْ السَّبْعِينَ: حَسْبُكَ مِنْ تَعْلِيلِ قَلْبِكَ بِالْأَمَالِ وَالْكَذِبِ

(١٢)

وقال :

مُهْفَهْفٌ يُجْجَلُ بَدْرُ الدُّبْحِي فَإِنْ رَأَاهُ أَكْتَنَ فِي السُّحْبِ
قَوَامُهُ يُزِرِّي ، إِذَا مَا انْتَنَى مِنْ لَيْتِهِ ، بِالْغُصْنِ الرَّطْبِ
يَبْسُمُ عَنْ دُرٍّ ، تَعَالَى الَّذِي نَظَّمَهُ فِي الْبَارِدِ الْعَذْبِ
الْأُمُّ فِيهِ ، وَهُوَ لِي شَاغِلٌ بِالْهَجْرِ عَنْ لَوِيٍّ وَعَنْ عَتَبِ

(١٣)

وقال :

أَدْعُو عَلَي ظَالِمِي ، فَيَغْضَبُ مِنْ دُعَايَ ، قُلْ لِي : عَلَامَ ذَا الْغَضَبِ !
جَهْرُكَ لِي ظَالِمًا ، وَخَوْفُكَ مِنْ دُعَايَ ، يَا ظَالِمِي ، هُوَ الْعَجَبُ

(١) الغرب : هجر . (٢) اناب : نزي واستنجا .

يَدْعُو لِسَانِي، وَالْقَلْبُ مِنْ وَجَلٍ عَلَيْكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لِي، يَجِبُ
وَبَعْدُ مَنْ لِي، لَوْ أَنَّ وَزَرَكَ فِي صَحِيفَتِي فِي الْمَعَادِ يُكْتَبُ

(١٤)

وقال :

لَا تَكْثُرَنَّ عِتَابَ مَنْ لَمْ يُعْتَبِ فَمِنَ الْعَمَاءِ قِيَادُ غَيْرِ الْمُصْحَبِ^(١)
بَيْنَ السُّلُوفِ وَبَيْنَ قَلْبِ أَحْيَى الْهَوَى مَا بَيْنَ شَرْقِ فِي الْعِبَادِ وَمَغْرِبِ
يُصْنَعِي، فَحَسْبُهُ ارْعَوَى، وَلِذِكْرٍ مِنْ يَهْوَى أَصَاخَ، وَلَمْ يُصِخْ لِمُؤْتَبِ
وَالْفَيْ مَا أَبْصَرْتَهُ مِنْ رُشْدِهِ وَالغَيْشُ نُصْحُ النَّاصِحِ الْمُتَقَرَّبِ

(١٥)

وكتب إلى الملك الصالح بن رزك تصيدةً أولها :

كَفَّ عَنِّي وَاشِ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنِ التَّصَابِيِ الْمَشِيبِ^(٢)
وَسَتَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِتَامَاهَا فِي مِظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،
فَكْتَبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ قَصِيدَةَ أُولَاهَا^(٣) :

بَأَبِي شَخْصِكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنِّ عِيَانِي، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
يَا مُقِيمًا فِي الصَّدْرِ، قَدْ خَفْتُ أَنْ يُؤْ ذِيكَ لِلْقَلْبِ حُرْقَةً وَوَجِيبُ
وَأَرَى الدَّمْعَ لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّ السُّجُودِ، إِنْ جَادَ غَيْبُهُ الْمَسْكُوبُ
كُلَّ يَوْمٍ لِنَارِ شَوْقِي مَا بَيْنَ ضُلُوعِي بِمَاءِ جَفْنِي لَهَيْبُ

(١) يعتب : يعطى الرضا . والمصحب : المقاد .

(٢) راجع ص ٢٣١ .

(٣) باق القصيدة ص ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ .



وكذا الصَّبُّ يَحْسُنُ الْجَوْرُ فِي الْحُبِّ لَدَيْهِ ، وَيَعْدُبُ التَّعْذِيبُ
لَا يَهَابُ الْأَسْوَدَ فِي حَوْمَةِ الْحَرِّ ب ، وَيَقْتَادُهُ الْغَزَالُ الرَّيْبُ
وَيُجَازِي عَنِ النَّفَارِ مِنَ الْأَحْبَابِ بِ الْقَرَبِ ، إِنَّ ذَا الْعَجِيبُ
يَا مَلِيحَ الْقَوَامِ ، عَطْفًا ، فَقَدْ يَعْطِفُ مِنْ لَيْنِهِ الْقَضِيبُ الرَّطِيبُ
لَكَ قَلْبٌ أَقْسَى عَلَيْنَا مِنَ الصَّخْرِ ، وَمَا هَكَذَا تَكُونُ الْقُلُوبُ
وَبِحَكْمِ الْعَدُوِّ تَحْكُمُ الْحَا ظُكَ فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَيْبُ
أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَائِي^(١) مِنْهُ الدَّاءُ ، يُرْدِي النُّفُوسَ وَهُوَ الطَّيِّبُ
مَا لَدُنِّي يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَيْكَ ، وَمَرَعَاهُ فَوْقَ خَدِّي جَدِيبُ
وَلَأَهْلَ الصَّفَاءِ مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلُ إِذَا دَعَوْتُ مُجِيبُ
مَا ظَنَّنَا نَفْسَهُمْ بَانْصِدَاعِ الشَّمْلِ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ تَطِيبُ

قَافِيَةُ الْبَاءِ

(١٦)

وقال :

يَا مَعْمِلَ الْأَمَالِ ، دَعَّ خُدَّعَ الْمَانِي فَا لِيَأْسُ يَنْقُضُ كُلَّ مَا أْبْرَمَنَهُ
مَرَّضُ^(٢) فَوَادَكَ بِالسُّلُوءِ ، لَعَلَّهُ مُتَبَسِّرٌ بَعْدَ النَّوَى إِنْ رُمْتَهُ
فَنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تُوْمَلَ وَصَلَّهُمْ بَدَدَ الْبِعَادِ ، وَفِي الدُّنُوِّ حُرْمَتَهُ

(١) ابن سبراي هذا طبيب متقدم في صناعته ، كان يتولى خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه بعض الشراسة والحدة فلذلك كان الملك الصالح يبعث به ويذاعبه مستدعيا لضرته وحدته مع عليه وفضله . (اه من هامش الديوان) .

(٢) التمر يض : حسن القيام على المريض .

قافية الجيم

(١٧)

وقال :

وَنَاطِلِي رَأْيَهُ ضَلَالِي عَنِ نَهْجِي ، وَالْحُبُّ مَالَهُ نَهْجِي :
وَيَجِي بَنِي الْوَجْدِ كَلَّمَا عُدَلُوا فِي خَوْضِهِمْ لِحَمَّةِ الْهَوَىٰ لِحْوَا
عَلَّكَ تَنْجُو مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِيَّاكَ عَنِّي ، حَاشَىٰ أَنْ أَنْجُو
أُنْظِرُ^(١) إِلَيْهَا ، وَلَا^(٢) نَظَرْتُ ، تَرَىٰ شَخْصًا عَنِ الْعَاشِقِينَ يَمْتَحِجُ
غُصْنٌ وَدَعُصٌ ، فَالْغُصْنُ مِنْ هَيْفٍ يَمِيسُ لِنِيًّا ، وَالِدَّعُصُ يَرْتَجُ
شَمْسٌ وَلَيْلٌ ، فَاعْجَبْ لَشَمْسٍ ضَحِيٍّ تُشْرِقُ ، وَاللَّيْلُ رَاكِدٌ يَدْجُو
رَحِيقُ رَيْقٍ عَذِيبٌ ، فِي كَبْدِي مِنْهُ سَعِيرٌ ، وَفِي فَمِي ثَلِجٌ
فِي وَجْهِهَا كَعْبَةُ الْجَمَالِ ، فَلِلْعَيْنِ إِلَى حُسْنِ وَجْهِهَا حَجٌّ

قافية الحاء

(١٨)

وقال^(٣)

نَفْسِي فَدَتْ ، بَدْرَ تَمَامٍ ، إِذَا عَاتَنِي بِالْجِدِّ أَوْ بِالْمِزَاحِ
سَدَدْتُ بِالتَّقْبِيلِ فَاهُ عَلَى مَسِكٍ ، وَدُرٍّ ، وَعَقَبَيْ^(٤) ، وَرَاحِ

(١) هذا البيت والبيتان بعده مما اختارده مسالك الأبحار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٢) هذه رواية الديوان وفي المسالك «فإن» .

(٣) هذان البيتان من اختيار مسالك الأبحار لأسمامة (١٠ : ٥٠١) .

(٤) في المسالك «ورضاب» .

بَاحٌ بِشَكْوَى مَا بِهِ ، فَاسْتَرَاحَ فَهَلْ عَلَيْهِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحِ
لَمَّا رَأَى كَتْمَانَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ لَا يُغْنِي إِذَا الدَّمْعُ بَاحٌ
دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَدَنِهِ قَلْبًا مِنَ الْكَتْمَانِ دَائِمِي الْجِرَاحِ
صَبَّ حَمَاهُ الْوَجْدُ طَيْبَ الْكَرَى وَجِسْمُهُ لَلْسُقْمِ نَهْبٌ مُبَاحٌ
مُحَاطِرٌ يَرْكَبُ هَوْلَ الْهَوَى أَمَّا ، وَأَمَّا مِثْلُ ضَرْبِ الْقَدَاحِ
يَا صَاحِ ، مَا أَصْحَاكَ عَنْ سَكْرَتِي عَقَلِي بِأُحْوَى ذِي مِرَاجٍ وَرَاحٍ^(١)
مُهْفَهْفٍ^(٢) ، صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا جُنُفُونُهُ ، فَهِيَ مَرَاضٌ صِرَاحٌ
لِطَرَفِهِ فَتَكَّةُ بِيضِ الطَّبَا وَقَدَّهُ هَزَّةُ سُمْرِ الرِّمَاحِ
شَمْسُ نَهَارٍ ، تَرْتَدِي بِالْأُدْجِي غُصْنٌ مُرَاحٍ ، فَوْقَ حَقِيفِ رَدَاحٍ^(٣)
طَافَ عَلَيْنَا ، وَالْأُدْجِي رَاكِدٌ يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجُنَاحِ
بِقَهْوَةٍ مِنْ خَدِّهِ أَشْرَقَتْ وَتَشْرُهَا الضَّائِعُ مِنْ فِيهِ فَاحٌ
فَظَلَّتْ فِي أَمْنٍ غَرَامِي بِهِ مِنْ كَلِّ وَاشٍ ، وَرَقِيبٍ ، وَوَلَاحِ
فِي حِنْدَسِي طُرَّتِهِ وَالْأُدْجِي وَنَيْرِي غُرَّتِهِ وَالصَّبَاحِ
غَبِطَةٌ جَادَتْ عَلَى بُجْلِهَا بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاحِ
حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ

(١) الأحوى : ذو الشفة الحمراء المائلة إلى السواد . والمرحاح : اسم من مرح كفرح : أشرو بطروا اختال ويحتر . والمرح الخمر . يريد أن عقلي مشغوف بمرح ذي نعر أحوى وبالمرح .

(٢) هفوف الرجل إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحه... ويقال : جارية مهفوفة ومهفوفة : ضامرة البطن دقية الخصر .

(٣) أراح الشيء : وجد ريعه . والمراد أنه غصن ذورائه طيبة . والزراح : القبيلة الأوراك .

(٢٠)

وقال .

أُرْتَه غِرَّتُهُ^(١) فِي الْهَجْرِ مَصْلَحَتِي جَهْلًا ، فَأَفْسَدَنِي كُلَّ مَا صَلَحَا
وَقَالَ : لَيْسَ لَهُ قَلْبٌ يُطِيقُ بِهِ صَبْرًا ، وَلَوْ هُمْ بِالسُّلْوَانِ لَأَفْتَضَحَا
وَصَبْوَةُ الْحَبِّ كَانَتْ قَبْلَ بَدَلْتِهِ^(٢) وَبَعْدَهَا ، فَسَوَاءُ صَدَّ أَوْ نَزَّحَا
كَالشَّعْرِ يُحْفَظُ مَا لَمْ يُبْتَدَلْ ، فَإِذَا حَلَقْتَهُ عَادَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُطْرَحَا

(٢١)

وقال :

عَقَائِلُ^(٣) الْحُمَى ، أَمْ سَرِبَ الْمَهَا^(٤) سَنَحَا أفسَدَنَ مَا كَانَ بِالسُّلْوَانِ قَدْ صَلَحَا
بَرَزْنَ كَالْبَانِ فِي الْكُتُبَانِ حَامِلَةٌ شَمْسًا أَضَاءَتْ وَلَيْلًا رَاكِدًا جَنَحَا
فَاقْتَدَنَ بِالْحَبِّ مَنْ أَعْطَى مَقَادَتَهُ طَوْعًا ، وَرُضْنًا^(٥) بِمَحْسَنِ الدَّلِّ مِنْ جَمَحَا
مَنْ كُلِّ غَيْدَاءٍ^(٦) مَكْسَالٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَفَقَّسَتْ عَنْ نَسِيمِ الرُّوْضِ إِذْ نَفَّحَا
كَانَتْ مَنَى النَّفْسِ لَوْلَا وَاعِظُ لَسْنُ لِلشَّيْبِ أَسْمَعِنِي نَاهِيهِ ، إِذْ نَصَّحَا

(١) الغرة بالكسر : الغفلة وعدم التجربة .

(٢) البذل : الابتدال : ضد الصيانة .

(٣) العقيلة من النساء : الكريمة المخندرة .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية ، شبهت بالمهابة وهي البلورة .

(٥) راض المهر : ذلله .

(٦) الغيداء : المثنية لنا .

قافية الدال

(٢٢)

وقال " :

حَتَّامٌ أَرْغَبُ فِي مَوْدَةٍ زَاهِدٍ
وَالْإِمَامَ أَلْتَزِمُ الْوَفَاءَ لِغَادِرٍ
وَعَلَامٌ أَعْمَلُ فِكْرَتِي فِي سَادِرٍ^(٢)
وَأَرَوْضُ نَفْسِي فِي رِضَا مُتَجَرِّمٍ
وَأَقُولُ : هِجْرَتُهُ مَخَافَةٌ كَاشِحٍ
وَأُظَنُّهُ يُبْدِي الصَّدُودَ^(٣) ضَرُورَةً
مَنْ لِي بَنِيْلٌ مَوْدَةٌ مَمْدُوقَةٌ^(٤)
أَرْضِي بِبَاطِلِهَا ، وَأَقْنَعُ بِالْمُنَى
يَاظَالِمًا^(٥) ، أَقْنَى اصْطِبَارِي هِجْرَهُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وَصَالِكَ ، بَعْدَمَا
وَيَلُومُنِي فِي حَمْلِ ظُلْمِكَ جَاهِلٌ
يُزْرِي عَلَيَّ بَزْعِي بِصَبْرِ مُسْعِدٍ
لِمَ لَا تَرْتُقِي . لِنَظَرٍ أَرْقَنَهُ
وَمَرُوعٍ يَلْقَى الْعَوَازِلَ فِي الْهَوَى

وَأُرُومٌ قُرْبَ الدَّارِ مِنْ مُتَبَاعِدٍ
وَأُقْرُ بِالْعُنْبِي لِحَبَانِ جَاحِدٍ
سَاهُ ، وَأَسْهَرُ مُقْلَتِي لِرَاقِدٍ
فَاتَتْ مَوْدَتُهُ طَلَابَ النَّاشِدِ
يُغْرِي بِنَا ، وَحِدَارَ وَاشِ حَاسِدِ
وَإِذَا قَطِيعَتُهُ قَطِيعَةٌ عَامِدِ
مَنْهُ ، يَبْهَرُجُهَا اخْتِبَارُ النَّاقِدِ
مِنْهَا ، وَأَدْفَعُ غَيْبَهَا بِالشَّاهِدِ
وَإِبْتَرَتْ ثُوبَ تَمَاسِكِي وَتَحَالِدِي
عَفَيْتُ بِالْهِجْرَانِ سُبُلَ مَقَاصِدِي
يَلْقَى جَوِي قَلْبِي بِقَلْبٍ بَارِدِ
وَيَصُدُّ عَن دَمْعِي بِطَرْفِ جَامِدِ
وَحَشَا حَشَاهُ الْوَجْدُ جَذْوَةٌ وَاقِدِ
بِفُؤَادِ مَوْتُورٍ ، وَسَمِيعِ مُعَانِدِ

(١) ردى العباد في الخريدة بعض هذا الشعر (١ : ١٠٣) .

(٢) السادر : الذي لا يتم ولا يزال ما صنع .

(٣) في الخريدة " الجفاء " .

(٤) يقال تلاقن يذوق الرد ، وروده مفرق وهو ما ذق في روده : كذاب

(٥) في الخريدة " يا حاجرا " .

قَلِقِ الْوَسَادَ كَأَنَّ تَحْتَ مِهَادِهِ أُسْدًا ، وَمَضَجَهُ نِيُوبُ أُسَاوِدٍ^(١)
أَتْرَاكَ يَعْطِفُكَ الْعِتَابُ ، وَقَلْبًا يَبْنِي الْعِتَابُ عِنَانَ قَلْبٍ شَارِدٍ
مِهَيَاتَ ، وَصَلِّكَ عِنْدَ عِنَقَا مُغْرِبٍ^(٢) وَرَضَاكَ أَبْعَدُ مِنْ سَهَاً وَفِرَاقِدِ
وَمِنَ الْعِنَاءِ طِلَابُ وَدِّ صَادِقٍ مِنْ مَادِقٍ ، وَصِلَاحُ قَلْبٍ فَاسِدِ

(٢٣)

وقال :

إِن خَانَ عَهْدَكَ مِنْ تَوْدَةٍ وَنَأَى ، فَلَا يَمِزُنَكَ فَقْدُهُ
وَاجْمِرُهُ هَجْرَكَ مِنْ مَحِبٍّ ، إِذَا تَضَى وَحَوَاهُ لِحْدُهُ
وَإِذَا سُئِلْتَ عَلَامَ تَهْجُرُهُ ، فَقُلْ : مَا صَحَّ عَهْدُهُ
وَعَلَامَ أَرَعُبُ فِي مَلُو لٍ ، خَائِنٍ ، قَدْ بَانَ زُهْدُهُ
وَاحْتَدَرَ مَقَالَةً مِنْ يَقُو لُ : الْحَبُّ تَخَضَعُ فِيهِ أُسْدُهُ
وَإِذَا خَضَعْتَ لِمَنْ يَجُو نَكَ فَاإِبَاءُ لِمَنْ تَعُدُّهُ !
إِن رَاعَ قَلْبَكَ هَجْرُهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشْدُّهُ
وَالصَّبْرُ سُمٌّ نَاقِعٌ لَكِنَّ مِنْهُ يُسَارُ^(٣) شُهْدُهُ
وَإِذَا صَرَفْتَ الْقَلْبَ فَهِيَ وَكَأَمِيسٍ ، لَا يُسْطَاعُ رُدُّهُ
غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِيهِ ، وَالْمَشْهُوفُ يَعْزُبُ عَنْهُ رُشْدُهُ
وَظَنَّتَهُ قَصَبًا زِدِيَا ذَلِكَ فِي الْمَهْوَى ، وَسَوَاكَ قَصْدُهُ

(٢) عناق مغرب : طائر معروف الاسم لا الجسم

(١) أسود : جمع أسود وهو الحية .

(٣) شار السمل : استدرجه كإشاره .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِبَاطِلٍ بِالْوَعْدِ ، وَالْأَحْلَامُ وَعْدُهُ
 أَرْضَى بِيَاطِلِهِ ، وَيُقْنِطُنِي تَجَهُمَهُ ، وَرَدُّهُ
 لَدُنُ الْقَوَامِ ، يُعَلِّمُ الْأَغْصَانَ كَيْفَ تَمَيُّسُ قَدُّهُ
 يَفْتَرُّ عَنِ عَذَابِ الْمَقْبَلِ ، يُضْرَمُ الْأَحْشَاءَ بِرُدُّهُ
 لِاشْكِّ ، لَوْ لَوْ ثَغْرَهُ مِنْ عَقْدِهِ أَوْ مِنْهُ عَقْدُهُ
 لِلْعَمْرِ رَيْقَتُهُ ، وَلِلْوَدِّ الْجَنِيِّ النَّضْرُ خَدُّهُ

(٢٤)

وقال :

يَا مَلُولًا قَلْبًا يَرَى عَمِي لِمَنْ يَهْوَاهُ عَهْدًا
 يَا ظَلُومًا كَلَّمَ اسْتَعَطَفْتَهُ تَاهُ وَصَدًّا
 لَمْ جَعَلْتَ الْهَجْرَ يَا مُو لَائِي ، قَبْلَ الْبُعْدِ بَعْدًا
 مَا أَرَى [لِي] ^(١) مِنْكَ فِي حَا لِ الرُّضَا وَالسُّخْطِ بَدًّا

(٢٥)

وقال :

مُرُوعٌ بِالْقَلِي ، وَالصَّيْدِ ، لَيْسَ لَهُ
 إِذَا اسْتَعْرَ ^(٢) الْكُرَى أَجْفَانَ مُقْلَتِهِ
 صَبْرٌ ، عَلَى الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ ، يُسْعِدُهُ
 وَأَقَى الْخِلْيَالِ بِطُولِ الْهَجْرِ يُوعِدُهُ
 حَشَاهُ ، وَالْجَمْرُ فَيْضُ الْمَاءِ يُجْمَدُهُ
 تُذَكِّي مَدَامِعَهُ جَمْرًا تَسْعَرُ فِي

(٢) استغرقلانا : آناه على غفلة .

(١) تكملة بقتضيا الوزن .

(٢٦)

وقال :

لَا تَحْسَبَنَّ اللّوْمَ أَجْدَى بِلِ زَادَهُ كَفًّا وَوَجْدًا
أَبْدَى صَبَابَتَهُ وَاللَّاعْلَانِ مَا أَخْفَى وَأَبْدَى
نَمَّتْ بِهِ زَفْرَاتُ شَوْقِي ، مَا أَطَاقَ لَهْنَ رَدًّا
لَا تُكَايِرَنَّ فَا بَرَى مِمَّنْ تُعْنَفُ فِيهِ بُدًّا
قُرُّ أَعَارِ الظُّمَى الْحَاطِظًا ، وَغُصْنِ الْبَانِ قَدِّه
شُغَفَ الْجَمَالُ بِهِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ لِمَا أَعْطَاهُ حَدًّا

(٢٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْدِي وَالَّذِي ضَبَّعَ وُدِّي :
يَا فَدَتِكَ^(١) النَّفْسُ ، قَدْ أَسْرَفْتَ فِي جَهْرِي وَصَدِّي
إِتْمَا وَصَلُّكَ مَبْدُولُ خَلِيلٍ مُسْتَجِدِّ
فَابِقِ مِنْ جَهْرِكَ حَفْظًا لِلَّذِي يَهْوَاكَ بَعْدِي

(١) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠١)

(٢٨)

وقال :

حَالٌ عَمَّا عَهْدْتُهُ مِنْ وَدَادِي وَاعْتَدَى فِي قَطِيعَتِي وَبِعَادِي
وَسَلَانِي ، وَقَالَ : كَمْ جُهْدٌ مَا يَبْقَى بِجِسْمٍ مُضْنِي بِغَيْرِ فُؤَادِي
وَأَطَاعَ الْوَشَاةَ فِيَّ ، وَصَعِبُ أَنْ يُطِيعَ الْحَبِيبُ قَوْلَ الْأَعَادِي
وَهُوَ مِنْ نَاطِرِي وَقَلْبِي ، وَإِنْ مَلَّ وَأَبْدَى الْقَلْبَ ، مَكَانُ السَّوَادِ

قافية الرءاء

(٢٩)

وقال :

كَمْ لِي كَمْ أَكَاثِمِ النَّاسِ وَجَدِي ، وَيُظْهِرُ ؟!
كَشَفَ الْهَجْرُ مِنْ غَرَامِي مَا كُنْتُ أَسْتُرُ
وَأَقَرَّتْ مَدَامِي بِالَّذِي كُنْتُ أَنْكُرُ
مَا أَحْتِيَالُ الْمَتِيمِ الصَّعْبِ ، أَمْ كَيْفَ يَصْبِرُ
رَاقِبَتَهَا الْعَيُونُ ، يَا لَيْتَهَا لَيْسَ تَنْظُرُ !
فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ الْمُرَاقِبِ يَهْوَى وَيَهْجُرُ

(٣٠)

وقال :

أُرْجِعْ لِي شَرْحَ الشَّبَابِ وَعَصْرَهُ وَكَيْفَ رَجُوعُ اللَّيْلِ قَدْ لَاحَ بَجْرُهُ
رَدَاءُ قَشِيبٍ ، حَالٌ حَالُكَ لَوْنِهِ وَأَنْهَجُهُ^(١) طَى الزَّمَانِ وَنَشْرُهُ

(١) أنهج التوب : أخلق ، وأنهجه الليل . وحال : تغير لونه .

وكنْتُ به كُلِّ الضَّنِينِ فَبَزَهُ^(١) المشيبُ ، فَوَجَّحَ الشَّيْبُ لَادِرَّ دَرَهُ
فِي سَعْدٍ ، كَمْ أَحْسَنَتْ بِي قَبْلَ هَذِهِ فَدَوْنَكَ بِرَأٍ خَالِصًا لَكَ شُكْرُهُ
تَرَاءَ مَعِيَ دَارًا بِأَكْثَبَةِ الْحَمَى فَقَدْرَانُ^(٢) مِنْ دَمْعِي عَلَى الْعَيْنِ سِتْرَهُ
فَإِنْ تَكُ أَطْلَالِي فَفَقِّ بِي بِرَبِّعِهَا لِأَبْرَدَ قَلْبًا قَدْ تَوَهَّجَ بِحَمْرِهِ
وَأُفْرَغَ فِيهَا قَطْرَ دَمْعٍ يُغَيِّرُهُ إِذَا جَادَهَا مِنْ صَيْبِ الْغَيْثِ قَطْرُهُ
وَعَاهَدْتُ قَلْبِي أَنَّهُ لِي مُنْجِدٌ مَتَى خُنْتُمْ ، وَالْآنَ قَدْ بَانَ غَدْرُهُ
وَأَبْدَى الْهَوَى مِنْهُ نَجْهَمَ خَاذِلٍ فَمَنْ خَاتَمِي مِنْ بَعْدِهِ قَامَ عُدْرُهُ
وَقَدْ كَانَ سُكْرُ الْحُبِّ يَهْفُو بِلَبِّهِ وَمَا خَلْتَهُ يَبْقَى مَعَ الْغَدْرِ سُكْرُهُ
وَلَمْ أَتَّبِعْ ضَنْئًا بِكُمْ سَقَطَاتِكُمْ لِأَسْبِرُّكُمْ ، وَالْكَلِمُ يَدْمِيهِ سَبْرُهُ^(٣)
وَلَكِنْ أَرَانِيهَا اسْتِهَارَكُمْ بِهَا وَهَلْ يَخْتَنِي فِي حِنْدَسِ اللَّيْلِ بَدْرُهُ

(٣١)

وقال^(٤) :

مَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ غَيْرُ الذِّكْرِ وَزُورَةُ الطَّيْفِ سَرَى مِنْ مَضِرٍ
مَنْ بَعْدَ طُولِ جَفْوَةٍ وَهَجْرٍ كَمْ خَاضَ بِحْرًا وَقَفْلًا كَبْحِرٍ
يَجُوبُهُ اللَّيْلَ حَلِيفَ ذُعْرٍ حَتَّى أَتَى طَلَانِحًا^(٥) فِي قَفْرِ
قَدْ أَنْطَوَيْنَ مِنْ سُرَى وَضَمْرٍ^(٦) حَتَّى اغْتَدَيْنَ كَهَلَالِ الشَّهْرِ
يَحْمَلْنَ كُلَّ مَا جِدَّ كَالصَّفْرِ كَأَنَّهُ مُهَنْدٌ ذُو أُرٍّ^(٧)

(٢) ران : غلب .

(١) بزه : غلبه ورتعه .

(٣) السر : امتحان غورا الجرح .

(٤) اختار صاحب مسالك الأصار بعض أبيات هذه القطعة لأسامة مع اختلاف في الترتيب (المسالك ١٠ : ٥٠٢) .

(٥) طلائح : جمع طليح وهو المهزول . (٦) الضمر : الهزال .

(٧) الأثر : فرند السيف .

بعيدُ مهوى همةٍ وذكرِ
فأم رَحلي، دُونَ رحلِ السَّفَرِ
واهاً له من زَمينٍ وعمرِ
إذ الصُّبا عند النَّصَبِ عُذرى
غراءُ، أهبى من ليلِى البدرِ
أحسنُ من شمسٍ يَغيبُ قَطَرِ
تيسمُ عن مثلِ نظيمِ الدرِّ
إذا اثنتُ قبلَ نُمومِ الفجرِ
كانَ فأها جُونةٌ^(١) لعطْرِ
مشىَ النسيمُ بمياهِ الغُدرِ
راكداً ليلٍ تحتِ شمسٍ تسرى
يالانمى، إنَّ الملام يُغرى
لابكُ ماى: من جوى وفكرِ
أبيتُ أرعى كلَ نجمٍ يسرى
كيفَ العزاءُ، وصروفُ الدهرِ
كانها تطلُّنى بِوترِ

للجد يسى، لا لكسبِ الوفْرِ
يذكرنى طيبَ الزَّمانِ النَّصْرِ
ما كانَ إلا غرةً فى الدهرِ
وغايةُ المنيةِ أمِّ عمرو
بعيدةُ القُوطِ، هضيمُ الخصرِ
تفعلُ بالألبابِ فعلَ الخمرِ
كانه لآلىءُ فى نحرِ
تنفستُ عن مثلِ ريباً الزهرِ
وإن مَشَت مثقلةً بِالبهرِ^(٢)
رأيتُ سحراً أو شبيهِ سحرِ
ضدانَ فيها اتَّفقا لأمرِ
هيجتُ أشواقى، ولستَ تَدْرِ
إذا أراحَ الليلُ همَّ صدرى
كأنما حَشيتى من جمرِ
تقرُّفُ^(٣) قرحى، وتهيضُ كسرى
والصبرُ، لو خبرته، كالصبرِ

(٣٢)

وقال :

دعاني إلى هجرى بثينة حقة
ولا بأسَ بالهجرانِ ما لم يكن قلبى
من الدهرِ خوفٍ هجرها آخرَ الدهرِ
ولا الصَّدِّ، ما لم يبُدِّ المرأةَ عن غُدرِ

(١) الجوة : السَّفَط . (٢) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . (٣) قرف القرحة : قشرها .

(٣٣)

وقال :

وَبِحِ الْعَوَازِلِ ، لِأَخْلَاقٍ لَمْ
قَالُوا : قَتَى تَسْمُو بِهِ هِمُّ
لَا يَبْتَنِي عَمَّا يَهُمُّ بِهِ
غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بَزْهَرْتَهَا
فَأَرَتْهُ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً
وَبَدَتْ لَهُ عَطْلًا كَأَحْسَنِ مَا
حَتَّى إِذَا مَا الْحُبُّ أَوْقَفَهُ
ضَمِنَتْ لَهُ مِنْ وَصْلِهَا عِدَّةٌ
أَوْ كَانَ ذَلِكَ لِحُتْمِهِ سَبِيًّا
وَهُمُّوْا ، وَلَمْ تَصْدُقْهُمْ الْفِكْرُ
مُسْتَضْعَرٌّ فِي جَنْبِهَا الْخَطَرُ
أَوْ يَبْتَنِي الصَّمَامَةَ الذِّكْرُ
فَصَبَا ، وَمِنْ عَادَاتِهَا الْغَرُّ
غَرَاءَ يَعْتَشَى دُونَهَا الْبَصْرُ
يَبْدُو لِعَيْنِ الْمُدْلِجِ الْقَمَرُ
حَيْرَانَ : لَا وِرْدٌ وَلَا صَدْرُ
إِنْ نَأَلْنَا فَلَيْبِنَهُ الظَّفَرُ
فَدَمُّ الْفَتَى فِي مِثْلِهَا هَدْرُ

(٣٤)

وقال :

يَا حَاضِرًا بِفَوَادِ نَائٍ غَائِبِ
أُبْلَغُ رِضَاكَ مِنَ الْجَفَاءِ فَشِمْتِي
فَلَأَصْبِرَنَّ عَلَيْكَ لَا مِنْ سَلْوَةٍ
حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرِّضَا ، وَيَصْدَكَ الْخُـ
وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَلُولٍ حَاضِرِ
وَصَلُّ الْمَلُولِ ، وَحِفْظُ عَهْدِ الْغَادِرِ
صَبْرُ الْكَلِيمِ عَلَى أَدَاةِ السَّابِرِ^(١)

(١) السبر : استعان غورا بالرحم . والكليم : الجريح .

(٣٥)

وقال^(١) :

وأهاً لليلِ خلتني من طيبه متفتياً في ظلِّ طيرٍ طائرِ
لو أتني أشري بعمرى مثله أو بالشيبية لم أكنُ بالخاسرِ
ناهلتُ فيه البدرَ شمساً توجت عند المِزاجِ بكلِ نجمِ زاهرِ
ولم تُتُ ثغراً ، لو تألَّق في دُجى أغنى الحول^(٢) عن الغمامِ الماطرِ

(٣٦)

وقال :

هُبوني ، كما زعموا ، مذنباً أسأت ، وقد جئتُ أستغفرُ
فأين دليلُ الرضا والقبول ل ، وحسنُ تجاوزِ مَنْ يقدرُ
ولم يبق لي بعد ذلك الخضو ع رجاءٍ سوى أنني أصبرُ

(٣٧)

وقال :

يا جائراً ، وهواي يعنره منك الذنوبُ ، ومنى العذرُ
لا تحسبني ، عن ممالك لي غراً ، ولكن الهوى غرُّ
وأرى سبيلَ الهجرِ واضحةً مسلوكةً ، لو كان لي صبرُ

(١) هذه القطعة عدا البيت الثاني ما انتاره من تلك الأبيات لأسامة (١٠ : ٥٠٢)

(٢) الحول : الجذب .

(٣٨)

وقال^(١) :

ما حيلتي في المألول ، يظلمني وليس إن جار منه لي جارُ
ودأده كالسحاب ، منتقل وعهده كالسراب ، غرَّارُ
آمن ما كنتُ منه فاجاني بغذره ، والمألولُ غدارُ
عوني نليه مدامعُ سُفْح وزفرةٌ دونَ حرِّها النَّارُ

(٣٩)

وقال :

لا صبرَ لي عن بدرٍ تمُّ مُشرقُ أضخى له الينُ المشتُّ سرَّاراً^(٢)
عاتبته^(٣) في صدّه قبلَ النوى فكانَ عني زاده إصراراً
وعرفته من نجلِ العتابِ كآبةً زادت محاسنَ وجهه أنواراً
ورأيتُ أمواهَ الحياءِ بحدّه فترقرقت ، حتى استحالت نآراً

(٤٠)

وقال :

أنا أفدى مُغرَى بصدى وهجرى وهو شمسي ضحى ، وفي الليلِ بدرى
يُذبتُ الوردَ خذه ، وبفيه الـ حذب دري ، يُسقى سُلافةً بخرى

(١) رويت هذه القصيدة أيضاً في خريدة التصريف (١ : ١٠٤) .

(٢) السرار : أو انحرالتهرب .

(٣) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات المسالك لأمانة (١٠ : ٤٠٢) .

(٤١)

وقال :

مَنْ عَاذَرُ لِي ! وَمَنْ لِلصَّبِّ يَعْنُرُهُ
مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ يَأْسَانِي ، وَأَذْكُرُهُ
يَقْتَادُنِي نَحْوَهُ شَوْقِي ، وَيَصْرِفُنِي
خَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَهْوَاهُ وَأَهْجُرُهُ
تَرَى مَحَاسِنَهُ عَيْنِي ، وَتُعْرِضُ عَنْ
قَبِيحِ أَعْمَالِهِ ، أَوْ لَيْسَ تُبْصِرُهُ
يَأْتِي بِمَا سَاءَ نِيَّ عَمْدًا ، فَأَعْنُرُهُ
وَيَظْهَرُ الْغَدْرُ لِي مِنْهُ فَانْكُرُهُ

(٤٢)

وقال :

حَتَّامَ قَلْبِي بِالْكَأْبَةِ مُكَمِّدُ
كَالشَّمْعِ يُشْرِقُ بِالضِّيَاءِ ، وَنَارُهُ
بَاكِ ، وَوَجْهِي لِلتَّجْمَلِ مُسْفِرٌ^(١)
مَشْبُوبَةٌ ، وَدَمُوعُهُ تَخْتَدِرُ

(٤٣)

وقال :

مَنْ عَزِيرِي مِنْ شِبَادِنِ^(٢) لَمْ أَطِقْ عَنْهُ ، مَعَ النَّسِكِ وَالتَّجْمَلِ صَبْرًا
أَهْبِيفِ ، أَنْبَتَ الْجَمَالَ بِفِيهِ ۖ ۖ
فَاعَارَ الْغَزَالَ عَيْنًا ، وَغَضْنَ ۖ ۖ
بَانَ لِيْنَا ، وَالْأُخْوَانَةَ تَغْرَا
وَأَرَى مِنْهُ فِي ضَمْحِي الْيَوْمَ شَمْسًا
وَأَرَى مِنْهُ فِي دُجْحِي اللَّيْلَ بَدْرًا
فِيهِ أُنْسٌ ، وَاللَّاحِظَةَ فِي عَ
بَيْنِهِ مَعْنَى ، تَخَالَهُ الْعَيْنُ دُعْرًا
قَالَ لِي ، إِذْ رَأَى غَرَامِي وَصَدِي :
أَنْتَ تُخْفِي وَجَدًّا ، وَتُظْهِرُ هَجْرًا

(١) أسفر الصبح : أضاء. واشرق . والتجمل : التصبر .

(٢) شادن التلمي : قوي واستغنى عن أمه .

أنت كالصائم، الذي يَسْتَهِي الماءَ لقرطِ الظِّمَاءِ ، ويكره فطرًا
قُلْتُ : دَعُذًا ، فأنت شَرِطِي ، ولكن لم يدع لي المشيبُ في الجهلِ عُدْرًا

(٤٤)

وقال :

قَالُوا : أَسَلُوا عَنْ حَجِّ بَيْكَ ؟ قُلْتُ : لا ، والله ، عُمَرِي
قَالُوا : ففِيهِ تَبَدُّلٌ يَا بَاهُ مِثْلِكَ ، قُلْتُ : أَدْرِي
لو كان مستورًا لَمَا هَتَكَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ سِتْرِي
وإذا أَبَتْ نَفْسِي هَوَا هُ ، مع الخِيَانَةِ ، حَانَ صَبْرِي

(٤٥)

وقال :

ظَبِي تَغَارُ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ مَاءُ الْحَيَا مِنْ خَدِّهِ يَقْطُرُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ جَوْهَرٍ رَائِحٍ يَقُوحُ مِنْهُ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا مَشَى أَنْجَلَ سَمَرَ الْقَنَاءِ وَحَارَ فِيهِ عَقْلٌ مَنْ يَنْظُرُ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ إِذَا أَرْدْنَا وَصَلَهُ يَهْجُرُ

قافية الشين

(٤٦)

وقال :

لا تَرْتَجِ النَّجْحَ مِنْ مَوَاعِدِهِ فَهِيَ صَبَاحٌ ، يَجَابُّ عَنْ غَيْشٍ ^(١)
مَا هِيَ إِلَّا السَّرَابُ ، يَتَّبِعُهُ الظَّمُّ آنُ ، حتى يَمُوتَ بِالْعَطَشِ

(١) الغيش : ظلة آثر البيل .

قافية الصاد

(٤٧)

وقال :

يا مَنْ مودَّتهُ سحابٌ زائلٌ وعُهوده في الحبِّ ظلٌّ قَالِصٌ
هل في القضيَّة أنْ حُبَّكَ زائدٌ ، وحظِّي كلَّ يومٍ ناقصٌ
وتسوبٌ ودُّك بالقطيعةِ والقليِّ وهواك من كلِّ الشوائبِ خالِصٌ

(٤٨)

وقال :

يا غادِرينِ إلامَ يئني هجرُكمُ وملاؤكم أملي بجدٍّ^(١) ناكِص
أنا من هواكم بين حبِّ زائدٍ بلغ النهاية بي ، وحظُّ ناقص
أرضي مشوبَ الودِّ منكم بالقليِّ وأججكمُ محضَ الودادِ الخالِص

قافية الضاد

(٤٩)

وقال^(٢) :

صدَّ عني وأعرضاً وتناسى الذي مضى
واسمَّرَ الصدودُ وأنقطعَ الوصلُ وانقضَى^(٣)

(١) أبلج : الخط . والناكس : المحيم .

(٢) هذه القصيدة مما روى في الخريدة لأسامة ١٠٤٤٦ مع زيادة .

(٣) يده في الخريدة : ” وانقضت في الهوى ذو ببدت حين أبضا “

صَحَّ الْإِنِّ هَجْرُهُ لِي بِمَا كَانَ عَرَضًا^(١)
 وَإِذَا اسْتَعْطَفَ الْمَلُوءُ لِي نَجْنِي وَأَعْرَضًا^(٢)

قافية الطاء.

(٥٠)

وقال :

لَكَ أَنْ أَطِيعَكَ رَاضِيًا أَوْ سَاحِطًا وَأَصُونُ سَرَّكَ رَاجِيًا أَوْ قَانِطًا
 وَإِذَا تَسَقَطَنِي الْوُشَاةُ حَدِيثُكُمْ أَلْفَا بِسَرِّكُمْ ضَنِينًا سَاحِطًا
 يَلْقَى اللَّوَائِمُ فِيكَ سَمْعًا صَادِقًا عَنْهُمْ ، وَجَاشًا لِلْمَلَامَةِ رَابِطًا
 وَيُبِيرُ ذِكْرَكُمْ زَفِيرًا صَاعِدًا مُسْتَنْبِطًا بِلِظَاهِ دِمْعًا سَاقِطًا
 يَا هَاجِرًا ، وَاقِيَ الْكَرْىَ بِخِيَالِهِ مُسْتَدْرِكًا بِالْوَصْلِ هَجْرًا فَارِطًا
 لَوْ أَيْقَنَ الْوَأَشُونَ حَظِّي مِنْكُمْ وَصَبَابِي بِكُمْ لَسَرُّوا الْغَائِبَاتِ

(٥١)

وقال :

يُقَرُّ بِالذَّنْبِ يَجْنِيهِ ، فَأَحْسَبُهُ قَدْ جَاءَ مُسْتَدْرِكًا بِالْعُذْرِ مَا فَرَطًا
 وَلَيْسَ يَقْصِدُ إِلَّا أَنْ يُعْرِفَنِي أَنْ الْإِسَاءَةَ عَمْدٌ لَمْ تَكُنْ غَلَطًا

(١) بده في الخريدة: " كل عيب بين في الخط ويخفى مع الرضا "

(٢) بده في الخريدة: " ليت من ملني وأنحل جسدي وأمرضا "

" عاد بالوصل أو قضى في بالعدل إذ قضى "

قافية الظاء

(٥٢)

وقال :

أَحْفَظْتُمْ^(١) قَلْبِي بِغَدْرِكُمْ وَالقَلْبُ أَدْنَى الْغَدْرِ يُحْفَظُهُ
وَأَضَعْتُمْ عَهْدَ الْهَوَى ، وَبِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ
وَمَا ظَنَنْتُمْ وَجْدِي يُكْفِرُ مَا أَصْبَحْتُ أَسْمَعُهُ ، وَالْحِظُّهُ
هَبْ أَنْكُمْ مَاؤِ وَبِي ظَمًا أَفَلَسْتُ عِنْدَ قَدَاهُ أَلْفُظُهُ

قافية العين

(٥٣)

وقال :

يَا مُوعِدِي بِالْوَصْلِ وَعِدًّا لَا يَرَى فِيهِ الْمُؤْمَلُ لِلتَّقَاضِي مَوْضِعًا
أَصْبَحْتُ فِي حُبِّكَ كَالدَّاعِي الصَّدَى مَا إِنْ لَهْ حِظٌّ سِوَى أَنْ يَسْمَعَا
لَكِنَّ حِظَّ هَوَاكَ مِنْ جِسْمِي ضَنِّي بَادٍ ، نَقَى نَوِي ، وَأَفْنَى الْأَدْمَعَا

(٥٤)

وقال :

أَطِيعُ هَوَى عَصَاءٍ ، وَهُوَ يُضِلُّنِي وَمَا أَنَا فِيهَا لِلنَّهْيِ بِمَطِيعٍ
وَيُسْمِعُنِي دَاعِيَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا وَإِنِّي لِدَاعِيَ النَّصِيحِ غَيْرُ سَمِيعٍ
وَأَحْفَظُهَا ، وَهِيَ الْمِضْبِغُ لِعَهْدِهِ فَيَا عَجَبًا مِنْ حَافِظِ الْمِضْبِغِ

(١) أحفظه : أضغبه .

قافية الفاء.

(٥٥)

وقال :

أَطَاعَ مَا قَالَهُ الْوَأَشَى وَمَا هَرَقَا فَعَادَ يُنْكَرُ مِنَّا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَصَدَّ حَتَّى اسْتَمَرَ الْهَجْرُ مِنْهُ ، فَلَوْ أَلَمَ بِي مِنْهُ طَيْفٌ فِي الْكُرَى صَدَقَا
يَجْنِي ، وَعِنْدِي لَهُ الْعُتْبَى ، فَوَاعْجِبَا مِنْ مُعْتَبٍ^(١) مَا جَنَى جُرْمًا وَلَا اقْتَرَفَا
مَلَكَتُهُ طَائِعًا قَلْبًا تَعَسَّفَهُ وَقَلْبًا يَمْلِكُ الْأَحْرَارَ مَنْ عَسَفَا
لِي مِنْهُ مَا سَاءَنِي : مِنْ هَجْرِهِ ، وَلَهُ مَنِي الرِّضَا بِقَضَايَاهُ ، وَإِنْ جَنَفَا
أَلْقَاهُ بَعْدَ النَّصَا فِي مُعْرَضَا حَقَقَا وَبَعْدَ إِقْبَالِهِ بِالْوُدِّ مُنْحَرَفَا
يَا هَاجِرِينَ لِلْأَذْنِبِ^(٢) سَوَى مَلَلٍ دَعَا ، فَهَبُوا إِلَى دَاعِيهِ إِذْ هَتَفَا
مَالِي أَرَى بَيْنَنَا ، وَالدَّارُ جَامِعَةٌ قَرِيبَةٌ ، مِنْ تَجَنُّبِكُمْ نَوَى قُدْفَا^(٣)
لَا تَعَجَلُوا بِفِرَاقِ سَوْفٍ يُدْرِكَا كَفَى بِنَا فُرْقَةً ، رَيْبُ الْمُنُونِ ، كَفَى
صَلُّوا قَوَادِمًا ، إِذَا سَكَنْتُ رَوْعَتَهُ هَفَا ، وَدَمَعًا إِذَا نَهْنَهْتُهُ وَكَفَا
لَكُمْ هَوَايَ ، وَإِنْ جُرْتِمُ ، وَجُورُكُمْ مُسْتَحْسَنٌ مِنْكُمْ ، لَوْلَمْ يَكُنْ سَرَفَا^(٤)
كَذَلِكَ حَظِي مِنَ الْأَحْبَابِ : مَنْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ حَبَابِي الْهَجْرَ وَالشَّنْفَا^(٥)
حَتَّى لَقَدْ غَيْرَ الْجُدِّ الْعَثُورُ ، فَلَا لَعَا لَهُ ، مَا جَدًّا مَا كَانَ مُطْرَفَا^(٦)

(١) المعتب : طالب العتبي : وهى الرضا . (٢) فى رواية هل ما شئ النسفة «جرم»

(٣) النوى القذف : البعده . (٤) السرف : ضد القصد .

(٥) الشنف : البغض . (٦) تمام القصيدة صفحة ١٢٥ . والمطرف : الرجل لا يثبت على صحبة أحد لاله .

(٥٦)

وقال :

وْمُهْفَهْفٍ، بِي مِنْ هَنُورِ جُفُونِهِ
سُكْرًا ، يُقَصِّرُ عَنْهُ سُكْرُ الْقَرْقَفِ^(١)
أَبْدًا أَوْأَصْلَهُ ، وَيَهْجُرُ عَامِدًا
وَمِنَ الْعَنَاءِ وَدَادُ مِنْ لَمْ يُنْصِفِ
يَسْتَعْذِبُ الْقَلْبُ اللَّيْلُ عَذَابَهُ
وَأَهَالَهُ ، لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُسْرِفِ
غَطَّى الْجَمَالَ عَلَى ذَمِيمِ فِعَالِهِ
وَالْمَوْتُ يَسْتَرُهُ صِقَالُ الْمُرْهَفِ

(٥٧)

وقال :

لَا تَغْتَرِزْ بِخَوْلِ خَصِرِ أَهْيَفِ
فَالْمَوْتُ فِي حَدِّ الْحَسَامِ الْمُرْهَفِ
وَتَوَقَّ فِتْكَةَ نَازِرٍ مُتَمَرِّضٍ^(٢)
يَسْطُو سَطًا مُتَغَشِّرِيمُ مُتَعَجْرِفِ
ظَمْنِي مِنَ الثَّغْرِ الْبُرُودِ، فَمَنْ رَأَى
ظَمَانَ مِنْ بَرْدٍ يُعَلُّ^(٣) بَقَرْقَفِ^(٤)
مَنْ لِي بَوْضِلٍ مُمَاطِلٍ بَدْيُونِهِ
يَعْدُ الْقَضَاءَ مَعَ الْيَسَارِ، فَلَا يَبْقَى
فِي^(٥) وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِرُ
وَبِخْدِهِ وَرَدُّ الْحَيَا لَمْ يَقْطِفِ
فَكَأَنَّ وَشَى عِدَارِهِ فِي خَدِّهِ
نَمَلٌ تَسْرِبُ فَوْقَ وَرْدٍ مُضَعَفِ^(٥)

(٥٨)

وقال :

مُسْتَصْفَرُ الذَّنْبِ، إِنْ عُدَّتْ إِسَاءَتُهُ
وَكَلَمَهَا فِي الْحَشَا يَدْمِي، وَيَنْقَرُ^(٦)
مِثْلُ الْقَدَاةِ بَعِينَ الْمَرْءِ يَحْقَرُهَا
وَدَمْعُهُ أَبْدًا مِنْ وَخْزِهَا يَكْفُ

(١) القرقف : الخمر . (٢) تيمض : ضعف في أمره .

(٣) البرد بالسكون : الريق . وبالتحريك : حب الغمام . واللعل : الشرب بعد الشرب .

(٤) هذا البيت وما بعده من اختيارات مسالك الأبصار لأسامة (١٠ : ٥٠٣)

(٥) مضعف : أصابه مطر ضعيف .

(٦) الكلم : الجرح . ويدمي : يخرج منه الدم . وقرق القرحة قشرها .

(٥٩)

وقال :

قُلْ لِلرَّائِمِ : كُفُّوا عَن مَّلامِكُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَبِيرُ الهَمَّ وَالْأَسْفَا
 لَا تَذْكُرُونِي تَجَنُّبًا ، وَهَجْرَتَهُ خَبَهُ شَاغِلٌ عَن كُلِّ مَا سَلَفَا
 إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي إِسَاءَتَهُ هَفَاً^(١) ، وَأَنْكَرَ مِنْهَا كُلَّ مَا عَرَفَا
 وَإِنْ هَمَمْتُ بِبَصِيرٍ عَنْهُ وَاجْهَنِي مِنْ وَجْهِهِ بِشَفِيعِ زَادَنِي شَعْفَا

(٦٠)

وقال :

بَاحَتْ بِسِرِّكَ أَدْمَعُ تَكِيفُ فَإِلَامٌ تُنْكَرُ ، وَهِيَ تَعْرِفُ
 هَلْ يُغْنِيَنَّ عَنْكَ الْجُودُ ، إِذَا شَهِدَ النُّحُولُ عَلَيْكَ وَالْكَلْفُ

منها :

أَخْفَى غَرَامِي ، وَهُوَ مُشْتَهَرٌ بِأَدٍ ، وَأَسْتَرَهُ ، وَيُنْكَشِفُ
 أَسْفَى لِعُمُرٍ ، ضَاعَ مُذْهَبُهُ^(٢) فِي حَبْكُمُ ، لَوْرَدَهُ الْأَسْفُ
 وَهُوَ عَيْتُ بَرَعِي ذَمِّهِ فَأَضَاعَهُ الْمُتَلَوُّنُ الطَّرْفُ^(٣)
 أَنْفَقْتُ فِي كَسْبِي مَوَدَّتَهُمْ شَرَحَ الشَّبَابِ^(٤) ، فَأَعْوَزَ الْخَلْفُ
 وَصَدَفْتُ عَن قَوْلِ الوِشَاةِ ، وَمَا قَالُوهُ فِي بَسْمِعِهِمْ شَنْفُ^(٥)
 وَتَنْكَرُوا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مَا أَنْكَرُوا وَدِي ، وَلَا عَرَفُوا
 وَهُمْ لَدِي . عَلَى مَلَاهِمُ وَدٌ يَخْلِبُ الْقَلْبَ مُلْتَحِفُ^(٦)

(٢) المذهب : الذاهب .

(١) هفا : خفق .

(٣) الطرف : من لا يثبت على صاحب . (٤) مرخ الشباب : أوله .

(٦) الخلب بالكر : لجمة رقيقة تصل بين الأضلاع . أو الكبد .

(٥) الشف : القرط .

بَنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَإِن قَرُبُوا من هَجْرِهِمْ أبدأ ، نَوَى قُدْفُ
يَا جَانِرِينَ ، وَهُمْ أَعَزُّ عَلَى قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
أَغْرَاكُمْ بِالْهَجْرِ عَلَيْهِمُ أَنِّي بِكُمْ مُسْتَهْتَرٌ كَلِفُ (١)

(٦١)

وقال :

مَا بِالْمَلَالَةِ حِينَ تَعْرُضُ مِنْ خَفَا إِن لَمْ تَحْنُ فَابْلُغِ رِضَاكَ مِنْ ابْلَحَا
فَالْبَاسُ مِنْكَ ، إِذَا صَدَدْتَ ، خِيَانَةٌ وَإِذَا مَلَّتْ رَجَوْتُ أَنْ تَتَعَطَّفَا
إِنِّي لِأَضْعَفُ عَنْ صُدُودِكَ سَاعَةً وَأَرَى قُوَايَ عَنِ الْخِيَانَةِ أَضْعَفَا

قافية القاف

(٦٢)

وقال :

حَتَّى مَتَى يَا قَلْبُ ، لَا تَسْتَفِيقُ ! حَسْبُكَ ، قَدْ حُمِلَتْ مَا لَا تُطِيقُ
أَضْنَاكَ إِشْفَاؤَكَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَمَا عَسَى يُجِدِي حِدَارُ الشَّفِيقِ
إِن أَخْلَقُوا عَهْدَكَ ، أَوْ بَدَّلُوا فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْهُمْ خَلِيقُ
وَاعْزِمِ عَلَى سُلُوكِهِمْ عَزْمَةً تَنْذِيكَ بَعْدَ الرِّقِّ حَرًّا طَلِيقُ
لَا تَبْكِهِمْ إِنْ تَزَحَّتْ دَارُهُمْ وَاهْجَرَهُمْ هَجْرَ الْخَلِيِّ الْمُفِيقِ
لَنْ تَعْدَمَ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنْتَ تَرَجَلْتَ ضَيْقُ
دَعْ ذَا ، فَمَا النَّاسُ سِوَاءُ ، وَلَا يَلْقَى الْفَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ صَدِيقُ

(١) تمام القصيدة ص ١٢٦ . والمستهتر بالشيء : المولع به لا يزال بافضل وشتمه .

وهبك تلقى عوضاً عنهم أراجعُ عصرُ الشبابِ الأنيقِ
عَلِقْتُهُمْ حِينَ رَدَاءِ الصَّبَا ضَافٍ، وَغُصْنِي ذُو اعْتِدَالٍ وَرَيْقِ
حَتَّى إِذَا أَشْرَبَ قَلْبِي لَهُمْ حُبًّا جَرَى فِي الْجَسْمِ جَرَى الرَّحِيقِ^(١)
أَلْتَسُّ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، لَقَدْ أَتَيْتُ مَا لَيْسَ بِمِثْلِي يَلِيقُ !
أُرُوغُهُمْ بِالْعَنْبِ مُسْتَصْلِحَا وَتَحْتَ ذَلِكَ الْعَنْبِ قَلْبٌ شَفِيقِ
يَرَعَى لَهُمْ مَا ضَيَّعُوا ؛ إِنَّهُ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ ، رَفِيقِ

(٦٣)

وقال^(٢)

قَرُّ إِذَا عَاتَبْتَهُ^(٣) شَغَفًا بِهِ غَرَسَ الْحَيَاءُ بُوْجُنْتِيهِ شَقِيقًا
وَتَلَهَّبَتْ نَجَلًا ، فَلَوْلَا مَاؤُهَا مَتَرِقُ فِيهَا^(٤) ، لَصَارَ حَرِيقًا
وَأَزُورَ عَنِّي مُطْرَقًا ، فَأَضَلَّنِي أَنْ أَهْتَدِيَ نَحْوَ السُّلُوطِ طَرِيقًا
فَلْيَلْحَنِي مَنْ شَاءَ فِيهِ ؛ فَصَبَوْتِي بِهِوَاهُ سَكْرٌ لَسْتُ مِنْهُ مُفِيقًا

(٦٤)

وقال^(٥)

أَنْظُرْ شِمَاتَةَ عَاذِلِي وَسُرُورَهُ بَكُؤْفِ بَدْرِي ، وَاشْتِهَارَ مَحَاقِهِ
عَطَى ظَلَامُ الشَّعْرِ مِنْ وَجَنَاتِهِ صُبْحًا تَضِيءُ الْأَرْضَ مِنْ إِشْرَاقِهِ
وَهُوَ الْجُهُولُ ، يَقُولُ : هَذَا عَارِضٌ هُوَ عَارِضٌ ، لَكِنْ عَلَى عَشَاقِهِ

(١) الرحيق : الخراوطيبا .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في ياقوت ٥ : ٢٠٥ وخريدة القصر ١ : ١٠٣ ولم تذكر الخريدة البيت الأخير .

(٣) في ياقوت « عَاتَبْتَهُ » . (٤) في ياقوت والخريدة « فِيهِ » .

(٥) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٦٥)

وقال :

بُئِينَةٌ ، مَا أَعْرَضْتُ عَنْكَ مَلَلَةٌ وَلَا أَنَا عَمَّا تَعْلِبِينَ مُهَيِّقُ
وَلَكِنْ خَشِيتُ الْكَاشِحِينَ فَإِنِّي عَلَى سَرْنَا مِنْ أَنْ يَذِيعَ شَفِيقُ
فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيَّانِ ، عَيْنَ مُورِدًا بَرُودًا ، وَلَكِنْ مَا إِلَيْهِ طَرِيقُ

(٦٦)

وقال (١) :

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي رُحِبَتْ لَنَا فِيهَا الْمَسْرَةُ فِي مَجَالِ صَبِيقُ
مَا شَابَهَا لَوْلَا مَشِيبُ ظَلَامِهَا كَدْرٌ ، وَلَا رَاعَتْ بِوِاشِ مُحَنِّي
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ خَضْبُهَا بِسَبِيبِي وَجَعَلْتُ لَوْ نَ صَبَاحِهَا فِي مَفْرِقِي

(٦٧)

وقال :

يَا لِأَنَّمِي ، أَنْظُرْ إِلَى قَمْرِ فِي الْأَرْضِ فِي وَجَانِهِ شَفَقُ
وَبِحَدِّهِ وَرُدُّ ، إِذَا نَظَرْتُ عَنِّي إِلَيْهِ تَنَازَرُ الْوَرَقُ
سَبْعَانَ مَنْ أَدْرَكَ بِوَجْتِهِ نَارَ الْحَيَاءِ ، وَلَيْسَ يَحْتَرِقُ

(١) هذه القطعة مما روى لأسامة في مسالك الأبحار (١٠٠: ٥٠٣) .

(٦٨)

وقال :

وَعَزَّالٍ فِي فِيهِ رَاحٌ وَدُرٌّ وَعَقِيْقٌ رَطْبٌ ، وَمِسْكٌ فَتِيْقٌ (١)
شَبَّهُوا دَرَّ ثَغْرِهِ بِالْأَقَاحِي لَيْسَ لِلْأَفْحُوَانِ ذَاكَ الْبَرِيْقُ
بِي سُرْكُرٍ مِنْهُ وَنَحْرٌ ، فَلَا أُرَقِي لِهَذَا ، وَلَسْتُ مِنْ ذَا أَفِيْقُ

قافية الكاف

(٦٩)

وقال :

عَادَيْتَنِي حِينَ عَادَيْتُ الْوَرَى فَيْكَآ هَجْرُ الْقَلِي وَالْتَجَنِّي كَانَ يَكْفِيكَآ
أَحِينَ خَالَفْتُ فَيْكَ الْخَلْقَ كَأَهْمُ أَطَعْتَ بِي وَاشِيَاً بِالْهَجْرِ يُغْرِيكَآ !
تُصَدِّقُ الطَّيْفَ ، يَسْعَى بِي ، قَهْجُرْنِي وَأُكْذِبُ الْعَيْنَ فِيمَا عَايَنْتَ فَيْكَآ
تَزَّهَ مَحَاسِنِكَ اللَّاتِي خُصِّصْتَ بِهَا عَمَّا يَسِينُ ، وَمَا يَهْوَاهُ شَانِيكَآ
أَغْضَيْتُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا زَمْنَا وَخَلْتُ أَنْ الرِّضَا بِالْجَوْرِ يُرْضِيكَآ
فَمَا نَهَاكَ وَلُوَعِي عَنْ مُبَاعَدَتِي وَلَا تَنَّاكَ خُضُوعِي عَنْ تَعْدِيكَآ
بِاللَّهِ يَا غُصْنَ بَانَ ، حَامِلًا قَرَا صَلِّ مُغْرَمًا بِكَ يُغْرِيهِ تَجْنِيكَآ
يَدُنُو ، وَهَجْرِكَ يُقْصِيهِ ، وَيُبْعِدُهُ وَتَنَّتِي عَنْهُ ، وَالْأَشْوَاقُ تُدْنِيكَآ
سُكَرَانَ فِي الْحَبِّ ، لَا يَدْرِي أَسْكَرْتَهُ لِسِحْرِ عَيْنِيكَ ، أَمْ لِلنَّمْرِ مِنْ فَيْكَآ

(١) فتيق : نوى الراحة .

قافية اللام

(٧٠)

وقال :

أَمَا فِي الْهَوَى حَاكِمٌ يَعْدُلُ وَلَا مَنْ يَكْفُ وَلَا يَعْدُلُ
وَلَا مَنْ يَفُكُّ أُسَارَى الْغَرَا وَالْوَجْدِ مِنْ ثِقَلٍ مَا حُمَلُوا
وَلَا مُنْصَفٌ عَالَمٌ أَنَّهُ إِذَا قَالَ بِالظَّنِّ يُسْتَجْهَلُ
إِذَا هُوَ لَمْ يَدْرِ مَا يَلْتَقِي أَخُو الْوَجْدِ مِنْ دَانِهِ يَسْأَلُ
لِيَعْلَمَ أَنْتَ سَهَامَ الْغَرَامِ قَبْلَ إِصَابَتِهَا تَقْبَلُ
وَأَنْ الدَّمُوعَ إِذَا مَا سُفِحَ أَنْ أَرْنَ لَظَى فِي الْحِشَا يُسْعَلُ
وَإِنْ قَالَ: هُنَّ مِيَاهٌ ، فَقُلْ : صَدَقْتَ ، وَفِي الْمَاءِ مَا يَسْمَلُ^(١)
سَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى ، مَا لَهُمْ مُجِيرٌ ، وَلَا لَهُمْ مَوْتَلُ
وَلَا رَاحِمٌ لَهُمْ يَسْتَدِ يَمُ حُسْنَ الْمَعَاةِ مِمَّا بُلُوا
قَتِيلُهُمْ مَالَهُ وَاتَرُّ وَمَظْلُومُهُمْ أَبَدًا يُحْدَلُ
وإِعْلَانُهُمْ لِلْهَوَى فَاصِحُّ قَتُولٌ ، وَكِتْمَانُهُمْ أَقْتَلُ
وَإِنْ بَحَدُوا الْحَبَّ خَوْفَ الْوَشَا ةَ أَقْرَتْ بِهِ أَدْمَعُ تَهْمَلُ
وَفِي سُقْمِهِمْ ، إِنْ هُمْ أَنْكَرُوا صَبَابَتَهُمْ ، شَرَحُّهَا الْمُجْمَلُ
وَكُلُّهُمْ خَاضِعٌ ، يَسْتَكِينُ لِلظُّلْمِ ، أَوْ وَالَهُ^(٢) يُعُولُ

(٢) الوله : الحيرة والخوف . وأعول : رفع صوته بالبكاء .

(١) سئل عنه : قاعا .

وَعَيْشُهُمْ تَعَبٌ كَأَنَّهِ
بِنَفْسِي مُسْتَهْتَرٌ بِالضُّدُو
جُنُونِي بِهِ أَبَدًا زَائِدٌ
مَلِيحٌ بِإِجْمَاعِ كُلِّ الْأَنَاءِ
مَنْ الْحَوْرِ ، رِضْوَانُهُ بَجَلُهُ
وَمَا ذُقْتُهَا ، غَيْرَ أَنْ الْعَبِي
بِخَيْلٍ عَلَى مُقَلَّتِي بِالرَّفَاقِ
سَقَامِي مُسْتَصَفَّرٌ عِنْدَهُ
يَرَانِي مِنْ حُبِّهِ فِي السَّيَا
أَعَاتِبُهُ وَهُوَ لَا يَرَعِي
فَلَا الْوَضْلُ لِي فِيهِ مِنْ مَطْمَعٍ
وَلَا فِيهِ عَاطِفَةٌ تُرْتَجَى
وَسُكْرِي مِنْ حُبِّهِ لَا أَفِيئْتُ مِنْهُ ، فَأَعْلَمَ مَا أَعْمَلُ
وَبَعْدُ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مَقَالِي ، فَإِنِّي بِهِ أَهْزَلُ
وَمَا أَنَا بِالْحُبِّ ذُو خِبْرَةٍ
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ رَبُّ الْعِبَادِ : نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ

(١) أجل الصنيفة : حسننا وكثرها .

(٢) يقال فلان في السياق أي في النزاع . والسياق نزاع الروح .

(٧١)

وقال :

قَالُوا : قَلَاكَ ، وَمَلَا ، فَقُلْتُ : حَاشَا ، وَكَلَّا
مَا صَدَّعَنِي مَلَالًا وَإِنَّمَا يَتَحَلَّى
وَهُوَ السَّوَادُ لِعَنِي لَا بَلَّ أَعَزُّ وَأَغْلَى
وَكَلَّمَا زَادَ عَزًّا عَلَيَّ ، قَدْ زِدْتُ ذُلًّا

(٧٢)

وقال :

كَمْ ذَا التَّجَنِّي ، وَكَثْرَةُ الْعَلَلِ لَا تَأْمَنُوا مِنْ حَوَادِثِ الْمَلَالِ
وَلَا تَقُولُوا : صَبُّ بِنَا كَلَفٌ فَأَوَّلُ الْيَأْسِ آخِرُ الْأَمَلِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ شَقَّ عَصَا الذَّنْبِ ذَنْبِي ، وَالْحُبُّ يَشْفَعُ لِي
هَبُونِي أَحْطَاتُ عَامِدًا ، فَهَبُوا نَجْمَةَ عُذْرِي مَا كَانَ مِنْ زَلَالِي
وَاعْتَمِنُوا الْقَرَبَ قَبْلَ يَفْجُؤْنَا الْبَيْنُ ؛ فَكُلُّ مَنْهُ عَلَيَّ وَجَل

(٧٣)

وقال :

قُلْ لِلْمَلُولِ الَّذِي أَعْيَا تَلَوْنُهُ : تُرَى مَلَائِكَ هَذَا غَيْرَ مَمْلُولٍ
إِذَا تَجَاهَلْتُ عَمَّا سَاءَ مِنْهُ أَتَى مِنْ الصَّدُودِ بِذَنْبٍ غَيْرِ مَجْهُولٍ
وَمَا جَنَى قَطُّ إِلَّا جِئْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ ، لَكِنَّ عُذْرِي غَيْرُ مَقْبُولٍ

(٧٤)

وقال :

كَيْفَ انْخِلَاصُ لِقَلْبِي مِنْ يَدِي قَرِيٍّ أَسِيرٌ نَازِرُهُ بِالْوَجْدِ مَغْلُولٌ
بُحْرِي لَدِيهِ جُبَارٌ^(١) ، لَاقِصَاصٌ لَهُ فِي حَكْمِهِ ، وَدَمِي فِي الْحَبِّ مَطْلُولٌ

(٧٥)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، إِنْ كَانَ هِجْرُكُمْ غَدْرًا ، فُودِيٌّ غَيْرُ مِتَقَلٍ
أَوْ كَانَ مِنْ مَلَلٍ طَرَا ، فَعَسَى تَطَرًا مَلَأَةٌ ذَلِكَ الْمَلَلِ
وَالصَّبْرُ دَائِي ، أَوْ تَفَاجَيْتِي بُسْرَى الرِّضَا ، أَوْ رَاحَةُ الْأَجَلِ

(٧٦)

وقال :

يَلُومُونَنِي فِي حَبِّ لَيْلِي ، وَإِنِّي لِأُكْرِمُهَا عَنْ عُرْضَةِ النَّوْمِ وَالْعَدْلِ
وَقَالُوا : هَوَاهَا خَائِلٌ لَكَ ، فَاسْلُهَا وَمِنْ لَوْمِهِمْ ، لَامِنْ هَوَايَ لَهَا ، خَبَلِي
هِيَ الشَّمْسُ ، تَبْدُو فِي رِدَائِ مِنْ الدَّجِي عَلَى خُوطِ^(٢) بَانَ ، فِي كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ
تَهَادَى تَهَادَى الظِّلِّ هَوْنًا ، كَأَنَّهَا تَخَافُ عَنَارَ الْحَزْنِ فِي الدَّهْسِ^(٣) السَّهْلِ
وَتَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي مَهَاةً^(٤) ، كَفَاهُمَا وَأَغْنَاهُمَا كُحْلَ الْمَلَاةِ عَنْ كُحْلِ

(١) الجبار بالضم : المهدر . يقال ذهب دمه جبارا .

(٢) الخوط بالضم : الفصن الناعم .

(٣) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . والحزن : ما غلظت من الأرض .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية .

(٧٧)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح ، أولها :

ما خَطَرَ السُّلُوَانُ فِي بَابِي فَمَا الَّذِي أَطْمَعَ عُدَّالِي
وَجَدِي بِهِمْ فِي الْيَوْمِ كَالْأَمْسِ ، مَا غَيْرَهُ مَا حَالَ مِنْ حَالِي
أَهْوَى ، وَمَا حَظِّي مِنْهُمْ كَمَا أَهْوَى ، وَلَا قَلْبِي بِالسَّالِي
لِحَاجَةٍ فِي الْحُبِّ ، مَا تَحْتَهَا سِوَى صَبَابَاتِي وَبِلْبَالِي^(١)
لِي الْقَلْبِي مِنْهُمْ ، وَمِنْ لَأْنِي فِيهِمْ طَوِيلُ الْقَبِيلِ وَالْقَالِ
وَمَا أَبَالِي بِالَّذِي نَالَنِي لَوْ أَتَى مِنْهُمْ عَلَى بَالِ
يَا قَرَأَ فِي غُصْنٍ^(٢) بَانَ عَلَى نَقًّا^(٣) مَهُولٍ غَيْرِ مُنْهَالِ
مَيْلَكَ الْوَأَشِي ، فَمَا حَبْلِي فِي أَهْرِيفِ الْقَامَةِ مِيَالِ
مُسْتَهْتَرٍ^(٤) بِالْهَجْرِ الْقَاهِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَهُوَ الْمُعْرِضُ الْقَالِي
نَاطِرُهُ الْفَتَاكَ لَا نَاطِرٌ عَلَى تَعْدِيهِ ، وَلَا وَالِي
يَحْكُمُ فِي أُرُوَاحِنَا طَرْفُهُ حَكَمَ أَبِي الْغَارَاتِ فِي الْمَالِ

(٧٨)

وقال :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ فَكَفِّبِهَا وَاسْأَلْ مَعَالِمَهَا بِدَمْعِ سَائِلِ
مَاظِنُّهَا بِطَعِينِ أَغْصَانِ النَّقَا مَا سَتَّ مُنْصَلَّةً بِأَسْهُمِ بَابِلِ
هَدَرَ الْهَوَى دَمَهُ ، لِأَنَّ لِحَاطَهُ أَرْدَتْهُ ، أَمْ أَقَى بِقَتْلِ الْقَاتِلِ

(١) الببال بالفتح : الوسوس والبرحاء في الصدر . والكسر : مصدر بلبه : هيجه وحركه .

(٢) في هامش النسخة " غوط " .

(٣) النقا من الرمل : القطة تنقاد محمودة .

(٤) المستهتر بالشو . بالفتح (المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له .

(٧٩)

وقال :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي فَاسِدٌ فَاهُ الْعَذْبُ بِالْقُبَلِ
وَأَصْمُهُ ضَمَّ الشَّفِيقِ ، كَمَا صَمَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ لِلْمَقَلِ
فِيحَارُ مِنْ كَلْفِي ، وَيُشْرِقُ فِي خَدَيْهِ وَرْدُ الْحُسْنِ وَالْحَجَلِ
وَيَعُودُ بَعْدَ الْعَتَبِ مُعْتَدِرًا عُدْرَ الْمُسِيءِ إِلَى ، مِنْ زَلَلِي

(٨٠)

وقال^(١) :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي وَفِي عَلَى قَمِهِ يَقْبَلُهُ
وَيُرِيدُ يُوضِعُ وَجْهَ حُجَّتِهِ وَاللَّثْمُ يُعَجِّلُهُ ، وَيُجْجَلُهُ
حَتَّى إِذَا أُضْجِرْتُهُ سَتَرْتِ مَا بَيْنَ فِي وَفِيهِ أَمَلُهُ
وَيَعُودُ مُعْتَدِرًا لِبِشْغَلِي عَنْهُ بَعْدِرُ لَسْتُ أَقْبَلُهُ

(٨١)

وقال :

كُنْتُ بَنِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أُطِقْ كِتْمَانَ فَيْضِ الْمَدْمَعِ الْهَامِلِ
السَّافِحِ السَّابِكِ الْمَاطِرِ

(١) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٤) .

وَلَيْسَ يُدْرَى ، لِقَدَى جَائِلٍ فِي الْعَيْنِ فَاصَتْ أَمْ هَوَى دَاخِلٍ
 فَاضِحٍ غَالِبٍ ظَاهِرٍ
 كَالْوَرِقِ^(١) لَا يُدْرَى عَلَى هَالِكٍ نَاحَتْ ، أَمْ ارْتَاخَتْ إِلَى رَاحِلٍ^(٢)
 نَازِحٍ غَائِبٍ هَاجِرٍ

قافية الميم

(٨٢)

وقال^(٣) :

وَلَوْأ ، فَلَمَّا^(٤) رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا
 مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيئُهُمْ
 وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطَّلَعْتُ
 فَلَيْتَ^(٥) شَعْرِي بِمَا اسْتَوْجِبْتُ هَجْرَهُمْ
 حَفِظْتُ مَا ضَيَعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْنَا
 حُرْمَتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وِدَادِهِمْ
 مَحَاسِنِي ، مِنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ
 فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
 وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمُ
 عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِي أَلْتَهُمْ
 مَلُوا ، فَصَدَّهُمْ عَنْ وَضَلِي السَّامُ
 وَقَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَأَصَلْتُ إِذْ صَرَمُوا
 مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجْرِي بِهِ الْقِسْمُ
 قَدَى ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ

(١) الورقاء : الحامية .

(٢) ارتاح إليه : حزن إليه .

(٣) رويت هذه القصيدة أيضا في الخريدة ١ : ١٠٧ ومعجم البلدان ٥ : ١٠٠ والروضتين ١ : ١١٣ .

(٤) في الخريدة (ولما) .

(٥) ذكره ومعجم البلدان هذا البيت واليهتين بعده .

و بعدُ ، لو قيلَ لي : ماذا تُحِبُّ ، وما
همُ مجالُ الكرى من مُقتى ، ومن
تبدلوا بي ، ولا أبغى بهم بدلاً
مناك من زينه الدنيا ؟ لقلتُ : همُ
قلبي محلُّ المنى ، جاروا أو اجترموا^(١)
حسبي هو ، أنصفوا في الحكم ، أو ظلموا^(٢)

(٨٣)

وقال :

أقصر ، فلوبى في حُبهم لم^(٣) وناصحُ العاشقين منهم
ما الغى والرشد باللاماة والإغراء في الحب ، بل هما قسم
بالعدل فيهم ، وشقوتى بهم وسوء حظى منهم ، جرى القلم
طرفى أعمى عن عيهم ، فإذا رآته عنى ، أقول : ذا حلم
أصم عن نصيح من يعنني فيهم ، وما بي لولا الهوى صم
وهم إذا خطرة التوهم نا جتهم بذنب لم أجنه صرموا
ضلالة في الغرام : يكذب رأى العين فيها ، ويصدق الحلم
فلا تردنى جورى بلومك ، إن الحسب نار بالعدل تضطرم
لو يعلم الحاسدون حظى ، وما ألقاه منهم ، وفيهم ، رحوا
فوضت أمرى إليهم ، ثقة بهم ، فلما تحكّموا ظلّوا
وما كذا تحفظ المواثيق في الحسب ، وترعى العهود والذمم
فيا لها هفوة ، ندمت على ما كان منها ، لو ينفع الندم
وما احتيال الفتى إذا عثر الجسد ، وزلت بسعيه القدم

(١) اجترم : أذنب .

(٢) تمام القصيدة ص ١٤٦ .

(٣) اللم محرّكة : الجنون .

(٨٤)

وقال^(١) :

لَا تَسْتَعِرْ جَلْدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فُقُوكَ تَضَعُفٌ عَنِ صُدُودِ دَائِمٍ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا ، وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمٍ

(٨٥)

وقال :

قُلْ لِمَنْ تَاهَ بِالْجَمَالِ عَلَيْنَا : مَا عَسَى دَوْلَةُ الصِّبَا أَنْ تَدَوَّمَ
عَنْ قَلِيلٍ^(٢) نَزَى قَوَامَكَ ذَا الْمَأْنَسِ ، قَدْ عَادَ ذَا اعْتِدَالِ قَوِيْمًا
وَنَزَى طَرْفَكَ السَّقِيمَ وَقَدْ صَحَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا سَقِيمًا
وَنَزَى جَمْرَ وَجْنَتِكَ وَقَدْ عَا دَ رَمَادًا ، وَبَقَلَهِنَّ هَشِيمًا
وَنَادَى: عَدُلْ مِنْ اللَّهِ أَنْ أَصْبِحَ ذَاكَ النَّهَارُ لَيْلًا بِيَهَامًا

(٨٦)

وقال :

جُفُونٌ تَسْتَهْلُ^(٣) دَمًا وَجِسْمٌ مُشْعَرٌ سَقَمًا
وَأَنَّهُ مُوجِعٌ تُبْدِي مِنْ الْأَشْجَانِ مَا كَتَمًا
وَقَلْبٌ لَوْ فُرِيَ^(٤) بِمِيسِمِ النَّيْرَانِ مَا عَلَمًا
وَحَالٌ لَوْ رَأَاهَا شَامَتٌ أَوْ حَاسِدٌ رَحِمًا

(١) هذان البيتان من مختارات مسالك الأَبصار لأَسامة (١٠: ٥٠٤) .

(٢) في هامش الديوان "قريب" . (٣) استبل المطر: اشتد انصبابه .

(٤) فراه: شفه .

(٨٧)

وقال :

مَلٌّ ، وَأَبْدَى نَجْمَهُمُ السَّامِ وَضَاعُ وُدِّي فِي الظَّنِّ وَالتَّهَمِ
وَخَانَ عَهْدِي ، وَقَلَّبْنَا اجْتَمَعَ الحُسْنُ وَرَغِي العَهْدِ وَالدَّمِ
وَصَدَّ عَنِّي ، فَصَرْتُ أَجْتَنِبُ النَّوْمَ ، حَذَارَ الصُّدُودِ فِي الحُلْمِ
وَلَسْتُ أَدْرِي مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى أَنِّي عَنِ الرَّشْدِ فِي هَوَاهُ عَمِي

(٨٨)

وقال :

يَا نَاسِيًا عَشْرَةَ التَّصَافِي وَخَافِرًا^(١) حُرْمَةَ الذَّمَامِ
إِلَامَ أَغْرَتْ بِالْأَمَانِي فِيكَ كَسْتَمَطِرِ الْجَهَامِ^(٢)
كَأَنِّي ، فِي الَّذِي أُرْجَى بُلُوغَهُ مِنْكَ ، فِي الْمَنَامِ
وَطَالِبِ الوَصْلِ مِنْ مَلُولٍ^(٣) كَطَالِبِ المَاءِ فِي الضَّرَامِ

(٨٩)

وقال :

يَرِينِي مَا أَرَى مِنْكُمْ ، وَيَلْطَفُنِي إِلَى هَوَاكُمُ وَفَاءُ لَسْتُ أَسَامَهُ^(٤)
كَأَنِّي أُمُّ بَوٍّ^(١) تَسْتَرِبُّ بِمَا تَرَاهُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْفَكُ تَرَامَهُ^(٤)

(١) حفر به وخفزه خفرا وخفوراً : قض عهده وغدره ، كما خفزه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه أو قد هراق مائه .

(٣) يقال أملني وأمل علي : أبرئني فهو ملول وملولة وهي ملول وملولة .

(٤) البر : الحوار . وقيل جلده يحشى تبا أو ثما ما أو حشيشا لتمطف عليه الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم

التفصيل لترامه فندر عليه . والبوا أيضا ولد الناقة . ورمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

(٩٠)

وقال :

أَجِبْ دَوَاعِيَ الْهَوَىٰ بِالْأَدْمُعِ السُّجْمِ^(١) وَبُحْ ، فَمَا الْحَبُّ فِي حَالٍ بِمَكْتَمٍ
أَسْمَعْتَ يَا دَاعِيَ الْأَشْوَاقِ ذَا كَلْفٍ نَأْتِي الْحَلَّ ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُ مِنْ أُمَّ^(٢)
لِلَّهِ أَنْتَ ، فَمَا أَعْرَاكَ مِنْ مَلَلٍ يُنْسِي الْعَهْدَ ، وَمَا أَرَعَاكَ لِلذَّمِّ
وَقُلْ لِمَنْ لَأَمَ : مَا السُّلْوَانُ مِنْ خُلُقِي وَلَا مَلَأَمَةٌ اللَّوَامِ مِنْ شِيَمِي
أَهْوَىٰ بِلَا مَلَلٍ يُسَلِي ، وَلَا طَمَعٍ يُمَلِي ، وَلَا رِيْبَةً تُزْرِي بَدَىٰ كَرَمٍ
فَمَا وَفَانِي بَرْتُ الْعَهْدِ مَتَكَثْ وَلَا هَوَايَ بَوَاهِيَ الْعَقْدِ^(٣) مُنْصَرِمٍ
يَزِيدُهُ كَرَمًا مَرُّ السِّنِينَ كَمَا زَادَ الْمُدَامَةَ إِشْرَاقًا مَدَى الْقَدَمِ^(٤)

(٩١)

وقال :

مَا أَنْصَفُوا فِي الْحَبِّ إِذْ حَكَّمُوا سَلَوْا ، وَقَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمٌ
أَحْيَيْتُهُمْ فِي عُنْفَوَانِ الصَّبَا وَلَيْلُ فَوْدِي حَالِكٌ أَسْحَمٌ^(٥)
حَتَّىٰ إِذَا عَصَرُ الشَّبَابِ انْقَضَىٰ وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِي الْأَنْجُمُ
صَدَدُوا ، وَأَنْسَاهُمْ ذَمَامَ الْهَوَىٰ مَا اخْتَلَقَ الْوَاشُونَ وَاللَّوْمُ
فَن تَرَىٰ يَحْفَظُ عَهْدَ الْهَوَىٰ إِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَهُمْ مَا هُمُ
وَالْحَبُّ كَالْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْوَرَىٰ يُرْزَقُ ذَامَنَهُ ، وَذَا يُجْرَمُ
سَعَىٰ بِنَا الْوَاشِي إِيْلَيْهِمْ ، فَمَا تَتَيْنَا الْحَقَّ ، وَلَا اسْتَفْهَمُوا
وَسَمِعُ مِنْ مَلٍّ قَبُولٌ لِمَا يُزْحَرِفُ الْكَاشِحُ أَوْ يَزْعُمُ

(١) سجم الدمع : سال . (٢) من أُمَّ : من كنب .

(٣) العقد : العهد . (٤) باقى القصيدة ص ١٩٤ .

(٥) الفود : ناحية الزاس . والأنجم : الأسود .

وَلَا وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبِي لَمْ حُبَّاجِرِي مِنْ حَيْثُ يَجْرِي الدَّمُ
مَا خُتُّهُمْ عَهْدًا ، وَلَا فَاهَ لِي بِمَا رَوَى الْوَاشُونَ عَنِّي فَمُ
فَلَوْ رَأَوْا قَلْبِي رَضُوا كُلَّ مَا يُعَلِّئُهُ فِيهِمْ ، وَمَا يَكْتُمُ
دَعَا ، فَمَا يُسْمَعُ عِنْدَ الْهَوَى بَعْدَ التَّقَالِي ، فَالْقَلْبِ أَبْكُمُ
بِرَاءَةُ الْمَمْلُوكِ مَسْتَوْرَةٌ وَعُذْرُهُ الْوَاضِحُ مُسْتَهْمٌ^(١)
وَلَوْ سَعَى الطَّيْفُ بِهِ فِي الْكُرَى لَقِيلَ : هَذَا الْمُنْزَلُ الْمُحْكَمُ
فَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الْهَوَى ، إِنَّهُ بِهِ تَقْضَى الزَّمَنُ الْأَقْدَمُ

(٩٢)

وقال^(٢) :

قَسَمًا بِنِ لَمْ يَبْقَ خَوْ فُ رَقِيْبِهِ لِي مِنْهُ قَسَمًا^(٣)
خَافَ الْوَشَاةَ ، فَصَدَّ ، حَتَّى فِي الرَّقَادِ ، إِذَا الْمَا
لِأَخَاطِرِنَ بِمُهْجَتِي فِي حَبِّهِ ، إِمَا ، وَإِمَا

(٩٣)

وقال :

قُولًا لَدَا الْعَظْبَانِ : يَا ظَالِمًا يَغْضَبُ ، أَنْ أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي
أُظْنُهُ أَنْتَ ، وَإِلَّا فَلِمَ تَخْشَى دُعَايَ دُونَ ذَا الْعَالَمِ
يَا رَبِّ ، لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ - وَإِنْ جَارَ - دُعَاءُ الْمُغْرَمِ الْهَائِمِ

(١) أبهم الأمر : اشتبه كاستهم .

(٢) روى هذا الشعر في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٥) .

(٣) القسم بالكسر : العيب .

(٩٤)

وقال :

لَمَّا رَأَوْا وَجْدِي بِهِمْ تَبَجَّرُوا^(١) وَأَلْزَمُونِي الذَّنْبَ ، وَالْجَانِي هُمُ
قَالُوا : اسْتَزَارَ طَيْفَانًا ، تَبَّأَ لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ ، وَهَلْ يَنَامُ الْمُغْرَمُ
أَيْنَ شُهُودٍ مَا أَدَّعَى مِنْ حُبِّنَا أَيْنَ الشُّهَادُ ، وَالْجَوَى ، وَالسَّقَمُ
أَيُّهُ دَمُوعٌ كَلَّمَا غِيضَتْهَا^(٢) تَدَفَّقَتْ ، وَمَا زَجَّ الدَّمْعَ دُمُ
أَخْفَى الْمَلَأُ عَنْهُمْ مَائِي : مِنْ بَرَجٍ قَلَاهُمُ ، وَالْمَلَأُ أَبْكُمْ
كَذَبْتُ فِيهِمْ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلِي فَلَيْمَ أَطَاعُوا فِيَّ مَا تَوَهَّمُوا

قافية النون

(٩٥)

وقال :

مُحِيًّا مَا أَرَى ، أَمْ بَدْرُ دَجَنٍ وَبَارِقُ مَبِيسِمٍ^(٣) أَمْ بَرَقُ مُزْنٍ^(٤)
وَنَفْرٌ ، أَمْ لَالٍ ، أَمْ أَقَاجٍ وَرَيْقٌ ، أَمْ رَحِيقٌ بِنْتُ دَنْ
وَلِحْظٌ ، أَمْ سِنَانٌ رَكْبُوهُ بِأَسْمَرٍ مِنْ نَبَاتِ الْخَطِّ لَدَنِ
وَأَيْنَ مِنَ الطُّبَا أَلْحَاطُ ظَبِي ثَنَانِي عَنْ سُلوِي بِالْتَّنَانِي
إِذَا جَاءَ الْمَلَأُ لَهُ يُجْرِمُ مَحَاهُ وَجْهَهُ بِشَفِيعِ حُسْنِ

(٢) غيض دمه : نقصه .

(٤) المزن : السحاب .

(١) تبجروا عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٣) الميسم كنزل : الثمر . ودفقت : التيسم .

فِيَا مَنْ مِنْهُ قَلْبِي فِي سَعِيرٍ وَعَيْنِي مِنْهُ فِي جَنَاتِ عَدْنِ
حَبَاكَ هَوَايَ مَنِّي مُحْضٌ وَدُّ تَنَزَّهُ عَنِ مُدَاجَاةٍ^(١) وَضِعْنِ
وَقَبْلَكَ مَا تَمَلَّكَهُ حَيْبٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِ نَفْسِي لِخُدْنِ
أَحِينِ خَلْبَتِي ، وَمَلَكْتَ قَلْبِي قَلْبَتَ نَخْلَتِي ظَهَرَ الْمَجْنِ
فَهَلَّا قَبْلَ يِعْلُقُ فِي قَوَادِي هَوَاكَ ، وَقَبْلَ يَغْلُقُ^(٢) فِيكَ رَهْنِي
تُسَاوِرُنِي هُمُومِي بَعْدَ وَهْنِ^(٣) فَتَرِي كَلَّ جَارِحَةٍ بَوَهْنِ
أَلَمْ يَكْفِ الْعَوَازِلَ مِنْكَ هَجْرِي وَقَلْبَكَ مَا يُجْنُ مِنْ التَّجْنِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي إِتْفَاقِ عُمْرِي ضِيَاعًا فِي هَوَاكَ قَرَعْتُ سِنِّي
وَأَسْفُ ، كَيْفَ أَخْلَقَ عَهْدُودِي وَأَسَى كَيْفَ أَخْلَفَ فِيكَ ظَنِّي
وَأَوْجَعُ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِي وَأَي فِعَالِهَا بِي لَمْ يَسُونِي
تَقَلَّبُ قَلْبٍ مِنْ مَثْوَاهُ قَلْبِي وَجَفْوَةٌ مَن طَبَّقْتُ^(٤) عَلَيْهِ جَفْنِي

(٩٦)

وقال :

إِصْلَاحُ قَلْبِكَ أَعْيَانِي ، فَأَحْيَانِي وَالْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى السُّلْوَانِ الْجَنَانِي
كَمْ ذَا التَّجْنِي ، وَمَا ذَنْبِي إِلَيْكَ سِوَى حُبِّي ، فَصَفْعًا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِ الْجَنَانِي

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) غلق الرهن في يد المرتهن : إذا لم يقدر على اقتناكه .

(٣) الوهن من الليل : الطاقاة منه . وقيل هو نوحو من نصف الليل ، أو هو بعد ساعة منه . وقيل هو حين
دبر الليل . والوهن في آخر البيت : الضعف .

(٤) في خريدة القصر " ضمنت " وقد ذكر العباد من هذه التصيدة ص ١٠٣ ثمانية أبيات : الثلاثة الأولى والثلاثة
الأخيرة والسادس والثالث عشر :

هواك أخطأتني قصدي، وكنت أرى أن الهوى منك يدنيني ، فأقصاني
أغراك ظنك أنني لا يطاوعني قلبي إذا سئمت صبراً بهجراني
ولست أنكرُ منه فرطَ صبرته لَكِنَّهُ عن هَوَى بِالهُونِ يَنهَانِي

(٩٧)

وقال :

يَارَبِّ حُذِّ بِيدِي من ظلمٍ مُقتَدِرٍ عَلَيَّ قَدْ لَجَّ في صَدْدِي وَهَجْرَانِي
لَيْنٌ قَسَاوَتُهُ لِي ، أَوْ فَيَسَّرَ لِي صَبْرًا ؛ لِأَحْظَى بَوْضِلٍ أَوْ بَسْلَوَانٍ
أَوْ فَاظِفٍ جَمْرَةَ خَدْيِهِ ، وَأَيْقِظُ جَفْنَ نَيْهِ الَّذِينَ أَرَا قَاءَ مَاءَ أَجْضَانِي

(٩٨)

وقال :

إِذَا أَوْحَشْتَنِي جَفْوَةَ الْخَلِّ رَدَّنِي إِلَيْهِ وَفَاءً بِالْإِخَاءِ ضَائِبِينَ
كَأَنِّي أُمُّ الْبَوِّ (١) تُنْكَرُ شَخْصَهُ وَيُعْطِفُهَا وَجَدُّ بِهِ وَحْنِينَ

(٩٩)

وقال :

بِاللَّهِ يَا مُغْرَى بِهِجْرَانِي وَيَا مُسِيحَ الدَّمْعِ أَجْضَانِي
هَلْ فِي الْقَضَايَا أَنْ مَن مَاجَنِّي يَخْضَعُ بِالْعُذْرِ إِلَى الْجَانِي

(١) انظر الشرح فإسبغ في ص ٤٣

(۱۰۰)

وقال :

إلى كم أُرجمُ فيك الظنوناً وأدفعُ بالشكِّ عنك اليقيناً
وأملُ عطفتك بعدَ الحفا ، وقسوةَ قلبك لي أن تليناً
وأصبرُ للهجرِ صبرَ الأسيرِ على قده^(۱) ، صاغراً مُستكيناً
وآبى ، وقد خنتَ عهدَ الهوى ولم ترعَ ذمته ، أن أخوناً

(۱۰۱)

وقال :

زدني جوى يا حبهـم ، وأضلني
لا تنيني عنهم ، فإن صباي
أحييتهم ، أزمان غصني ناضراً
فارجع بيايـنك ، لست أول أمير
يا مرشدي عن منهج السلوان
لا تستطيعُ تطيعُ من ينهاني
حتى عسا^(۲) ، وعصى بنان الحاني
شق الغرامُ عصاه بالصيان

(۱۰۲)

وقال :

أياهاجرًا كلباً زدتُ في
ترفقتُ بقلبٍ إذا ما ذكرُ
محلّك منه محلُّ السوا
خضوعي له زادَ هجرانهُ
تَ بدأ للمحدثِ كتماه
د من ناظرٍ أنتَ إنسانه

(۱) يقال أمره بالقمه : بالسير من الجله غير المدبوع .

(۲) عسا النبات عسوا : غلظ واشتد .

(١٠٣)

وقال^(١) :

يا مُعْرَضًا^(٢) ، راضياً و غَضباناً ، وهاجِريَ ها جِعاً و يَظْطاناً^(٣)
صَدَدتَ^(٤) ، إِمّا لَهْفَةً فَرَطتَ مَنى ، وإِما ظُلماً و عُدواناً
طيفُكَ ، ما بالهُ يُهاجرنى مَن أَعْلَمَ الطيفَ بالذى كاناً

(١٠٤)

وقال :

يا فِئْتَةً عَرَضتَ لى بَعْدَ ما عَزَفتَ نَفْسى عَن الأَمْرِ و اقْتادَ الهوى رَسَنِ^(٥)
هَللاً ، و لَبِلى غَرِيبُ^(٦) ، و أنججه غَرارِبُ ، و شبابى ناضِرُ الغُصنِ

(١٠٥)

وقال :

أحِبُّها فى عَضْفانِ الصَّبَا و قلتُ : إنَّ الشيبَ يُسلِبِنى
فزادنى شَبِيبى جُنوناً بِها حَتى كانَ الشيبَ يُغْرِيبِنى
و كالشبابِ الشَّيبُ ، لا مِيزَةً بينهما عِنْدَ المُجازِينِ !

(١) رويت هذه الأبيات في الخريدة ١ : ١٠٦ .

(٢) في الخريدة « ياهاجرا »

(٣) في الأصل « وسانا » والتصويب من الخريدة

(٤) في الخريدة « هجرت » .

(٥) الرمن : الخليل وما كان من زمام بل أف .

(٦) أسود غريب : حالف .

قافية الهاء.

(١٠٦)

وقال :

يَا هَلَالًا إِذَا تَبَدَّى يَرَاهُ السُّورَى لَا يَمَلُّ رَاعُوهُ مِنْهُ
وَتَرَانِي الْهَلَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَيْلَةً ، ثُمَّ تُعْرَضُ الْعَيْنُ عَنْهُ
لَمْ يَخُنْ عَهْدَكَ الَّذِي لَمْ يُطْعَ فِيكَ نَصِيحًا ، فَلِمَ ، فَدَاكَ ، تَخُنَهُ ^(١)
كُلُّ حُسْنٍ فِي الْخَلْقِ مُجْتَمِعٌ فِيكَ ، فَإِنَّهُ لَا تَسْتَهُ ، وَضُنُّهُ
إِنْ تَكُنْ مَارَأَيْتَ مِنْ جَمْعِ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَلَايحِ فَكُنُّهُ

(١٠٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ أَوْحَشَ بِالْهَجْرِ جُفُونِي مِنْ كَرَاهَا
وَالَّذِي أَوْهَمَ عَيْنِي أَنَّ فِي النَّوْمِ قَذَاهَا
يَا مَلُولًا ، قَلْبًا اسْتُرْ عِيْ عُهُودًا فَرَعَاهَا
يَا ظُلُومًا كَلِمًا اسْتَعَطَفْتُهُ صَدَّ وَتَاهَا
زِدْتَ فِي تِيهِكَ وَالشَّيْءُ إِذَا زَادَ تَنَاهَى

(١) جزم الفعل للضرورة . وما استفهامية لا جازمة .

تَتَقَضَى دَوْلَةُ الْحُسَيْنِ ، وَإِنْ طَالَ مَدَاهَا
رَاحَتِي لَوْ سَمِعَ الشُّكْرَى إِلَيْهِ ، وَوَعَاهَا
غَيْرَ أَنْ الثَّمَّ لَا تَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ دَعَاهَا
وَهُوَ لَوْ نَادَى عِظَامِي رِمَةً لَبَيَّ صَدَاهَا
مُتَلِفٌ بِالْهَجْرِ نَفْسِي وَإِلَيْهِ مُشْتَكَاهَا
مُسْتَقَلٌّ كُلِّ مَا تَلَقَّاهُ فِيهِ : مِنْ أَذَاهَا

(۱۰۸)

وقال^(۱) :

تَخْفَى عَلَيَّ ذُنُوبُهُ فِي حَبِّهِ وَيَرَى ذُنُوبِي قَبْلَ أَنْ أُجْزِيهَا
فَكَأَنَّهُ عَيْنِي تَرَى عَيْنِي ، وَلَا يَبْدُو لِي الْعَيْبُ الَّذِي هُوَ فِيهَا

(۱۰۹)

وقال :

رَبِّتُ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْعِبَادِ نَسُوا عَهْدِي ، وَقَالُوا : مَضَى أَمْسٌ بِمَا فِيهِ
وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ : مِنْ هَوَى وَقَلِيَّ إِنْسَانُ عَيْنِي ، قَبِيحٌ بِي تَنَاسِيهِ
وَكَلَّمَا اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يُزْهَدُنِي أَقَامَ حَتَّى لَهُمْ عُذْرًا يُعْفِيهِ

(۱) البيان من مرويات المسالك لأمامة (۱۰: ۵۰۶) .

قافية الياء

(١١٠)

وقال :

يَعَالِطُنِي فِيكُمْ هَوَايَ ، فَأَنْتَنِي إِلَيْكُمْ ، عَلَى إِنْكَارِ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا
كَعَظْمَةِ أُمِّ الْبُرِّ^(١) تَرَامُ شِلْوَهُ^(٢) وَقَدْ رَابَهَا مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا^(٣)

(١١١)

وقال :

يَا سَائِلِي عَمَّا بِيَّهَ سُرُّ الْحُبِّ عَلَانِيَهَ
أُنْظُرُ إِلَى جَسَدِي ، لَتُنْخَبِرَكَ الْعِظَامُ الْعَارِيَهَ
عَنْ مُهَجَّةٍ بِالْهَجْرِ قَدْ تَلَفَتْ وَعَيْنِ جَارِيَهَ
وَصَبَابَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ أَعَابُهَا ، هِيَ مَا هَبَهَ
وَلَمِنَ الْأَوْمِ ، وَإِنَّمَا عَنِي عَلَى الْجَانِيَهَ

(١١٢)

وقال :

يَا قَرُّ ، أَعْجَبُ مَا فِيهِ دُرٌّ بَدِيعُ النَّظْمِ فِي فِيهِ
قَدَزِدْتَ فِي التِّيهِ ، وَمَنْ لَا يَرَى مَثَلًا لَهُ يُعْذَرُ فِي التِّيهِ

(١) انظر ما سبق في شرحه ص ٤٣ .

(٢) الشلو : العضو والجسد من كل شيء .

(٣) البيان من اعتبارات المساك لأسامة (٥٠٦ : ١٠) .

ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق

قافية الباء

(١١٣)

قال :

أَحْبَابَنَا مَن غَابَ عَمَّنْ يُوَدُّهُ فَسَيَانَ عِنْدِي بَعْدَهُ وَاقْتَرَابَهُ
إِذَا الْمَيْتُ وَارَى شَخْصَهُ عَفْرُ الثَّرَى فَهَلْ يَدِينُهُ أَنْ يَقْلَ تُرَابَهُ
وَكُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ فَالْأَرْضُ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَالْحِمَامُ اغْتَرَابَهُ

(١١٤)

وقال :

أَلْمِيَاءُ^(١) ، إِنْ شَطَّتْ بَنَى الدَّارُ عَنَوَةً فَدَارَكَ أَجْفَانِي الْقَرِيحَةُ وَانْحَلِبُ^(٢)
تَدَانَتْ بَنَى الْأَهْوَاءُ ، وَالبَعْدُ بَيْنَنَا وَمَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ حَزْنٌ وَلَا سَهْبُ^(٣)
وَلَكِنَّمَا الْبَيْنُ الْمُشْتُّ هُوَ الْقَلِي وَإِنْ قَرُبُوا ، وَالبُعْدُ أَنْ يَبْعَدَ الْقَلْبُ
وَكَمْ مَهْمِهِ^(٤) تَسْتَهْوِلُ الشَّمْسُ قِطْعَهُ طَوْتُهُ لَنَا الْأَشْوَاقُ نَحْوَكِ وَالْحَبُّ
عَقَلْتُ بِهِ الْعَيْسَ^(٥) الْمَرَا سِيْلَ بِالْوَجِي^(٦) إِلَيْكَ ، فَأَدْنَتْنَا الْمُطْهَمَةُ^(٧) الْقُبُ^(٨)

- (١) لى كرضى لى وكى لى : اسودت شفته ، وهو ألى وهى لى .
(٢) انحلِب بالكسر : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو جهاها .
(٣) السهب : الغلالة . والحزن : ما غلظ من الأرض .
(٤) المهمة : المغازاة البعيدة .
(٥) العيس بالكسر : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة .
(٦) الوجى : الحفى وهو أن برق القدم والحافر .
(٧) المطهمة : التامة الخلق .
(٨) الخليل القب : الضوا مر .

فلما وصلنا (برقعيد^(١)) تماشدت على صباباتي ، وعنفتي الركب
ولج اشتياق ، كنت أتهم التوى عليه ، إلى أن زاد سورته^(٢) القرب
فأيقنت أن لا قرب يشني من الجوى ولا ينقضي ذا الحب أو ينقضي النخب^(٣)

(١١٥)

وقال :

يا أمرى بالصبر ، إنَّ الين موعده الغروب
والصبر محمود العواقب ، لو أطاقت القلوب
لكن أباه على أحشاء يلقلها النخب
ومدامع كالبحر ، لا يربحى لمفعمه نضوب

(١١٦)

وقال^(٣) :

يادهر ، مالك لا يصدك عن إساءتي العتاب
أمرضت من أهوى ، وياً بي أن أمرضه الحجاب
لو كنت تُنصفُ كانت الأمراض بي^(٥) ، وله الثواب

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين (ياقوت) .

(٢) سورة الخمر وغيرها : حديثها .

(٣) النخب : الأجل .

(٤) هذه القطعة مما روى لأسامة في ياقوت ٢ : ١٩٧ وخريدة القصر ١ : ٥٠٠ .

(٥) الرواية في ياقوت « ل » .

(١١٧)

وقال :

عَلَامَ يَا دَهْرُ، بِالْعِدْوَانِ تَحْسِنِي فِي غَيْرِ جَنَسِي، وَلَمْ أَفْقَدَ، وَلَمْ أُغْبِ
هَلَّا بِأَذَى الْعَذَائِيْنَ ائْتَنَعْتَ لَنَا فَالذَّبُّ أَرْوَحُ مِنْ تَعْلِيْبِ مُعْتَرَبِ

(١١٨)

وقال :

رَمَتْنَا اللَّيَالِي بِاقْتِرَاقِ مُشْتَّتِ أَشْتَّ، وَأَنَايَ مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ^(١)
تَحَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ، وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا وَشَعْبَهُمْ وَشَكُّ النَّوَى كُلِّ مَشْعَبِ^(٢)
وَقَدْ نَثَرَ التَّوْدِيْعُ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَلَى كُلِّ خَدٍّ لَوْ لَوْأَ لَمْ يُثَقِّبِ

(١١٩)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَيْشَةً قَدْ تَنَكَّدَتْ عَلَيَّ، وَدَهْرًا قَدْ أَحْتَّ نَوَابِئُهُ
تَنَكَّدَرُ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءِ نَمِيرُهُ وَأَحْزَنَ مِنْ بَعْدِ السُّهُولَةِ جَانِبُهُ
وَقَصَّرَ كَفِّي عَنْ نَوَالٍ تُنِيلُهُ وَزَاوَلَهَا عَنْ نَيْلٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

(١) المحصب : موضع رى الجمار، نى .

(٢) المشعب : الطريق .

(١٢٠)

وقال :

إلى كم أعتنى بالسرى والسباسب^(١) ويصدع شملى بالنوى والنواب
فمن لاقه يوماً من الدهر منزلاً فما منزلى إلا ظهور النجائب^(٢)
ومن رآه خيل يسر يقربه فيا ويح قلبي من فراق الأقارب
فلى كل يوم من جوى الهم صاحب يُجدد أجزاني على فقد صاحب
ولى منزل ما مس جلدى ترابه ولا فيه أترابي ، وملهى ملاعبى

(١٢١)

وقال :

أمسبت مثل الشمع : يُسرق نوره والنار في أحشائه تتلهب
حيران ، وجهى للتجميل^(٣) ضاحك طلق ، وقلبي للهموم مقطب

قافية الجيم

(١٢٢)

وقال :

لم ينه العذل ، لكن زاده لهجا والعأل مما يزيد المستهام شجى
أضعت نصحك فيمن ليس يسمعه ولا يرى في ضلالات الهوى حرجا

(٢) النجائب : جمع نجبية ، وهى الناقة الكريمة .

(١) انظر ما سبق من شرحه ص ١ .

(٣) التجميل : التصبر .

ما قلبه حاضرُ النَّجْوَى ، فیردُّه الذِّ
مدلهٌ ، فارقَ الأحبابَ أغْبَطَ مَا
یستخبرُ الدَّارَ عنهم صبوةٌ ، فإذا
فاضت بِقَانِي الدِّمِ المنهلُ مقلتهُ
یاویجُهُ من جوی یغدو علیه، ومن
أفدى خيالاً سرى ليلاً، فأشرقَ الدُّ
عجبتُ منه ، تخطى الهولُ معترضاً
إذا رأيتُ حبابَ الرّاجِ مُتظماً
یالی من الین ، لازالت مَظِیئُهُمُ
سارت بآنسانِ عینی فی هوادِجِهَا
فارقَهُم ، فكأنی ما سررتُ بِهِمُ
اهی ، ولا نھیةُ فی سمعه وِلحَا
كانوا ، وكانَ بِهِمُ جدلانَ مُبتهِجَا
أعیتَ علیه جواباً ناحَ أو نَشِجَا (١)
فكلُّ راءٍ رآها ظنَّها ودَجَا (٢)
جوى یروحُ ، إذا لیلُ الهمومِ دَجَا
نیا بأنواره ، والصبحُ ما انبَلَجَا
أرضُ العدا ووشاةُ الحی ، کیف نَجَا
ذکرتُ ذاك الرضابَ العذبَ والبلجَا (٣)
حسری ، إذا ارتحلتُ ، معقولةٌ یوجی (٤)
فا رأتُ منظرًا من بعدهمُ بهِجَا
یوماً ، وقد عشتُ مسروراً بِهِمُ حججَا

قافية الحاء

(١٢٣)

وقال :

كَمَّ ابْجَوَى الْقَلْبُ الْقَرِيحُ فَأذَاعَهُ الدَّمْعُ الْفَضُوحُ
إِنَّ الدَّمْعَ هَا لَسَ أَنْ بِالْأَسَى لَسِنٌ فَصِيحُ

- (١) نشج الباكي نشيجا : غص بالكاء في حلقه من غير انتخاب .
(٢) الودج : عرق في العنق .
(٣) البلج : قارة ما بين الحاجبين .
(٤) الوجي : الحضي . راجع ص ٥٤

وَإِذَا الدَّمُوعُ تَزَحَنَ فَالزَّفَرَاتُ بِالشُّكُوى تَبُوحُ
أَحْبَابِنَا ، كَمْ ذَا يُشْتَتُّ شَمَلْنَا الْبَيْنُ الطَّرُوحُ^(١)
وَكِمِ التَّفَرُّقُ ؟ ! أَنْ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ ، وَأَنْ تَرُوحُوا
مَاذَا يُجِنُّ مِنَ الْحَيْنِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْقَرِيجُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوَرَقِ^(٢) فِي أَغْصَابِهَا أَبَدًا تَنُوحُ
لَكِنَّا غَاضَتْ مَدَا مَعَهَا ، وَلى دَمْعُ سَفُوحُ
مَرْجَتُهُ بِالذَّمِّ مَقْلَةٌ إِنْسَانُهَا أَرِقُ جَرِيجُ
يَا لَأَنمَى^(٣) فِيهِمْ سَهْرٌ تُوَامَ عَنْ لَيْلِ النَّصِيحُ
يَلْحَى الْمُرُوعَ بِالنَّوَى وَهُوَ الْخَلِي الْمُسْتَرِيحُ
يَأَى مِنَ الْحَسْرَاتِ ، كَمْ تَغْدُو عَلَى ، وَكَمْ تَرُوحُ
لَمْ يَبَقْ مِنْ لَدُنِي وَأَتْرَابِ الصَّبَا خِلُّ نَصُوحُ
غَالَتُهُمُ الدُّنْيَا ، رَصَدَ عَ شَمَلَهُمْ زَمَنٌ نَطُوحُ
أَنَا بَعْدَهُمْ مَيْتٌ ، وَلى مِنْ جَسْمِي الْبَالِي ضَرِيحُ
فِيهِ ذَمًّا^(٤) رُوحٌ مَنِبَّتْهَا غَبُوقٌ أَوْ صَبُوحُ
وَقَلْبًا تَبَقَى ، وَكَمْ تَبَقَى مَعَ التَّعْذِيبِ رُوحُ
أَفَلَا لِقَاءً يَذْهَبُ الْحَسْرَاتِ ، أَوْ مَوْتٌ مُرِيحُ

(١) الورق : جمع ورقا ، وهي الحساة .

(٢) الذم : بقية النفس .

(٣) طرحه . رماده وأبعده .

(٤) في هامش الديوان (بانا صحن) .

(١٢٤)

وقال :

يَأْتَا زَحِينَ وَاصْطَبَارِي وَالْأَمَى يُجِئُ^(١) ذَا دَمِي ، وَهَذَا يَتَزَحُ
لَا أَسْأَلُ الْآيَامَ تَعْوِيضًا بِكُمْ لَأَنهَا بِمِثْلِكُمْ لَا تَسْمَحُ
غَيْبُكُمْ ، وَأَشْبَاحُكُمْ يَنَظَرِي كَأَنَّهَا إِنْسَانُهُ ، لَا تَسْبِرُ
وَلَا نِيَمُ يَوْمُ فَيْكُمُ ، وَالْهُوَى يُصْحِبُهُ^(٢) طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَجْمَعُ
يَلِجُ فِي نُصْحِي ، وَمَا أَشْغَلَنِي بِالْيَيْنِ وَالْمُهْجَرَانِ عَمَّنْ يَنْصَحُ

قافية الدال

(١٢٥)

وقال :

يَا دَارُ ، إِنْ بَحَلَّتْ عَلَيَّ مَغْنَاكَ سَارِيَةَ الْعِيَادِ^(٣)
فَلَا تُطْرِنَنَّكَ مِنْ دُمُو عِي مَا يَنْوِبُ عَنِ الْغَوَادِي
كَمْ حَلَّ رَبْعَكَ مِنْ غَضَبِي ضِ الطَّرْفِ مِمَّنُوعِ الْوَدَادِ
يَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ فَهِيَ عَلَيْهِ حَائِمَةٌ صَوَادِي
فَرَمَتْ جُمُوعَهُمُ اللَّيَا لِي بِالْتَشْتِ وَالْإِعَادِ
وَصُرُوفُ هَذَا الدَّهْرِ تَطْرُقُ بِالْجَوَادِثِ ، أَوْ تَقَادِي
يُحْسِنُ لَا عَمْدًا ، وَيَا تَيْنِ الْإِسَاءَةَ بِاعْتِمَادِ

(٢) أصحاب : ذل وناقاد .

(١) أجم الماء : تركه يجمع .

(٣) في أساس البلاغة : سقطت العياد من أمطار الربيع بعد الوسمي . الواحدة عيادة .

مالي وللايام؟! كم تُصمِي نوافذها^(١) فؤادي
رَنَقن^(٢) من وِردِي، وأمَّ حَلَّ جَورِها عمداً امرأدي^(٣)
وقصدتني سنوابٍ والينهن بلا اقتصاد
ومنها :

وإليك أشكو برحهم كلَّ يومٍ في ازدياد
حَظَر الشُّرورِ على فؤادٍ لا يسرُّ بمِسْتَفادٍ
لولا تألُّه بما يلقى لعدَّ من الجماد

(١٢٦)

وقال :

أَتظُنُّ صَبْرَكَ مُنْجِداً إنْ أنْجِدُوا
إني لأحسبُ أنَّ قلبَكَ ذاهِلٌ
هذا الفِراقُ هو النِّراقُ، فإنْ تُطِقْ
قالوا : غداً لِنَوى الأحبَّةِ موعِدٌ
فإلامَ تَحْتَسِبُ الدِّموعَ ، وللنَّوى
حَمَلتَ نَفْسَكَ يا ضَعيفُ من الهوى
ووردتَ جهلاً مورداً لا مَصادرُ
هيات : ليس لمِسْتَهامٍ مُسْعِدُ^(٤)
عما سَيلَقِي في غَدٍ أو جَلَدُ
جَلداً ، فِيعادُ اللِّقاءِ المَوعِدُ^(٥)
والدَّهرُ أجمَعُ بعدَ ليلتِنَا غَدُ
ذُحِرَتْ ، وأى ذَخيرةٍ لا تَنفَدُ
ما لَيْسَ للجَلَدِ الحَلِيُّ به يدُ
عنه ، فقد أهلكَ ذاكَ المورِدُ

(١) أصمى العيىد : رماه قتل مكانه . والنوافذ : السهام النافذة .

(٢) رنقه : كدره .

(٣) المراد بالفتح : مرعى الإبل ، من راد النعم في المرعى رابداً .

(٤) أسعد : أعان . وأنجد : دخل نجداً . (٥) الموعِد : يوم القيامة .

أَنِي جَسَرْتُ عَلَى الْفِرَاقِ وَأَنْتَ فِي قُرْبِ الدِّيَارِ بِهِمْ مَعْنَى مُكْمَدُ
فَارَقْتَهُمْ ثَقَّةً بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ فَاصْبِرْ لِنِيرَانِ الْأَسَى يَا مُوقِدُ
لَوْ رُضْتَ قَلْبَكَ فِي الدُّنُوِّ بِهِجْرَهُمْ لَعَلِمْتَ بَعْدَ الْيَنِّ هَلْ تَنْجَلِدُ

(۱۲۷)

وقال :

مَا يُبْكَرُ الْأَخْلِيَاءُ مِنْ كَدِي لَا جَزَعِي مُسْعِدِي ، وَلَا جَلْدِي
خَانَ اصْطِبَارِي ، وَغَاضَ بَعْدَ نَوِي الْأَحْبَابِ دَمْعِي ، وَكَانَ مِنْ عُدْدِي
وَكَلَّمَا أَضْرِمْتَ حَشَايَ لَدُنْكَ رَاهِمٌ ، تَأَوَّهْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : قَدِي (١)
فَلَوْ رَمَتِ بِالشَّرَارِ بَعْدَهُمْ أَحْنَاءُ صَدْرِي ، مَا قُلْتُ : وَيَا كَدِي
أَحْبَابِنَا ، دَعْوَةٌ أَحْسَى لَهَا - لَوْ أَسْمَعْتُمْ - بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَهْ لِعَيْشِي ، مَا كَانَ أَنْعَمَهُ بِقُرْبِكُمْ ، وَالزَّمَانُ طَوَّعَ يَدِي
أَيَّامٌ وَرَدِي مِنْ مَاءِ أَوْجِهِكُمْ عَذْبٌ ، وَقَلْبِي بَعْدَ الرُّوْدِ صَدِي
فَفَرَّقْتَنَا النَّوِي ، فَوَاطَمِي إِلَى ارْتِشَافِ الْعُقَارِ (٢) مِنْ بَرْدِ
وَيَا أَيْحَى الْبِرِّي ، أَعْيُذُكَ مِنْ لَوِي ، فَكُلِّ الْعُقُوقِ فِي فَنْدِي (٣)
أَفْضِ مَعِي عِبْرَةَ التَّجْمِيلِ إِسْعَافًا لِبَاكِ بَعْبِرَةَ الْكَمْدِ

(۱۲۸)

وقال :

دَعُونِي أَيْحَى ، مَا مَثَلُ وَجْدِي يُجْعِدُ عَسَى جَمْرَاتُ فِي الْجَوَانِحِ تَمْحَدُ
أَجْسَمُ نَفْسِي كَتَمَ مَا أَنَا كَاظِمٌ عَلَيْهِ ، وَمَا لِي بِاللَّذِي رَمْتَهُ يَدُ

(١) قد : اسم فعل مرادة ليكن ، واسم مرادف لحسب . (٢) العقار : الحمر .

(٣) الودع فتم الغاء والنون : إنكار العقل من الهرم أو المرض ولا يستعمل في غير الكبير .



ووجدى بمن فارتت، لولا تجلدى
وما قدر^(۱) ما يجدى على التجلد!
كوجد ليبد، أو كوجد متمم
ومن مالك مع من فقدت وأربد^(۲)

(۱۲۹)

وقال :

أيلام مسلوب الفؤاد فقيده
بحمد الغرام، فأنبتته شهوده
والسر في يوم الوداع كأنه
قبس تصرم في الظلام وقوده
وإذا أقرت بالهوى زفراته
لم يغن عنه، وإن أصر، بجوده
برح الخفاء، وبان بأسك منهم
فإلام أنت جوى الفؤاد عميده
يبي الزمان هوى القلوب، وجههم
ولا يضمحل، ولا يرب^(۳) جديده
وكان دمعك حين يخطر ذكركم
عقد وهى، فانتال منه فريده
تحمى الغمام: زفير شوقك برقه
وتشيج دمعك وبله ورعوده
تبكى لأنتك الحام، وطالما
هاج الجوى لأبى الهوى تعريده
ياراقد الأجفان عن قلب الحشا
ولهان أفدى طزفه تسهده
ماذا عليك إذا بكى أحبابه
ذو غربة نانى المحل بعيده

(۱۳۰)

وقال :

ولما تصافينا وأخلص ودنا
ورد بيأس كاشح وحسود
طرت هجرة لم محتسب، وتقطعت
علائق وصل، واستمر صدود

(۱) في هامش الديوان : " وإن قل " .

(۲) مالك بن نويرة وأخوه متم شاعران وليدين ربيعة وأربد بن ربيعة شاعران . وانظر القلمة: (۳۳۱) ص ۲۱۰ .

(۳) رث : بلى .

فَلَيْتَ زَمَانَ الْهَجْرِ يَنْقُصُ مِنْ مَدَى حَيَاتِي ، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَعُودُ
وَكَانَتْ لَيْلِي الْوَصْلِ مُشْرِقَةً بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُورِدُ

(١٣١)

وقال :

أَسِيرٌ إِلَى أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَفِي الْحَشَا لِيُغْضَمُ نَارٌ تَلْظِي وَقُودَهَا
إِذَا زُرْتُمَا طَالَتْ طَرِيقٌ ، وَإِنْ أَعْدُ "أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي ، وَيَدْفُونُ بَعِيدَهَا"

(١٣٢)

وقال :

إِذَا مَرَّ ذِكْرًا لَمْ يَبْقَى تَضَائِقَتْ ضُلُوعِي عَمَّا تَحْتَهُنَّ مِنَ الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْ كَسْتَيْنَا بَعْدَ الْفَةِ وَمَنْ نَقَلْنَا بَعْدَ الدُّنُوِّ إِلَى الْبَعْدِ

(١٣٣)

وقال :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ يَا قَلْبِي ، فَإِنْ خَفَيْتَ سَبِيلُهُ عَنْكَ ، فَاسْأَلْ عَنْهُ مِنْ فَقْدَا
فَلَنْ تَرَى وَاجِدًا فِي النَّاسِ فَارِقًا مَنِ يَهْوَى ، فَأَجْدِي عَلَيْهِ أَنْ قَضَى ^(١) كَمَدَا
بِالْأَمْسِ رَاعَكَ بَيْنَ مَا احْتَسَبْتَ بِهِ عَسَى الْلِقَاءُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْ غَدَا

(١) قضى : مات .

(١٣٤)

وقال :

هَبْ أَنْ مِصْرَجِنَانُ أُخْلَدَ: مَا اشْتَهَتْ النُّفُوسُ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ مَوْجُودُ
مَاذَا انْتَفَاعِي إِذَا كَانَتْ زَحَارِفُهَا مَوْجُودَةً ، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَمَا الْحَيَاةُ لِمَنْ بَانَتْ أَحْبَبُهُ رِضًا ، وَلَا هُوَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ

(١٣٥)

وقال :

بِنَفْسِي بَعِيدُ الدَّارِ ، بِي مِنْ فِرَاقِهِ جَوَى لُورَاهُ الْبُعْدُ رَقَّ لِي الْبُعْدُ
يَقْلِبِي مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ ، وَلَوْعَةٍ عَلَيْهِ ، غَلِيلٌ لَيْسَ يُبْرِدُهُ الْوَرْدُ
وَمَا بَرَدَ أَحْسَانِي عَلَى مَا تَضَمَّنْتَ مِنْ الْوَجْدِ إِلَّا مِثْلَهَا بَرَدَ الزَّيْدُ

(١٣٦)

وقال :

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أَرْضِ تَمَجِدٍ وَأَهْلِهِ نَوَى غُرْبَةَ كَالصَّدِجِ فِي الْحَجْرِ الصَّلْدِ
وَقَدْ قِيلَ: فِي الْيَأْسِ الشَّمَاعِ مِنَ الْهَوَى وَدَانِي الَّذِي أَقْضَى بِهِ الْيَأْسُ مِنْ تَمَجِدِ
بِلَادُ بِهَا صَاحِبَةٌ شَرَحَ شَيْبَتِي وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الْكِرَامَ ذَوِي وُدِّي
إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ تَدَمَّتْ حَتَّى مَا أُعِيدُ ، وَلَا أُبْدَى

(۱۳۷)

وقال :

أَقُولُ لِعَيْنِي يَوْمَ تُوَدِّعُهُمْ وَقَدْ جَرَتْ بِنَجِيعٍ^(۱) فَوْقَ خَدَّيْ مُرَبِّدٍ :
خُدَى بِنَصِيبٍ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ وَدُونِكَ ، وَالدمَعُ [المخضِبُ]^(۲) فِي عَدِّ

(۱۳۸)

وقال :

قَدْ مَرَّنتِ قَلُوبُنَا عَلَى النَّوَى فَا تَسَكَّى مِنْ أَلِيمِ الْوَجْدِ
كَأَنَّ حُسْنَ صَبْرِهَا عَلَى لَغَى أَشْوَاقِهَا حُسْنُ اصْطِبَارِ الزَّنْدِ

(۱۳۹)

وقال من قصيدة عند الخروج من مصر مع الأفضل عباس^(۳) :

أَتَمُّمْ فِيكُمْ لَانِمَى ، وَأَنْجِدَا ، وَمَا أَفَادَ سَلْوَةٌ إِذْ فَنَدَا^(۴)
أَرْشَدَنِي بِزَعْمِهِ ، وَمَا أَرَى سُلُوَّ قَلْبِي عَنْ هَوَاكُمُ رَشَدَا
يَا لَانِمَى فِيهِمْ ، أَعَدَّ ذِكْرَهُمْ وَاللَّوَمَ فِيهِمْ ، وَأَنْجِذْ عِنْدِي يَدَا
رُوحَ بَذِكْرَاهُمْ فَوَادَا مُضْرَمًا لَوْمَاتَ حَوْلًا كَامِلًا مَا بَرَدَا
لَوْ كَانَ مَا يَشْكُوهُ مِنْ حَرِّ الْأَسَى نَارًا لَبَاخَتْ ، أَوْ زَنَادَا أَصْلَدَا
لَا تَحْسَبَنَّ الْيَأْسَ أَسْلَانِي ، وَلَا أَنْسَانِي النَّأْيُ هَوَى مِنْ بَعْدَا
شَرِطُ الْهَوَى لَمْ عَلَى أَنِّي بِهِمْ مَعْنَى الْقَلْبِ صَبُّ أَبَدَا

(۱) النجيع : دم الجوف . (۲) نكاة ياض بالأمل بمثابة يستقيم الوزن ويحمل المعنى .

(۳) هو عباس بن يحيى الصنهاجي وزير الظاهر العاطمي ، وهو الذي اتهم ولده نصر بقتل الخليفة ، فهربا من مصر .

وصحبا في خروجهما أسامة .

(۴) أتهم : أتى تهامة . وأنجدا : دخل نجدا . وفند : خطا الرأي .

لا أَسْتَفِيحُ مِنْ هَوَى رَلَا إِلَى
أَفْدَى خِبَالًا زَارَ رَحْلِي مَوْهَنَا^(١)
عَهْدَتُهُ مُوسِنًا رَأْدُ^(٢) الضُّحَى
عُلَاةَ عَلَّيِي الشُّوقِ بِهَا
ثُمَّ هَيْبَتُ، لَا بِكَ الْوَجْدُ الَّذِي
مُدَهَّمًا، أَمْسَحُ عَيْنِي، عَسَى
كَفَانِيصِ فَاتَ الْقَنْبِصُ يَدَهُ
أَحْبَابِنَا وَحَبْدًا نَدَاؤُكُمْ
غَالَتْ يَدُ الْآيَامِ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا لَأَصْطَبَارِي مَدْدُ بَعْدِ النَّوَى
لَكِنِّي مَا رُمْتُ إِطْفَاءَ الْجَوَى
يَا رَوْعَتَا لَطَائِرِ نَاحَ عَلَى
أُظْنُهُ فَارِقُ الْأَفَا، كَمَا
أَدْمَى جِرَاحَاتِ بَقْلِي لِلنَّوَى
لَكِنْ يَهِيحُ لِلْحَزِينِ بَيْتُهُ

ومنها :

فَقُلْ لِمَنْ أَشْمَتَهُ فِرَاقُنَا
إِنْ سَرَّكَ الدَّهْرُ بِنَا الْيَوْمَ فَهَلْ
وَسْرَهُ أَنْ جَارَ دَهْرًا وَاعْتَدَى:
أَمْنَتَ أَنْ يَسَّرْنَا فَيْكَ غَدَاً^(٥)

(١) الموهن : نحو من نصف الليل .

(٢) رَأْدُ الضُّحَى : وقت ارتفاع الشمس عند انقراض الأول من النهار وانسحاب ضوئها وذلك شاب النهار . وموسنا :

من الوسن وهو شدة النوم .

(٣) القُدْفد : القلاة . (٤) الإسوة بالكسر وتضم : القُدوة وما يأتي به الحزين . الجمع : إسي بالكسر ويضم .

(٥) راجع القطعة (٣٣٢) ص ٢١٠ .

قافية الذال

(۱۴۰)

وقال :

صَدُوهُ ، وَهُوَ صَدِيٌّ^(۱) الْفُوَادِ إِلَيْهِمْ ظَالِمٌ ، يَحُومُ عَلَيْهِمْ وَيَلُوذُ
وَبِعَهْدِهِمْ إِنْ حَافَظُوا مِيثَاقَهُ زَمَنَ الْوِصَالِ مِنَ الصُّدُودِ يَعُودُ
وَبَلِيَّةُ الْمَشْتَانِ أَنَّ هَمُومَهُ مَجْمُوعَةٌ ، وَفُوَادَهُ مَشْدُودٌ

قافية الراء

(۱۴۱)

وقال :

لَا غَرَوَ إِنْ هَجَرَ الْخِيَالَ الزَّائِرُ مَا يَسْتَرِيرُ الطَّيْفَ طَرْفٌ سَاهِرُ
دُونَ الْكِرَى خَطِرَاتٌ هَمٌّ ذُدْنَهُ عَنْ نَاطِرِي ، فَهِيَ النَّوَارُ^(۲) النَّافِرُ
لَا سَوْرَةَ الصَّبَاءِ^(۳) تَصْرِفُهُ ، وَلَا يُلْهِى فُوَادِي حِينَ يَطْرُقُ سَامِرُ
وَإِذَا فَرِعْتُ إِلَى الْأَمَانِي صَدْنِي يَأْسٌ يُحَقِّقُهُ الزَّمَانُ الْخَلَّازِرُ^(۴)
أَسْتَعِطِفُ الْأَيَّامَ ، وَهِيَ صِرَادِفُ وَالْوُمَهَا ، وَهِيَ الْمِصْرُ الْجَلَّازِرُ
وَتَرِيدُهَا الشُّكُوبِي إِلَيْهَا قَسُوءٌ وَلَقَلَّمَا يُسْكِي^(۵) الظُّلُومُ الْقَادِرُ
أَشْكُو حِرَاحَاتٍ بَقَلْبِي تُعْجِزُ الْآ سِي ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا السَّابِرُ

(۱) الصدى : العطنان .

(۲) النوار : المرأة الفجور من الرية .

(۳) الصباء : الخمر .

(۴) الخنزير : الفند والخبذة ، أو أرقع الفندر .

(۵) أشكى : أزال شكايته .

غَيْرَتْ عَلَى دَخَلٍ، ووروعات النوى
وعلى الركائب، لو أباح الدمع لى
ساروا بقلب أسيرهم بعدهم
ناضت دموعى فى المنازل واروعى
إن لم أسمع بها سحاب أدمع
أحمل الأطلال مئة عارض^(۳)
إنى إذن بسئون عني بأخل
يقرفن^(۱) ما دمل الزمان الغابر
نظراً إلى تلك الخدور، جاذر
متلدد^(۲)، فهو المقيم السائر
صبرى، وراجعتى الرقاد النافر
ينجاب خشيتها الغمام الباك
وسحاب دبعى مستهل مطر
وبعهد من سكن المنازل نادر

(۱۴۲)

وقال :

تتأقوا، وما شطت بنا عنهم الدار
هم جبرتي، والبعد بنى وبينهم
لهم منى العتي، إذا ما تجرموا
أجيرة قلبى، والذين هواهم
تظنون أن الصبر ينجد بعدكم
إذا عن ذكراكم عرتى سكرة
حفظت هواكم حفظ جفن لمقلة
وعار يكم أن تعتريكم ملالة
ومالت بهم عنا خطوب وأقدار
وأعجب شىء بعد من هو لى جار
وبذل الرضا، إن أنصفونى، أو جاروا
توافق إعلان عليه وإسرار
على بعدكم، هيات، صبرى غيرار
كأنى سقانى البالية نمار^(۴)
وضاعت مودات لديكم وأسرار
وحاشى هواكم أن يدنسه العار

(۱) القرف : التمس فى المرض . والدخل : القدر والمكر . والفبر : فساد الجرح .

(۲) تلدد : تلفت يمينا وشمالا وتحير متبدا وتلبث .

(۳) العارض : السحاب المترض فى الأقن .

(۴) البالية : نمر تنسب إلى بابل : مكان فالداق .

أَعَاتِبِكُمْ ، أرجو عواطف وُدِّكُمْ
ومن عجبٍ أتى أرقتُ لراقِدٍ
أحينَ استرقَّ القلبَ ، وانتادني الهوى
أصدي لصدي ، واعتزته ملالةٌ
فهللاً ودمعي ، ما أريقتُ جِمامهُ^(١)
وفيكُم على ما أوجبَ العتبَ إصرارُ
وألزمني حفظَ المودةِ غدارُ
وأسلاني من حُسنِ صبري أنصارُ
قَضَتْ بيَعادى ، والملاواتُ أطوارُ
وتَلَبَّى لم تُسَعَّرَ بأرجانه النَّارُ

(١٤٣)

وقال^(٢) :

مأنتَ أولُ من تناءتَ دارهُ
إما السُّلُوُ أو الحمَامُ ، وما سوى
ما بَعْدَ يَوْمِكَ من لقاءٍ يُرْتَجَى
هذا وَهُوَكَ لِلودَاعِ ، وهذه
فاستبقي دمعَكَ فهو أولُ خاذلٍ
مَدَدُ الدَّمُوعِ يَقلُّ عن أمدِ النَّوَى
ليتَ المطايا ما حُلِقنَ ، فكم دِمٍ
ما ماتَ صبُّ إترِ إلفِ نازجٍ
فلو استطعتُ أبحتُ سببي سَوْقَهَا
لو أنَّ كلَّ العيسِ ناقةٌ صالحٍ
فعلامَ قلبك ليس نخبو نارهُ
هَذينَ قسماً ثالثُ تختارهُ
أو يلتقي جُنْحُ الدُّجَى ونهارهُ
أطعانُ من تهوى ، وتلكَ ديارهُ
بعد الفراقِ وإن طما تيارهُ
إن لم تكنَ من لُحَّةٍ تَمْتارهُ^(٣)
سفكنه يُثقلُ غيرها أوزارهُ
وجداً به إلا لَدَيْهَا ثارهُ
حتى يعافَ دماءهُنَ زرارهُ^(٤)
ما ساعني أتى الغداةُ قُدَارهُ^(٥)

(٢) روى بعض هذه القصيدة في الخريدة ١ : ١٠٢ .

(٤) الفرار : حد السيف .

(١) الجمام : منظم الماء .

(٣) امتاز : جلب الطعام .

(٥) قدار : عاقرة ناقة صالح .

مَا حَتَفُ أَنْفُسَنَا سِوَاهَا ، إِنَّمَا
 وَاهَاً لِمَغْلُوبِ الْعِزَاءِ تَنَاصَرْتُ
 هَاجَتْ لَهُ الدَّاءُ الْقَدِيمَ أُسَاتُهُ
 كَتَمَ الْهُوَى ، حَتَّى وَنَتْ لُوَامَهُ
 وَمَحَجَّبٍ كَالْبَدْرِ : يَدْنُو نُورَهُ
 يَحْكِي الْغِزَالَةَ وَالْقَضِيبَ قَوْمَهُ
 فِي غَلَّةٍ أَقْضَى بِهَا مِنْ حُبِّهِ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَعَافَ مَعَ الظُّلْمِ
 أَشْتَاقُهُ ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَازِرِي
 إِنْ لَمْ أَمُتْ أَسْفَأَ عَلَيْهِ ، فَإِنِّي
 يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا ، وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ
 مَالِي إِذَا عَاتَبْتُ قَلْبِي فِيكُمْ
 وَإِذَا عَرَضْتُ عَلَيْهِ وَصَلَكِ صَدَّهُ
 فَإِلَى مَتَى يُمَسَى وَيُصْبِحُ فِي لَطْفِي .
 مُتَضَادِدَ الْأَحْوَالِ بَيْنَ غَرَامِهِ
 أَمَلْتُ مِنْ دَاءِ الْهُوَى إِفْرَاقَهُ (٣)
 وَفِرَاقُ مَجْدِ الَّذِينَ مُعْظَمُ دَائِهِ
 فَارْقَتُهُ وَظَلَمَتْ أَنْتَ لَيْبِنِنَا

(٢) الأوار: اللب .

(٤) سنجار: مدينة .

(١) مذاق الود: لم يخلصه فهو مذاق ومذاق .

(٣) أفرق من مرضه: برى .

وأخافُ أنَّ الينَ يُقْدِي ناظري
بِفراقِهِ ، ما أومَضْتُ أشْفارُهُ
ظَنًّا سَرَى الإِشْفاقُ في تَرْجيمِهِ^(١)
ولربِّما أَرْدَى الشَّفِيقَ حَدارُهُ
وإذا القُنُوطُ دَجَى عَلى ظلامِهِ
وضَحَ الرِّجاءُ ، ولاحَ لى إِسْفارُهُ^(٢)
ووثقتُ بِاللُّطفِ الخَنيِّ مِنَ الَّذي
تَجْرى بِما يَلقَى الفَتى أَقدارُهُ

(١٤٤)

وقال بمصر من قصيدة ، وقد بلغه أن بعض من أشار إليهم في القصيدة التي على حرف الميم لما سمعها ، قال : هذه كلها مسروقة ، ولم يفرق بين التضمين والسرقة ، فقصد التضمين في هذه القصيدة^(٣) :

أطاعَ الهوى من بَعْدِهِم ، وَعَصَى الصَّبْرُ
فليسَ لَهُ نَهْيٌ عَلَيْهِ ولا أَمْرُ^(٤)
وعاودَهُ الوجدُ القَدِيمُ ، فَشَقَّهُ^(٥)
جَوَى ضاقَ عَن كِتامَةِ الصِّدْرِ وَالصَّبْرُ
كانَ النَّوى لَمْ يَخْتَرِمَ غيرَ شَمَلِهِ
ولم يَجْرِ إِلاَّ بِالَّذي ساءَهُ القَدْرُ^(٦)
وهل لِنَبِيِّ الدُّنيا سرورٌ ، وإِثْمًا
هو العِيشُ والبُوسى ، أو المَوْتُ والقَبْرُ
وكلُّ اجْتِماعٍ مُرَصَّدٌ لَتَفْرِقُ
وكلُّ وصالٍ سَوفَ يَعبِقُهُ هِجْرُ
وما يَدْفَعُ الخُطْبَ المُلِمَّ إِذا عَرى
سوى الصَّبْرِ ، إِلاَّ أَنَّهُ كاسِمُهُ صَبْرُ
أَسْكَانَ أَخفافِ العَواصِمِ دَعوَةٌ
بِئفَى بَرودًا ، وهى في كَبدى جَمْرُ^(٧)

(٢) أسفر الصبح : أضاء .

(١) الترجيم : الطلق .

(٣) راجع بقية هذه القصيدة ص ١١٩ .

(٤) مضمون بيت أبي فراس الحمداني :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

(٥) شفه الهم : هزله .

(٧) عجز بيت المتنبي :

أما للورى نهى عليك ولا أمر
القدر محرقة القضاء والحكم ، كالقدر يسكون الدال .

بني برودا وهو في كبدى جمر

أرى بقلك أم ماء الغمامة أم بحر

تقد أظلمت دُنْيَايَ بعد فِرَاقِكُمْ
أُعَاتِبُ أَبِييَ عَلَيْكُمْ ، وَمَاهَا
لقد صَدَعْتُ بعد التَّفَرُّقِ شَمَلَنَا
وما زالَ صَرفُ الدَّهْرِ يَسْعَى بَيْنَنَا
فويحَ زَمَانِ فَزَقْتَنَا صَروُفُهُ
إِذَا عَنَّ ذِكْرَاكُم نَبَايَ مَضْجَعِي
فَأَذْهَلُ حَتَّى لَا أُجِيبُ مَنَادِيَا
وَأرْمِي فِجَاجَ الأَرْضِ نَحْوَ بِلَادِكُمْ
أرَاقَ جِجَامٍ^(٣) الدَّمْعَ فِيكُمْ فَإِن دَعَا
وَجَانِبَ طِيبِ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ يُمِيطُ بِهَا القَدَى
وَإِن وَعَدْتَنِي بِاقْتِرَائِكُمُ المُنَى
وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ

فَكُلُّ زَمَانِي لَيْلَةٌ مَاهَا بَقَرٌ
وَلَا لِلْيَالِي فِي اللّٰدِي بَيْنَنَا عُدْرٌ
كَصَدْعِ الصَّفَا، مَا إِنَّ لَهُ أبدأَ جَبْرٌ
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
أَكَانَ عَلَيْهِ فِي تَفَرُّقِنَا نَذْرٌ
كَأَنَّ فِرَاشِي حَالٌ مِنْ دُونِهِ الجَمْرُ
وَأَبْهَتْ، لَا عَرَفٌ لَدِي ، وَلَا يُنْكِرُ^(٢)
بِطَرَفٍ كَلِيلٍ دَمْعُهُ بَعْدَكُمْ قَطْرٌ
بِهِ الوِجْدُ لَبِي ، وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ قَزْرٌ
فَمَا تَلْتَقِي مِنْهُ عَلَى سِنَةِ شُفْرُ
وَهِيَّاتَ، عَرَضُ الأَرْضِ مِنْ دُونِكُمْ سِتْرٌ
نَهْنِي عَن تَصْدِيقِ موعِدِهَا مِصْرٌ
وَدُونِكُمْ الأَعْدَاءُ وَاللَّجُجُ الخَضْرُ

(١) عجز بيت لأبي صخر الهذلي (الحماسة ج ٢ : ٦١) :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها

فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٢) مضمن قول أبي صخر الهذلي :

وما هو إلا أن أراها بجلاء

فأبته لا عرف لدى ولا نكر

(٣) جمام : جمع جيم ، وهو من الماء ، مغلظه .

مهالك لو سارت بها الريح عاقها الوجي^(١)، وثاها عن تقحمها الذعر
ولم يبق إلا ذكر ما كان بيننا ولا عجب للدهر أن يدرس الذكر
وروعة شوق تعتريني إليكم كما انتفض العصفور، بلله القطر^(٢)
فياروعتي، لا تسكني بعد بعدهم وياسلوة الأيام، موعدك الحشر^(٣)

(١٤٥)

وقال ،

أحبابنا ، ما أشتكي بعد بعدهم سوى أنني باق ، ولبي حاضر
وما هكذا يقضى وقائي ، وإنما جرت بهواها لا هواي المقادر
وقد كان للين المشت أوائل وليس له ، حتى المات ، أو آخر

(١٤٦)

وقال^(٤) :

يا عين ، في ساعة التوديع يشغلك البكاء عن لذة^(٥) التوديع والنظر
خذي بحظك منهم قبل بينهم وبعدهم^(٦) فاجهدى في الدمع والسهر^(٧)

(١) وجى الماشى : إذا حفى ، وهو أن يرق القدم والحافر وينسجج .

(٢) عجريت أبي صخر :

ولمى لتعروى لتذراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(٣) عجريت أبي صخر :

فياحبها زدنى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعدك الحشر

(٤) هذان البيتان رواهما العباد أيضا في الخريدة (١٠٤ : ١) ولباب الآداب ص ٤١٨ .

(٥) هذه رواية لباب الآداب وفي الأصل « أنرا التسليم » .

(٦) رواية الخريدة « ثم اجهدى بعدهم للدمع والسهر » . ورواية لباب الآداب « فنى عند تفرغى للدمع ... » .

(٧) عبر عن هذا الحاطر فى بيتين آخرين ص ٦٦ (وانظر القطعة ١٧٥) .

(١٤٧)

وقال :

يَا مِصْرُ ، مَا دَرَيْتَ فِي وَهْمِي ، وَلَا خَلَدِي وَلَا أَجَالَتَكَ خَلَوَاتِي بِأَفْكَارِي
مَا أَنْتِ أَوْلُ أَرْضٍ مَسَّ ثُرْبَتَهَا جَسْمِي ، وَلَا فَبِكَ بُرْطَانِي وَأَوْطَارِي
لَكِنْ إِذَا حُمَّتِ الْأَقْدَارُ كَانَ لَهَا قُوِّي ، تُؤَلَّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(١٤٨)

وقال :

يَا غَائِبِينَ ، رَجَايَ طِيءِ بَابِ الْعَيْشِ مُدَّ بِتَمِّ غُرُورِ
أُنْسَتَنِي الْأَيَّامُ كَيْفَ فَانْ يَكُونُ بَعْدَكُمْ السَّرُورُ

(١٤٩)

وقال :

يَا دَمْعُ ، أَنْجِدْنِي عَلَى بُعْدِهِمْ فَقَدْ تَرَى قَلَّةَ أَنْصَارِي
بَرْدَ جَوِّي فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَحْرًا نَارًا مِنْ لَطْفِي النَّارِ
فَلَيْسَ شَيْءٌ مُذْهِبٌ لِلشَّجِي مِثْلَ انْهَمَالِ الْمَدْمَعِ الْجَارِي

(١٥٠)

وقال بمدينة حلب ، وقد وصله إليها بعض أصحابه ، وأخبره أن من كان له بمصر : من الأهل والأولاد وصلوا ، وأن المركب انكسر بهم في ساحل عكا ،

ونهب الإفريج كل ما فيه ، ولم يصلوا إلى دمشق إلا بأنفسهم ، وأن ملك الفريج
أعطاهم خمسمائة دينار ، توصلوا بها إلى دمشق^(١) :

إلى الله أشكو فرقة دميت لها جفوني، وأذكت بالهموم صميري
تمادت إلى أن لأذت النفس بالمني وطارت بها الأشواق كل مطير
فلها قضى الله اللقاء تعرضت مساءه دهرى في طريق سرورى

(١٥١)

وقال :

وجدت ووجدى بعدما كان قد عفا وراجعتى حلى، ووآزرني صبري
هتوف الضحى مفجوعةً باليفها تهبج أشجان الفؤاد ، وما تدرى
ولو أنها إذ أعولت فاض دمعها لقلت: هي الخنساء، تبكي على صخر
ولكنها لم تذر دمعاً ، وأدمعى إذا قرنت بالقطر زادت على القطر

(١٥٢)

وقال :

كأني مجول^(٢)، أو تكول، إذا جرى بسمعي عن غير اعتماد لكم ذكر
ولو أسعفتي مقلتاى بقطرة شفت داء أحشائي ، ولو أنها قطر^(٣)

(١) رويت الآيات الثلاثة في الروضتين ١ : ٩٩ .

(٢) المجول : الواله من النساء والابل .

(٣) القطر بالكسر : النحاس الذائب .

(١٥٣)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح :

نَأْوَا ، فَأَدْنَتَكَ مِنْهُمُ الذِّكْرُ وَمِثْلَتَهُمْ لِقَلْبِكَ الْفَكْرُ
 يَرَاهُمْ بِالْوِدَادِ قَلْبِي ، عَلَى الْبُعْدِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُمْ النَّظْرُ
 وَحَسَرْتِي أَنْبَى أَنَا الْمُعْرُضُ النَّافِي ، وَمَا أَعْرَضُوا ، وَلَا هَجَرُوا
 بَعُدْتُ عَنْهُمْ ، إِذْ كُلَّ عَصْرِهِمْ ٣٣ رُبَيْعٌ ، وَلَيْلُهُ سَحَرٌ
 وَنَافَسْتِي الْأَيَّامَ فِيهِمْ ، وَبَجَنِي السَّعِيشَ دَانٍ ، وَرَوْضَهُ نَضْرُ^(١)

(١٥٤)

وقال :

عَرَضْتُ^(٢) مِنَ الْهَجْرَانِ ، وَالشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَمْ يَتَعَمَّدْنَا بِفُرْقَتِنَا الدَّهْرُ
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا ، وَشَطَّتْ بِنَا النَّوَى تَمَنَيْتُ لَوْ دَامَ التَّجَاوُرُ وَالْهَجْرُ

(١٥٥)

وقال :

وَصَفَّ الصَّبْرَ لِي جَهْوَلٌ بِأَمْرِي فَارُغَ الْبَالِ مِنْ هُمُومِي وَفِكْرِي
 مَسْتَرِيحٌ مَا قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي لَا ، وَلَا دَهْرُهُ ظَلُومٌ كَدَهْرِي
 مَالَهُ بِالْهُمُومِ عَهْدٌ ، وَلَا اضْطُرَّ إِلَى الصَّبْرِ بِاِقْتِسَارٍ وَقَهْرٍ
 وَأَنَا ، الدَّهْرُ ، فِي خَطُوبِ زِمَانٍ أَشْرَبُ الصَّبْرَ فِيهِ مِنْ حُسْنِ صَبْرِي
 صَارَ لِي عَادَةٌ ، فَلَوْ ضَاقَ رَحْبُ الْأَرْضِ عَنِّي ، مَا ضَاقَ بِالصَّبْرِ صَدْرِي

(١) بقية القصيدة في ص ١٧٢ .

(٢) الفرض محرّكة : الضجر والملا . غرض كفرح .

قافية الضاد

(١٥٦)

وقال :

في ذلك الحىّ المُعْرِضِ لى هَوَىِّ ودَعَّتهُ حذرا بطرفٍ مُعْرِضِ
أخشى عليه الكاشئين ، فكأهم غَضْبَانُ يُسَخِّطُهُ هَوَانَا ، لَأَرْضِي
فتلقت عيني المريضةُ بالبكا واليين ، تأملُ نظرةً من مُمرضى
وقباهم في الآل^(١) تطفو مثلما يطفو الحبابُ على الرحيقِ الأبيضِ
حتى إذا يئستُ دعت زفرائها فيصُ المدامعِ بالشجا المتعْرِضِ

قافية الطاء

(١٥٧)

وقال من تصيدةٍ في الملك الصالح رحمه الله :

أجيرة قلبى ، إن تدانوا ، وإن شطوا ومُنيةً نفسى ، أنصفونى أو اشتطوا^(٢)
عصيت اللواحى فيكم ، وأطعتم مقالمهم ، ما هكذا فى الهوى الشرطُ
ولو علموا مقدارَ حَتَىٰ منكم وهى بكم زال التنافسُ والغبطُ^(٣)
إذا كان حظى منكم فى دنوكم صدودٌ وهجرٌ ، فالتداني هو الشحطُ^(٤)

(١) الآل : السراب .

(٢) هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبى العلاء :

لمن جيرة سهوا النوال فلم ينظوا يظالمهم ما ظل يئنه الخلط
وشط : بعد . واشتط : جار .

(٣) الغبط من قولهم : غبطت الرجل أغبطه إذا تمتيت أن يكون لك مثل حاله من غير أن يزول عنه . والمسد أن

تريد إزالتها عنه .

(٤) الشحط : البعد . يقال شحطت الدار ، إذا بعدت .



إذا هَجَرُوا ، مثلُ التَّنَائِي إذا شَطَّوْا
لَدَيْنَا ، وَلَا عَايِهِ بِالْهَجْرِ يَخْطُ
جَرَتْ فِي دَمِي وَالرُّوحَ فَهِيَ لَهَا خَلَطُ^(١)
أَحْضُ هَوَاهُمْ فِي سُوَيْدَانِهِ وَخَطُ^(٢)
وَجَيْبُ الدُّجَى عَنْ وَاضِعِ الصَّبْحِ مُنْخَطُ^(٣)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ فِي مَغَارِبِهِ الْهَبْطُ^(٤)
وَكَمْ لِلْوَى مِنْ دُونِ تَعْرِيسِنَا سَقَطُ^(٥)
وَيَهْرُهُ^(٦) فِي جَانِبِ الْخَلْدِ أَنْ يَخْطُو
نُجُومُ الدُّجَى فِيهِ تَغُورُ ، وَتَنْغَطُ^(٧)
وَمَا زَارَنِي مُذْ كَانَ مُسْتَبَقَطًا قَطُ
وَخَا مَرَّهَا مِنْ سُورَةِ الْوَجْدِ إِسْفَنْطُ^(٨)
وَمَا قَدَّهُ مَا يُنْبِتُ الْبَانُ وَالْخَطُ
بِجِيدِكَ تَزْدَانُ الْقَلَانِدُ وَالْقُرْطُ
رُبًّا مَسَّهَا ، مِمَّا تَسْرِبَلْتِهِ ، مَرْطُ^(٩)
وَلَوْنَ الدِّيَابِجِي شَعْرُكَ الْفَاحِمُ السَّبْطُ

فِيَا قَلْبُ مَهْلًا ، لَا تَرْعُ ، إِنْ قُرِبَهُمْ
هَوَاهُمْ هَوَى ، لَا الْبَعْدُ يُبْنِي جَدِيدَهُ
أَحْبَبُهُمْ حَبِي الْحَيَاةَ ، مَحَبَّةُ
لَهُمْ مِنْ قُوَادِي مَوْضِعِ السَّرِّ وَالْهَوَى
يُعْلَانِي شَوْقِي بِزُورَةٍ طَبَفَهُمْ
وَطَرْفِي يُرَاعِي النَّجْمَ حَيْرَانَ مِثْلَهُ
عَجِبْتُ لَهُ ، كَيْفَ اهْتَدَى لِرِحَالِنَا
وَكَيْفَ فَرَى عَرْضَ الْقَلَا مِنْ يَثُودِهِ
فَلَهَا اسْتَفَاضَ الْفَجْرُ كَالْبَحْرِ ، وَانْبَرَتْ
أَسْفَتْ عَلَى زَوْرٍ^(١٠) أَتَانِي بِهِ الْكُرَى
إِذَا مَاسَ خَلْتُ الْمَسَّ غَالٍ عَقُولِنَا
يَقُولُونَ : خُوطُ ، أَوْ قَنَاةٌ قَوِيْمَةٌ
شَبِيهَةٌ أَمْ الْخَشْفُ^(١١) جِيدًا وَمُقْلَةً
تَرَوِّضُ جَوْ جَبِيْتِهِ ، وَتَضَوِّعَتْ
حَكِي وَجْهَكَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فِي الضَّحَى

(٢) وخطه : خالطه .

(٤) الهبط : التسفل .

يسقط الآوي بين المدخول لغومل

(٦) فرى : شق . ويتوذه : يبلغ منه المجهود . والهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٧) غظه في الماء : غمسه ، فانظ .

(٨) الزور : الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صام ونام .

(٩) الاسفطن بكسر الهمزة وتفتح : الخمر .

(١٠) الخشفت مثلثة : ولد الطي أول ما يولد .

(١١) المرط بكسر الميم : كساء من صوف أو خز .

فَنَكَتَ بَيْتَاكَ الْحُسَامِ، إِذَا هَوَىٰ
وَمَا خَلَّتْ آسَادَ الشَّرَىٰ إِذْ تَبَهَّنَسَتْ^(٢)
فِيَا عَجْبًا مِنْ قَاتِرِ الطَّرْفِ، فَاتِنِ
فَأَرْدَاهُ فَرْدُ الْحُسْنِ فَرْدًا، وَإِنَّهُ
أَيَا سَاكِنِي مَصِيرٍ، رِضَانَا لِبُعْدِكُمْ
إِذَا عَنَّ ذَكَرَاكُمْ ظَلَلْتُ كَأَنِّي
وَأُزِمَ كَفَىٰ صَدْعَ قَلْبٍ، أَطَارُهُ
فَهَلْ لِي إِلَيْكُمْ، أَوْ لَكُمْ بَعْدُ بُعْدَكُمْ
أَرَاكُمْ عَلَىٰ بَعْدِ الدِّيَارِ بِنَاضِرٍ
إِذَا عَيْنَ التَّوْدِيْعِ أَرْسَلَ لَوْلَا
وَمَا شَفَّهَ إِلَّا نَوَىٰ مِنْ يَوْدِهِ
فِرَاقُ أَنِّي لَمْ تُخْبِرِ الطَّيْرُ كَوْنَهُ
تَلَقَّتُهُ مِنِّي سُلْطَةٌ وَصَرِيْمَةٌ^(٧)
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي أَنْ لِلشُّوقِ زَفْرَةٌ
عَلَىٰ مُفْرِدٍ ثَنَاءُهُ^(١) فِي المَعْرَكِ القَطْ
فِرَائِسُ غَزَلَانِ الصَّرِيْمَةِ^(٣)، إِذْ تَعَطَوْ^(٤)
سَطَا بِكُمِي، لَمْ يَزَلْ فِي الوَعْيِ يَسْطُو
لِيَرْهَبُهُ مِنْ رَهْطٍ قَاتِلِهِ الرَّهْطُ
عَنِ العَيْشِ وَالْأَيَّامِ - لَا تَبْعُدُوا - سُحُطُ
غَرِيْقُ بَحَارٍ مَا لَجَّتْهَا شَطُ
جَوَىٰ الشُّوقِ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ الضَّبُّ
إِيَابٌ، فَقَدْ طَالَ التَّفَرُّقُ وَالشَّطُ
لِكَلِّ فِرَاقٍ مِنْ مَدَامِعِهِ قَسَطُ
مِنَ الدَّمْعِ لَمْ يَجْمَعُ فِرَائِدَهُ اللَّقْطُ
وَفُرْقَةُ الْأَفِ هِيَ المَيْتَةُ العَبْطُ^(٥)
وَلَا رَفَعُوا فِيهِ الحُدُوجَ^(٦) وَلَا حَطُّوا
وَمَنْ لِيَ أَنِّي بَعْدَ وَشِكِ النَّوَىٰ سَلَطُ^(٨)
تَزِيدُ، كَمَا يَنْمِي، وَيَضْطَرِمُ السَّقْطُ^(٩)

- (١) أى أن حسامه الباتك يشق الشخص نصفين . والقط والقذ والبنك : القطع .
(٢) تبهنس : تجتر . والتبهنس : التبخر والأسد يبهنس في مشيه ويتهنس أى يتبخر .
(٣) الصريمية : القطعة الضخمة من الرمل تصرم عن سائر الرمال .
(٤) تعطو : تناول . عطوته أعطوه إذا تناوته .
(٥) مات عبطة : إذا مات شابا صحيحا .
(٦) الحدج بالكسر : مركب للنساء ، كالحفنة وجمه حدوح وأحداج .
(٧) الصريمية : الغزبية .
(٨) السلط . الحديد من كل شئ .
(٩) المسقط مثالة : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الورى .

بِرَغْمِي أَنْ تُمْسِي وَتُصْبِحَ دُونَكُمْ فَيَافٍ، لِأَيْدِي الْجُرْدِ فِي وَغَرِهَا لَنْظُ (١)
 وَأَنْ تَنْزِلُوا دَارَ الْقَطِيعَةِ وَالْقَلَى وَجِيرَانُكُمْ بَعْدَ الْكِرَامِ بِهَا الْقَبْطُ (٢)

(١٥٨)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ جَوِّي لَمْ أَجِدْهُ مَسَاغًا ، وَلَا طُولُ الْبِكَاءِ يُمِيطُهُ
 وَمِنْ حَرِّ قَلْبٍ ، كَلَّمَا رُمْتُ بَرْدَهُ بَسْوِيْفَهُ أَذْكَى جَوَاهُ قُنُوطُهُ
 أَعَارَ جُفُونِي مَا يُصْعَدُّ مِنْ دِيمٍ فَلَمَّا تَقَضَّى فَاضَ مِنْهَا عَيْطُهُ (٣)

قافية العين

(١٥٩)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، لِي عِنْدَ خَطَرَةٍ ذِكْرِكُمْ نَفْسٌ تَقُومُ لَهُ حَنَائِيَا أَضْلَعِي
 أَنْسَيْتُ بَعْدَكُمْ السَّرُورَ ، وَأَنْكَرْتُ عَيْنِي الْكَرَى ، وَنَبَا بِجَنِّي مَضْجَعِي
 أَلْقَى نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ تَلْقَائِكُمْ بِجُفُوتِ مَكْرُوبٍ ، وَأَنَّهٌ مُوجِعِ
 وَإِذَا السَّحَابُ سَرَى فَنَارُ بُرُوقِهِ مِنْ زَفْرِي ، وَمِيَاهُهُ مِنْ أَدْمَعِي

(١) اللفظ ويحرك : الصوت والجلبة أو أصوات مهمة لا تفهم ج ألفاظ . والجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر .

(٢) انظر تمام القصيدة في صفحتي ١٧٤ و ٢١١

(٣) يقال لحم ودم وزعفران عيط ، بين العبطة بالضم : طرى .

(١٦٠)

وقال :

يا قلبُ ، دَعُهُمْ ، فقد جَرَبْتَ غَدْرَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزْعُ^(١) :
أَكْفَرَ البَعْدُ عَنْهُمْ ما جَنَّوْهُ ، أَمِ الْأَيَّامُ أَنْتَكَ بَعْدَ الْبَيْنِ ما صَنَعُوا
وَهَبَّهُمْ أَحْسَنُوا ، هل يُرْجِعُهُمْ إِلَيْكَ وَجُدْكَ ، أو يُدْنِيهِمُ الْهَلْعُ
أَلَسْتَ بِالْأَمْسِ فَارَقْتَ الشَّبَابَ ، ولا أَعَزَّ مِنْهُ ، فَلَمْ لا رَدَّهُ الْجَزَعُ

(١٦١)

وقال :

إلى متى أُمْسِي وَأُضْحِي بِالنَّوَى مُرَوَّعًا
مُرْتَحِلًا كَرُّهَا عَنِ الْأَحْبَابِ ، أو مُودَّعًا
تُرَى اللَّيَالِي تَنْدَرْتُ أَلَّا تُرَى يَوْمًا مَعَا

(١٦٢)

وقال ، وكان القاضي المكيُّ أَبُو المعالي عبدُ العزيز بنُ الحسين المعروف بابن
الْحَبَّابِ^(٢) ، رحمه الله ، قد مدَحَ الملكَ الصَّالِحَ بقصيدةٍ ، أوَّلُها :
أرَأَيْتَ بينَ معاطِفِ الأَجْرَاعِ وَمَضَانَ ذَاكَ البَارِقِ اللَّمَّاعِ
فَنَفَّذَ الملكُ الصَّالِحُ إليه نُسخَتَها ، عَطَفَ كِتَابَ مِنْهُ ، لِيُعَارِضَها بقصيدةٍ على
وزنها ، وقافيتها ، فعارِضَها بهذه القصيدة وأوَّلُها :

ما أَنْكُرُوا مِنْ عَزَمَتِي وَزَماعِي شوقٌ دَعَا ، أَفلا أُجيبُ الدَّاعِي !
أُجيبُ دَاعِي الحَرْبِ فِي غَمْرَاتِها وَيَصُدُّ عَنِ الغَرَامِ سَماعِي !

(١) يزع : يدفع . وذلك بحزبيت للنبي صدره : أهل الحفيظة إلا أن تجرهم ...

(٢) ورد اسمه في النجوم الزاهرة والخريدة والنكت العصرية (ابن الحباب) .

هِيَاتَ ، مَا قَى لِأَوَّلِ سَلْوَةٍ
 أَفْدَى الدِّيَارَ ، وَسَانِنِيهَا ، لِيَتَمَّ
 سَلَابِنِي الأَيَّامِ نِعْمَةً تُرِيهِمْ
 فَنَزَعْتُ^(۱) عَنْهُمْ مَكْرَهًا ، وَإِلَيْهِمْ
 أودعتُ عهدَهُمْ على شِطْحِ النَّوَى
 قَلَّ لِلْوَانِمِ : لستُ بالرَّاعِي الهَوَى
 كُفُوا ، فَإِنَّ عَذَابَ أبنَاءِ الهَوَى
 أين السُّلُوُ من المَرُوعِ دهره
 هُوَ والأحِبَّةُ ، كالأَصَابِلِ والضُّعَا
 عَرَضَتْ ، وَلَا نَاهِي النَّهَى بِمَطَاعِ
 لَهُمُ الأَحِبَّةُ ، والرِّبَاعُ رِبَاعِي
 وَمَوَاهِبُ الدُّنْيَا إلى استِجَاعِ
 حَتَّى اللِقَاءِ تَشُوقِي وَزَاعِي
 قَلْبًا لَدَيْهِ العَهْدُ غَيْرُ مَضَاعِ
 إِن مَرَّ لَوْمُكُمْ بِسَمْعِ وَاعِ
 مُسْتَعذِبُ الأَوْصَابِ والأَوْجَاعِ
 بِقَطِيعَةٍ مَوْصُولَةٍ بِوَدَاعِ !
 لَا يَحْظِيَانِ بِسَاعَةٍ اسْتِجَاعِ

قافية الغين

(۱۶۳)

وقال :

يا لائِمَ المشتاقِ ، دَعُهُ ، فَقَلَمًا
 تَلَحَّى الحَبَّ ، وَقَلْبُهُ مِلَانٌ من
 دَعِ لَوْمِهِ ، فَكَفَاهُ تَعذِيبُ الهَوَى
 يُصغِي إلى نُصْحِ وَوَعظِ بَالِغِ
 حَسْرَاتِهِ ، عَيْبًا ، بِقَلْبِ فَارِغِ
 وَاسْتَتَقِ عَافِيَةَ النَّعِيمِ السَّابِغِ

قافية الفاء

(۱۶۴)

وقال :

اسيرُ نحوِ بلادِ لا أُسْرِبُهَا
 تطولُ أرضِي ، إِذَا يَمَمْتُ ساحتِهَا
 إِذَا تَبَدَّتْ لِعَيْنِي هِيَجَتُ أُسْنِي
 بَعْضًا لها ، ثُمَّ تُطَوِي عِنْدَ مُنْصَرَفِي

(۱) بزغ عنه : انتهى عنه . وزرع إليه : اشتاق .

(۱۶۵)

وقال :

يَا لَأَيْمَ الْمَشْتَاقِ ، تَعْنِيفُ الْمَشْوِقِ الصَّبِّ عُنْفُ
 انظُرْ إِلَى عَيْنِ مُسَهَّدَةٍ ، وَجَفْنِ لَا يَحِيفُ
 وَسَقَامِ جَسْمِ كُلِّ سَرٍّ لِلْهَوَى مِنْهُ يَسِيفُ
 وَاَعْطِفْ عَلَيْهِ فَلَلِكِرَامِ عَلَى أُولَى الضَّرَاءِ عَطْفُ

(۱۶۶)

وقال ، وكان يلازمه بنصبيين خياطُ اسمه مهدي ، يُحِيطُ ثياباً للغلمان
 ولا يزالُ يحدثُهُ حديثَ معاشِهِ ومكسبه :

أَحْبَابَنَا ، مَنْ لِي لَوْ دَامَ التَّدَانِي وَالْحَفَا
 فَأَنْتِي أَرَى النَّوَى مِنْ الصُّدُودِ أَتْلَفَا
 شَتَّتِ الْأَيَّامُ ظُلْمًا شَمَلْنَا الْمُوتَلِفَا
 وَكَدَّرَتْ مِنْ عَيْشِنَا مَا كَانَ طَابَ وَصَفَا
 وَأَوْقَفْتِنِي بَعْدَكُمْ مِنْ النَّوَى عَلَى شَفَا^(۱)
 حَتَّى رَأَى الْحَاسِدُ بِي مَا كَانَ يَهْوَى ، وَاشْتَنَى
 وَصَارَ بَعْدَ الْيَمِينِ نَدَى مَانِي مَهْدَى ، وَكَفَى
 كَأَنَّي اعْتَصَمْتُ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ الصَّدَقَا

(۱) يريد : على شفا الهلاك .

(١٦٧)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح :

أذكرهمُ الرُّدَّ ، إن صدوا ، وإن صدفوا^(١) إنَّ الكرامَ إذا استعطفتهم غطفوا
ولا تُردُّ شافعاً إلا هواءك لهم يكفيك ما اختبروا منه ، وما كشفوا
به دنوت ، وإخلاصُ الهوى نَسَبٌ كما نأيت ، وإفراطُ الهوى تَلَفٌ
رأى الحسودُ تداني ودنا ، فسعى حتَّى غَدتْ بَيْنَ دَارِينَا نَوَى قُدْفُ
وما البعيدُ الذي تنأى الديارُ به بل من تداني ، وعنه القلبُ منصرفُ
أجيرة القلب ، والفُسطاطُ دارهمُ لم تُصِقبِ الدَّارُ ، لكن أصِقبِ الكَلْفُ^(٢)
أذنى التداني الهوى ، والدَّارُ نازحةٌ وأبعدُ البعد بين الجيرة الشَّنْفُ^(٣)
فارتكمُ مكرهاً ، والقلبُ يُخبرني أن ليس لي يَوْضٌ منكم ، ولا خَلْفُ
ولو تعوضتُ بالدنيا غِبتُ ، وهل يعُوضني من نفيس الجواهر الصِّدْفُ
ولستُ أنكرُ ما يأتي الزَّمانُ به كلُّ الورى لِرِزَايا دهرهم هَدْفُ
كم فاجأتني اللَّيالي بالخطوبِ ، فما رأَتْ فُوادِي من روعاتها يَجِفُ
واسترجعتُ ما أعارتُ : من مواهبها فإ هَفَايَ على آثاره اللَّهْفُ^(٤)
ولا أسِفْتُ لأمرٍ فاتٍ مطلبه لَكن لُفْرَقَةَ من فارقتَه الأَسْفُ^(٥)

(١) صدف : انصرف وأعرض .

(٢) يقال أصِقت دارهم : دنت . والكلف : شدة الحب .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتكره له .

(٤) اللهف : الحزن والتحسر .

(٥) انظر تمام القصيدة في باب المدح وهي القصيدة رقم ٣٠٩ ص ١٧٩

(۱۶۸)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح ، رحمه الله :

ما منهم لك مُعْتَاضٌ ، ولا خَلْفٌ فكَيْفَ يَصْبِرُ عَنْهُمْ قَلْبُكَ الْكَلْفُ
إِنْ جَارَ صَرْفُ اللَّيْلِ فِي فِرَاقِهِمْ فليس عَنْهُمْ ، على الْحَالَاتِ ، مُنْصَرَفٌ
هُمُ الْهُوَى ، إِنْ تَنَاءَ وَاعْنَكَ أَوْ قَرَّبُوا هُمُ الْمُنَى ، أَقْبَلُوا بِالْوُدِّ أَوْ صَدَفُوا^(۱)
لَا تَعْتَدِرُ بِالنَّوَى ، إِنْ الْهُوَى أَبَدًا سِيَانٍ فِيهِ التَّدَانِي ، وَالنَّوَى الْقُدْفُ
فَالشَّوْقُ تُطْوِي لَهُ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ ، كَمَا تُطْوِي إِذَا اسْتَوْعَبَتْ مَضْمُونَهَا الصُّحُفُ
جَاهِزٌ بِوَجْدِكَ وَاعِصِ اللَّائِمِينَ ، وَبِحُجِّهِمْ بِحُبِّهِمْ ؛ إِنْ كَثَمَانَ الْهُوَى تَلْفُ
فَكَاتِمُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ يَقْضِ مِنْ كَمْدٍ فَبِنَهْ لِإِصَابَاتِ ارْتَدَى هَدَفُ
كَسَاتِرِ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ غَرَرًا بِهَا ، مُحْرِقُهُ يَوْمًا وَتَنْكَشِفُ
هَلْ يَحْتَجِّي الْحُبَّ ، أَوْ يُغْنِي الْجُودُ ، إِذَا تَحَدَّثَتْ بِالْهُوَى أَجْفَانُكَ الذَّرْفُ
كَمْ مِنْ هَوَىٍّ لِلْغَايِ فِيهِ رِثْبَةٌ مَنْ نَالَ الْمَعَالِي ، وَفِي إِسْرَافِهِ شَرْفُ
وَبِحِ الْمِفَارِقِ ، لَا صَبْرٌ يُؤَازِرُهُ وَلَا تَسْتُتُّ شَمْلِ الْحَى يَأْتَلِفُ
يَزِيدُهُ يَأْسُهُ مِنْهُمْ بِهِمْ شَغْفًا وَقَلْبًا يَتَلَاقَى الْيَأْسُ وَالشَّغْفُ
عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنْ شَوْقِهِ ، وَارَى أَنْ سَوَفَ يَنْهَارُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ الْجُرْفُ
يَا غَافِلِينَ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي كَلَّمُوا^(۲) بِبَيْنِهِمْ ، وَعَنِ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
تَقْدِيمِكُمْ مُهْجَتِي ، لَا أَرْضَى لَكُمْ فِدَاءَ جِسْمِي ، وَهُوَ النَّاحِلُ الدَّنْفُ^(۳)
حَاشَاكُمْ مِنْ جَوَى قَلْبِي ، وَلَوْعَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَشَاً لِلْوَجْدِ تَرْتَجِفُ

(۱) صدق : أعرض . (۲) بكروا : يرحوا . (۳) الدنف : المريض .

لَنْ أَلُومُ ! وَمَنْ ذَالِي يَرِقْ إِذَا
 شَكُوتُ بَيْتِي ، أَوْ أُرْدَانِي اللَّهْفُ
 أَنَا الَّذِي شَطَّ عَنْ أَحْبَابِهِ نِقَّةً
 بِصَبْرِهِ ، وَهُوَ بِالتَّنْفِيزِ مُعْتَرِفٌ
 فَارْقُهُمْ ، وَهُمْ عَصْرُ الشَّبَابِ ، وَمَا
 مِنْ الشَّبَابِ وَلَا مِنْ عَصْرِهِ خَلْفٌ
 وَحَيْثُ كَانُوا ، وَشَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَلَهُمْ
 مَنِّي هَوًى بِسُوَيْدَا الْقَلْبِ مُلْتَحِفٌ^(١)

قافية القاف

(١٦٩)

وقال :

لَوْ أَحْسَنُوا فِي مَلِكِنَا ، أَوْ أَعْتَقُوا
 لَصَفَا لَهُمْ مِنْ وُدِّنَا مَا رَفَقُوا^(٢)
 مَلَكْتَهُمْ رِقِّي ، كَمَا حَكَمَ الْهَوَى
 فَأَبَى اعْتِسَافُ^(٣) جَمَاهِمَ أَنْ يَرْفُقُوا
 لَهَجُوا بِهَجْرِي فِي الدُّنُو ، كَانَهُمْ
 لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ
 أُمْسِيْعِي بِاللَّحْظِ خَوْفَ رَقِيْبِهِ
 وَالْدَمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَفَّقُ
 قَد كُنْتُ أَخْضَعُ قَبْلَ بَيْنِكَ لِلنَّوَى
 فَالآنَ لَسْتُ مِنَ التَّنْفِرِ أَفْرُقُ
 هَذِي النَّوَى ، قَد نَالَنِي مِنْ صَرْفِهَا
 مَا كُنْتُ مِنْهُ زَمَانَ وَصَلِكَ أَشْفِقُ

ومنها :

وَيَهْجُنِي بَعْدَ انْدِمَالِ صَبَابَتِي
 وَرِقَاءُ مَا دَرَبَهَا قَضِيبُ مُورِقُ
 عَجْمَاءُ ، تَنْطِقُ بِالْحَيْنِ ، وَلَمْ يَهْجُ
 شَوْقُ الْقُلُوبِ كَأَعْجَمِي يَنْطِقُ
 بِي مَا بَهَا ، لَكِنْ كَتَمْتُ ، وَأَعْلَنْتُ
 وَدَمْعُهَا حُبِسَتْ ، وَدَمْعِي مُطْلَقُ

(١) تمام القصيدة في ص ١٨٣ .

(٢) رَقَى : كَذَرَ .

(٣) الاعتساف : الغلظ .

ومنها :

كَمْ دُونَ رَبِّكَ مَهْمَةٌ مُتَقَاذِفٌ تَشْقَى الزَّكَابُ بِهِ ، وَيَبِيدُ سَمَلَقُ^(١)
مَلَّ السَّرَى فِيهِ الصَّحَابُ ، فَعَرَسُوا وَالشَّوْقُ يُوَضِعُ بِي إِلَيْكَ ، وَيُعِنُّ^(٢)
قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِنَا الْمَطَى ، وَحَثَّهَا أَشْوَأَقُهَا ، وَالشَّوْقُ نَعْمَ السَّيْقُ
بَارَتْ مَطَارِحَ لِحْظَهَا ، فَيَخَالُهَا الرَّانِي ، تَسَابِقَ لِحْظَهَا وَالْأَسْوَقُ^(٣)
تَشْكُو إِلَيْنَا شَوْقَهَا ، وَحَنِينَهَا وَلَرَكْبُهَا مِنْهَا أَحْنُ وَأَشْوَقُ
مَعْقُولَةٌ بِيَدِ الْغَرَامِ طَلِيقَةٌ هَلْ يُفَنِّدِي ذَاكَ الْأَسِيرُ الْمَطْلُوقُ
مُنَيْتٌ بِتَجْمَلِ غَرَامِنَا وَغَرَامِهَا فَجَشَّمَتْ مَا لَا تُطْلِقُ الْأَيْتِقُ^(٤)

(١٧٠)

وقال :

يَا تَلْبُ ، كَمْ يَسْتَحْفُكُ الْقَلْقُ غَيْرُ جَمِيلٍ بِمَثَلِكَ الْخُرْقُ^(٥)
أَكْثَلُ هَذَا خَوْفِ الْفِرَاقِ ، وَهَلْ يُجْدِي عَلَيْكَ الْحِذَارُ وَالْفَرْقُ
أَبْنُ تَصُونِ الْأَسْرَارِ فِيكَ ، إِذَا تَحَكَّمَ الْوَجْدُ فِيكَ وَالْحُرْقُ
لَكَ النَّاسِي بِالنَّاسِ ، كَمْ عَثَرَ الدَّهْرُ بِشَمَلِ الْجَمِيعِ ، فَافْتَرَقُوا
مَا أَنْتَ بَدِئٌ فِي سُنْخِطِ سِيرَتِهِ كُلُّ عَلَى الدَّهْرِ سَاخِطٌ حَتَّى
دَعَّ ذَا ، فَفِيهِ عَن لَوْمِنَا صَمِّمْ وَهُوَ بِنَا - مَا عَلِمْتَهُ - عُقُقُ^(٦)

(١) سملق : فاع صمصم . والمهمه : المفازة البعيدة . ومتقاذف : تذفف السائر بها من مكان إلى آخر .

(٢) أوضعت الناقة : أمرعت في سيرها . وأعنت : أسرع .

(٣) الأسوق : جمع ساق .

(٤) جمع ناقة . وانظر تمام القصيدة ص ١٢٧ .

(٥) الخرق بالضم وبالتحرريك : ضد الرق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور ، والحق .

(٦) عقى : ضد بر ، فهو عاق . وعقق وعقق محرمة وبضمتين .

(١٧١)

وقال :

مَاذَا يَرُوعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ قَلَقِي
هَنَّاكَ بَرُّؤُكَ مِنْ دَائِي، وَمَنْ سَقَمِي
إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنَّ الْحَبَّ مَوْرُدُهُ
لِتَسْتَبِيحَ مَلَامِي، أَوْ لِيَفْسَحَ لِي
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَسْمَعُهُ
هَذَا الْهَوَى، لَاهَوَى الْقَيْسِينَ،^(١) إِنَّهُمَا
فَإِنْ بَقِيَتْ، وَبِي مَابِي، فَقُلْ رَجُلٌ
وَإِنْ أَتَانِي حِمَامٌ أَسْتَرِيحُ بِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُو اضْطِبَارِي عِنْدَ نَائِبَةٍ
وَإِنَّمَا أَشْتَكِي دَهْرًا يُكَلِّفُنِي
يَرُوعُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْفِرَاقِ، وَمَا
فَمَا غَدَوْتُ سَمَلٍ غَيْرِ مُجْتَمِعٍ
وَلَا تَبَسَّمْتُ، أُبَدِي لِلْعَدَا جَلْدًا
وَقَدْ غَرَضْتُ^(٢) بَعِيشِي مِنْ مُفَارَقِي

أَمْ مَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَجْفَانِي الدَّفْقِ
وَنَوْمِ جَفْنَيْكَ عَنْ هَمِّي، وَعَنْ أَرْقِي
سَهْلٌ فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ بِهِ، فَذُقِ
سَدَادُ رَأْيِكَ فِي جَهْلِي، وَفِي نَحْرِي
مِنْ مُدَّعٍ لَمْ يُعَالِجْهُ، وَمُخْتَلِقِ
عَاشَا مَلِيًّا، وَذَا مُرِفٍ عَلَى رَمَقِي
فِي الْمَيْتِينَ، وَلَكِنْ لِلشَّقَاءِ بَقِي
فِيهَا مَنَّةٌ لِلْوَتِ فِي عُقْنِي
وَلَا فُوَادِي بِخَفَاقِ، وَلَا قَلْبِي
مَا لَا أُطِيقُ، فِعَالِ الْقَادِرِ الْحَنِيقِ
بِفَاءِ صَبْرِي مَعَ الرَّوْعَاتِ وَالْفِرَاقِ
إِلَّا وَرَحْتُ بِهَمٍّ غَيْرِ مُفْتَرِقِ
إِلَّا تَمَيَّزْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقِ
أَعْرَأُ رُوعَ طَلَقِ الرَّاحَتَيْنِ تَقِي^(٣)

(١) القيسان : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح .

(٢) غرض كفرح : ضمير وصل .

(٣) باقى القصيدة ص ١٢٩ .

(١٧٢)

وقال :

ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً وطرفي وقلبي أدمعٌ وخفوقٌ
بكيتُ ، فاضحكتُ الوشاةُ شاةً كأنّي سحابٌ ، والوشاةُ بروقٌ

(١٧٣)

وقال :

ألف القلبُ ، وأجابَ داعيةَ النوى فبليتُ منه بهجرةٍ وفرافٍ
والصَّبُّ راحتهُ البكاءُ ، ومدنأى إنسانُ عيني أنحأتِ آماقي
لو كنتُ أطمعُ في بقاءِ عهوده سكنتُ بلابلُ قلابي الخلفاقِ

(١٧٤)

وقال :

رفقاً بقلب الصَّبِّ ، رفقاً هو دونكم بالين يسقى
لا تحسبته يا خلى القلب بعد البعد يبقى
في زمرة الشهداء يحشر في غدٍ ، إن مات عشقاً

(١٧٥)

وقال ^(١) :

أقول للعين في يوم الفراق ، وقد فاضت بدمع على الخلدتين مستيق
تزوّدني اليوم من توديعهم نظراً ففي غدٍ تفرغى ^(٢) للدمع والأرق ^(٣)

(١) هذه القصيدة ما يروى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ . وملك الأبعاد ١٠ : ٥٠٣ .

(٢) في خريدة القصر (ثم أفرغى في غد ...) .

(٣) عبر عن هذا العاطف في بيتين سبأ ص ٦٦ ، وآخرين ص ٧٤ ، وما رقم ١٣٧ و ١٤٦ .

(۱۷۶)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ النَّائِي المَقِيمِ نَحْبَةً مِنْ رَاحِلِ شَاكٍ جَوَى أَشْوَاقِهِ
لَهَجٍ مَعَ البَّاسِ المَبِينِ بَدْرِهِ قَلَى الحِشَا لِعِبَادِهِ خَفَاقِهِ
وَهُوَ الحَلِيقُ بَانَ يَمُوتُ كَابَةً لَكِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(۱۷۷)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، مَا لِي إِلَى الصَّبْرِ عَنُكُمُ دَلِيلٌ ، وَقَدْ ضَلَّتْ عَلَيَّ طَرِيقُهُ
فَهَلْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بَعْدِ دَارِكُمْ يُدَاوِي بِهَا صَبُّ الفُؤَادِ مَشُوقُهُ

(۱۷۸)

وقال :

إِنْ تَقَطَّعَ الأَيَّامُ مِنْكَ عَلائِقِي فَأَنَا المُواصِلُ بَالِوَدَادِ الصَّادِقِ
أَرْضَى مِنَ العَهْدِ القَدِيمِ رِعِيهِ وَمَنْ الزَّيَارَةِ بِأَلْحِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا ، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا تَمُّ فِيهَا التَّجْمَلُ وَالعَزَاءُ مُفَارِقِي
وَالْأُمُّ فِي شَكْوَى جَوَايَ ، وَقَلَّمَا يَحْطِي المُفَارِقُ بِالرَّفِيقِ الرَّافِقِ
هَلْ يُغَيِّنُ صَمْتِي عَنِ الشَّكْوَى ، إِذَا شَكَتِ الجَوَى زَفَرَاتُ قَلْبِي الخَافِقِ
هَنِي^(۱) أَ كَفَكْفُ زَقْرَتِي وَمَدَامِعِي مَا حِيلَتِي ، وَشَجَا التَّجْمَلِ خَانِقِي !!
أَنَا كَالهَامِ : تَبُوحُ ، حِينَ تُنُوحُ ، بِالشَّكْوَى ، وَلَمْ تَفْغَرْ لَهَا فَمَّ نَاطِقِ

(۱) هذا البيت وما بعده اختياراً الأسماء في مسالك الأَبصار (۱۰: ۶۰۳) .

(١٧٩)

وقال :

طَالَتْ يَدُ الْبَيْنِ فِي تَفْرِيقِ الْفِتْنَا قَالَهَا قَصْرَتْ عَنْ جَمْعِ مَا اقْتَرَقَا!
كَأَنَّ الْمَاءَ سَهْلٌ حِينَ تُهْرَقُهُ وَجَمْعُهُ مُعْجَزٌ مِنْ بَعْدِ مَا انْهَرَقَا
لَكِنَّ قُدْرَةَ مَنْ يَطْوِي الظَّلَامَ^(١) عَنِ الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُ فِي آفَاقِهَا الْفَلَقَا^(٢)
يَرُدُّ شَمْلِي بِجَمْعًا ، وَقَلْبِي مَسْرُورًا ، وَيَأْبَسُ عُودِي كَاسِيًا وَرَقًا

(١٨٠)

وقال :

بِالْعُورِ أَهْلِكَ يَا بَيْتِنَا ، وَأَهْلُنَا بِالْأَبْرَقِينَ ، فَأَيْنَ أَيْنَ الْمُلتَقَى !!
بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَلَوْ سَرَى لَزِيَارِي طَيْفُ الْخِيَالِ ثَنَاهُ هَوْلُ الْمُرتَقَى
كَمْ شِمْتُ بَرَقًا مِنْكَ أَخْلَفَ نَوْءَهُ قَبْلَ النَّوَى ، وَظَنَنْتُ ظَنًّا أَنْخَفَقَا
فَعَلَامَ أَجْزَعُ لِلْفِرَاقِ ، وَإِنِّي لَأَرَاهُ أَرَأَفَ بِالْقُلُوبِ وَأَرْفَقَا

(١٨١)

وقال :

كَمْ تُرْزِمِي^(٣) وَمَ تَحْنِي يَا نَاقَ حَسْبُكَ ، قَدْ هَجَّتِ الْجَوَى وَالْأَشْوَاقَ
هِيَ النَّوَى ، فَمَا غَنَاءُ الْإِشْتِاقِ تَقَسَّمْتَنَا بِالشَّتَاتِ الْآفَاقَ
كَأَنَّهَا خَلَقٌ ، وَنَحْنُ أَرْزَاقُ حَتَّى إِذَا أَدْمَى الْبِكَاءُ الْآمَاقَ
أَصْغَبَتِ الدَّارَ ، وَقَلْبِي مُشْتَاقٌ مَا أَتَعَبَ الْحَامِلَ قَلْبًا تَوَاقَ
كَالْبَرْقِ ، مَشْبُوبِ الضَّرَامِ خَفَاقَ

(١) في الأصل الضياء. تحريف والتصويب لانه مرهف مثبتا في هامش الصفحة .

(٢) الفلق : الصبح . (٣) أرزمت الافة : حنت على وندها .

(١٨٢)

وقال :

لَيْتَ مَنْ يَسْأَلُ جِيرَانَ النَّقَا هَلْ لَنَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ مُلْتَقٍ
عَانَتَا^(١) الدَّهْرُ ، فَاضْحَى شَمَلْنَا بَعْدَ مَا كَانَ جَمِيعًا فَرَقًا
وَهِيَ الْأَيَّامُ مِنْ عَادَاتِهَا رَدَّ صَفِيرِ الْعَيْشِ طَرَقًا رَنَقًا^(٢)
كُلَّ شَيْءٍ غَيَّرَتْ مَنَى النَّوَى بَعْدَكُمْ إِلَّا الْجَوَى وَالْحَرْقَا
حَانَ فِيكُمْ حُسْنُ صَبْرِي ، وَوَفَى لَكُمْ الدَّمْعُ ، فَآلَى : لَا رَقَا^(٣)
لَيْتَ مَنْ يَغْبِطُ أَبْنَاءَ الْهَوَى ذَاقَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهِ : مِنْ شَقَا

(١٨٣)

وقال :

أَشْتَاكُمُ ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ زَادَ الدُّنُو صَبَابِي وَتَسَوَّقِي
فَتَى أُفِيقُ ، وَبَعْدَكُمْ يُذَكِّي جَوَى قَلْبِي ، وَيُضْرِمُ شَوْقَهُ أَنْ نَلْتَقِي؟!

(١٨٤)

وقال :

خَلِيلِي ، زُورَايَ "رُؤْيَقَةَ" ، إِنِّي إِلَيْهَا ، عَلَى قُرْبِ الزَّيَارَةِ ، شَيْقُ
خَلِيلِي ، مَا أَلْتَدُّ عَيْشًا ، وَلَا لَهُ إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي "رُؤْيَقَةُ" - رَوْتُقُ
إِذَا بَرَزْتُ بَيْنَ النَّسَاءِ حَسِبْتَهَا هِيَ الشَّمْسُ ، أَوْ مِنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُسْرِقُ
تُنَازِعُهُمْ نَزْرًا عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَتُعْرَضُ عَنِ لَمَوِ الْحَدَثِ وَتُطْرُقُ

(١) عانتا : حسدنا . (٢) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبتولت فيه كالمطروق . والرتق : الكدر .

(٣) رقا الدمع : جف .

قافية الكاف

(١٨٥)

وقال^(١) :

نَافَقَتْ دَهْرِي ، فَوَجَّهِي ضَا حَكْ جَدْلُ طَلَّقْ ، وَقَلْبِي كَيْبُ ، مُكَمِّدُ ، بَاك
وَرَا حَةُ الْقَلْبِ فِي الشُّكْوَى ، وَلَذَتْهَا لَوْ أَمَكَنْتَ ، لَا تُسَاوِي ذَلَّةَ الشَّاكِي

(١٨٦)

وقال :

يَا قَلْبُ ، مَتَّ كَمَدًا عَلَيَّ مَنْ غَبَتْ عَنْهُ ، وَغَابَ عَنْكَ
لَا تَلْتَقِي بَدَلًا بِهِ وَسَيَلْتَقِي الْإِبْدَالَ مِنْكَ

قافية اللام

(١٨٧)

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلصَّبِّ الْمَشُوقِ ، إِذَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، لِلْعَدْدِ
زَفْرَاتُهُ نَمَّتْ ، وَلَمْ يُفْصَحْ بِمَا يُخْفِي ، بِجَاءِ الدَّمْعِ بِالْخَبْرِ الْجَلِي
أَفْتَى صَدُودُكَ فِي الدَّنُوِّ تَصْبِرِي وَأَنِّي الْفِرَاقُ فَبِزْ حُسْنِ تَجْمَلِ
فَالْعَمْرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرٍ سَالِفِ مَاضٍ ، وَبَيْنَ آئِفِ مُسْتَقْبَلِ

(١) هذان البيتان رويًا لأسامة في معجم الأدباء : ٥ : ١٩٩ ، وتاريخ ابن عساكر : ٥ : ١٧٣ .

(١٨٨)

وقال :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ قَبَلْتُهُ عَجَلًا وَالْبَيْنُ يَعَجِبُ مِنْ وَجْدِي وَمَنْ يَجَلِي
فَالَ عَنِّي فِيهِ ، ثُمَّ عَرَّضَ لِي خَدًا ، جَرَى فِيهِ مَاءُ الْحَسَنِ وَالْمَجَلِي
فَأَخْضَلْتُ أَدْمِي تَوْرِيدَ وَجْتِهِ فَزَادَ إِسْرَاقَ ذَاكَ الْوَرْدِ بِالْبَلِيلِ
فَارْتَاعَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي ، وَحُرْقَةِ أَحْسَانِي ، وَهَيَّيْ فَاهُ الْعَذْبَ بِالْقَبِيلِ
وَرَأْبَهُ مَا رَأَى مِنْ رَوْعِي ؛ فَبَكَى وَقَالَ : لَا كَانَ ذَا تَوْدِيعٍ مُرْتَجِلِ

(١٨٩)

وقال :

وَنَازِحٍ ، فِي قُوَادِي مِنْ هَوَاهُ صَدِّي^(١) لَمْ يَرَوْ غَلْتَهُ بِالْعَلِّ وَالنَّهْلِ^(٢)
فِي فِيهِ مَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ مِنْ دُرِّ وَمِنْ أَقَاجٍ ، وَمِنْ نَحْرِ ، وَمِنْ عَسَلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يَفْجُوْنِي رَوَيْتُ قَبْلَ النَّوَى قَابِي مِنْ الْقُبْلِ

(١٩٠)

بِنَفْسِي عَذُولُ ، لَأَمْ فِيكُمْ ، فَرَدَّ لِي بِذِكْرِكُمْ رَوْحَ الْحَيَاةِ عَذُولُ
لِحَى نَاصِحًا فِيكُمْ ، فَاذْكِي صَبَابِي وَتُذْكِي الرِّيَّاحَ النَّارَ ، وَهِيَ بَلِيلُ
أُسُوفٍ^(٣) صَعِيدَ الْأَرْضِ ، إِذْ وَافَقَ اسْمُهُ صَعِيدًا بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ زُورُ
وَأَعْدُو عَلَى أُسْوَانَ^(٤) أُسْوَانَ فِي الْحَشَا لِبَعْدِي عَنْهَا لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ

(١) الصدى : العطش . (٢) العلى : الشرب بعد الشرب ، والنيل : أول الشرب .

(٣) السوف : الشم .

(٤) أسوان ، بضم الهزة : مدينة سرورة بصعيد مصر . وأسوان بفتح الهزة : حزين .

قافية الميم

(١٩١)

وقال :

ما استجهلَكَ معامٌ ورُسومٌ إلا ليعلنَ سِرَكَ المكتومِ!
 أو بعدَ ناهيةِ المشيبِ جهالةٌ يأبى الوقارُ عليكِ والتعلِيمِ^(١)
 ما جرتَ في داجيِ الشبابِ، فكيفَ إذ وصحَّتْ بِفودكِ للشيبِ نُجومُ

ومنها :

أعواذِلي، كُفوا، فليسِ بِمُسمي نُضحُ، وبعضُ التاصحينَ ملومُ
 وقرتَ دواعيَ اليينِ سَميَ بَعدُمُ فلنَ يُعفُفُ ناصحٌ ويَلومُ!
 لي كلُّ يومٍ روعةٌ بمودعِ ونوى؛ فهَمي طارفٌ وقديمُ
 وعلى الرُكائبِ ما طلُّ بِديُوننا عسرُ القضاةِ مع اليسارِ، ظلومُ
 مُتبدِّمٌ عن ذى غروبٍ^(٢) واضحِ يُعزى إليه اللؤلؤُ المنظومُ
 في وجهه ماءُ الملائحةِ حائرُ فقلوبنا الظمأى عليه تحومُ
 أتبعنهم قرحى الجفونِ كليلةً تُصحي بدمي تارةً وتغيمُ
 مَسْمولةً^(٣) بمِدامِجِ حالتِ دما فكأئما إنسانها مكلومُ
 يا نازحاً ضنَّ الزمانُ بِقربهِ وجدى عليكِ، وإن رحلتِ، مُقيمُ

(١) حله تخلياً : جله طلياً أو أمره بالحلم .

(٢) غرب التيم : كثرة ريقه وباله وجهه غروب ، وغروب الألسان مانع ريقها وقيل أطرافها وحدتها وباطنها .

(٣) سمل عبه : قفاها .

لى مقلّة قَدَيْتَ بِبُعْدِكَ ، بَرَّهَا
ساوى بِعَادِكَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا
كم أنشأتَ ذَكَرَكَ بَيْنَ جَوَانِحِي
نَفْسٌ يَقُومُ لَهُ اعْوِجَاجُ أَضَالِي
فِيضُ الدَّمْرِجِ ، وَعَقْمَا التَّهْوِيمِ^(١)
كُلُّ ، كَمَا قَضَتْ الِهْمُومُ ، بِهِمْ
من زَفْرَةٍ قَلْبِي بِهَا مَوْسُومُ
وَيَضِيقُ عَن نَزْوَاتِهِ الْخَيْرُومُ^(٢)
لَكِنَّ تَقْرِيفَ^(٣) الْكَاوِمِ أَلِيمُ
مَا أَخْطَأْتُ فِيكَ النَّوَى عَادَاتِهَا

(١٩٢)

وقال :

إِنْ لَمْ تُطْلِقًا يَوْمَ رَامَةٍ^(٤) أَنْ تُسْعِدَا ، فَذَرَا الْمَلَامَةَ
عَقْمَانِي أَنْ مَرَزْتُ بِمَنْزِلِ أَقْضَى ذِمَامَةَ
هُوَ مَنْزِلُ الْأَحْبَابِ ، لَمْ يَدْعِ إِلَيَّ إِلَّا رَامَةَ
وَعَلَى حَقٍّ أَنْ تُصَا فَحُ سُبُّ أَجْفَانِي رَغَامَةَ
وَأَيْبُكَ ، لِأُرْوِيَنَّ ، وَلَوْ سَحَّ دِمُّ أُوَامَةٍ^(٥)
مَا الدَّمْعُ لِلْأَطْلَالِ لَكِنْ أَهْلُهَا أَجْرُوا سَجَامَةَ^(٦)
فِيْلَامَ لَوْمُكَ ! أَفِي رَغِي الْعُهُودِ عَلَى آمَةٍ^(٧)
وَاهَا لِقَلْبٍ لَا يَفُو زُبْسَلُوهُ ، تَسْنِي هِيَامَةَ
غَرَضًا لِيَنَّ لَا يَزَا لُ مَقْرَطَسًا^(٨) فِيهِ سِهَامَةَ
أَبْدًا يَدُ الْأَيَّامِ تَقْرِيفُ^(٩) كَلَّمَا أَنْدَمَلَّتْ كَلَامَةَ^(٩)

(١) التَّهْوِيمُ : هَزُّ الرِّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ . (٢) الْخَيْرُومُ : الصَّدْرُ .

(٣) التَّقْرِيفُ : التَّكْسِرُ فِي الْمَوْضِعِ . (٤) رَامَةٌ : مَوْضِعٌ بِالْبِلَادِيَةِ . (٥) الْأُوَامُ : شِدَّةُ الْعَطَشِ .

(٦) سَجَامَةُ : سِجْمُ الدَّمْعِ بِمَا سَالَ لِيَلَا أَوْ كَثِيرًا . (٧) الْآمَةُ : بَخْتِيفُ الْمِيمِ : الْعَيْبُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَهْلًا أَيْتُ الْعَيْنُ مَهْلًا
لَا إِنْ نِيَا لَتِ آه

(٨) فِي الْقَامُوسِ . الْقُرْطَاسُ : كُلُّ أَدِيمٍ يَنْصَبُ لِلضَّلَالِ . وَرَى قُرْطَاسَ أَصَابِ الْقُرْطَاسِ .

(٩) كَلَامٌ : جَمْعُ كَلِمٍ ، وَهُوَ الْجَرْجُ . وَبَارِزُ الْقَصِيدَةِ فِي ص ١٤١ .

(١٩٣)

وقال :

إِن لَّمْ أُجِبْ بِهَوَاكَ قُلْنَ لَوَائِمِي : ذَا مُبِطَلٌ ، مَا السَّكْمُ شِيمَةٌ هَائِمٌ
وإن آدعى خوف الوُشاة، فما الهوى
لا تكذبن، فما لأبناء الهوى
شغلت قلوبهم بروعات النوى
قراهم صوراً كظلل ماثل^(١)
وأها لأيام الحمى ، لو أنها
إذ أجتلي القمر المردي بالدجى
مكرى بناظره ، وراج رضا به
ماغال عقلي [قطاً]^(٢) سحر جفونه
ثم افتقنا بغتة ، فإذا الذي

ذَا مُبِطَلٌ ، مَا السَّكْمُ شِيمَةٌ هَائِمٌ
لِخَوْفٍ مُذْ خُلِقَ الْهَوَى بَمَلَامٍ
رَأَى يَحْذَرُهُمْ عَوَاقِبَ نَادِمٍ
وَالهَجْرَ عَن خَوْفِ الزَّمَانِ الْعَارِمِ^(٣)
لَا يَرَعُونَ لَزَاجِرٍ أَوْ لَأَمٍ
دَامَتْ ، وَهَلْ عَيْشٌ يَسْرُ بِدَائِمٍ
يَجْلُو الشُّمُوسَ عَلَى الْقَضِيبِ النَّاعِمِ
وَكُتُوسِهِ ، طَوَّلَ الزَّمَانَ ، مَلَاوِمِي
إِلَّا جَعَلْتُ دُؤَابَيْهِ تَمَائِمِي
كُنَّا نُسْرُ بِهِ فُكَاهَةَ حَالِمٍ

(١٩٤)

وقال :

أَحِبَابَنَا . مُذْ أَفْرَدْتَنِي مِنْكُمْ
وَحَمَلْتُ ثِقَلَ الشُّوقِ عَنْكُمْ ، وَإِنِّي
كَأَنِّي عَوْدٌ^(٤) أَوْ هُنَّ الثَّقَلُ صَحْبَهُ
صُرُوفُ اللَّيَالِي ، أَفْرَدْتَنِي بِأَهَمِّ
لَأَضْعُفُ عَن حَمْلِ التَّشَوُّقِ وَالسُّفْمِ
فَرَدُّوا عَلَيَّ ، ثِقَلُهُنَّ عَلَى رَغَمِ

(١٩٥)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ نَأَوُوا ، وَالقَلْبُ دَارُهُمْ : وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٥)
جَهَلْتُ أَنْسِي بِكُمْ ، وَالِدَارُ دَانِيَةٌ
حَتَّى إِذَا تَرَحَّتْ أَدْمِي بِإِدْيِ النَّدَمِ

(١) عزم : اشتد . (٢) مثل : زال عن موضعه . (٣) تكملة لسقط بالأصل يقتضيا الوزن .

(٤) العود : المصنوع من الإبل والشاة . (٥) تجزيت شيبي صدره : " يا من يعز علينا أن نقارهم " .

(١٩٦)

وقال :

كَمْ قَدْ جَزَعْتُ لَبِيْنَ مِنْ فَارَقْتُهُ وصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَالْحَشَا يَتَضَرَّمُ
كَالْقَوْسِ تَرِي السَّهْمَ ، ثُمَّ تَرِنُ مِنْ جَزَعٌ ، وَيَبْدُو الْيَأْسُ مِنْهُ ، فَتَكْظِمُ
وَالْوَجْدُ لَوْ أَجْدَى عَلَى ذِي لَوْعَةٍ مَا مَاتَ بِالْكَمْدِ الْقَدِيمِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٧)

وقال :

وَهَاجَ لِي الشُّوقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةٌ عَلَى غُصْنٍ فِي غَيْضَةٍ^(٢) تَتَرَمُّ
دَعَتْ شَجْوَهَا مَحْزُونَةٌ لَمْ تَنْضُ لَهَا دُمُوعٌ ، فِقَاضَتْ أَدْمِي ، مَرَّجُهَا دَمٌ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ كُنْتَ خَنَسَاءَ لَوْعَةٍ وَوَجِدًا فِئْتِي فِي الْبَكَاءِ مَتَمُّ^(١)

(١٩٨)

وقال :

سَهَرْتُ بِمَحْرَبَتِ^(٣) ، فَطَالَ لَيْلِي عَلَى ، وَلَمْ يَطُلْ لَيْلُ الْيَأْمِ
أَفْكَرَ فِي مُفَارِقَتِي رِجَالًا هُمُ الْكُرَمَاءُ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ
كَانِي السَّهْمُ يُفْرَدُ ، بِاعْتِمَادِ لِنَزْعِ الْقَوْسِ ، مِنْ بَيْنِ السَّهَامِ

(١٩٩)

وقال ، بَارِضَ مَلْطِيَةَ^(٤) ، بِإِزَاءِ الْجَبَلِ الْأَعْرَ :

مَالِي ، وَلِلْجَبَلِ الْأَعْرَ ، وَإِتْمَا كُلُّ الْهَوَى جَبَلٌ أَشْمُ بِهِمْ^(٥)
مَوْفٍ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ ، كَأَتْمَا جُونُ السَّحَابِ فِي ذُرَاهِ جُنُومُ

(١) هو متم بن نويرة الذي حزن حزنا قاتلا على أخيه مالك ورناء رناء مؤزرا .

(٢) النبضة : مجتمع الشجر في مفيض ماء . (٣) حصن في أقصى ديار بكر .

(٤) بلدة من بلاد الروم كانت تناخم الشام . (٥) الهميم : الأسود .

ما زال مطرَحَ نَاطِرِي، حتى إذا
لَا حَتَّ بَعْدِي لِلسَّيْبِ مُجُومٌ
فَارَقْتُهُ ، وَنَابِتُ عَنْهُ ، وَمَانَأَى
وَجُدِي بِهِ ، وَهُوَ الْكَرِيمُ كَرِيمٌ
فَإِذَا ذَكَرْتُ النَّازِلِينَ بِسَهْلِهِ
وَبِهِمْ ، وَإِنْ شَطَّتْ نَوَايَ ، أَهِيمٌ
دَارَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، كَأَتَمَّا
بِي الْمَوْمُ^(١) أَوْ لِعَيْتِ بِي الْخُرطومُ^(٢)

قافية النون

(٢٠٠)

وقال :

ما يُرِيدُ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبِ مُعْنَى
ذَكَرَ الْأَلْفَ وَالرَّوَصَلَ ، لِحْنًا
حَسْبُهُ مَا عِنْدَهُ : مِنْ شَوْقِهِ
وَكَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ مَا أَجْنًا
كَلِمًا شَاهِدَ شَمَلًا جَامِعًا
طَارَ شَوْقًا ، وَهَفَا وَجْدًا ، وَأَنَا
عَاضُهُ الدَّهْرُ مِنَ الْقُرْبِ نَوَى
وَمِنَ الْغَيْبَةِ بِالْأَحْبَابِ حُزْنًا
فَرَقَى مِنْ رَحْمَةٍ عَادِلُهُ
وَرَأَى الْحَاسِدُ فِيهِ مَا تَمَنَّى
وَيَجَهُ مِنْ زَفْرَةٍ تَعْنَادُهُ
وَهُمُومٌ جَمَّةٌ ، تَطْرُقُ وَهَنَا^(٣)
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ ، سُقِيًّا لَكَ ، مِنْ
زَمَنِ ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أُغْنَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَطَلِّ زَائِلٍ
وَالْمَسْرَاتُ تَلَاثِي ، ثُمَّ تَفَنَى
سَاءَنَا مَا سَرَّنَا مِنْ عَيْشِنَا
بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَأَى وَمَجْنَى

(١) الموم : الحمى .

(٢) الخرطوم : الخمر .

(٣) الهم : العاطفة من الليل ، وقيل نحو من نصفه .

فَاقْتَرَفْنَا بَعْدَ مَا كُنَّا صَدَى
وَكذَا الْآيَامُ : مِنْ عَادَاتِهَا
خُلِقَ لِلدَّهْرِ : مَا أَوْلَى امْرَأً
وَكذَا الْبَاخِلُ : مَا أَسْدَى يَدًا
قُلْ لِأَحْبَابٍ نَأَتْ دَارُهُمْ
سَاءَ ظَنِّي بِأَصْطِبَارِي بَعْدَكُمْ
لَأُبَيِّنَنَّ الْجَوَى مِنْ كِبْدِي
وَأُذِيلَنَّ^(٣) دُمُوعًا لَوْ رَأَتْ
أَسْفًا ، لَا بَلَّ حَيَاءٌ أَنِّي
لَأَصْفَا لِي الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكُمْ
وَعَجِيبٌ ، وَالنَّانِي دُونَكُمْ
حَيْثُ كُنْتُمْ فَفُقُودِي دَارَكُمْ
إِنْ دَعَوْنَا ، وَكَفَانَا قَوْلٌ : كُنَّا
أَنَّهَا تُعَقِبُ سَهْلَ الْعَيْشِ حَزْنَا
نِعْمَةٌ مِنْهُ ، فَمَلَأَهُ^(١) ، وَهَنَّا
قَطُّ ، إِلَّا كَدَّرَ الْمَنَّ ، وَمَنَّا^(٢)
وَعَلَى قُرْبِهِمْ أَفْرَعُ سِنًا :
وَلَقَدْ كُنْتُ بِهِ أَحْسَنُ ظَنًّا
مَوْضِعًا لَمْ يُبْتَدَلْ عَزَا وَضْنَا
فَيَضَنَّ الْمَزْنَ^(٤) خَالَتِهِنَّ مِرْنَا
بَعْدَكُمْ بَاقٍ ، وَإِنْ أَصْبَحْتُ مُضْنِي
مَا تَمَادَتْ مُدَّةُ الْبَيْنِ وَعِشْنَا
أَنْكُمْ مِنِّي إِلَى قَلْبِي أَدْنَى
وَعَلَى أَشْبَاحِكُمْ أَغْمِضُ جَفْنَا

(٢٠١)

وقال :

يَانَاقُ ، شَطَّتَ دَارُهُمْ ، حَفِي
مَا أَرَزَمْتُ^(٥) وَهَنَا لَفَقْدِ الْفَهَا
تَذَكَّرْتُ الْأَفَهَا ، فَهَيَّجَتْ
أَبْكَى اشْتِيَاقًا ، وَتَحَنُّنٌ وَحَشَّةٌ
وَأَعْلَنِي الْوَجْدَ الَّذِي تُحْنِي
إِلَّا رَمَتْ جَوَارِحِي بِوَهْنِ^(٦)
لَا عَجَّ شَوْقِي ، وَذَكَرْتُ خَدْنِي
فَقَدْ شَجَانِي حُزْنُهَا وَحُزْنِي

(١) ملاك الله حبيك : تمتك به .

(٢) المَنَّ : الإِنْعَامُ . وَمَنْ عَلَيْهِ : عَدَدُهُ مَا فَعَلَهُ مِنَ الصَّنَاعِ .

(٣) أَذَالَ الشَّيْءَ : أَهَانَهُ . (٤) الْمَزْنَ : السَّحَابُ ، أَوْ أَيْضُهُ .

(٥) أَرَزَمْتُ النَّاقَةَ : حَتَّتْ عَلَى وَلَدِهَا . (٦) الْوَهْنُ : الضَّعْفُ .

حَسْبُكَ قَدْ طَالَ الْحَيْنُ وَالْأَسَى
وَلَا تَمَلِّ مِنْ مَسِيرٍ وَسُرَى
حَتَّى تُنَاجِي نَحْتَ بَانَاتِ الْحَمَى
أَهْوَى الْحَمَى، وَأَهْلَهُ، وَبَانَهُ
شَطُّوا. وَشَطَّتْ بِي دَارِي عَنْهُمْ
لَمْ يُدَكِّرُوا لِي قَطُّ إِلَّا امْتَلَأْتُ
وَهُمْ أَعَزُّ إِنْ نَأَوْا، وَإِنْ دَنَوْا
نَفْسِي فِدَاءً مِنْ أَوْرَى بِالْحَمَى
هُمْ، إِذَا قُلْتُ: سَقَى أَرْضَ الْحَمَى
ضَنًّا بِهِمْ عَنْ أَنْ يَطُورَ^(١) ذَكَرَهُمْ
أَحْيَيْتُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَجَابُ دُجَى
حُبًّا بَحْرِي مَجْرَى الْحَيَاةِ مِنْ دَمِي
فَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِهِمْ عَصَرَ الصَّبَا
فَارَقْتُهُمْ أَشْغَفَتْ مَا كُنْتُ بِهِمْ
أَلْزَمُ كَفَى قُوَادًا مَالَهُ
لَكِنِّي أَدْعُو لَجْمَعِ شَمَلِنَا

وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَوَعْرِ حَزَنِ
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمُرْنِ
وَأَمَّنْ نَأَيْتُ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
وَهُمْ إِلَى قَلْبِي لُدْنِي مِنِّي
بِالْدَمْعِ أَجْفَانِي، وَقَالَتْ: قَطْنِي^(٢)
مِمَّا حَرَى حَلْبِي^(٣)، وَضَمَّ جَفْنِي
وَالْبَانَ عَنْ أَشْمَانِهِمْ وَأَكْرَبِي
وَبَانَهُ صَوْبُ الْحَيَاةِ، مَنْ أَعْنِي
بِمَسْمَجٍ، وَهُمْ مَكَانُ الضَّنِّ
فَوَدَى عَنِ الصَّبْحِ، وَبَيَدِي غُضْنِي
أَصَمَّ عَنْ كُلِّ نَصِيحٍ أُذْنِي
لَبَانَ فِي صَفْقَةِ بَيْعِي غَنِي
وَعَدْتُ قَدْ أَدَمْتُ بِنَانِي سِنِي
مَنْ بَعْدَهُمْ رَوْحٌ سِوَى التَّمْنِي
مُسِيرِ الشَّهْبِ، وَبِحَرَى الشُّفْنِ

(٢٠٢)

وقال (٤) :

أَعْلَمْتُ مَا قُلْتُ بِهِ أَجْفَانَهُ
نَمَّتْ عَلَى حَسْرَاتِهِ زَقْرَاتُهُ
سَمَّتْ، فَبَا حَتْ بِالْهَوَى أَشْبَانَهُ
وَكَذَا يَنْمُ عَلَى الضَّرَامِ دُخَانَهُ

(١) قطنى : يكفى . (٢) الخلب : لحمة رقيقة تحمل بين الأضلاع . (٣) طار بطور : حام ودنا .

(٤) اختار صاحب المسالك لأمانة من هذه القصيدة الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس

وَأَخُو الْهَوَىٰ مِثْلُ الْكِتَابِ: دَلِيلُ ذَا
تَحَكَّى الْبُرُوقُ فَوَادَهُ : فَضْرَامُهَا
ضَمِنَ الْهَوَىٰ أَلَّا يَزَالَ أَخَا ضَنِيَّ
يَا مُدْعَى السُّلُوَانِ عَنْ أَحْبَابِهِ
شَطَّتْ دِيَارُكَ عَنْهُمْ ، وَهَفَا بِكَ الشَّوْقُ الْمَبْرُحُ ، وَالنَّظَّتْ نِيرَانُهُ
وَأَبَاتَ بَيْنَهُمْ هَوَاكَ ، فَمَا عَسَى
كَأَمَّتْ وَاشِيكَ الْهَوَىٰ قَبْلَ النَّوَى
وَعَصَاكَ دَمْعُكَ عِنْدَ خَطَرَةِ ذِكْرِهِمْ
فَإِذَا تَبَادَرَ مِنْ جُفُونِكَ خِلْتَهُ
لَوْ أَيْقَنَ الْحَقُّ الْحَسْرَةَ عَلَيْهِمْ
بَيْنَ الْمَحَبِّ وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَجْرِهِمْ
أَبْدُوَالَهُ مَلَلٌ^(٢) الْقَرِيبِ ، مَعَ النَّوَى
وَتَحَلَّقَ الطَّيْفُ الطَّرِيقُ بِخُلَّتِهِمْ
وَهُمْ الصَّبَا : أَيَّامُهُ مَحْبُوبَةٌ
وَجَاهَلُهُمْ كَفَارَةٌ لِمَلَاهِمِ
لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُمْ مَا أَضْرَمُوا
وَلَجْهَلُهُمْ طَارَفُوا بِطُولِ صَدُودِهِمْ

كَعِيَانُهُ ، وَدَلِيلُ ذَا عُنْوَانُهُ
أَشْوَاقُهُ ، وَخُضُوقُهَا خَفَقَانُهُ
وَصَمَانَةٌ^(١) ، قَوَفِيٌّ بِذَلِكَ صَمَانُهُ
أَيْنَ السُّلُو ، وَأَيْنَ مِنْكَ أُوَانُهُ
شَوْقُ الْمَبْرُحُ ، وَالنَّظَّتْ نِيرَانُهُ
بِكَ فَاعِلٌ هَذَا الْهَوَىٰ وَبِيَانُهُ
فَبَدَّالَهُ مِنْ بَعْدِهَا كِتْمَانُهُ
وَبِقَدْرِ طَاعَتِكَ الْهَوَىٰ عَصِيَانُهُ
عَدَدًا وَهِيَ مَرَجَانُهُ وَجَمَانُهُ
حَظِيٌّ لِحَالَتْ رَحْمَةٌ أَضْغَانُهُ^(١)
بَيْنَ طَوِيلِ بَرَحِهِ^(٣) وَزَمَانُهُ
وَتَنَائِيِ النَّأْيِ ، وَهُمْ جِيرَانُهُ
فَإِذَا أَلَمَّ يَرُوعُنِي هِجْرَانُهُ
وَإِنِ اعْتَدَى فِي غَيْبِهِ شَيْطَانُهُ
وَالهَجْرُ ذَنْبٌ يُرْتَجَى عُفْرَانُهُ
قَلْبِي بِهَجْرِهِمْ وَهُمْ سُكَّانُهُ
وَمَلَاهِمِ طَارَفِيٌّ ، وَهُمْ إِنْسَانُهُ

(١) الضمان: المرض .

(٢) أضغان: جمع ضغن وهو الخفق .

(٣) البرح: الشدة .

(٤) في الأصل (ملك) تعزيف ولعل الصواب ما احتجنا به .

(٢٠٣)

وقال :

أهكذا أنا ، بآقي العمر مُعْتَرِبٌ نأء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقر جِيَادِي فِي مَعْرَسَهَا^(١) حَتَّى أُرْوَعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّنِّ

(٢٠٤)

وقال :

أَيْنَ السُّرُورُ مِنَ المُرُوعِ بِالنَّوَى أبدأ ، فلا وطن ، ولا خُلاَنُ
عِيدُ البَرِيَّةِ مَوْسِمٌ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانُ
وَإِذَا رَأَى السَّمَلَ الجَمِيعَ تَرَاخَمَتْ فِي قَلْبِهِ الأَمْوَاهُ وَالنَّيْرَانُ

(٢٠٥)

وقال :

قَسَمَ المَهْوَى دَهْرَ المُرُوعِ بِالنَّوَى شَطْرَيْنِ بَيْنَ شُؤْنِهِ وَشُجُونِهِ^(٢)
هُوَ فِي الدَّبْحِيِّ كَالشَّمْعِ : يَفْطُر دَمْعَهُ نَارًا ، فَتَحْرِقُهُ مِيَاهُ جُفُونِهِ
فَإِذَا بَدَأَ وَضَحَ الصَّبَاحُ رَأَيْتَهُ مِثْلَ المَآءِ يَنْوُحُ فَوْقَ عُصُونِهِ

(٢٠٦)

وقال بجماعة ، في جفلة أهلها من الروم ، وكان بداره أولادٌ لغلام له ، مات
في الزلازل رحمه الله ، وضمَّ أولاده إليه ، وكان فيهم طفلٌ اسمه منصور ،

(١) المعرس : البيت .

الشجون : جمع شجن ، وهو ألم والحزن . والشنون : جمع شان وهو يجرى الدمع إلى العين .

وكان يألفه ، بقللوا مع من جفل من الأهل والحاشية إلى قلعة جعبر
 ومنصور معهم :

منصور، دارك أضحت منك موحشةً قد أفقرت بعد سُكَّانٍ وجيرانِ
 أضحى اللئى كان منها أمس أضحكى وسرني ، هاج أشجاني وأبكاني
 عهدتها نادياً للهوى، مجتمعاً للأنس ، ملعبَ أترابٍ وولدانِ
 فأصبحت ماها مما عهدتُ بها سوى صدى ، كلما ناديتُ لبَّاني

(٢٠٧)

وقال :

وقد أفردتني الحادثات ، فليس لي أنيس ، ولا في طارق الخطب أعوانُ
 كاتي من غير التراب، تبت بي السيلاد ، فالي في البسيطة أوطانُ
 أجول ، كما جالت قذاة بمقلةٍ وأسرى، وسارى النجم في الأفق حيرانُ

قافية الهاء

(٢٠٨)

وقال :

سلا قلبه : ما غال حسن سلوه ورداه في عى الهوى وغلوه
 وما باله يشكو الفراق؟ وأين من قساوته شكوى الهوى وعوته
 وما خلته مهوى الهوى ومقبله وماوى الأسي وألبت عند هدوه
 تنوب إليه في الصباح شجونه ويأوى إليه الهم عند هدوه

بِنَفْسِي مَن أَهْدَى إِلَى نَجِيَّةٍ عَلَى بُعْدِهِ ، وَافَتْ بَرِيًّا^(١) ذُنُوهَ
فَأَذْكَرَ مَن لَمْ تُنْسِهَ عَهْدَهُ النَّوَى وَلَا طَمِعَتْ فِي يَأْسِهِ وَنُبُوهُ
يَحْنُ اشْتِيَاقًا بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَا وَرِتَاحٌ فِي رُوحَاتِهِ وَغُدُوهَ

(٢٠٩)

وقال :

أَلَا مَن لِّصَادٍ ، وَالْمَوَارِدُ جَمَّةٌ لَهُ عَلَّلٌ^(٢) مَن بَرَدَهَا لَمْ يَرَوْهُ
يُغَانُ^(٣) عَلَيْهِ ، حِينَ يَسْمَعُ نَبَأَهُ بِذِكْرِهِمْ ، أَوْدَعُوهُ مَن مِّنْهُ
إِذَا مَا دَعَاهُ الشُّوقُ نَحْرًا كَأَنَّهَا بِهِ الْمَوْتُ ، لَوْلَا أَنَّهُ الْمَتَاوَهُ

(٢١٠)

وقال^(٤) :

بِكَاءُ مِثْلِي مَن وَشِكِ النَّوَى سَفَهُ وَأَمْرُ صَبْرِي بَعْدَ الْبَيْنِ مُشْتَبَهُ
فَا يُسَوِّفُنِي فِي قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وَلَيْسَ فِي الْيَأْسِ لِي زَوْحٌ وَلَا رَفَهُ
أَكْثِمِ النَّاسَ أَتْجَانِي ، وَأَحْسِبُهَا تَخْفَى ، فَتُعْلِنُهَا الْأَسْقَامُ وَالْوَلَهُ
كَأَنَّيَ مَن ذُهِوِلِ الْهَمِّ فِي سِنَةِ وَنَظَرِي قَرِحُ الْأَجْفَانِ مُنْتَبَهُ
أَذْنِبْتُ ، ثُمَّ أَحَلْتُ الذَّنْبَ مَن سَفَهُ عَلَى النَّوَى ، وَلَيْسَ الْعَادَةُ السَّفَهُ
أَقَمْتُ طَوْعًا وَسَارُوا ، ثُمَّ أَنْدَبُهُمْ^(٥) صَحَبْتُ نَوَاهِمَ حَيْثُمَا اتَّجَهُوا !

(١) الريا : الرج العلية .

(٢) اللال محركة : الشربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تباعا .

(٣) غين على قلبه غينا ؛ غشى عليه .

(٤) رويت هذه القطعة في نريدة القصر أيضا : ١٠٤ .

(٥) في النريدة « هلا » .



أَضْرَبِي نَاطِرٌ تَدْمِي مَحَابِرَهُ
فَمَا يَلَانِمُ ذَا بَعْدَ النَّوَى فَرَحُ
سَقِيًّا لِدَهْرٍ ، نَعْمَانَا فِي غَضَارَتِهِ
وَعَيْشُنَا لَمْ يُحَالِطِ صَفْوَهُ كَدْرُ
مَضَى ، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا نُسْرِبُهُ
وَخَاطِرٌ ، مُذْنَاوَا ، حَيْرَانٌ مُنْشَدُهُ
وَلَا يَرُوقُ لِهَذَا مَنظَرٌ تَزَهُ
إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَنَا بَلَهُ
وَوَدْنَا لَمْ تَسْبُ إِخْلَاصَهُ الشُّبَهُ
كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ (١) فِي الَّذِي كَرِهُوا

(٢١١)

وقال :

يَا قَلْبُ ، زَفَقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلْدِي
مَا غَابَ عَنِّي ، فَأَنْسَاهُ ، وَلَسْتُ أَرَى
قَد كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَرْعَاهُ ، وَأَحْفَظُهُ
كَمْ ذَا الْحَيْنِ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَثَوَاهُ
فِي الْخَلْقِ لِي عَوَضًا عَنْهُ ، فَأَسْأَلُهُ
وَمُذْ بَعُدْتُ تَوَلَّى حَفْظَهُ اللَّهُ

(٢١٢)

وقال :

مَا وَجَدُ مَنْ فَارَقَ أَحْبَابَهُ
فَارَقْتُ مِنْ أَمْوَالِهِ عِنْدَهُ
مَنْ طَابَ لِلْجَانِي جَنَاهُ ، وَمَنْ
أَعَزُّ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِي عَلَى
إِذَا مَدَحْنَا مَا جَدًّا غَيْرَهُ
فَنْ يُسَاوِي فَقَدْ هَذَا يُجْبُو
كَوْجِدُ مَنْ فَارَقَ رَوْحَ الْحَيَاةِ
عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ لِلْعَفَاةِ
كَفَّرَ بِالْعَفْوِ ذُنُوبَ الْجِنَاةِ
عَيْنِي ، وَمِنْ قَلْبِ حِبَاهُ هَوَاهُ
فَمَا أَرَدْنَا بِمَدِيحِ سِوَاهُ
بِ إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ سَلَاةُ

(١) في الأصل « منها » تحريف ، والصحيح من نردة القمر .

قافية الألف المقصورة

(٢١٣)

وقال :

لو كان يوجد مثله ، خلق الهوى	بأبي هوىً فارقته ، ومثله
فتن الملاحه يوسف ما قد حوى	حاز الجمال بأسره ، لم يحو من
في ماء خديه غريباً ، ما ارتوى	في القلب منه غلّة ، فلو اغتدى
دمع الغرام ، ولا درى كيف الجوى	يلحى عليه خلى بال ما درى
رشد المحب ، ولا عليه إن غوى	متكلف مقت النصيحة ، ماله
أحبتها لحرث بفرقتها نوى	وأنا المروع بالنوى ، لو أننى
من جرحه في الحب عندهم شوى ^(١)	فعلام يلحى اللانمون بجهلهم

..

(١) الشوى : الأمر الهين .

ما قاله في المكاتبات ، وما يخرطُ في سلكها من المعاتبات

قافية الهمزة

(٢١٤)

قال ، وكتب بها إلى شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن ابن أخيه نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد ، وكان ساراً إلى مصر ، وسار هو إلى الحجاز سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى	فليلي وصبحي في الظلام سواء
ففي أسودى قلبي وطرفي محله	وإن بعدت أرض بنا وسماؤه
ترحل غرباً ، وارتحلت مشرقاً	وخلف ارتحال الطاعنين عناء
إذا زادنا الترحال بعداً ، فما الذي	يقربنا إن كان ثم لقاء
بلى ، إن لطف الله يجمع شملنا الش	تيت ، ويذني الدار كيف يشاء

قافية الباء

(٢١٥)

وقال^(١) :

لم يبق لي في هواكم أرب	سلوتكم والقلوب تنقلب
وضعت عني أثقال حُبكم	وحامل الحب مثقل تعب
وردى قذى ودكم ، وغضى أجفاً	ني عليه ، من فعلكم محب

(١) هذا الشعر من مرديات باقوت ٥ : ١٩٦ والخريدة ١ : ١٠٠ مع اختلاف في الترتيب وقد ذكرنا المطاع

والأربعة الأبيات الأخيرة .

إِلَامَ دَمَعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبُ قَانٍ، وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ
إِنْ كَانَ هَذَا لِأَنْ تَعَبَدَنِي السُّحْبُ، فَقَدْ أَعْتَقْتَنِي الرَّيْبُ
أَرَيْتُونِي^(١) نَهَجَ السُّلُوبِ، وَقَدْ كَانَتْ بِي الطَّرُقُ عَنْهُ تَشَعِبُ
أَخِينْتُمْ فَوْقَ مَا تَوَهَّمَهُ النَّاسُ، وَخُتِمَ أَعْضَافُ مَا حَسِبُوا

(٢١٦)

وكتب إلى صديق له :

وقد كنت أرجو أن أراك ، وبدينتنا مفاوز أذناها الشناخيب^(٢) والسهب^(٣)
فلما تدانينا يأست ، وزادني تباريح شوق ضقت ذرعاً بها ، القرب

(٢١٧)

وقال^(٤) :

تبدل^(٥) ، حتى قد مللت دتابه وأعرضت عنه ، لا أريد أفترابه
إذا سقطت من مفرق المرء شعرة تأفف منها أن تمس ثيابه

(٢١٨)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أيأنازحاً لم أحسب بعد داره وقد كان ، لو نلت المنى ، قربه حسبي
تعرضت الأخطار دوت لقائنا وصد التناي عن مواصلة الكتب
وقد صار يأتي بعد حول مجرم^(٦) كتابك مقصوراً على اللوم والعتب
فيا أنس قلبي ، لا تزدني وحشة ويا روح كربني ، لا تكن سبب الكرب

(١) الرواية في باقوت وخريدة القصر "أرضعتم لي سبل السلو"

(٢) الشخوبية : رأس الجبل . والجمع شاييب .

(٣) السهب : الفلاة . (٤) ما رواه الهادي لأسماء في الخريدة .

(٥) يقال - حول مجرم كعظم : تام . (٦) في الخريدة (تجزيم) .

(٢١٩)

وكتبَ إلى صديقٍ له :

يأمن به سلوئي عن كلِّ مُفتَقِدٍ ومن مودته أدنى من النسبِ
شكوتَ همك بي لما اشتكيتُ، فلا زلتَ الموقى من الآلامِ والنوبِ
أبلَ جسمي من أوصابه ، وأرى قلبي من الهم لا ينفكُ ذا وصبِ
ودأؤه باطنٌ ، لا طبَّ يبلغه إن لم يداركه لطفٌ غيرُ مُحْتَسَبِ
وما اللى ناله من دانه عجبٌ لكن سلامته من أعجب العجبِ

(٢٢٠)

وقال ، وكتب بها إلى ابن أخيه شمس الدولة ، وقد سيره إلى مصر ،
لى الملك الصالح :

أيا غائباً ، يدنيه شوقى على النوى لآنت إلى قلبي من الفكرِ أقربُ
وما غاب من أفاقه : عيبي وخاطري له مطلعٌ من ذا ، وفي تلك مغربُ
غبطك نعمى ، فزت دوني بنيلها ونفراً ، له ذيلٌ على الشحبِ يسحبُ
جوارك من يجمى على الدهرِ جاره ويطلبُ منه جوده كيف يطلبُ
هو البحرُ، تروى الأرض عند مسكونه وتغرقُ فى تياره حين يغضبُ
فئن لى لو كنت الرسولَ بآيه لتبردَ رؤياه حشاً تتلهبُ
وأبلغ ما أنفقتُ فى أملي له من العمرِ عشراً ، كأنها لى متعبُ
فأرق لى فيها نسيمُ أصالي ولا راق لى فيها من الهم مشربُ

ولولا رجاء الصالح الملك الذي به طال، واستعلى على الشرق مغرب
وأني ساوي من حماه إلى حمي يرى كل خطب دونه يتذبذب
لمت، وما موتي عجيب، وقد نأت بي الدار عنه، بل بقاني أعجب

(٢٢١)

وقال، وكتب بها إلى الوزير نظام الدين أبي الكرام المحسن بن الحسين بن
أبي المضاء (رحمه الله) في صدر كتاب :

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رصيت بعد الديار من القرب
ولكن آياي قضت بستائنا ففارقكم جسمي، وجاوركم قلبي
ولو جمعنا الدار بعد تفرق لكتم من الدنيا ونعمتها حسني

فوقف عليها الملك الصالح (رحمه الله)، وأجاب عنها بهذه القصيدة :

من اليوم لا أغتر ما عشت بالحب ولا أطلب العتي (١) من الخلل بالعب
ولا أرتضي بالبعد من ذي مودة وأقع منه بالرسائل والكتب
ولا سيما إن قال لي متصنعا: ففارقكم جسمي، وجاوركم قلبي
على أنني قد قلت حين أجبته بلا حشمة: ما أشبه العذر بالذنب
أخلاي، لو رمت دنوا لما أبي سرى العيس، بل ركض المطهمة القب (٢)
ولكنكم بعتم وفاء بغدرة غداة اشتريتم وحشة البعد بالقرب
عليكم سلام الله، إن يعادكم لأعظم ما قد كان من ذلك الخطب

(١) العتي: الرضا.

(٢) العيس: الإبل البيض يخالط يخالطها شفرة. والمطهمة: البارة الجمال. والقب: الخليل المرتفعة.



وَلَوْ أَنَّا كُنَّا ظَنَيْنَاهُ لَمْ نَكُنْ
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْغَدْرِ مِنْ بَنِي
 وَهْلِ نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ
 غَدَاً وَالْغَا^(٣) كَالْكَلْبِ ظُلْمًا وَحَزْبُهُ
 وَيَالَيْتَهُ ، لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْوَفَا
 وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُتِمَ الْعَهْدَ مِثْلَهُ
 وَمِنْ مِثْلِ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ دَنْبِهِ
 وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ هَبَّ نَسِيمُهَا
 سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُزْنَةٌ
 فَأَضْحَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحُونَ صَقِيلَةً
 بِأَحْسَنِ ، بِمَجْدِ الدِّينِ ، مِمَّا تَصَرَّفَتْ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أَضْحَى يَزُورُنَا
 أَحْبَابِنَا . يَا طَالَ مَا كَانَ قَرِيبُكُمْ
 وَكُنْتُمْ إِلَى قَلْبِي ، إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ
 تَرَكْتُمْ مُدُودَ النَّيْلِ ، يَرُوعِي بِهَا الظَّمَا
 هُوَ الْآيَةُ الْعَظْمَى الَّتِي دَلَّ حُكْمُهَا
 بِحَيْثُ الْأَمَانِي لَيْسَ تُخْلَفُ سَجْبُهَا
 وَمَا اعْتَضْتُمْ مِنْهُمْ غَدَاةً نَقَلْتُمْ
 وَإِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَهَدْتُمْ مُحَافِظٌ

نُظَاهِرُ دُونَ النَّاسِ عِمَاسٌ بِالْحَرْبِ
 نَجِيٍّ الْهُدَى مَا لَمْ يَنْهَ بَنُو حَرْبِ^(٢)
 مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّيِّ وَالنَّهْبِ
 دِمَاءَهُمْ ، لِاحْلَاطِهِ اللَّهُ مِنْ حِزْبِ
 لِمَالِكِهِ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي الْكَلْبِ
 وَلَا لَكُمْ فِيهَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبِ
 يُجَاذِرُ أَيُّ تَدْنُو الصِّحَاحُ مِنَ الْجُرْبِ
 عَلِيًّا ، فَلَمْ يُوقِظْ بِهَا نَائِمَ الثُّرْبِ
 كَأَيَّمَانِنَا ، لِمَا هَمَّتْ بِنْدَى سَكْبِ
 تَضَاحِكُ فِي أَرْجَانِهَا أَوْجَهَ الشَّرْبِ^(٤)
 بِنَائِكَ فِي تَقْوِيْفِ أِبْرَادِهِ الْقُشْبِ
 بِمَسْرَاهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْغَرْبِ
 إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَنَعْمَتِهَا حَسْبِي
 عَلَى ظَمًا ، أَشْمَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
 وَيُخْلِفُهَا مِنْ جُودِنَا النَّيْلُ فِي الْجَدْبِ
 بِأَوْطَانِنَا أَنْتَ الْعِنَايَةَ لِلرَّبِّ
 بِسُقْيَا ، إِذَا مَا أَخْلَفْتَ دَرَّةَ السَّحْبِ
 بِكُرِهِ إِلَى جَدْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْخِصْبِ
 عَلَى الْوُدِّ مِنْكُمْ فِي بَعَادٍ وَفِي قُرْبِ

(١) هو الوزير عباس الصنهاجي . راجع المقدمة .
 (٢) هم بنو أمية .
 (٣) ولغ الكلب في الإماء : شرب ما فيه بأطراف لسانه .
 (٤) الشرب : الشاربون .

أَحْبُّ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعْدُّكُمْ بِلا مَرَّةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لِالصَّحْبِ
أَسَامَةٌ^(١) لِي مِنْهُ اعْتِزَامُ أُسَامَةَ وَمَرْهَفٌ^(٢) فِيهِ هَزَّةٌ الْمَرْهَفِ الْعَضْبِ^(٣)
فَإِنْ تُبْعَدُوا عَنَّا ، فَنِي حِفْظِ رَبِّكُمْ وَإِنْ تَقْرُبُوا مِنَّا فَنِي الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ

(٢٢٢)

وقال :

لَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمَشْتَتِ شَمَانَا فَأَصْبَحْتُ فِي شَرْقٍ ، وَأَمْسَيْتَ فِي غَرْبِ
لَقَدْ عَزَّهُ تَفْرِيقِ صَادِقٍ وَدَنَا وَأَعْجَزَهُ إِبْعَادُ قَلْبِكَ مِنْ قَلْبِي

(٢٢٣)

وقال ، وكتب بها إلى صديق له ، سأله السفارة عند بعض الأمراء ، لرجل
سأله ذلك ، فتأخر جوابه :

أَبَا الْبَرَكَاتِ ، لِي مَوْلَى جَوَادُ مَوَاهِبُهُ كَمَنْهَلِ السَّحَابِ
مُجْكَمٌ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي وَلَوْ كَلَّفْتَهُ رَدَّ الشَّبَابِ
فَمَا بَالِي أَرَى مَا أَبْتَغِيهِ بَعِيدًا عِنْدَ مُنْقَطِعِ السَّرَابِ
وَعِذْرُكَ فِي قِضَا شُغْلِي قِضَاءُ يُصَرِّفُهُ ، فَمَا عُذْرُ الْجَوَابِ

(٢٢٤)

وقال :

لِي صَدِيقٌ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرِّي وَخَبَايَا صَدْرِي وَمَكْنُونِ قَلْبِي
لَا أَرَى دُونَهُ لِسَرِّي سِتْرًا فِي مُنَاجَاتِهِ وَمُضْمُونِ كُنِّي

(١) أسامة في أول البيت هو ابن منقذ ، ولفظ أسامة بعده يريد به الأسد .

(٢) هو مرهف بن أسامة .

(٣) المرهف : السيف الدقيق . والعضب : القاطع .

لو اتَّيَّنِي صَحِيفَتِي فِي حَيَاتِي قُلْتُ : خُذْهَا ، فَانظُرْ قَبَائِحَ ذَنْبِي
وهو إن جاءه كتابٌ طَوَاهُ وطَوَاهُ عَنِّي اطْرَاحًا لِعَتْبِي
وأرى أن كُتِبَ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ سَيِّئٍ ، وَغَيْرُ نَقْصِي وَتَلْبِي
فلهذا عذرته ، وَلَعَمْرِي إنَّ عذري لمؤلمٌ مثلُ ضَرْبِي

قافية الاء

(٢٢٥)

وقال^(١) :

وما أشكو تلونَ أهلِ وُدِّي ولو أجدتُ شكيتهمُ شكوتُ
مَلَلْتُ عتَابهمُ ، وَيَأْسْتُ مِنْهُمُ فما أرجوهمُ فِيمَن رَجوتُ
إذا أدمتُ قوارصهمُ فَوَادِي كَطَمْتُ عَلَى أَذَاهِمُ ، وَأَنْطَوَيْتُ
وَرُحْتُ عَلَيْهِمُ طَلِقَ الْحَيَا كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ
تَجَنَّوْا لِي ذُنُوبًا مَا جَنَّتْهَا يَدَايَ ، وَلَا أَمَرْتُ ، وَلَا نَهَيْتُ
وَلَا وَاللَّهِ ، مَا أَضْرْتُ غَدْرًا كما قد أَظْهَرُوهُ ، وَلَا نَوَيْتُ
ويومُ الحَشْرِ موعِدُنَا ، وَتَبُدُو صَحِيفَةً مَا جَنَّوهُ وَمَا جَنَيْتُ

قافية الشاء

(٢٢٦)

وقال ، وكتبَ بها إلى أخيه بهاء الدولة ، أبي المغيث مُنْقَذٍ (رحمه الله تعالى) :

أيا مُنْقَذِي ، وَالْحَادِثَاتُ تَنَوَّشْنِي^(٢) وَدَافِعَ هُمِي إِذْ تَرَادَفَ بَعْتُهُ
لسانِي عَن شِكْرِي أَيَادِيكَ مُفْحَمٍ وَأَنْتَ ، فَأَعْلَى مِنْ ثَنَاءِ أَبِيثُهُ

(١) رويت من هذه القصيدة في مسالك الأضمار (١٠ : ٥٠٧) الآيات الأربعة الأولى .

(٢) النوش : التناول والطلب .

تَحَمَّلْتَ عَنِّي كُلَّ خَطْبٍ يَتُودُنِي^(١) وَنَاهَلْتَنِي^(٢) عَيْشِي ، وَقَد بَانَ حُجْبُهُ
فَدَىٰ لَكَ ، يَا طَوْعَ الْإِخَاءِ أَمِينَهُ عَلَيَّ غَيْرِهِ ، مُسْتَكْرَهُ الْوَدِّ رَتْهُ
نَسِيْتُ لِمَا يُؤَلِّي ، وَمَا طَالَ عَهْدُهُ مُلُولٌ لِمَنْ يَهْوَى ، وَمَادَامَ لَبْسُهُ
وَمَا أَشْتَكِي شَوْقِي إِلَيْكَ تَجَلُّدًا عَلَيَّ أَنَّهُ بَلْبَالٌ قَلْبِي وَبَثُّهُ
وَقَاسَمَنِي قَلْبِي عَلَى الصَّبْرِ عَنكُمْ وَلَا عَجَبٌ إِنْ بَانَ بِعَدَاكَ حِثُّهُ
وَمَا زَالَ يَذْنِيهِ إِلَيْكَ حِفَاظُهُ وَعَدْرُ صُرُوفِ الدَّهْرِ عَنكَ تَحْتُهُ
وَشَارَكَنِي فِيهِ هَوَاكَ ، فَهَمُّهُ وَأَفْكَارُهُ عِنْدِي ، وَعِنْدَكَ مُكْنَتُهُ
وَمَا ضَعَفْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، وَإِنِّي كَمَهْدِكَ : وَغَرُّ الْخَلْقِ فِي الْخَطْبِ وَعَنْتُهُ
جَرَى عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَالْمَوْتُ مُحْجِمٌ مَرِيرُ الْقَوَى ، وَالدَّهْرُ قَد بَانَ نَسْكَتُهُ
كَظُومٌ عَلَى غَيْظٍ يَضْبِقُ بِهِ الْحَشَا فَلَسْتُ ، وَإِنْ آدَ^(٣) اصْطَبَارِي ، أَبْثُهُ
وَلَمْ أُرِثِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ كَلَالَةً وَلَكِنَّهُ عَنِ مُرْشِدِي^(٤) لِي إِرْتُهُ
عَنِ الْمُنْتَرَى أَخْلَافٌ دَهْرٌ تَسَابَهَتْ أَطَايِبُهُ ، إِلَّا عَلَيْهِ ، وَغَثُّهُ
نَدَاهُ رُبَيْعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَبِيهِ إِذَا أَخْلَفَ الْوَسْمَى جَادَ مُلْتَهُ^(٥) .
يُضَاعَفُ دَاءُ الْحَاسِدِينَ كَالْهَلَّةِ عَلَيَّ أَنَّهُ يَسْفِي مِنَ الدَّاءِ نَفْتُهُ

(١) الأورد : الإتهال . ويقال أدنى يتودنى : أتقلقى .

(٢) التهلان : الزيان .

(٣) الوهوت : الشدة .

(٤) مرشد : جد أسامة .

(٥) مرى الناقة : مسح ضرعها ، نسي : استخرجه . والأخلاف : جمع خلف وهو الناقة كالضرع للشاة

(٦) الك : دوام المطر والندى . وأنت المطر : دام أياما لا يقطع . والوسمى : مطر الربيع الأول .

(٢٢٧)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

يَا ثَانِيًا لِلنَّفْسِ ، وَهوَ لِنَظَرِيٍّ أَعَزُّ نَالِثٍ
وَنَجِيٍّ فِكْرِي دُونَ سَا نِرٍ مِنْ أَنَاجِيٍّ أَوْ أَحَادِثِ
أَشْكُو فِرَاقَكَ ، فَهوَ أَوْ جَعُّ مَالِقِيَّتٍ مِنَ الْحَوَادِثِ
شَكْوَى مَشُوقٍ يَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ ، وَالْمَصْدُورُ نَافِثِ
وَالْوَمُّ دَهْرًا جَدًّا فِي تَسْتَيْتِ شَمْلِي ، وَهُوَ عَابِثِ
إِنِّي عَلَقْتُ مِنْ اضْطَبَا رِي عَنْكَ أَسْبَابًا رَثَائِثِ ^(١)
عَاهِدَتُهُ إِلَّا تُضَعُ ضَعْفَهُ النَّوَى ، وَأَرَاهُ نَاكِثِ
وَكَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكُمْ فِي كَفِّ ضَابِثِ ^(٢)
وَبَقَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ خَطْبٌ ، لِعَمْرَأَيْكَ ، كَارِثِ

قافية الدال

(٢٢٨)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

يَا مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَا نِيِ وَالتَّدَانِيِ فِي إِزْدِيَادِ
أَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا لِبُعْدِكَ ، بَيْنَ أَهْلِ فِي بِلَادِي
مَسْتَوْحِشًا مَعَ كَثْرَةِ السُّخْلَانِ وَخَشَّةِ ذِي انْفِرَادِ
وَأَقْلُ مَالِقِيَّتُ بَعْدَكَ مِنْ تَبَارِيحِ الْبِعَادِ
شَوْقٌ لِمَيْكَ أَبَاحَ فَيْضِ مَدَامِعِي ، وَحَمَى رُقَادِي

(١) رث : بلى . (٢) ضبث به : قبض عليه بكفه .

(٢٢٩)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

أَسَاكِنَ قَلْبِي ، وَالْمَهَامَهُ بَيْنَنَا
وَأِنْسَانَ عَيْنِي ، وَالْمِزَارُ بَعِيدُ
تُمْتَلِكُ الْأَشْوَاقُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ
فَهَمِّي جَدِيدٌ ، وَالزَّرَاقُ جَدِيدُ
وَمُعْظَمُ هَمِّي أَنَّ عُمَرَ فَرَأَقْنَا
مَدِيدٌ ، وَعُمْرِي ، لِلشَّقَاءِ ، مَدِيدُ
فِيَا عَجْزُ ، مَا الْخِنْسَاءُ مِثْلِي ، وَلَا نَهَى
بَوَادِرَ دَمْعِي مَا قَضَاهُ لَيْبِدُ^(١)

(٢٣٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، وَافِي كِتَابِكَ شَاهِرًا
صَوَارِمَ عَنَبٍ ، كُلُّ صَفْحٍ لَهَا حَدُّ
فَقَابَلْتُ بِالْعُتْبِيِّ مَضِيضَ عَنَابِهِ
وَلَمْ يَتَجَهَّمَهُ الْحِجَابُ وَلَا الْحَدُّ
وَأَعْجَبَنِي عَيْي لَدِيهِ ، وَلَمْ أَزَلْ
إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصِمِي لِي الْحِجَابُ^(٢) اللَّدُّ
فِيَا حَبْدًا ذَنْبٌ إِلَى نَسْبَتِهِ
وَمَا خَطَأُ مِنِّي أَنَا ، وَلَا عَمْدُ
وَلَوْ كَانَتْ مَا بُلَّغْتَهُ ، فَظَنَنْتَهُ
لَكَفَّرَهُ حَقُّ الْأُخُوَّةِ وَالْوُدِّ
فَأَهْلًا بَعْتِبُ تَسْتَرِيحُ بَيْتَهُ
لَقَدْ رَاقَ فِي قَلْبِي ، وَلَدَّ سَمَاعُهُ
بِسْمِعِي "فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ"

(٢٣١)

وقال :

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي أَنَا سَأَ صَحْبَتَهُمْ
فَأَحْفَظُوا عَهْدًا ، وَلَا رَاعُوا الْوُدَّ
بَأَنِّي ، وَإِنْ حَالَتْ بِي الْحَالُ ، لَمْ أَقُلْ
لَهُمْ وَأَصِفَا شَوْقًا ، وَلَا شَاكِيًا وَجَدًا .

(١) يشير إلى قول لبيد لابنته :

إلى الحول ثم باسم السلام عليكما ومن بك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) عجز بيت لأبي فراس صدره ... سأسكت إجلالا لعلي أنه ...

خُذُوا بِزِمَامِي ، قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ رَجوعَ مُرِيدٍ ، لَا يَرِي مِنْكُمْ بُدَا
وَلَكِنْ لِي الْأَعْوَاضُ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِكُمْ أُنْدَى

قافية الراء

(٢٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها (١) :

عَنْ الْعَتَبِ لَكِنْ جَاشَ بِالْكَمَدِ الصَّدْرُ	أَحِبَابِنَا ، خَطْبُ التَّفَرُّقِ شَاغِلٌ
تَصَرَّمَ فِي حَفْنِي وَدَادِكُمُ الْعُمُرُ	لَأَسْرَعَ مَا حُلْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ بَعْدَمَا
عُهِدْتُكُمْ غَدْرٌ ، وَوَدْتُكُمْ حَتْرٌ (٢)	وَلَا عَجَبٌ ، أَنْتُمْ بَنُو الدَّهْرِ ، مِثْلُهُ :
بِزُنْحُرْفِهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهَا لَنَا قَصْرٌ (٣)	كَأَنْتُمْ الدُّنْيَا : تَمُدُّ رِجَاءَنَا
وَخُنْتُمْ ، فَدَتُّمُ بِالَّذِي شَرَعَ الْغَدْرُ	مَلَّتُمْ ، فَلْتُمْ نَحْوَ دَاعِيَةِ التَّلَى
”كَمَا قَدْ تُنْسَى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ“	وَأَنْسَأَكُمْ حَفْظَ الْعَهْدِ مَلَالِكُمْ
إِذَا مَا شَأْنَكُمْ عَنْ مُحَافِظَتِي الْغَمْرُ (٤)	وَإِنِّي لَتَنْبِيئِي إِلَيْكُمْ حَفِيظَتِي
لَتَقْضُونَ فِي هَجْرِي بِمَا خَيْلَ النِّكْرُ	وَأُكْذِبُ رَأْيَ الْعَيْنِ فِيكُمْ ، وَإِنَّكُمْ
أُوْمَلُّ : مِنْ إِنْصَافِكُمْ مَسَلِكٌ وَعَرُ	أَسَهِلُ فِيمَا رَابَ مِنْكُمْ ، وَدُونَ مَا
وَمَا قَرُبُ دَارِ حَالٍ مِنْ دُونِهَا الْهَجْرُ	لِهَجْتُمْ بِهِجْرِي ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ
إِلَى أَنْ تَقْضَى ذَلِكَ الزَّمَنُ النَّضْرُ	وَأَغْضَى تَجَنِّيَكُمْ جُفُونِي عَلَى الْقَدَى

(١) انظر أول القصيدة ص ٧٢ .

(٢) الخمر : الغدر والخديعة أو أقيح الغدر .

(٣) قصر : غاية .

(٤) الغمر : من لم يميز الأمور .

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا أَتَانِي قَوَارِصُ
 أَسْرَكُمُّ أَنْ خَلِئْتُمْ الدَّهْرَ سَاءَنَا
 وَقَرَّتْ بِنَا ، لَأَقَرَّتْ ، الْأَعْيُنُ الْخُزْرُ^(١)
 يَسُوءُهُمْ ، لَوْلَمْ أَغْبِ عَنْهُمْ ، الْجَهْرُ
 تَعَرَّضَ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ ذِكْرِ الْوَقْرِ
 وَأَصْغَيْتُمْ إِذْ لَمْ تَقُولُوا ، وَطَلَمَا

(٢٣٣)

وقال ، وكتب بها في كتاب :

وَكِتَابٍ مِنْكَ فَاجَانِي كَبِيرِ جَاءَ بِالظَّفْرِ
 رَدَلِي شَرِخَ الشَّبَابِ وَمَا غَالَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عُمُرِي
 ظَنَنَّهُ الرَّأْيِي مَكَاتِبَةٌ وَهُوَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرِّ

(٢٣٤)

وقال :

يَا بَعِيدًا أَحَلَّهُ الشَّقِيقُ قَلْبِي وَنَاطِرِي
 مَا نَأَى مِنْ خَيَالِهِ حَاضِرٌ فِي صَمَائِرِي
 وَالتَّنَائِي ، إِذَا صَفَا وَدُنَا ، غَيْرُ ضَائِرِ

(٢٣٥)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة من الرزم بطري^(٣) :

يُكَائِرُ مَاءَ الرِّزْمِ^(٤) عِنْدَ ادِّكَارِكُمْ دُمُوعِي ، وَلَكِنْ ذَا بَرُودٍ ، وَذِي قَطْرٍ^(٥)
 وَلَوْلَمْ أَعْرِهَا بَعْدَكُمْ كَلَّ مِنْ بَكِي لِأَعْظَمَهَا عَنْ أَنْ يُكَائِرَهَا الْقَطْرُ

(١) المجلس : كساء . على ظهر البعير تحت البرذعة . (٢) الأعين الخزر : الضيقة ، كناية عن الأعداء .

(٣) لعله اسم موضع . (٤) الرزم : واد في أرض أرمنية فيه ماء كثير يصب في دجلة (ياقوت) .

(٥) القطر : الحاس الذائب .

(٢٣٦)

وكتب إلى شمس الدولة ابن أخيه :
أشَمَسَ الدَّوْلَةَ ، اسْمَعِ بَثَّ شَوْقِي يَضِيقُ بِمَثَلِهِ ذَرْعُ الصَّبُورِ
لقد أوحشت دُنْيَا ، كُنْتَ أَنْبِي بَهَا ، وَسَلَبْتَنِي رَغَدَ السُّرُورِ
إذا ما الشَّمْسُ لم تظهَرُ بأَرْضِ فما طيبُ الحَيَاةِ بغيرِ نُورِ
وإن أصبحتَ في خَلْدِي مُقِيًّا بحيثُ يَجُولُ فِكْرِي من ضَمِيرِي
فَقُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ من بَعَادِ ورُؤْيَا العَيْنِ أَشْفَى للصدورِ

(٢٣٧)

وكتب إليه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير^(١) من مصر
كاتباً افتتحه بهذه الأبيات :

أَحْبَابِنَا ، مَا مِصْرُ بَعْدَكُمْ مِصْرُ وَلَكِنَّا قَفْرٌ ، إِلَيْكُمْ بِهَا فَقْرُ
وإن تَحَلُّ يَوْمًا بَقْعَةً من شُخُوصِكُمْ فلم يَحُلْ يَوْمًا من مَوَدَّتِكُمْ صَدْرُ
وإن تُنَنِّمُنَا عَنَّا المِهَامِهُ والسَّرَى تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا المَوَدَّةُ وَالذِّكْرُ
رَحَلْتُمْ ، فَعَادَ الدَّهْرُ لِيلاً بِأَسْرِهِ وليسَ لَهُ إِلَّا بِأَوْبَتِكُمْ بَحْرُ
تُرَى فَأَضَّ مَا لَقِيَ من الهمِّ والأَسَى لبعْدِكُمْ ، فَاسْوَدَّ من صِبْغِهِ الدَّهْرُ
وكيف أَلُومُ اللَّيْلِ إن طَالَ بَعْدَكُمْ وَقَد غَابَ عَنِّي مِنْكُمْ الشَّمْسُ وَالبَدْرُ

فكتب إليه جواباً عنها :
تَذَكَّرُهُ أَحْبَابَهُ الْإِنْجِمُ الزُّهْرُ فَيَا وَيَحَهُ مَاذَا بهِ صَنَعَ الذِّكْرُ
هُمُّ مِثْلُهَا : بَعْدًا ، وَنورًا ، وَرَفْعَةً وَلَكِنْ هَا ، إِذْ شُبِّهَتْ بِهِم ، الفَخْرُ

(١) شاعر مصري قدير .

وقد كنت أشكو هجرهم في دنوهم
سقى مصر جود الصالح الملك ، إنه
ففيها كرام أسعروا بجوانحي
ومن عادي الصبر الجميل ، وليس لي
إذا ما "أمين الدين" عن أذكاره
يذكرني الفاضلون ، وإن غدوا
إذا حضر النادی فرضوى راحة
ويعجني منه تدفق عليه
تناعت بنا الداران ، والأود مضقب^(١)
كأن الليالي إذ قضت بفراقنا
أحل بها إن غاب عنها ، وإن أغب
فليت تلاقينا ، ولو بعض ساعة
لأحظى برؤياه ، وأشكر منه^(٢)

فن لي لو دام التذاني والهجر
هو الوابل المحي البرية لا القطر
بيعدهم جمرأ ، به يحرق الجر
على بعدهم ، لادر در النوى ، صبر
ذهلت ، كأتى خامرت لي الجر
جداول إن قيسوا به ، وهو البحر
وإن قال فالدر المنظم والسحر
وأعجب منه كيف يجمعه صدر
فالقرب شطر ، والبعد له شطر
قضى جورها أن ليس تجمعنا مصر
يحل بها ، فأعجب لما صنع الدهر
يحم^(٣) وشيكا ، قبل أن ينفد العمر
وإن لم يقم عني بواجبه الشكر

(٢٣٨)

وكتب في صدر كتاب :

لأشكرن اهتماما منك يذكرني
عدت عنه ، فإنا أنكرت خلته^(٤)
في البعد ، حتى كأتى مضقب الدار
مع التناي ، وكم أنكرت من جار

(٢) حم الأمر بالضم : قضى .
(٤) الخلة بالضم : الصداقة .

(١) أصقت دارهم : دنت .
(٣) المن : الإنعام .

(٢٣٩)

وكتب إلى أخيه بهاء التّولة :

أصبحتُ بعدك يا شقيق النَّفسِ في بحرٍ من الهمِّ المبرِّجِ زاجرٍ
 متفرِّداً بالهمِّ ، من لى ساعةٍ برِّفاقٍ شعياً ، أو عُلالةٍ داهرٍ

داهرٌ : صاحبٌ للوزير الكامل أبي القاسم بن المغربي (رحمه الله) الذي
 يقول فيه :

كفى حزناً أتى مقيمٌ ببلدةٍ يُعلّني بعدَ الأحبةِ داهرٌ
 يحدّثني مما يجمعُ عقله أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائرٌ

وشعياً : صاحبٌ للقاضي أبي المجد بن سليمان المعري (رحمه الله) الذي
 يقول فيه :

لقد ولّى زمانٌ نحنُ فيه فسقياً للحمامِ به ورعباً
 إساراً بين أتراكِ ورومٍ وفقدُ أحبةٍ ورِّفاقِ شعياً

قافية السين

(٢٤٠)

وقال ، وكتبها في كتاب :

كأبي ، ولولا أن يأمي قد نهى اش
 وبعدُ ، فعندي وحشةٌ لو تقسّمت
 نياقي ، لذاب الطرس من حرّ أنفاسي
 على الخلقِ ، لم يستأنس النَّاسُ بالنَّاسِ

(١) الطرس : الصهيفة .

قافية العين

(٢٤١)

وكتب إلى أبيه :

مَا لِي وَلِلشِّعَاءِ فِيمَا أُرْتَجِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيّ ، وَهُوَ شَفِيعِي
أَعَدَّتْ لِي مِنْ جُودِ كِفْلِكَ مَوْرِدِي فَصَفَا ، وَأَمْرَعُ مِنْ نَدَاكَ رَبِّبِي
وَبِكَ اعْتَلَيْتُ ، وَطَلْتُ^(١) مِنْ سَامِيئِهِ نَفْرًا يَجِدُكَ لَا يَحْسِنُ صَنِيعِي
وَقَضَى بِيُعْدَى عَنْكَ دَهْرٌ جَائِرٌ وَإِلَى جَنَابِكَ ، إِنْ سَلِمْتُ ، رُجُوعِي

(٢٤٢)

وكتب في صدر كتاب إلى الوزير نظام الدين :

نِظَامَ الدِّينِ ، لَا سُقْيَا نَحْطِبِ رَمَانًا بِالنَّوَى بَعْدَ اجْتِمَاعِ
عَدَا حَتَّى عَلَى حُسْنِ اصْطِبَارِي وَضَنَّ عَلَى حَتَّى بِالْوَدَاعِ
فَمَا قَلْبِي لَسُلْوَانٍ مُطِيعٌ وَلَا السُّلْوَانَ عَنْكَ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَوْ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى أَبُيَّكَ مُضْمَرِ الْقَلْبِ الشَّعَاعِ^(٢)
لَسَرَّتْنِي الْأَمَانِي أَوْ لَسَرَّتْ^(٣) جَوَى قَلْبِي ، لُبْعَدِكَ ، وَالتَّبَاعِي^(٤)

قافية الفاء

(٢٤٣)

وكتب إلى ولده مُرْهَفِ :

مُوَاصِّلِي كُتْبِي إِلَيْكَ تَزِيدُنِي إِلَيْكَ اهْتِنَاقًا ، بَلْ عَلَيْكَ تَأْسُفَا
وَلِي أَسْوَةٌ فِي النَّاسِ لَوْ نَفَعَ الْأَبِي فَمَنْ قَبْلَنَا يَعْقُوبُ فَارَقَ يُوسُفَا

(٢) قلب شعاع : تفزقت همه وآراؤه ، فلاتجه لأمرجزم .

(٤) الاتباع : الاحتراق من الهم .

(١) طلعت : كنت أطول منه .

(٣) من سرتى عنى الهم .

ولكن نفسي قد تملكها الأسي وقلبي ، إذا سكنته بالأسى هفا
 وما أحسب الأيام تقنع باللوى ولا أن صرف الدهر بالفرقة اشتنى

(٢٤٤)

وقال ، من قصيدة تقدم أولها^(١) :

وابترني رأى عز الدين ، مُستلباً من بعدما عمي إحسانه وضمافاً^(٢)
 أضافني عتبه هماً شجيت به أبان عن ناظري طيب الكرى ونقى
 أتته عي أحاديث منخرقة ما إن بها عنه ، وهو الأملئ ، خفا
 لكننا وافقت من قلبه ملاً لم يسهين صحة الدعوى ، ولا كشفافاً
 وما الرضا ببعيد من خلائقه وهي السلافة راقن رقة وصفافاً
 ومنها :

يامن حوى قصبات السبب أجمعها فما يرى اثنان في تفضيله اختلافاً
 أنفقت مذهب عمرى فى رضاك ، وما رأيت منفق عمرٍ واجداً حلفافاً
 لكنني اعتضت منه حسن رأيك لى فقلت منه العلا والعز والشرفافاً
 حتى إذا أنا ما ثلث النجوم جلاً وقلت : قد نلت من أيامى الزلفافاً^(٣)
 أريتني ، بعد بشر ، هجرة وقلى وبعد برٍ ولطفٍ ، قسوة وجفافاً
 فعدت صمغريد هماً ظفرت به كأن ما نلته من كنى اختطفافاً
 هني^(٤) أتيتُ بجهل ما قدفت به فأين حليمك^(٥) والفضل الذى عرفافاً

(١) انظر أول القصيدة ص ٢٧ . (٢) النفر: السوغ والكثرة . (٣) الزلف : جمع زلفة وهي القرينة .

(٤) هذا البيت وتاليه رواهما أسامة أيضاً فى باب الآداب ص ٣٨٠ .

(٥) رواية باب الآداب (فأين فضلك والحلم ...) .



ولاً، ومن يعلم الأسرار حلقة من
ما حدثتني نفسي عند خلوتها
لكنها شقوة حانت ، وأفضية
تداولتني أمور غير واحدة
وأقصدتني^(١) سهام الحاسدي على
وبعد مانالي ، إن جدت لي برضا
وذاك ظني ، فإن يصدق فانت لما
حاشاك تغدو ظنوني فيك محففة
وجتني من زماني حسن رأيك لي
ألفت منك حبرا منذ كنت ، وقد
وغير مستنكر منك الحنو على
فعد لأحسن ما عودت من حسن
واسلم لنا ثالثا للتيرين علأ
أيامنا بك أعياد بأجمعها

ير فيما أتى ، إن قال ، أو حلفا
بما تعفني فيه إذا انكشفا
حبتني الهمة مد عامين والأسفا
لو حمل الطود أدنى ثقلها نسفا
فوزي بقربك حتى قرطسوا^(٢) الهدفا
فقد غفرت لدهري كل ما سلفا
رجوت أهل ، وإن يحقق فوا أسفا
أو ينثني أملي بالياس منصرفا
أكرم بها جنة ، لا البيض والزغفا^(٣)
فقدته ، وشديد فقد ما ألفا
مثلي ، ولو زاع يوما ضلة ، وهفا
يامن إذا جاد وفي ، أو أذم^(٤) وفي
وزد إذا نقصا ، واشرف إذا كسفا
قدم لنا ما دجا ليل ، وما عكفا

(٢٤٥)

وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدم أولها^(٥) :

لكنني أشكو قوارص من تلقائهم ، قلبي لها يحف
وملاة منهم يبين على أثنائها الشان والشنف^(٦)

- (١) أقصد السهم : أصاب ، فقتل مكانه . (٢) قرطس ، أصاب القرطاس ، وهو كل آدم ينصب للنضال .
(٣) الزغف : الدرغ اللية الواصة المحكمة ، أو الزريقة الحسة السلاسل .
(٤) أذم له عليه : أخذه له الذمة ، وفلانا : أجاره .
(٥) انظر القصيدة ص ٢٩ وأولها : (باحث برك آدم تكف) .
(٦) الشنف بالتحريك : البفض والتسكر . والشان : البفض .

أَنْكَرْتُ قَسَوْتَهُمْ ، وَأَعْرَفُهُمْ كُرَمَاءَ ، إِمَّا اسْتَعَطَفُوا عَطَفُوا
 قَطَعُوا أَوَاصِرَ بَيْنِنَا وَشَجَّتْ أَسْبَابُهَا الْأَنْسَابُ وَالسَّلَفُ
 وَإِذَا سَلِمْتَ ، أبا سَلَامَةَ ، لِي فُصَابُ كُلِّ رِزِيَّةٍ ظَلَفُ (١)
 لِي سَلَوَةٌ بِكَ عَنْ بَنِي زَمَنِي فَلَيجهَدُوا فِي الْغَدْرِ ، أَوْ لَيْفُوا
 قَارَعَتْ دُونِي الْحَادِثَاتِ ، فَلَا طَرَقَتْ فَنَاءَكَ ، مَادَجَا السَّدْفُ (٢)
 وَكَفَيْتَ آمَالِي بِجُودِكَ أَنْ نُضْحِي إِلَى الرَّغَبَاتِ تَشْتَرِفُ (٣)
 فَعَدَوْتُ لِأَخْطَبًا أَخَافُ ، وَلَا أَنَا لِأَثَرِ شَيْءٍ فَانْتِ أَسْفُ

قافية القاف

(٢٤٦)

وقال ، يخاطب والده من قصيدة تقدم أولها (٤) :

يَابْنَ الْأَلَى جَمَعَ الْفَخَارَ لِيَبْتَهُمْ مَا شَتَّوَهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَفَرَّقُوا
 وَتَمَلَّكُوا رِقَّ الْأَكَارِمِ بِالَّذِي فَكُّوا بِهِ رِقَّ الْعُنَاةِ (٥) ، وَأَطْلَقُوا
 أَشْكُو إِلَى عَلَيْكَ هَمًّا ضَاقَ عَنْ كِتْمَانِهِ صَدْرِي ، وَمَا هُوَ ضَيِّقُ
 وَطَوَارِقًا لِلَّهِمْ . أَقْرَبِيهَا الْكِرَى (٦) وَتَلَطَّ (٧) بِي صُبْحًا ، فَمَا تَتَفَرَّقُ
 لَوْ لَمْ أَمَنَّ النَّفْسَ أَنْكَ كَاشَفُ كُرْبَاتِهَا عَنْهَا لَكَادَتْ تَزْهَقُ
 أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ عُقُوقِ مُحِبِّطِ عَمَلِي ، فَعَصِيَانِي لِأَمْرِكَ مُوَبِّقُ (٨)

(٢) السدف : الظلمة .

(١) النطف : كل مين .

(٤) انظر ص ٨٧ .

(٣) تشترف : تتطلع .

(٦) أى أى أجل النوم قراها .

(٥) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٧) لظ بالمكان والظ به والظ عليه : أقام وألح . والإلظاظ : لزوم الشيء . والمثابة عليه .

(٨) أروبه : أهلكه .



لا تَلْزِمَنِي بِالْهَوَايِبِ وَحَمَلِهِ
 دَعْنِي وَقَطِّعْ اَلْاَرْضِ دُونَ مَعَاهِرِ
 تَغْلِي عَلَيَّ صُدُورَهُمْ ، مِنْ غَيْظِهِمْ
 تَعَسَى اِذَا نَظَرُوا اِلَى عُيُونِهِمْ
 كَسَدَتْ عَلَيَّ بَصَائِعِي فِيهِمْ ، فَلَا
 اَعْيَا عَلَيَّ رِضَاهُمْ ، فَيَسْتُ مِنْ
 اِنْ اَغْشَمَهُمْ ، قَالُوا : خَلُوبٌ (٤) ، مَا ذِقُ (٥)
 قَدْ اَفْسَدُوا عَيْشِي عَلَيَّ ، وَعَيْشَهُمْ
 فَاسْمَحْ بِبُعْدِي عَنْهُمْ بِرِضَاكَ لِي
 فَعَلَّ بَعْضَ الْعُمَرِ ، وَهُوَ اَقْلَهُ
 وَعَسَى قُلُوبٌ اَعْضَلَتْ اَدْوَاؤُهَا
 فَضْلُ الْاِقَارِبِ بِرَّهُمْ وَحُنُومُهُمْ
 اَتَنْظِي اَرْجُو عَوَاطِفَ وُدِّهِمْ
 بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ هِنَاتٌ فِي الْحَشَا
 لَا تَغْتَرِّزْ بِرِجَائِهِمْ اَنْ يُحْسِنُوا
 خُذْ مَا تَرَاهُ ، وَدَعْ اَحَادِيثَ الْمُنَى
 وَاغْثْ ، فَاِنَّ السَّبِيلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ (٨)

اِنَّ اِحْتِمَالَ الْهُوَنِ (١) فَعَلُّ مُرْهَقُ
 كُلُّ عَلَيَّ لِغَيْرِ جُرْمٍ مَحْتَقُ (٢)
 فَتَكَادُ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ تَحْرُقُ
 حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ دُونِي تُشْرِقُ
 اَدْبِي ، وَلَا نَسِي ، عَلَيْهِمْ يَنْفَقُ (٣)
 اِدْرَاكِه ، مَا النَّجْمُ شَيْءٌ يُلْحَقُ
 اَوْ اَجْفُهُمْ ، قَالُوا : اَعْدُوْ اَزْرُقُ
 فَاَنَا الشَّقِيُّ بِهِمْ ، وَبِي اَيْضًا شَقُوْا
 اِنَّ الَّذِي تَرْضَى عَلَيْهِ مُوَفَّقُ (٤)
 اِلَّا يُكَدِّرُ بِالْمُهْمُومِ ، وَيُمْدَقُ (٥)
 فِي قُرْبِنَا بَعْدَ التَّفْرِقِ تُفْرِقُ (٦)
 فَاِذَا جَفَوْنِي فَالْاَبَاعِدُ اَرْفُقُ
 اِنِّي اِذَا عَيْدُ الْمَطَامِعِ ، اَنْحَرُقُ
 مِنْهَا نُدُوبٌ (٧) ، مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقُوا
 كَمْ قَدْ رَاَيْتَا مِنْ رِجَاءٍ يُخْفَقُ
 اِنَّ الْاَمَانِي فِيهِمْ لَا تَصَدُقُ
 حَقًّا ، وَاَدْرِكُنِي قَيْلَ اَمْرُقُ

(١) الهوان : الهوان . (٢) الحلق : الغيظ . (٣) تقى : راج .
 (٤) خلبه كصخره خلبا وخبلابا وخبلابة بكسر الأخيرين : خذعه . (٥) مذق الود : لم يخلصه .
 (٦) أفرق من مرضه : برى . (٧) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقى على الجلد .
 (٨) الزبي : جمع زبية وهي الزاوية .

(٢٤٧)

وكتب إليه من قصيدة تقدم أولها^(١) :

إيها ، بحمك مجده الدين تعلم أن الصبر عنك أو السلوان من خلقي
أو أنني بعد بعدي عنك مغتبط بالعيش ، إني به ، لا تكذبن ، شقي
يا ويح قلبي من شوق ، يقلقه إلى لقائك ماذا من نواك لقي
ونأظير قرحت أجزائه أسفا عليك في لجة من دمه غرق
وبعد ما بي ، فإشفاقي يهددني بسوب رأيك بالتكدير والرتي
وأن قلبك قد رأت عليه من الـ وأشين بي جفوة، يهماء ، كالغسق^(٢)
ونافسوني في حسني ظنونك بي حتى غدوت وسوء الشك في نسني
بهم تباريح أشواق إليك ، وما أجن : من زفراي بالحوي نطن
أما كفاهم نوي داري ، وبعذك عن عيني ، وفرقة إخوان الصبا الصدق
وأنتي كل يوم قطب معركة دريئة السم والهندية الذلق^(٣)
أغشى الوغي مفرداً من أسرتي ، وهم هم إذا الخليل خاضت لجة العلق^(٤)
هم المحامون ؛ والأشمال مسلمة والملتقون الردي بالأوجه الطلق
وموضعي منك لا تسمو الوشاة له ولا يُغيره كيسي^(٥) ولا حمقي
وإنما قالة جاءت ، فضاقت لها صدري ، ولو غيرك المعنى لم يضق
كذبها ، ثم ناجتني الظنون بأن الدهر ليس بمأمون ، فلا تتق

(١) انظر ما سبق من ٨٩

(٢) الهماء : الفلاة لا يبتدى فيها . والأبيم : من لا عقل له ولا فهم . والنسق : ظلة أول الليل . وران

مل قلبه : غلب .

(٣) الدرية الخلفة ينلم العطن والري عليها . والسم : الرماح . والهندية : السيوف . والذلق : الحادة .

(٤) العلق : الدم .

(٥) الكيس : العقل .

كم قد أغصَّ بما^(١) تمرى مذاقته ونقص البارد السلسال بالشرق
توقع الخوف من أنت آمنه قد تنكأ الكلم كف الآسي الرفق
فقلت : مالي وكنمي ما تخالجنى فيه الظنون كفعل المغضب الملق^(٢)
أدعو لبني صدق صوتي وموضع شكـ وای وحامل ثقلی حيث لم أطق
فإن يكن ما نمي زوراً، وأحسبه فعنده العفو عن ذی الهفوة العقی^(٣)
وإن يكن، وأحاشى إجمده، تلجت عتبه حرّ حشاً بالهمّ محترق
هو الأبى الذى تخشى بواده ويرتجى عفوه فى سورة الحنق
عتبه تلقى ذنوبى قبل معذرتى وماء وجهى مصون فى لم یرق
لا غیرت رأيه الأيام فى ، ولا نالت مكاني منه لقة^(٤) الحدق

(٢٤٨)

وقال^(٥) :

أحبابنا ، هلا سبقتم بوصولنا
تساغتم بالهجر ، والوصل ممكناً
كأننا أخذنا من صروف زماننا
صروف اللبالي قبل أن نتفرقا
وليس إلينا فى الحوادث^(٦) مرتقى
أماناً، ومن جور الحوادث^(٧) موثقاً

(٢) الملق : الضيف .

(١) مرى الطام فهو مرى : هنى .

(٤) لقم فلانا بيمينه أصابه بها .

(٣) العق : الماق .

(٥) هذه القطعة مما يروى لأسامه فى تحريده القصر ١ : ١٠٣ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٢٠٥ .

(٦) فى التحريده ومعجم الأدباء (لحوادث) .

(٧) هذه رواية المصبرين السابقين وفى الأصل " اللبالي " وبما أثبتنا يستقيم الوزن .

(٢٤٩)

وكتب إلى أخيه عزّ الدولة :
بُعِدْتُ مَسَافَةً بَيْنَنَا ، وَتَوَحَّشْتُ حَتَّى عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
وَيَسْتُ مَنْ أَنْ نَلْتَقِ ، لَكُنْتِي أَلْقَى تَذَكُّرَكُمْ بِقَلْبِ خَافِقِ
وَأُغِيضُ الْعِبْرَاتِ ، وَهِيَ فِرَائِدُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، فَتَنْفِيضُ سَطِّ عَقَائِقِ

(٢٥٠)

وكتب إليه :
أَبَا حَسَنِ ، لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْمُنَى قَضَى كَمَا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوقُ
إِذَا مَا اعْتَرَتْهُ ذُكْرَةٌ مِنْكَ خَلْتَهُ جَنَاحًا وَهِيَ عَظَاهُ ، فَهُوَ خَفُوقُ
يَزِيدُ اشْتِيَاقًا كُلَّمَا زَادَ يَأْسُهُ فَيَا عَجَبًا لِلْيَأْسِ كَيْفَ يَسُوقُ
وَمَا سَاءَ نِيَّ أَيْ لِبَعْدِكَ جَارِعُ لِأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ عَنْكَ عُقُوقُ

(٢٥١)

وكتب إلى أبيه :
لَا تُفْسِدَنَّ نَصِيحَتِي بِشِقَاقِ وَأَبِيكَ مَا السُّلْوَانُ مِنْ أَخْلَاقِ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى أَنْ أَسْلُو ، فَلَا فَكَ السُّلُو مِنْ الْغَرَامِ وَثَاقِ
لَا تَرْجُونَ لِي الشِّفَاءَ مِنَ الْجَوْيِ وَالْيَأْسُ كُلُّ الْيَأْسِ مِنْ إِفْرَاقِ (١)
كَيْفَ الْإِفَاقَةُ لِلدَّبِغِ أَيْحَى الْهَوَى مِنْ دَانِهِ ، وَالسَّمُّ فِي الدَّرِيَّاقِ (٢)
سُقْمُ الْجَفُونِ سَقَامُهُ ، وَشِفَاؤُهُ فِيهَا ، فَمَنْهَا الدَّاءُ ، وَهِيَ الرَّاقِ

(١) أفرق المريض والمحموم : برز .

(٢) الدرّياق : الترياق .

وأغن^(۱) راعني النوى بفراقه
أخلو بأفكارى ، لتدني شخصه
وأكرر التسأل عنه لجاهل
فإذا تسامح لى الزمان بقربه
بانته وجدى ، وقلت : يرق لى
ويلومني فيه رفيق يدعى
إيهاً ، كلانا يشكى حرّ الهوى
أنت استضأت بناره متبصراً
أتلومني بعد الهبوب من الكرى
لأدر درك ، سوف يفردك الهوى
أسلمتني للوجد ، إن أرضاك أن
إن جرت عن نهج الكرام فرشد^(۲)
فاعمد لمجد الدين ، تلق المجد ما
فإذا وصلت إلى أغرّ محجّب
فاربّع بربح لا يزال تزيله
وابلغ نحية نازح قدفت به
قد كان بالشاي يعرف برهة
أنضى الوجيف^(۳) ركابه وجياده

ولكم بجمع ، ولا كذاً ، بفراق
خدع المني من قلب الخفاق
علمي ، وتلك علالة المشتاق
من بعد بيني فرقة وشقاق
فأجابني بالصمت والإطراق
نصحي ، أضاع النصيح حق رفاقي
لكن جهت تبأين العشاق
وأنا صليت بجمره المحراق
وحشاك مثلوج ، ودمعك راق
مني ، فلا تتعجلن فراق
أضني ، فكل رضاي أنك باقي
لك مرشد بكارم الأخلاق
لاقيته ، أكرم به من لاق
مخلوقة كفاءاً للإنفاق
حسن الشاء ، وخشية الخلاق
أيدى النوى فى أسحق الآفاق
من دهره ، والآن فهو عراق
فكأنتهن قلاند الأعناق

(۱) جد أسامة .

(۱) ظي أغن : يخرج صوته من خياشيمه .

(۳) الوجيف : ضرب من مير الخليل والإبل .

وهو الجليدُ على خُطوب زمانه لا يشتكى منها سوى الأشواق
ينزو لذكر أبي سلامة قلبه فيكادُ يبرقُ من حشا وشفاق^(١)
واهتف به : يا خير من أرجوه إـ الاواء^(٢) أو أدعوه يوم تلاق
بي لوعتان عليك يضعفُ عنهما جَلدي : من الأشواقِ والإشفاقِ
فالشوقُ أنت به العليمُ ، وغالبُ الإِ شفاقٍ مما أنت في مُلاقٍ
وإذا أخطأتك الحادثاتُ ، فكلُّ ما ألقاهُ محمولٌ على الأحداقِ
فأجابهُ ، رحمه الله ، بقصيدةٍ أولها :

أَتظنُّ أني بعدُ بَعْدَكَ باقٍ أجزى عن الأشواقِ بالأشواقِ
يقول فيها :

أبا المظفر دعوةٌ تشفي الظما مني ، وإن أضحى بها إحراقِ
لم أستكن أبدا لخطبٍ نازلٍ إلا لبعدك ، فهو غيرُ مُطاقِ
فإذا أطعتُ الوجدَ فيك أطاعني قلبي ، ويبدى ، إن عصبتُ ، شقاقِ
فإذا ذكرتك خلتُ أني شاربٌ ثملٌ ، سقاهُ من المدامةِ ساقِ
قال : ووقف مؤدبُ الشيخِ الحلبي أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف
بابن المنيرة ، رحمه الله ، على القصيدة ، فأجابني عنها بقصيدةٍ أولها :

يا راكبَ الشدنية^(٣) الغيداقِ^(٤) ومتابعَ الزملانِ^(٥) بالإعناقِ
في فنيةٍ وصلوا بسرى حتى انبرت أجسامهم أخفى من الأرماقِ

(١) الصفاق (كتاب) : الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله .

(٢) الاواء : الشدة . (٣) الشدنيات محركة من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن أو غفل .

(٤) الغيداق : الطويل .

(٥) زمل يزل (بضم الميم وكسرهما) : عدا متندا في أحد شقيه راضا جنبه الآخر . والإعناق : الإصرار .

من كل مهتز بكف نعاسه
 وضع النعاس على الأكف خدودهم
 أما بلغم سالمين ، فبلغوا
 وتوسموا ذلك المحيياً ، وامترؤوا
 من آل منقذ الذين يرأصهم
 اللابسين من المكارم جنة
 يتهللون لدى النوال ، وفي الوغى
 يأبها المولى الذى يعاده
 لى أنه الشاكي الشجى لما ه
 وإذا الجفون نظرن بعدك زهه
 لا تطلبين منى المسرة؛ إنها
 أما أبوك فداؤه مستحكم
 كيف السلو له ، وأنى صبره
 ذو مهجة تزو إليك ، ومقلة
 لما علمت بعجزه عن نظم ما
 أبحرت طرفى فى سباقك دونه
 وبذلت جهدى بالنيابة عنه بال
 جرياً على شغنى بكم ، ومحبتى لكم ، وحفظ العهد والميثاق

هز الوليد ثنائة المخراق^(١)
 فكانهم خلقوا بلا أعناق
 أوفى نحيمة مشيم لعراق
 تلك البنان مفاتيح الأرزاق
 ملأى من الزوار والطراق
 ما للعابى غيرها من واق
 يسطون بالإرعاد والإراق
 عنى ، قربت من الردى المعتاق
 إما ذكرت ، ولوعة المشتاق
 عاقبتهن بدمعى المهراق
 عذراء ، قد متعتها بطلاق
 ما إن له بسواك من إفراف^(٢)
 عن مصطفى بمكارم الأخلاق
 تبكى عليك إليك بالأشواق
 ينهى إليك ، وذاك باستحقاق
 وعهدته أبداً من السباق !
 بالقليل من الكثير الباقي

(١) المخراق : المندبل يلف ليضرب به . والثناية حبل من صوف أو شعر أو غيره .

(٢) أفراف : برى .

(٢٥٢)

وكتب إلى أخيه عز الدولة ، رحمه الله :

قد كنتُ أحسبُ أن آ
وأسكنُ القلبَ الحفُو
وأقولُ : قد رُقَّ الرِّمَا
وإذا به مُستصغِرٌ
يقضى بتشتيتي وإر
مد^(١) مُتهدى أمد الفرائ
قَ إليكمُ مِنِّي التَّلَاقِ
نُ لبرجِ وجدى واشتياقي
ما قد لقيتُ ، وما أُلَاقِ
جاء اللقاءُ إلى التَّلَاقِ^(٢)

(٢٥٣)

وكتب إلى الأمير السيد ضياء الدين ، أبي عبد الله ، زيد بن محمد بن محمد
ابن عبيد الله الحسيني ، نقيب الطالبين بالموصل :

ضياء الدين ، ما شوقُ دعائي
بمحدود ، فأشرحه ، ولا في
ولكنني سأرجئه ، وأرجو
إذا ما كنتُ جاركَ ذا اشتياقِ
ولي شكوى من الأيام أضحتُ
أكفُ من أذاها فوقُ وسمي
ويلزمني الإباءُ الصبرَ فيما
ومغفورٌ لها ، إن أسعفتني
فاسمعي بمصرَ من العراقِ
قوى الأقلامِ تسطيرُ اشتياقي
مُشافهتي به عندَ التَّلَاقِ
إليكَ فكيفَ بي بعدَ الفراقِ
لها نفسِي ترددُ في التَّرَاقِ^(٣)
وأحملُ كارها غيرَ المطاقِ
ينوبُ ، وطعمه مرُّ المذاقِ
بقربك ، ما لقيتُ ، وما أُلَاقِ

• (١) آمد : أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا ، وأشهرها ذكرا . (بافوت) .

• (٢) يريد يوم التلاق : يوم القيامة .

• (٣) التراق : جمع ترقة : مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترقق فيه النفس .

وكتب إليه الملكُ الصالحُ رحمه الله هذه القصيدة بخط يده^(١) :

أيها المُفتدَى^(٢) ، أنتَ على البُعْدِ صديقٌ لنا ، ونعمَ الصديقُ
ليسَ فيما تأتيه من رِأفَعَا لَكَ للطلابِ الحقوقِ عُقوقُ
فلهَذَا نَزَى مُوَاصِلَةَ الكُتُبِ تَبَاعاً إِلَيْكَ مِمَّا يَلِيقُ
وَنُجَاحِكَ بِالمَهْمَاتِ إِذْ أَنْتَ بِالقَائِمَاتِ إِلَيْكَ خَلِيقُ
وَأَهْمُ الْأُمُورِ^(٣) أَمْرُ جِهَادِ الكُفْرِ ، فَاسْمِعْ ، فَعِنْدَنَا التَّحْقِيقُ
وَأَصْلَتُهُمْ مِنَ السَّرَايَا^(٤) فَأَشْجَا هُمُ^(٥) بِكُورٍ مَنَّا لَهُمْ ، وَطُرُوقُ
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادَ القَوْمَ قَتْلَ مَلَازِمٍ وَحَرِيقُ
وَانتَظَرْنَا بِرِخْمِنَا بُرَّةَ نُورِ السِّدِّينِ عَلِمَا مَنَّا بِأَنْ سَيُفِيقُ
وَهُوَ الْآنَ فِي أَمَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا يَعتَرِيهِ أَمْرٌ يَعوُقُ
مَا لِهَذَا المُهَمِّ مِثْلُكَ ، مَجْدَ السِّدِّينِ ، فَانْهَضْ بِهِ فَأَنْتَ حَقِيقُ
قَلِّ لَهُ ، لِأَعْدَائِهِ ، رَأَى وَلَا زَا لَ لَدَيْهِ لِكُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ :
أَنْتَ فِي حَسَمِ دَاءِ طَاطِغِيَةِ الكُفَّارِ ذَاكَ المَرْجُوِّ وَالمَرْمُوقِ
فَاغْتَمِ بِالجِهَادِ أَجْرَكَ ، كَي تُلْسِنِي رَفيقًا لَهُ ، وَنَعَمَ الرَّفيقُ

(٢٥٤)

فأجابه بهذه القصيدة :

كَمْ إِلَى كَمْ يُلْحَى الحُبُّ المَشُوقُ وَهُوَ مِنْ سَكْرَةِ الهَوَى لَا يُفِيقُ
حَمَلُوهُ ، وَهُوَ الضَّعِيفُ مِنَ التَّعْنِيفِ فِيهِمُ وَاللَّوْمُ مَا لَا يُطِيقُ
شِجَعُوهُ عَلَى القَطِيعَةِ ، وَالصَّصَبُ مِنَ الصَّدِّ وَالْفِرَاقِ فَرُوقُ^(٧)

(١) النص في الروضتين أيضا : ١١٦ . (٢) نسبة إلى متقد : أحد آباء أسامة . وفي الروضتين : المفتدى .

(٣) في الروضتين : المههم . (٤) السرايا : جمع مرية . وهي الطائفة من الجيش .

(٥) أعجاء : أجزته . (٦) يلحى : يلام . (٧) فرق كفرح : فرغ .

وَلَحْوَهُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالْمَسْكِينُ فِي بُلْحَةِ الْغَرَامِ غَرِيقُ
وَالسَّقِيمُ الْعَانِي يُعَانِي مِنَ الْأَوْ صَابٍ^(١) مَا لَا عَاتَى الْمَعَانِي الطَّلِيْقُ
يَا عَدُوْلِي ، إِلَيْكَ عَنِّي ، فَا أَنْتَ ، كَمَا تَدْعَى ، الصَّهْدِيْقُ الصَّهْدُوْقُ
لَيْسَ لِلصَّبِّ مِنْ تَبَارِيْحٍ مَا يَلْسَقِي مُعِينٌ ، وَلَا رَفِيْقٌ رَفِيْقٌ
إِنَّمَا الْحُبُّ كَالْقِيَامَةِ : مَا فِيهِ حَمِيْمٌ ، وَلَا شَقِيْقٌ شَفِيْقٌ
وَأَخُو الْوَجْدِ مَا إِلَى قَلْبِهِ الْمَهْجُوْبُ بِالْحَبِّ لِلسَّلْوِ طَرِيْقٌ
خَانَهُ الْأَصْفِيَاءُ حَتَّى التَّأْتِي وَجْفَاهُ حَتَّى الْخِيَالُ الطَّرُوْقُ
وَإِذَا نَهَنَهُ الدَّمُوْعُ اسْتَجَمَّتْ^(٢) وَهَمَّتْ ، وَهِيَ لُلْوُؤُ وَعَقِيْقُ^(٣)
(٢٥٥)

وَكَتَبَ إِلَى الْوَزِيْرِ نِظَامِ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللهُ :
نِظَامَ الدِّينِ كَمْ فَارَقْتُ خِلَاءً وَكَمْ صَلَيْتُ حَشَايَ لُغَى اسْتِيَانِي^(٤)
فَلَمْ أَجْرَعْ لِفَجَائَاتِ النَّسَانِي وَلَمْ أَفْرَقْ لِرُوْعَاتِ الْهَرَاقِ
وَهَانَدَا لِيُعْسِدَكَ أَلْفَ هَمٍّ تَقِيْضُ لَهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَاتِي
أَمْنِي قَلْبِي الْخَفَاقَ شَوْقًا إِلَيْكَ بِقُرْبِ أَيَّامِ التَّلَاقِ
(٢٥٦)

وَكَتَبَ إِلَى شَمْسِ الدُّوَلَةِ ابْنِ أَخِيهِ :
أَبَا الْحَارِثِ ، أَسَلَمَ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِنَا
أَدُمُّ إِلَيْكَ الْبَسِيْنَ ، إِنَّ وَشِيْكَهُ^(٥)
وَأَضَلَّتْ شَمْسِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِدًا
أَرْوْحُ وَأَعْدُو فِي هُمُوْمٍ تَعُوْدُنِي
وَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِ الْمَشُوْقِ الْمُفَارِقِ
رَمَى كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِي بِعَارِقِ^(٦)
لَهَا ، وَهِيَ فِي غَرْبٍ ، بِأَرْضِ الْمَشَارِقِ
فِيَا لِي مِنْ هَمِّيْنَ : غَادِ ، وَطَارِقِ

(٢) جَمَّ وَاسْتَجَمَّ : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ .
(٤) حَلَى النَّارَ : قَامَسَ حَرْمَا . وَاللُّغَى : النَّارُ أَوْ لَهَا .
(٦) حَرَقَ الْعَظْمَ عَرَقًا : أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِّ .

(١) الْوَصْبُ : الْمَرَضُ .
(٣) بَاقِي الْفَصِيْدَةِ ص ١٨٨ .
(٥) وَشِيْكٌ : سَرِيْعٌ .

قافية اللام

(٢٥٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة :

أبا حَسَنٍ ، قَدْرَانَ ^(١) ، بعدِ بَعَادِكُمْ	على القلبِ ، هُم ، ما أراه يزولُ
أَعْلَلُ نَفْسِي أُنْتِي سَأْبَهُ	إذا ما التقيتُ ، والرَّجَاءُ مَطُولُ ^(٢)
إذا قلتُ : في أعقابِ ذَا العَامِ نلتقي	تَمَادِي ، وأيامُ الهُمومِ تَطُولُ
وأقتلُ أدواني بَعَادُ أَحِبَّتِي	وداءُ التَّنَانِي ، ما علمتُ ، قَتُولُ
وقد ساءتني أن اللبائي غيرتُ	أخلاقِي ، حتَّى ما يدومُ خليلُ
وجفوةُ "مجد الدين" أعدلُ شاهدُ	على أن أهواءَ القلوبِ تحوُلُ ^(٣)
أساءَ التَّنَانِي ظنَّه بي ، وإنتي	لأعهده في القربِ ، وهو جميلُ
جفاني زماناً لا ملألاً ، وإتما	نهته حُزُونُ بَيْنَتَا ^(٤) وسهولُ
مفاوِزُ لا يسطيعُ قطعَ فجاجِها ^(٥)	رسولُ ، ولو أن الخيالَ رسولُ
ولا ذنبُ إلا للبعادِ فما لنا	دوننا ، وحظي في الدنو قليلُ

(٢٥٨)

وكتب إليه ، وقد وصله منه كتابٌ غيرُ مختوم :

وإني كتابك مفتوحاً ، فبشّرني	يفتحُ سبيلَ اللقاءِ الزُّبُرِ ^(٦) والقالُ
فقلتُ : أحبُّ بها بشري إلى ، وإن	تعرّضتُ ، دونَ ما نرجوه ، أهوالُ

(١) وان : غلب .
(٢) تحول : تحوّل .
(٣) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .
(٤) المطل : التّسوية بالعدة .
(٥) في رواية بها مش الديوان (دوننا) .
(٦) زجر الطير : تفادى به .

ثم اعترفتني أشواقٌ ، مُجهلي كيف اطمانت بقلبي بعدك الحال
وكيف يبتق ، وما ينفك ذأوجي خوفاً عليك ، وفي الأوجال^(١) آجال
وكتب إليه الشريف ضياء الدين أبو عبد الله زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني
وهو بظاهر الموصل :

أبا المظفر ، أشواقٌ مبرحةٌ وما استقلت^(٢) بكم للين أجمال
وأتمم حيث إطلائي بينكم وما نأت دار من يديه إطلال
فكيف بي إن غدا الهرماس^(٣) مشربكم وحال من دونكم مرث^(٤) وأحبال^(٥)
إذا نُخبرك الرُجبان عن كيد تدمي^(٦) ، وعين لها سخ وتهمال
وعن مودع قلب قد رحلت به يعتاده لكم هم وبلبال^(٧)

(٢٥٩)

فأجابه :

يا خير من علقت كفي مودته وصدقت لي في علياه آمال
ماذا أقول ، وقلبي قد تخلف عن جسمي ، وزمت لوشك الين أجمال
وكم فجعتم بروعات الفراق ، ولا كهذه ، لم يرعني قط ترحال
وقبل وشك النوى قد كنت أهدرها كأن ذلك التوى قبلها فال
فإن تبادت بنا أيام فرقتنا وكل ساعات بعدى عنك آجال
فاحفظ فؤادا مقبياً في ذراك ، ولا تُسلبه للشوق ، إن الشوق قتال

(١) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .
(٢) الهرماس : نهر .
(٣) المرت : المفازة بلا نبات ، أو الأرض لا يجب ثراها ولا يثبت مرعاها .
(٤) دمي كرمي : تلوث بالدم .
(٥) الليلال : الوسوس وشدة الهم .
(٦) زم البعير : خطمه ، وتقدم في السير .
(٧) استقل : ارحل .

وكتب إليه الملك الصالح ، رحمه الله قصيدة من نظمه بخط يده :

أَيُّهَا السَّائِرُ الْمَجِدُّ إِلَى الشَّامِ تَبَارَى^(١) رِكَابُهُ وَالخِيُولُ
 جُذِّ عَلَى بِلْدَةٍ بِهَا دَارُ مَجْدِ السُّدَيْنِ^(٢) ، لَا رَيْعَ رُبُعًا الْمَاهُولُ
 وَتَعَرَّفَ أَخْبَارَهُ ، وَاقْرَهُ مَنَّا سَلَامًا فِيهِ الْعَتَابُ يَجُولُ
 قَلْ لَهُ : أَنْتَ نِعِمَّ ذَنْحَرُ الصَّادِقِ الْيَوْمِ ، لَكِنَّكَ الصَّادِقُ الْمَلُوءُ
 مَا ظَنَّنَّا بِأَنْ حَالِكَ فِي الْقُرْبِ وَلَا الْبَعْدِ بِالْمَلَالِ تَحُولُ^(٣)
 لَا كِتَابٌ ، وَلَا جَوَابٌ ، وَلَا قَوْلٌ ، بِهِ لِلْيَقِينِ مَنَّا حُصُولُ
 غَيْرَ أَنَا نُوَاصِلُ الْكُتُبِ إِذْ قَصَّرَ مِنْكَ الْبِرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ^(٤)

(٢٦٠)

فأجابه :

أَيْنَ سَمِعِي عَمَّا يَقُولُ الْعَذُولُ أَنَا بِالْهَجْرِ وَالنَّوَى مَشْغُولُ
 وَسَبِيلُ السُّلُوِّ بَادٍ لِعَيْنِي ، وَلَكِنْ مَالِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
 مَا قَلِيلُ الْغَرَامِ ، يَامَسْتَرِيحَ الْقَلْبِ ، مِمَّا يَلْقَى الْمَحَبُّ ، قَلِيلُ
 بِالْهَوَى هَامٌ فِي الْفَلَاقِ قَيْسُ لَيْلٍ وَهِيَ مَاتَ عُرْوَةٌ^(٥) وَجَمِيلُ
 فَاعْفُ مِنْ لَوْمِكَ الْمَحَبِّ ، كِفَاهُ مِنْ جَوَاهِ تَسْبِيحِهِ وَالنَّحُولُ
 لَا تَطَنَّ وَجَدَ مِنْ فَارِقِ الْأَطْعَمَانَ يَحْتَشِنُ حَادٍ مَجُولُ
 تَقْطَعُ الْيَدَ حَامِلَاتِ شُمُوسًا مَا لَهَا فِي سِوَى الْخُلُودِ أَقُولُ
 كُلُّ شَمْسٍ تُنِيرُ فَوْقَ قَضِيبِ يَتَهَادَى بِهِ كَثِيبٌ مَهِيلُ
 لَا وَلَا وَجَدَ نَازِحَ فَارِقِ الْأَوْ طَانَ ، يَهْتَاجُهُ الضُّحَى وَالْأَصْبَلُ

(٢) لقب أسامة .

(١) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٤) باقى القصيدة فى ص ٢١٧

(٣) حال الشئ : تحول .

(٥) هو عروة بن حزام من منبج العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها عفره . وجميل هو جميل بثينة .

كَلَّمَا لَأَمَّهُ الْعِزُولُ مَرَى^(١) دَمْعًا تُبَارِيهِ زَفْرَةٌ وَعَوِيلٌ^(٢)
 مَثَلٌ وَجِدِي لِفِرْقَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
 وَمِنْهَا :

يَا أَمِيرَ الْجَيْشِ ، يَا أَعْدَلَ الْحُكَّامِ فِي نَعْلِهِ وَفِيمَا يَقُولُ
 أَنْتَ تَقْضِي بِالْحَقِّ ، لَسْتَ ، وَإِنْ زَالَتْ جِبَالُ الْأَرْضِينَ ، عَنْهُ تَزُولُ
 فَمَاذَا قَضَيْتَ يَا سَيِّدَ الْحُكَّامِ طُرًّا عَلَيَّ أَنْيُّ مَلُوكُ
 مَنْ يَمَلُّ الْحَيَاةَ ، أَمْ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَالِي أَنْفَاسِهِ تَنْقِيلُ
 لَا تَرْغَبِي بِالْعَيْبِ ، فَهُوَ ، عَلَى قَطْعِ رُسُومِ^(٣) التَّشْرِيفِ عَنِّي ، دَلِيلُ
 لِي رُسُومٌ ، مِنْهَا مَوَاصِلَةُ الْكُنُوبِ ، وَأَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
 وَسِوَاهَا أَغْنَيْتَنِي عَنْهُ بِالْإِنْعَامِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي تَأْمِيلُ
 فَأَعْذَنِي مِنْ قَطْعِهَا ، فَهِيَ لِي نَفْسٌ ، بِهِ أُدْرِكُ الْعُلَا ، وَأَطُولُ
 فَيُودِي لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى تَلْسِي ، فَيُؤَدُّ لَكَ الْوَلَاءُ الدَّخِيلُ
 وَتَرَى أَنْ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ ، لَمْ يُحْصَ رَيْعُهُ التَّجْمِيلُ^(٤)

قَافِيَةُ الْمِيمِ

(٢٦١)

وَقَالَ ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ تَقَدَّمَ أَوَّلُهَا^(٥) :

أَبْنِي السُّرَى وَالْبَيْدِ ، لَا أَغْرَى الزَّمَانَ بِكُمْ عُرَامَةً^(٦)
 هَلْ فِيكُمْ مِنْ مُبْلِغٍ عَنِّي السَّلَامَ أَبَا سَلَامَةَ

(١) مَرَى : اسْتَجْرَجَ .
 (٢) الْعَوِيلُ : رَفَعَ الصَّوْتُ بِالْيَاكَا .
 (٣) رُسُومٌ بِكَذَا : أَمْرٌ بِهِ .
 (٤) لَهُ لَهُ يَرِيدُ بِالتَّجْمِيلِ رَدَّ الشَّيْءِ عَنْ تَفْرِيقِهِ . أَوْ مِنْ أَجْلِ الْحِسَابِ :
 يَدُهُ إِلَى الْجَمَلَةِ . وَبِالْهَامِشِ قِتْلَانٌ عَنْ خَطِّ وَرَدِهِ مَرَهْفٌ بِالْحَاشِيَةِ :
 وَتَرَى رَيْعَ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ عِنْدِي لَمْ يَحْصَهُ التَّأْمِيلُ .
 (٥) انظُرْ مَا حَقَّقَ ص ٩٧ .
 (٦) السُّرَى : سَيْرُ عَامَةِ الْبَيْدِ . وَالْبَيْدِ : الْفَلَا . وَعُرَامُ الزَّمَانِ :



وَتَحِيَّةٌ كَشَدَا فَبِتَقِ الْمَسْكَ ، صُفِّقَ بِالْمُدَامَةِ^(١)
تُهْدَى ، يَضُوعُ^(٢) نَسِيمُهَا لِأَغْرَ عَصَا . مَلَامَةٌ
مِنْ جَامِجِ الْعَزَمَاتِ ، لَا يَرْضَى عَلَى هُونِ مُقَامَةٍ
وَقَعْنَ^(٣) غَارِبَهُ الْخَطْوُ بُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَا بِي الظَّلَامَةَ
يَابِنِ الْخَضَارِمَةِ^(٤) الْكِرَامِ ، أَوْلَى الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
مِنْ كُلِّ بَسَامٍ تَسُحُّ يَدَاهُ لِلْعَافِينَ سَامَةً^(٥)
خَضِلِ الْجَنَابِ إِذَا تَرَدَّ عَلَى الْجَوْ مِنْ مَحَلِّ قَتَامَةٍ^(٦)
أُسَامٌ حَسْفًا ، ثُمَّ لَا آبَى ، فَلَسْتُ إِذَا أُسَامَةً
هِيَاةً لَا تَرْضَى الْمَعَا لِي صَاحِبًا يَرْضَى اهْتِضَامَةً^(٧)
وَعَلَامَ يَحْتَنِي النَّاسَ مَنْ لَمْ يَحْتَشْ فِي حَالِ حَمَامَةٍ
مَنْ لَا تَرَاهُ لِإِثْرِ شَيْءٍ فَاثَتْ يَبْدَى النَّدَامَةَ
وَإِذَا حَوَى الرِّغْبَاتِ أَمْضَى لِلْعَلَا^(٨) فِيهَا احْتِكَامَةً
لَوْ أَنْكَرَتْ أَجْفَانَهُ طَيْفَ الْخِيَالِ جَفَا مَنَامَةً
(٢٦٢)

وقال ، وكتب بها إلى القاضي الرشيد^(٩) ، أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير

إلى مصر ، في ضمن كتاب :

وكيف أشكر من أسدى إلى يداً سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام
رأى مكاني على بعدي ، وقد عشت عني عيون أخلائي ، وآيبي
محافظة لعهودي ، حين أفردني ظلي ، وأعرض عني طيف أخلاي

- (١) فق الطيب : خلطه . والتصفيق تحويل الشراب من إناه إلى إناه مزوجاً ليصفو .
(٢) ضاع المسك : تحرك ، فانتشرت رائحته . (٣) وقته كوضته : كويته .
(٤) الخضارمة : جمع خضرم وهو الجواد المطا . والسيد المحول .
(٥) السام : الذهب والفضة . (٦) القتام : الفيار . والمحل : الجذب .
(٧) الامتصام : الظلم . (٨) في رواية بها مش الديوان (للندي) . (٩) انظر ما سبق ص ١٢١ .

(٢٦٣)

وكتبتُ إلى الأمير السَّيِّدِ السَّرِيفِ النَّقِيبِ ضياءِ الدين ، أعتذرُ من تأخر
كتبي عنه ، في ورق أصفر :

قَصَّرْتُ فِي خِدْمِي تَقْصِيرَ مُعْتَرِفٍ وَمَا كَذَا يَفْعَلُ الْإِخْوَانُ وَالْحَدَمُ
حَتَّى تَعْصِفَ لَوْنُ الطَّرْسِ مِنْ وَجَلٍ فَإِنْ صَفَحْتَ جَرَى فِي وَجْنَتِهِ دَمٌ
وَلَوْ تَجَافَتْ لِي الْأَيَّامُ عَنْ وَطْرِي لِنَابَ عَنِ قَلْبِي فِي سَعِيهِ الْقَدَمُ
وَبَعْدَ عَذْرَى فَقَدْ أَفْرَحْتُ مِنْ أَسْفٍ جَفْنِي ، وَأَدْمَى بِنَائِي بَعْدَكَ النَّدْمُ
أَطَعْتُ حُكْمَ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِي مَنْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُ عَدَمٌ^(١)
لِمَ لَا تَصَامَمْتُ عَنْ دَاعِي الْفِرَاقِ ، وَمَا بَالِي صَلَيْتُ لَظَاهُ ، وَهُوَ يَحْتَدِمُ
فَإِنْ تُقَلِّبِي اللَّيَالِي عَثْرِي ، وَأَفْزُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فِيمَعَادُ اللَّقَا الرَّدْمُ^(٢)

فكتب إليه جوابا عنها أبياتا أولها :

جاءَ الكتابُ ، وقد تَعْصَفَرَّ لَوْنُهُ خَوْفَ الْهَلَاكِ عَلَيَّ مِنْ إِبْطَانِهِ
فَاعَادَ لِي رَوْحَ الْحَيَاةِ وَوُصُولَهُ وَلَقِيتُ قَاصِيَةَ الْمَنَى بِمَلْقَائِهِ

(٢٦٤)

وقال ، وكان له على ديوان الصَّنَاعَةِ ، قَبْلَ أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ (رحمه الله)
في كُلِّ سَنَةٍ خُرُوجُ كَثَانٍ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَأَحَالَ بِهَا تِجَارَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَنِ ثَمَنِ
كُسُوفَةِ قَبْضِهَا مِنْهُمْ ، وَتَمَادَى مُقَامَهُمْ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ نَجَرَ مِنْهَا ،

(١) مضمون قول أبي الطيب المنبجي (٢٥٤ ط مبدئية) :

يا من يعز علينا أن فارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم

(٢) الردم : بلدة بالبحرين وموضع بمكة .

فَمِنَعُوا مِنَ الْإِطْلَاقِ ، وَوَصَلُوا إِلَى الشَّامِ ، وَلَمْ يَقْبِضُوا مِمَّا لَهُمْ فِي جِهَتِهِ شَيْئًا ، فَسَأَلُوهُ فِي رَقْعَةٍ يَرْفَعُونَهَا إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَالَعَةً ، ضَمِنَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ :

يُلَاطُ^(١) بِاللَّذِينَ مِنْ مَوْلَاهُ مُسَلِّمُهُ حَتَّى يُخَلِّصَهُ السُّلْطَانَ وَالْحَكْمُ
لَكِنَّ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدْنْتُ ، وَلَا يَلْقَى سُوَالِي مِنْهُ الْعَهْدَ وَالسَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ بِدَرٍّ^(٢) وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبَلُّهُ^(٣) نَعِيمٌ
فَأَمَرَ الْمَلِكُ الصَّالِحَ بِتَجْدِيدِ التَّوْقِيعِ ، وَوَفَاءِ التَّجَارِ ، وَتَخْلِيدِ التَّوْقِيعِ فِي الدَّوَاوِينِ ،
وَاسْتِمْرَارِ الْإِطْلَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ بِنَحْوِهِ :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مَنًّا ، إِنَّهُ قَسَمُ وَبِالْمُودَةِ مِنْكُمْ ، إِنَّهَا رَحِمٌ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ شَرِيعَةً سَنَّا فِي دِينِنَا الْكَرَّمَ
وَكَلَّمَا رَامَ وَإِشْ نَقَضَ مَذْهَبَهَا أَضْحَتْ تَوَكُّدُهُ الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
لَسْنَا كَقَوْمٍ ، وَلَا تُزْرَى عَلَى أَحَدٍ^(٤) وَلَوْ ، فَلَمَّا رَجَوْتُمْ عَدْلَكُمْ ظَلَمْتُمْ^(٥)
بِعِلْمِنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِخَائِكُمْ دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كَرُمْتُ أَخْلَاقَهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ بِالطَّبِيعِ لَا تَنْفَقُ الْآدَابُ عِنْدَهُمْ
وَالْعَرَبُ ، أَقْتَلُ دَاءً يَهْلِكُونَ بِهِ أَنْ تَمْلِكَ الْحَكْمُ فِي أَعْنَاقِهَا عَجْمٌ
تَرْفَعَتْ مِنْكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، هَمَّةً مِنْ نُجُومِهِ فِي سَمَوَاتِ الْعُلَا الْهَمِّمُ

(٢) البدر : جمع بدرة ، وهي كبرى فيه سبعة آلاف دينار .

(٤) أزرى عليه : عابه .

لديهم حكوا فيما بما علوا

(٦) فنز : راج .

(١) أَلَطُ الْفَرِيمُ : مَعَ مِنَ الْحَقِّ .

(٣) الْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ .

(٥) يَشِيرُ إِلَى قَصِيدَةِ أَسَامَةِ الْمِجِيبَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

وَلَوْ أَنَّهَا رَجَوْنَا عَدْلَكُمْ ظَلَمُوا

(رَأَيْتُمْ ص ٤٠)

إذا تأنرت الآدابُ وامتنعت
وإن نظمت قريضاً في مكاتبة
لله كُنْتُ تواليتِ ضمناً دُرُّ
يَقُلُ فِي فَضْلِهَا أَمْثَلُهَا ، فَإِذَا
سَأَلْتَ مَا قَدْ أَجْبَنَاهُ ، وَمَا بَرِحَتْ
إِنْ أَمْسَكَ الْغَيْثُ فَانظُرْ مَا تَجِيءُ بِهِ
وَلَوْ حَلَلْتَ يُوَادِينَا عَلَيَّ وَجَلَّ
وَالْأَرْضُ مَا بَرِحَتْ مَثَلُ الرِّجَالِ
كَذَلِكَ إِنْ قَلَّ حِطُّ الْوَدِّ عِنْدَكُمْ
يَا غَائِبِينَ ، وَقَدْ أَضْحَتْ مَنَازِلُهُمْ
قُولُوا لَنَا : هَلْ وَجَدْتُمْ مَعَ جَفَائِكُمْ
بِالسَّهْلِ مِنْهَا اعْتَصَمْتُمْ عَنْ مُعَانِدِكُمْ
قَالُوا : الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ
وَمَا نَلِطُ^(٣) بَدِينٍ تَدْعُونَ بِهِ
بَلْ عِنْدَنَا إِنْ سَأَلْتُمْ وَاثْقِينَ بِنَا
بَعْدْتُمْ ، وَمُنَانَا الْآنَ قُرْبِكُمْ
لَوْ أَبْصَرْتُ ، لَأَرَأْتُ سُوءَ أَعْيُونِكُمْ

تقدّمت لك في إحرارها قدّم
فالبحرُ ما زال منه الدرُّ يُنظّمُ
من بحرِ عليكِ قالوا : لِمَا كَلِمُ
تَلَوْتَهَا ، فَهِيَ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
قُصَادُنَا فِي الَّذِي نَحْوِيهِ نَحْتِكُمْ
أَنْوَأُنَا^(١) ، فَهِيَ مَهْمَا شَتَّهَا دِيمُ
أَيَقُنْتَ مِنْ غَيْرِ شِكِّ أَنْهُ الْحَرْمُ
يُرَى مِنَ الرِّجَالِ لَهَا الْإِثْرَاءُ وَالْعُدْمُ
فَالْحِطُّ كَالرِّزْقِ مَا بَيْنَ الْوَرَى قِسْمُ
صُدُورَنَا ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا حَرْمُ
رَحَابِهَا الْيَوْمَ أَحْمَى أَمْ حَصُونِكُمْ
وَالنَّاسُ مِنْ قَبْلِ الْأَجْبَالِ تَعْتَصِمُ
وَقَدْ غَدَا بَيْنَنَا الْعِرْفَانُ وَالذَّمُّ^(٢)
حَتَّى يَخْلَصَهُ السَّلْطَانُ وَالْحِكْمُ
فِي حَاجَةِ نَعْمٍ ، جَوَابُهَا نَعْمُ
فَكَيْفَ يَعْتَادُنَا فِي وَدِّكُمْ سَأْمُ
جَوَارِحِي الْيَوْمَ فِيكُمْ وَهِيَ تَخْنِصُمُ

(٢) يشير إلى قول المتنبي (٢٥٤ ط هندية) :

وبينا لو دعيتم ذلك معرفة إن المعارف في أهل النهي ذم

(١) النو : المطر .

(٣) انظر ما سبق ص ١٤٤ .

تَقُولُ عَيْنِي لِقَلْبِي : قَدْ ظَفِرْتِ بِهِمْ
وَقَوْلُ قَلْبِي لِعَيْنِي : إِنْ حَظِيْتُ بِهِمْ
دُونِي ، وَمَالِكَ مِثْلِي أَدْمَعُ سِيمِ (١)
مَعَ بُعْدِهِمْ فَلَئِى الْأَشْوَاقُ وَالْأَلَمُ
وَفَاؤُهُ ، وَبَنُو الدُّنْيَا لَهُ خَدَمٌ
إِذَا رَأَيْتَ مَلِيكًا ظَلَّ يَمْلِكُهُ

(٢٦٥)

وقال من قصيدة تقدم أولها (٢) :

يَا رَاكِبًا تَقَطَّعَ لِلْحَيَاءِ هَمَّتُهُ
بَلِّغْ أَمِيرِي : مُعِينِ الدِّينِ ، مَأَلِكَةَ (٣)
مِنْ نَازِحِ الدَّارِ ، لَكِنْ وَدَّهْ أُمَّ (٤)
وَقُلْ لَهُ : أَنْتَ خَيْرُ التَّرِكِ فَضَّلَكَ الْحَيَاءُ ، وَالذِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالكَرْمُ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مِنْ يُسْكِي إِلَيْهِ ، وَوَلِي
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَأْمَنُ فَضْلُ دَوْلَتِهِ
تَضْيِيعُ وَاجِبِ حَقِّي بَعْدَ مَا شَهِدْتُ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفَتِي
وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ : مِنْ
لَكِنْ ثِقَاتُكَ مَا زَالُوا يَغِشُّهُمْ (٥)
بَاعُوكَ بِالْبَخْسِ ، يَبِغُونَ الْغِنَى ، وَلَهُمْ
وَالْعَيْسُ تَعَجَزُ عَمَّا تُدْرِكُ الْهَمَمُ
مِنْ نَازِحِ الدَّارِ ، لَكِنْ وَدَّهْ أُمَّ (٤)
وَأَنْتَ خَيْرُ التَّرِكِ فَضَّلَكَ الْحَيَاءُ ، وَالذِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالكَرْمُ
شَكِيَّةٌ ، أَنْتَ فِيهَا الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ (٥)
وَعَدَلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمٌ
بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخِلْمُ
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ (٦)
وَوَدَّ ، وَإِنْ أَجْلَبَ الْأَعْدَاءُ ، يَنْصَرُّ
حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ (٧)
لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، الْوَيْلُ ، وَالْعَدَمُ

(٢) انظر القصيدة ص ٤٠ .

(١) سيم الدع : سال .

(٤) الأم : القرب .

(٣) المألكة : الرسالة .

(٥) مضمون قول المتنبي : (يا أعدل الناس إلا في مما ملئني فيك الخصام وأنت الخصم والحكم)

(٦) عجز بيت المتنبي وانظر الهامش (٢) بالصفحة السابقة .

(٧) أجلبوا : تجمعوا . (٨) في المفردة (بتنهم) تحريف .

(٩) مضمون قول المتنبي (٢٥٣ ط هندية) :

(وما انتفاع أسمى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم)



والله ما نصَّحوا ، لما استشرتهم
كم حرفوا من مقالٍ في سفارتهم
أين الحمية^(١) والنفس الأبية ، إذ
هلا أنفت حياة ، أو محافظةً
أسلمتنا ، وسيوف الهند مغمدة
وكنت أحسب من والأك في حرم
وأن جارك جارٌ للسموئل^(٢) ، لا
وما طمان^(٣) بأولى من أسامة بالـ
هنا جنينا ذنوباً ، لا يكفرها
ألقيتهم في يد الإفريج مبعأ
هم الأعدى ، وقاك الله شرهم
إذا نهضت إلى مجد توثله^(٤)
وإن عرتك من الأيام نائبة
حتى إذا ما انجلت عنهم غيابتها^(٥)
رشفت آجن^(٦) عيش ، كله كدر
وإن أتاهم بقولٍ عنك مُحتملي

وكأهم ذو هوى في الرأي منهم
وكم سَعَوْا بفسادٍ ، ضلَّ سعيهم
ساموك خطَّة خسف عارها بصم^(٧)
من فعل ما أنكرته العرب والعجم
ولم يرو سنان السهمي^(٨) دم
لا يعتربه به شيب ولا هرم
يخشى الأعدى ، ولا تغتاله التقم
وفاة ، لكن جرى بالكائن القلم
عذر ، فإذا جنى الأطفال والحرم
رضاً عدأ بسخط الرحمن فعلهم
وهم بزغمهم الأعوان والخدم
تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
فكلهم للذي يبكيك مبيتهم
بجد عزمك ، وهو الصارم الخلد^(٩)
ووردهم من نذاك السلسل الشم^(١٠)
واش ، فذاك الذي يحبي ، ويحترم^(١١)

(٢) وصم الشيء : عابه . وسامه : كلفه .

(١) الحمية : الأفة .

(٤) السموئل بن عدياء .

(٣) السهمي : الزع الطلب .

(٥) طمان خادم تركي كان لأتابك ملك الأمراء . زنكي بن آق سقر هرب من خدمته إلى دمشق فظله أتابك الشهيد ورج فيه فاشتمل عليه معين الدين أنزلي نسيه وحماه . فلما ألح في طلبه سيره إلى العرب إلى البرية ، وقام له بما احتاجه إلى أن رده إلى خدمته بدمشق (وأنظر الروضتين ١ : ١١٣) .

(٧) غيابة كل شيء : ما سترك منه .

(٦) أمته : أصله .

(٩) الآجن : الماء المنعير الطعم واللون .

(٨) الخلد : القاطع .

(١١) حياه : أعطاه .

(١٠) الشم : البارء .

وَكُلُّ مَنْ مَلَئَتْ عَنْهُ قَرْبُوهُ ، وَمَنْ
بَغِيًّا ، وَكَفْرًا لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ مَنِّ
جُرْبِهِمْ مِثْلَ تَجْرِبِي ، لَتَخْبِرُهُمْ
هَلْ فِيهِمْ رَجُلٌ يُغْنِي غَنَائِي إِذَا
أُمَ فِيهِمْ مَنْ لَهْ فِي الْخَطْبِ ضَاقَ بِهِ
لَسَكَنْ رَأْيِكَ أَدْنَاهُمْ ، وَأَبْعَدَنِي
وَمَا سَخِطْتُ بِعَادِي إِذْ رَضِيتَ بِهِ
وَلَسْتُ آسِي^(٥) عَلَى التَّرْحَالِ عَنْ بَلَدٍ
تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْهُ^(٦) يَدِي
لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي
فَاسْلَمْ ، فَمَا عَشْتَ لِي فَالْدهِرُ طَوْعُ يَدِي

وَالْأَكَّ فَهُوَ الَّذِي يُفْصِي ، وَيَهْتَمُّ^(١)
وَمَرْتَعُ الْبَغِيِّ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُّ^(٢)
فَالرَّجَالِ إِذَا مَا جُرِبُوا قِيمُ
جَلَا الْحَوَادِثَ حُدَّ السَّيْفِ وَالْقَلَمُ
ذَرَعُ الرِّجَالِ يَدٌ يَسْطُو بِهَا وَقَمُ
فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحَبِّ نَقْتَسِمُ^(٣)
وَمَا لِحُرْجِ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلْمُ^(٤)
شُبِّهِ الْبِرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخْمُ^(٦)
ثُمَّ انْتَنَتْ وَهِيَ صَفْرٌ^(٨) ، مَلُؤَهَا نَدَمُ
فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرُّمُ
وَكُلُّ مَا نَالِي مِنْ بُؤْسِهِ نِعْمُ^(٩)

(٢٦٦)

وقال ، وكتب بها إلى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة أبي عبد الله محمد بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، رحمه الله ، يستعينه في فكك أخيه نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد بن علي من أسر الفرنج ، وكان أسر

- (١) الاهتمام : الظلم .
(٢) عجزيت المتني :
(٣) عجزيت المتني :
(٤) عجزيت المتني :
(٥) أسيت عليه : حزنت .
(٦) عجزيت المتني :
(٧) في خريدة القصر (فيه) .
(٨) صفر : خالية .
(٩) اقتصر معجم الأدباء . وتكتاب الروضتين على جزء من هذه القصيدة مع اختلاف في التقديم والتأخير أحيانا .
- (٢) أرض ونحة : لا يجمع كلوها .
(٣) فليت أنا بقدر الحب تقدم
(٤) إن كان سرهم ما قال حاسدا
(٥) عجزيت المتني :
(٦) عجزيت المتني :
(٧) وشر ما قصته راحتي قصص
(٨) جمع رجمة وهي طائر ضعيف .
(٩) اقتصر معجم الأدباء . وتكتاب الروضتين على جزء من هذه القصيدة مع اختلاف في التقديم والتأخير أحيانا .

في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل عباس بن أبي الفتح
ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر يومئذ والسلطان بها :

يَانَا صَرَ الدِّينَ ، يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ ، وَمَنْ يُغْتَنَى نَدَى كَهْفَهُ عَنِ وَا بِلِ الدِّيَةِ (١)
وَمَنْ حَوَى السَّبْقَ فِي فَضْلِ ، وَفِي وَرِيعٍ وَفِي عَفَافٍ ، وَفِي دِينٍ ، وَفِي كَرَمٍ
أَنْتَ الْعَيْشِيُّ ، عَلَيَّ مَا فَيْكَ مِنْ لَسِينٍ عَنِ (لَا) ، وَأَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ فِي (نَعَم)
تُوَلَّى الْجَمِيلَ بِلَا مِنْ تَكَدَّرَهُ لَا كَدَّرَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ
هَذَا ابْنُ عَمِّكَ فِي أَسْرِ الْفَرَنْجِ ، لَهُ حَوْلٌ تَجَرَّمٌ (٢) ، فِي الْأَغْلَالِ وَالظُّلْمِ
يَدْعُوكَ ، لِأَبْلِ أَنَا الدَّاعِي نَدَاكَ لَهُ يَا خَيْرَ مَنْ عَلِقْتَهُ كَفْتُ مَعْتَصِمِ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ تَنْبِيهِ عَاطِفَةُ الْقُرْبَى ، وَيَرْجُوهُ لِلْجَلِيِّ ذُوو الرَّحِمِ
وَمَنْ تَكُنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ فَكَيْفَ تَسْطُو عَلَيْهِ كَفْتُ مَهْتَضِمِ
لَا تُخَوِّجَنِي إِلَى مَنْ الرِّجَالِ ، فَمَا حَمَلُ الْأَيْدِي ، وَإِنْ أَعْسَرْتُ ، مِنْ شِبْمِي
وَلَا تَظَنِّي أَدْعُو سِوَاكَ ، وَلَا يَفْوَهُ مَجْتَدِيًّا إِلَّا إِلَيْكَ فَيِ
عَلَامٌ أَرْتَشِفُ الرِّتْقَ (٣) الْأُجَاجِ ، وَقَدْ رَوَيْتَ كُلَّ صِدِّ مِنْ بَحْرِكَ الشِّمِ
أَنَا ابْنُ عَمِّكَ ، فَاجْعَلْنِي بِفِكَ أُنْحَى مِنْ أَسْرِهِ ، لَكَ عَبْدًا ، مَا مَشَتْ قَدَمِي
فَمَلِكٌ مِثْلِي لَا يَغْلُو بِمَا بَدَّلَ الْمُبْتَاعُ فِيهِ ، وَلَا يُسْتَامُ (٤) بِالْقِيمِ

فلم يجره الشعر ، ولا سعى في خلاصه ، ولا أعان عليه ، وأدخر الله تعالى
أجر خلاصه وحسن ذكره ، لولئى الملك العادل نور الدين أدام الله أيامه ، فوهبه
فارساً من مقدسى الداوية (٥) ، يقال له المشطوب ، قد بذل الفرنج فيه عشرة آلاف
دينار ، فاستخلص به أخاه من الأسر .

(١) الذيم : جمع ديمة وهي مطريدوم في سكون بلا رعد و برق . (٢) تجرم : كل .
(٣) في الأصل : العذب . والتصحيح من رواية على هامش النسخة . ورقق المساء كفرح ونصر رقفا بسكون النون
فتحها ورونقا : كدر . والأجاج : الملح المر .
(٤) استام السلمة : طلب بيعها .
(٥) الداوية : طائفة من الفرنج الصليبيين .

قافية النون

(٢٦٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة رحمه الله :

هَذَا كِتَابٌ قَفِي أَحَلَّتْهُ النَّوَى أَوْطَانَهَا ، وَنَبَتْ^(١) بِهِ أَوْطَانُهُ
شَطَّطْتُ بِهِ عَمَّنْ يُحِبُّ دِيَارَهُ وَتَفَرَّقْتُ أَيْدِي سَبَا^(٢) إِخْوَانُهُ
مُتَتَابِعِ الزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبٌ يَبُوحُ بِسِرِّهِ^(٣) خَفَقَانُهُ
تَأْوِي إِلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ هُومُهُ وَتَذُودُهُ^(٤) عَنِ نَوْمِهِ أَشْجَانُهُ
أَلِفْتُ مُقَارَعَةَ الْحِكَاةِ^(٥) جِيَادُهُ وَسُرَى^(٦) الْهَوَاجِرِ^(٧) ، لَا يَبْنِي ذَمْلَانَهُ^(٨)
يَوْمَانِ أَجْمَعُ دَهْرِهِ إِمَّا سُرَى أَوْ يَوْمٌ حَرْبٍ تَلْتَلِطِي نِيرَانُهُ
لَكِنَّهُ لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ خَوْفِ الْحِمَامِ ، وَلَا يُرَاعِ جَنَانَهُ

(٢٦٨)

وكتب في صدر كتاب :

أَحْنُ إِلَيْكُمْ ، وَالْمَهَامُهُ بَيْنَنَا حَيْنَ الْوَيْفِ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا
وَأَسْتُرُ أَشْوَاقِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي لَدَى ذِكْرِكُمْ ، أَنْفَاسَ وَجِدٍ تُبِينُهَا

- (١) لم توافقه .
(٢) تفرقوا أيدي سبأ : تبددوا .
(٣) بهامش النسخة (بيته) رواية .
(٤) يقال ناقة مهاجرة : فاتها في الشحم والسير . والمهاجر : النجيب الجميل والجليد من كل شيء . والفاثق الفاضل على غيره كالمهاجر (ككثف) والمهاجر .
(٥) الحكاة : جمع كهي ، وهو الشجاع .
(٦) السرى : سير عامق الليل .
(٧) الهواجر : قيل هو السير اللين . ذمل يذمل ذميلا وذملانا .
(٨) لا يبنو ذملانته .

(٢٦٩)

وكتب إلى صديق له بمصر :

نفسى الفداء لمن أذودُ بذكره
عني عوادي همم والأشجان
وإذا فررتُ من الخطوب جعلته
فتي^(١) فيفرقها^(٢) امتناع مكاني
وكان معجزة المسيح كتابه
فإذا قضيت^(٣) من الأسى أحباني

(٢٧٠)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

وإن امرأ أضحى "بإربيل" داره
وفي شيزر^(٤) أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم
ومعدورة أن تستهل جفونه^(٥)

قافية الهاء

(٢٧١)

ومما يلحق بهذا الباب قوله يعاتب^(٦) :

إن ألقه سره قربي ، وآتسه
وإن أغب صدعني معرضاً، ولها
كأني ميت ، في النوم يبهجه
لقاؤه ، ثم ينسأه إذا انتبها

(١) الفنة : الطائفة .

(٢) يفرقها : يفرعها .

(٣) قضى : مات . والأسى : الحزن .

(٤) إربيل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل . وشيزر : قلعة كانت ليني منفذ بالقرب من حماة بالشام .

(٥) في هامش الديوان عن نسخة (شونو) . والشونون : جمع شان وهو مجرى الدمع إلى العين . واستهل المطر :

اشتد انصبابه .

(٦) البتان من مختارات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

قافية الياء

(٢٧٢)

وقال :

وإني كآبك مُعلناً بسلامةٍ قدحَتْ زناداً في الجوانحِ وأرياً^(١)
وقرأته ، فوجدتُ طرفي ضاحكاً فرحاً برؤيته ، وقلبي باكياً
وتعمدتنى نافذاتُ سهامه حتى إذا أصميتُ^(٢) عذناً مكأوباً
وتطلعتُ منه أراقمُ رملةٍ يُردى السليمُ لعابها والراقياً^(٣)
فكان ذاك الطرسُ^(٤) أضحى سلة الحَاوى ، وهاتيك السطورُ أفاعياً

(١) وردت النار : اتقنت .

(٢) أصمى الصيد : رماه ، قتلته ، كانه .

(٣) الأرقم : جمع ارقم وهو أحبت الحيات وأطلبها لقناس . ويردى : يهلك . والسليم : اللديغ .

(٤) الطرس : الصحيفة .

باب الأوصاف

قافية الباء

(٢٧٣)

من قصيدة كتبها إليه الملك الصالح ، يصفُ الرِّزْلَةَ الكائنة بشير :^(١)
رَقَصَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةً غَنَى الرَّعْدُ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
وَتَنَتَّ حِيطَانُهُ ، فَأَمَلَتْهَا شِمَالُ بَزْمِرِهَا ، وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبٌ لِنَائِمٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ
وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتًا ضَاحِكًا السَّيْنِ ، وَلِجَوِّ بِالْغَمَامِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَدُوبُ بِهِ السُّحُبُ ، فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضًا تَدُوبُ
أَبْذَنْبُ أَصَابَهَا قَدْرُ اللَّهِ ، فَلَا رِضْ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ !

قافية الدال

(٢٧٤)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

وَصَاحِبِ لَا تَمَلُّ^(٣) الدَّهْرَ صَحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي ، وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مِنْهُ تَصَاحِبِينَ ، فَخِينَ بَدَا لِنَظَرِيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبَدِ

(١) راجع ص ٧ و ١٦٤ و ٢٩٦ وورد معظمه في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨

(٢) هذان البيتان رواهما ياقوت ٥ : ١٩٤ ، ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٨ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢٦٤

(٣) الراوية في ياقوت والخريدة (لا أمل)

قافية العين

(٢٧٥)

وقال في الشمعة :

أُنْبِسِي فِي لَيْلِ الْقَطِيعَةِ مُشْبِهِي : نُحُولًا ، وَتَسْهِدًا ، وَلُونًا ، وَأَدْمَعًا
أَوَاجُهُ وَجَهًا مِنْهُ حَيْثُ رَأَيْتُهُ مِنْبِرًا إِلَى مَنْ أُمَّهُ مَتَطَّلَعًا
كُلِّبَسَ جِسْمِي سَقَمَ جَفْنِيهِ حَيْثُمَا بَدَا لِي عَايِنْتُ الْمَلَاةَ أَجْمَعًا

(٢٧٦)

وقال فيها :

وَمَفْرَدَةٍ تَبْكِي إِذَا جَنَّ لَيْلُهَا خُفَاتًا ، وَفِي أَحْشَانِهَا النَّارُ وَاللَّذْعُ
تَذُوبُ جُزْيٍ ، إِمَّا لَصْدٌ وَهَجْرَةٌ وَإِمَّا لَبِينٌ ، مَا لِشَيْبَتِهِ جَمْعُ
فَلَمْ أَرْ جَمْرًا ذَاتَبَأْ غَيْرَ دَمْعِهَا وَلَا جِسْمَ بَاكٍ قَبْلَهَا كُلُّهُ دَمْعُ

قافية القاف

(٢٧٧)

وقال من أبيات :

وَسَلَّ عَنْكَ الْهَمُومَ إِذْ طَرَقَتْ بِنْتِ كَرِيمٍ ، فِي الْكَاسِ تَأْتَلِقُ
إِذَا فَرَاها^(١) الْمَزَاجُ أَضْرَمَهَا وَقَلَّتْ : أَيْدِي السَّقَاةِ تَحْتَرِقُ

(١) فراه يفريه : شقه . وهذا البيت والبيت بعده مما اختاره مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠٣) .

تَوَجَّهَ الْمَاءُ مِنْ فَوَاقِعِهِ تَاجًا ، بِهِ تَرْتَدِي وَتَنْتَطِقُ^(١)
يُقَالُ : مَا تَسْتَقِرُّ وَالْهَمُّ فِي صَدْرٍ ، فَيَا نِعْمَتَاهُ لَوْ صَدَقُوا
وَأَيْنَ مِنْ هَمِّي الْمُدَامُ ، وَقَدْ سَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ دُونِهِ الطَّرِيقُ

(٢٧٨)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

عَجِبَ لِمَحْتَجِبٍ عَنْ كُلِّ ذِي نَظَرٍ صَحْبَتُهُ الدَّهْرَ ، لَمْ أُسْبِرْ^(٣) خَلَاتِقُهُ
حَتَّى إِذَا رَأَيْتِي قَابَلْتُهُ ، فَقَضَى حَيَاؤُهُ وَإِبَانِي أَنْ أَفَارِقُهُ

قافية الميم

(٢٧٩)

وقال في مقلمة كيمخت^(٤) أسود ، أهديت إليه ، وفيها أقلامٌ مبرية وسكين :

وَافْتَكَّ حَالِكَةَ السَّوَادِ ، يَحَالُهَا صَبِغَ الشَّبَابِ النَّاطِرُ الْمَتَوَسِّمُ
فِيهَا رِمَاحُ انْخَطَّ مَرْهَفَةَ الشَّبَابِ^(٥) تُرْدِي الطَّعِينَ ، وَلَا يَضْرُجُهَا^(٦) دَمٌ
مِنْ كُلِّ أَهْيَفٍ إِنْ جَرَى فِي طَرْسِهِ نَاجِي ، فَأَفْهَمَ ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
بِيضُ الْأَيَادِي فِي سَوَادِ لُعَابِهِ فَكَأَنَّما الْأَرْزَاقُ مِنْهُ تَقْسَمُ
تَحْوِي مُسَلِّطَةً^(٧) عَلَيْهَا ، يَخْتَدِي مِنْ حُدَّهَا الْمَاضِي الْحَسَامُ الْمَخْذَمُ^(٨)
تَأْدِيبُهَا لَهُمْ بِقَطْعِ رُءُوسِهِمْ إِنْ قَصَّرُوا فِي السَّعْيِ عَمَّا تَرَسُّمُ
فَانْعَمَ بِحُسْنِ قَبُولِهَا مُتَطَوِّلاً فَالشُّكْرُ لَا يَحْوِيهِ إِلَّا مَنْعُمُ

(٥) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء .

(٦) ضرجه : لطلخه .

(٧) المطلقة هنا يراد بها : السكين .

(٨) المخذم : القاطع .

(١) ترتدي : تلبس الزد . وتنتطق : تلبس المطلقة .

(٢) راجع وصفه للضرس ص ١٥٣ .

(٣) لم أسبر : لم أختبر .

(٤) نوع من الجلود .

باب المُلح

قافية الباء

(٢٨٠)

وقال على لسان الشيخ أبي صالح بن المهذب رحمه الله ، على سبيل المداعبة ، في جارية اسمها شوق ، كانت لبعض العرب النازلين بشيرز ، وكان ينفّر من ذكرها له :

إليك أشكو ما يصنعُ اسمكُ بي	قولا لريم ^(١) في حلّة ^(٢) العرب :
وأخذَ قلبي في جُملة السلبِ	بما استجازتَ عيناكُ سفكَ دمي
إن أنتِ راعيتِ حُرمة الصَّقبِ ^(٣)	جاركُ أولى برغي ذمته
ما خُفرتِ في ذمّة العربِ	لولاكُ ، والدهرُ كلُّه عجبُ
عنه ، فيا للرجال للعجبِ	هذا هوّبي ، كنتُ في بلهنيّة
ضحجُ عبدٌ مُستعجمُ النسبِ	أيسرُ الكريمِ ذَا النسبِ الوا
عن احتمالِ الحجالِ والقلبِ ^(٤)	ويحملُ الثَّأرُ من به خور ^(٤)
فِعشيري ما يفوتهم طلي	نشدتُك الله في احتمالِ دمي
قبلي ثأرٌ في سالفِ الحقبِ	ما فاتَ قومي آلَ المهلبِ من
بسطو بأقلامه على القضبِ ^(٦)	فلا تُريقِ دما لذي أدبِ

(١) التريم : الظبي الخالص البياض .

(٢) الحلّة بكسر الحاء : القوم النزول ، وجماعة بيوت الناس

(٣) الصقب بالتحريك : القريب والقرب .

(٤) الخور : الضعف .

(٥) الحجال : الاخلاخيل . والقلب : سوار المرأة .

(٦) قضب : السيف .

قافية الشاء

(٢٨١)

وقال بحصن الطوبان^(١) على سبيل الدُّعَابَةِ :
 متى أرى الطُّوبَانَ قد مهَّدت حيطانَه السُّودَ المحَارِثُ
 ما فيه إلا رِيحُ عَادٍ ، وأجلاف طَغَامٌ^(٢) ، وبراعِثُ

قافية الراء

(٢٨٢)

وقال ، على سبيل المجون ؛ في سِوداء :
 شَبِيهَةَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ ، لك الهوى وهل لفؤادٍ عن سُويدانه صَبْرُ
 على نَحْرِكَ الدَّاجِي زها الدَّرُّ مثلها زَهَتْ في دِياجِي اللَّيْلِ أَنجَمُهُ الزُّهْرُ
 لَأَنْتِ شَبَابٌ ما يَسْتِينُ سِوادَه بِياضُ مَشِيْبٍ ، والشَّبَابُ هو العِمرُ
 لقد أَكْثَرَ اللَّوْأَمُ فِيكِ ، وجَهْلُهُمْ إِذا عَنَّفُونِي في هِواكِ ، هو العُدْرُ

(٢٨٣)

وقال أيضا بمصر ، وكان له جارٌّ من الأمراء يعرف بفخر الملك بن طُليب ،
 وقعت في داره نارٌ فاحترقت ، وقصد المجون معه والعبث :

أُنْظِرْ إلى الأيام ، كيف تَقُودُنَا قَسْرًا إلى الإِقْرارِ بالأَقْدارِ
 ما أوقَدَ ابنُ طُليبٍ قَطُّ بِدارِه نارا ، وكان هلاكُها بالنارِ

(١) الطوبان : حصن من أعمال حصن أرحمة . (باقوت) .

(٢) الطغام : أوغاد الناس .

قافية الشين

(٢٨٤)

وقال (١) :

أميرنا (٢) زاهدٌ، والناسُ قد زهدوا له ؛ فكلُّ على الطَّاعاتِ (٣) مُنكشُ
أيامه ، مثل شهر الصَّومِ : طاهرة (٤) من المعاصي ، وفيها الجوعُ ، والعطشُ

قافية الصاد

(٢٨٥)

وقال :

رمانٌ مصرٌ كأنه ذرةٌ آكله شاخصٌ (٥) من الغصصِ
والريقُ فيها ، فدع سواه ، إذا أساغه المرءُ كان بالنَّغصِ
وليس يرضى اللبيبُ عيشته فيها ، ولكن زريقٌ (٦) في الققصِ

قافية القاف

(٢٨٦)

وقال يداعب بعض الاصحاب :

إذا صاحبتَ عمرًا في طريقٍ فقد سَيرتَ ظلكَ في الطَّريقِ
فإن لم تلقَ إنسانًا سِواه تُرافقه ، فأنت بلا رفيقِ

(١) هذان البيتان ممدودان بالألف في نسخة من نسخة في الخريدة : ١٠٣ ، وياقوت في معجم البلدان : ٥ ، ٢٠٤ ، والروضتين : ٢ ، ١٢٩ .

(٢) في الخريدة وياقوت "سلطانا" .

(٣) في المصدرين السابقين "الغيرات" .

(٤) في المصدرين السابقين "خالية" .

(٥) شخص بصره : فتح عينيه وجعل لا يظرف .

(٦) زريق : طائر

قافية اللام

(٢٨٧)

وقال في أعرج :

غابوا هوى شادن في رجله قصر^(١) من سكر الحاظه في مشيه تممل^(٢)
وما هوى خوط بان ماس من هيف عيب، وإن كان عيباً فهو محتمل

قافية الميم

(٢٨٨)

وقال ، وقد اجتاز بقريه له من أعمال بالوا^(٤)، تسمى لغى كوم، كثيرة الفواكه والأشجار ، باردة الماء ، وجميع فلاجيها أرمن لا يعرفون العربية :

نزلت بأرض (بالوا)، وهى حصن^٥ علا ، حتى تمنطق بالنجوم
بروم ، لاتلائمهم طابعى وما العربى ذو إلف بروم
سلامهم (هزار^(٥)) باريك) ماذا شبيهه سلام خزان النعيم
وإن كتهتم قالوا: (اشكديم)^(٦) ولست بعالم معنى (اشكديم)
وما تسوى^(٧) (لغى كوم) وإنهى سجا^(٧) ليلي بها ، وصفا نسمى
وبرد مياهها ، وجنى جنان تحيط بها ، ويانعة الكروم
مقاني بين قوم ، إن تداعوا سمعت دعاء أصداء^(٩) وبوم

(١) الشاهن : ولد الظبية هوى وامتنى بن أمه . (٢) التمل محركة : السكر . تمل كفتح فهو تمل .

(٣) الخوط : الفصن الناعم .

(٤) فى باقوت : بالوقلة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية بين أذن الروم وخراسان .

(٥) وهذه ألفاظ غير عربية .

(٦) يقال هو لا يساوى شيئا . ولا يسوى كيرضى قليلة . (٨) سجا : سكن .

(٩) أصداء : جمع صدى : ما يرد الجبل على الصوت فيه .

(٢٨٩)

وقال في ولد له اسمه عتيق ، وكنيته أبو بكر ، على سبيل المجون :
عَتِيقٌ كَالهَلَالِ ، إِذَا تَبَدَّى لِسَارِي اللَّيْلِ مِنْ تَحْتِ النُّجُومِ
تَقُولُ ، إِذَا بِهِ الْأَتْرَابُ حَفُّوا : أَهَذَا الْبَدْرُ مَا بَيْنَ النُّجُومِ

قافية النون

(٢٩٠)

وقال بدمشق ، وكتب بها إلى أصدقائه ، وهم عند سماع ، على طريقة الصوفية ،
فيهم صبيٌّ قَوَّالٌ ، إِسْمُهُ رِضْوَانٌ ، حَسَنُ الصَّنَاعَةِ وَالوَجْهِ ، عَلَى سَبِيلِ الْمَجُونِ :
يَا سَاكِنِي جَنَّةٍ ، رِضْوَانُ حَازِنُهَا هُنَيْمُ الْعَيْشِ فِي رَوْحٍ وَرِيحَانِ
مُرُوا النَّسِيمَ ، إِذَا مَا الْفَجْرُ أَيْقَظَهُ بِجَمَلِهِ طَيْبَ نَشْرِ^(١) مِنْهُ أَحْيَانِي
أَوْ فَابْعَثُوا نِعْمَةً مِنْهُ يَعْيشُ بِهَا قَلْبِي ، فَقَدَمَاتٌ مُذْ حِينِ وَأَزْمَانِ
ظَبِيٌّ أَعْنُ^(٢) تَرْدَى بِالذَّبْحِي ، وَجَلَا شَمْسُ النَّهَارِ ، عَلَى غَضَبٍ مِنَ الْبَانِ
فِي فِيهِ مَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ : مِنْ دُرِّ وَمِنْ رَحِيقِ ، وَمِنْ مَسِكٍ ، وَمَرْجَانِ
إِذَا بَدَأَ وَشَدَا فِي مَجْلِسِ ظَنَرُوا بِمُنِيَةِ النَّفْسِ مِنْ حُسْنِ وَإِحْسَانِ
لَا تَنْسَنِي يَا أَبَانَصِيرِ^(٣) ، إِذَا حَضَرْتُ قُلُوبِكُمْ بَيْنَ مَرْمُومٍ وَطَرَخَانِي^(٤)
كُنْ لِي وَكَيْلًا عَلَى الرَّؤْيَا ، وَوَكَلِّي سِوَاكَ يَسْمَعُ عَنِّي شَدَوَ رِضْوَانِ

(١) النشر : الريح العلية .

(٢) الأعن من الغرلان وغيرها : الذي في صوته غنة .

(٣) كان أبو نصر هذا أطروشا . اه قلا عن الديوان .

(٤) طرخان : اسم للرئيس الشريف : كلمة خراسانية . وزم القرية : ملاها .

وَقُلْ لَهُ : يَتَغَنَّى مِنْ قَلَانِدِهِ صَوْتًا يُجَدِّدُ لِي شَجْوَى ، وَأَشْجَانِي
 نَسِيمَهُ يَتَلَقَانِي بِزُورَتِهِ مُبَشِّرًا لِي بِهِ مِنْ قَبْلِ يَلْقَانِي

(٢٩١)

وقال ببغداد ، وهو متوجه إلى مكة :

وَصَفُّوْا لِي بَغْدَادَ حِينًا ، فَلَمَّا جِئْتُمَا ، جِئْتُ أَحْسَنَ الْبُلْدَانِ
 مَنْظَرٌ مَبِيحٌ ، وَقَوْمٌ سَرَاءٌ^(١) قَدْ تَحَلَّوْا بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 لَيْسَ فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى أَنْ فِي كُلِّ بِنَانٍ عِلَاقَةٌ الْمِيزَانِ
 وَسَمِعْنَا ، وَمَا رَأَيْنَا سِوَى أُمَّ ظَلُومٍ^(٢) فِيهَا مِنَ النُّسُوَانِ
 وَهِيَ جَنِيَّةٌ كَأَقْبَجٍ مَا شَرَّهَهُ رَبَّنَا مِنَ الْغِيْلَانِ
 إِنَّ فِيهَا مِنَ الصَّبَايَا شُمُوسًا فِي غُصُونٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبَانِ
 شَغَلْتَنَا السَّبْعُونَ وَالْحِجُّ عَنْهُمْ ، فَقَلْنَا بِالسَّمْعِ دُونَ الْعِيَانِ

(١) السراة : السادة .

(٢) أم ظلوم : عجوز كانت في الدار التي نزلها ببغداد فيبحة المنظر . اه قلاعن هاشم الديوان .

باب المديح

قافية الباء

(٢٩٢)

قال في الأفضلِ عباس بن أبي الفتح^(١) ، شفاعةً لإنسان :

لقد عمَّ جودُ الأفضلِ السَّيدِ الورى وأغنى غناءَ الغيثِ حيثُ يَصوبُ
أعدتُ ربيعَ النَّاسِ في كلِّ بلدةٍ فليس بها للرائدينِ جُذوبُ
وجادت لهمُ بالمالِ يُمناكَ ، إنَّها بذولٍ على بُحْلِ الزَّمانِ وهوبُ
”وفي“^(٢) كلُّ حيٍّ قد خَبَطتْ بِنِعْمَةٍ حُتَّتْ لِنَاسٍ من تَدَاكِ ذُنُوبُ“^(٣)

(٢٩٣)

وكتب إلى الملكِ الصَّالحِ من قصيدةٍ سيأتى أولُها :

غرَّني لامعُ السَّرابِ ، وهذا السَّبْحُ دُونِي عَذْبُ المِياهِ شَرُوبُ
سرتُ أَسْتَقْرِئُ المَحُولَ ، وفي أَرَضِي مَرَعِي عَيْنِ^(٤) ، ووَادِ قَشِيبُ
وسحابُ منه تَعَلَّمتِ السَّحَابُ ، وإن لم تُشهِهْ ، كيفَ تَصُوبُ
سوءُ حِظِّ أَنَايَ عن المَلِكِ الصَّالِحِ ، والحِظُّ يَنْتَهِي وَيُثُوبُ^(٥)
وإلى بابِهِ مَالِي ، ولِلآبِ بَيْتِي^(٦) حُسْنُ القَبُولِ حينَ يُنِيبُ^(٧)

(١) وزير مصرى قتلَه الفرنج سنة ٥٥٥ هـ . راجع المقدمة .

(٢) هذا البيت لعلامة بن عبدة كافي اللسان (خطب) وشاس اسم أمى علقمة . وخطبه بنعمة : أعطاه .

(٣) الذنوب : الخط والنصيب . (٤) العين : بقى الوحش .

(٥) تاب : رجع . (٦) الآبق : الهارب .

(٧) أناب : تاب .

غَابَ عَنْهُ جِسْمِي ، وَقَلْبِي مَا زَا لَ مَقِيماً بِيَابِهِ ، لَا يَغِيبُ
فَإِذَا مَا سَمِعْتَ بِالنَّازِحِ^(١) الدَّ اِنِّي فِإِنِّي ذَاكَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
وَمَتَى مَا قُرْبْتُ مِنْهُ لِحَفْطِي مِنْ عُلَاهُ التَّقْرِيبِ وَالتَّرْحِيبِ
وَبِمَا نَلْتُ مِنْ نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَقْسَمْتُ صَادِقاً لَا أَحُوبُ^(٢)
لَا ثِنَانِي الْعِبَادُ عَنْهُ ، وَإِنْ حَا لَتَ أَعَادِ مِنْ دُونِهِ وَحُرُوبُ
أَوْ يُرَوِّى بِرُؤْيِي وَجْهَهُ الْمِمْسُونَ قَلْبِي الصَّادِي وَطَرْفِي السَّكُوبُ
وَيَقُولُ الْأَنَامُ : آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ ، إِنْ ذَا لَعَجِيبُ
خِفَاتِي ، وَإِنْ بَلِغْتُ بِهِ الْمَأْمُولَ ، فِي غَيْرِ ظِلَّةٍ لَا تَطِيبُ
يَا أَخَا الْبِيدِ وَالسَّرَى ، وَأَخِي السَّبْرَ ، إِذَا عَقَنِي أَخٌ وَنَسِيبُ
قُلْ لِيغِيهِ الْهَتُونِ فِي أَزْمَةِ الْحَلِيلِ ، وَغَوِي إِنْ أَرَهَقْتَنِي الْخَطُوبُ
كَاشِفِ الْغَمَّةِ الْمُبِيرِ عَلَى الشَّحْبِ بِجُودِ مَدَى الزَّمَانِ يَصُوبُ^(٣)
يَا رَبِّي الْمَرِيعَ ، حَاشَاكَ أَنْ تُمَجِّلَ رَبِّي ، وَأَنْتَ ذُنُحْرِي ، الْجُدُوبُ
أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَهراً لِحَا^(٤) عُو دِي ، وَأَعْرَاهُ ، فَهُوَ يَنْسُ سَايِبُ
وَخُطُوباً رَمَى بِهَا حَادِثُ الدَّ هِرِ سَوَادِي^(٥) ، وَكَأَنَّ مُصِيبُ
أَذْهَبَتْ تَالِدِي^(٦) وَطَارْفِي الطَّارِي فَضَاعَ الْمُرُوثُ وَالْمَكْسُوبُ
فَهُوَ شَطْرَانِ بَيْنَ مَصْرٍ وَبَحْرِ ذَا غَرِيقٍ فِي^(٧) ، وَذَا مَنُوبُ
وَإِبَانِي أَرَاهُ عَنْ حَمَلِهِ الْمَنْ ضَعِيفاً ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّكُوبُ

(١) ترح : بعد . (٢) الحوب : الإثم .

(٣) الصوب : الانصباب . (٤) لحا الشجرة : قشرها .

(٥) السواد : الشخص . (٦) التالد : ما ولد عندك من مالك أو نتج : والطارف : الحديث من المال .

(٧) الغري : الغنيمة .

وِيرَى كُلَّ مَنَّةٍ لِسَوَى الصَّامِ لِحِجْ غُلَا فِي حَمَلِهِ تَعَذِيبُ
مَا اعْتَذَارُ الْمُنَى إِذَا مَطَّلْتَنِي بِطَلَابِي ، وَفَضْلُكَ الْمَطْلُوبُ
أَوْ لَيْسَتْ مِصْرًا ، وَكُلُّ بَنَانٍ لَكَ بِحَرِّ ، وَكُلُّ عَيْدٍ خَصِيبُ
وَالنَّدَى طَبَعُكَ الْكَرِيمُ ؛ فَمَا أَهْنَى نَوَالًا تُنِيلُهُ ، وَتُنِيبُ
جَاءَنِي وَالْبِحَادُ دُونِي ، كَمَا جَا بَتَّ فَيَافِي^(١) الْبِلَادِ رَجَّحَ هَبُوبُ
وَعَجِيبُ أَنْ الْمَوَاهِبَ تَسْرِي وَيَقِيمُ الْمُسْتَرْفِدُ^(٢) الْمَوْهُوبُ
سُنَّةً سَنَهَا نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِيهَا لِكُلِّ خَلْقٍ نَصِيبُ
مَنْ تَنَائِي طَوَى إِلَيْهِ الْفَيَافِي^(١) وَهَرَمَ مِنْ كُلِّ ذِي اقْتِرَابٍ قَرِيبُ
وَلَهُ بِالنَّزَالِ بَاعٌ طَوِيلٌ وَيَدٌ سَبْطَةٌ ، وَصَدْرٌ رَحِيبُ
وَبِأَيَّامِهِ تَبَسَّ مَتِ الدُّنْيَا سُورًا ، فَلَا اعْتَرَاهَا قُطُوبُ

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوْلَاهَا^(٣) :

يَا أَخْلَايَ بِالشَّامِ لَنْ غَبَّيْتُمْ ، فَشَوْقِي إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
غَضَبَتْنَا الْآيَامُ قَرَبَكُمْ مِنَّا ، وَلَا بَدَأْنَا تَرْدَ الْغُصُوبِ
وَلَكُمْ ، إِنْ نَشِطْتُمْ عِنْدَنَا الْإِكْرَامَ ، وَالرَّفْدُ^(٤) ، وَالْحُلُّ الْخَصِيبُ
قَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ غَيْثَ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالنُّضَارِ^(٥) سَكُوبُ
وَبِنَا يَدْرُكُ الْمُؤَمَّلُ مَا يَرَى جُوهَ قَدَمًا ، وَيُنْقَدُ الْمَكْرُوبُ
نَحْنُ كَالسَّحْبِ : بِالْبَوَارِقِ وَالرَّعْدِ لَدِينَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ

(١) الفيافي : جمع فيفا ، وهي المقازاة لا ما ، فيها .

(٢) المسترفد : المستعين .

(٣) مطلع القصيدة .

بأبي شخصك الذي لا يغيب عن حياتي ، وهو البعيد القريب

وانظر ص ٧ و ص ١٥٣ و ٢٩٦ . وجزء كبير من النص في الروضتين ١ : ١٠٦ و ١١٨ .

(٤) الرfid : العطاء ، والصلة .

(٥) النضار : الذهب الخالص .

تَارَةً تُسْعِرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَطَوْرًا بِالْمَكْرَمَاتِ نَصُوبٌ^(١)
كَرَهُ الشَّامُ أَهْلَهُ ، فَهُوَ مُحَقَّقٌ بِالْأَلَا يُقِيمَ فِيهِ لَيْبٌ
إِنْ نَجَّاتْ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَقَتْهَا زَلَّازِلٌ^(٢) وَخُطُوبٌ
ومنها :

أَنْ ظَنِّي ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سَهَامِ الرَّبِيِّ : مِنْهَا الْمُخْطَى ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
إِنَّ هَذَا لِأَنَّ غَدَتِ سَاحَةَ الْقُدْسِ ، وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبٌ
مَنْزِلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَحْجُوجُ وَالْمَحْجُوبُ
تَزَلَّتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخَمْرُ ، وَبَارَى النَّاقُوسَ فِيهَا الصَّلِيبُ
لَوْ رَأَى الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فِعْلًا ذَكَرُوا^(٣) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبٌ
أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَصْلُوبٌ
ومنها :

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّينِ^(٤) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مُحْسَبٌ
وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ
وَلِكِ الرِّبَّةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأُمُورِ مَذَكْنَتْ ، إِذْ تَشَبَّ الْحُرُوبُ
أَنْتَ فِيهَا الشَّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطَّعْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ضَرِيبٌ
وَإِذَا مَا حَرَّضَتْ^(٥) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيهَا تَقْوَلُهُ ، وَالْخَطِيبُ
وَإِذَا مَا أَشْرَتْ فَالْحَزْمُ لَا يُنْكَرُ أَنْ التَّدْيِيرَ مِنْكَ مُصِيبٌ
لَكَ رَأْيٌ مُذَقَطٌ^(٦) ، إِنْ ضَعَفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَلِيبٌ^(٧)

(١) الصُّوبُ : الْإِنصَابُ .

(٢) يُشِيرُ إِلَى الزَّلَّازِلِ الْعَنيفَةِ الَّتِي حَدَثَتْ بِالشَّامِ وَأَتَتْ عَلَى شِيزَرُومَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ أَسَامَةَ . رَاجِعْ مَقْدَمَةَ الدِّيَوَانِ .

(٣) فِي هَاشِمِ الدِّيَوَانِ : زَعَمُوا . (٤) فِي الرُّوضَتَيْنِ : فِي الدِّينِ .

(٥) فِي الرُّوضَتَيْنِ : قَرَضَتْ . (٦) فِي الرُّوضَتَيْنِ : يَقْظَانُ .

(٧) الصَّلِيبُ : الشَّدِيدُ .

فانهض الآن مُسرِعًا ، فبأمتنا لك ما زال يُدرك المطْلُوبُ
والتي عَنَّا رسالةٌ عند نُورِ الدِّينِ ، ما في إلقائها ما يريبُ
قُلْ لَهُ ، دَامَ مُلْكُهُ ، وَعَلَيْهِ من لباس الإقبالِ بردُ قَشِيبٍ: (١)
أَيُّهَا الْعَادِلُ الَّذِي هُوَ لِلدِّينِ بَيْنَ شَبَابٍ ، وَلِلْحُرُوبِ شَائِبٌ (٢)
وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ قَدِيمًا عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْعَزْمِ مِنْهُ تُجَلَى الْكُرُوبُ
وَعَدَا مِنْهُ لِلْفَرَجِ إِذَا لَا قَوَّةَ يَوْمٌ مِنَ الزَّمَانِ عَصِيبُ
إِنْ يَرُمُ (٣) نَزَفَ حَقْدَهُمْ فَلَأَشْطَبَانِ (٤) قَنَاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَلِيبٌ (٥)
غَيْرِنَا مَنْ يَقُولُ مَا لَيْسَ بِمُضِيهِ بِفَعْلٍ ، وَغَيْرُكَ الْمَكْدُوبُ
قَدْ كَتَبْنَا إِلَيْكَ ، فَوَضِّحْ لَنَا الْآنَ (٦) بِمِذَا عَنِ الْكُتَابِ مُجِيبُ
قَصْدُنَا أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ وَأَجَلٌ فِي مَسِيرِنَا مَضْرُوبُ
فَلدِينَا مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا ضَا قَ بَادَاهُمْ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ
وَعَلَيْنَا أَنْ يَسْتَهْلَ (٧) عَلَى الشَّامِ مَكَانَ الْغَيْوِثِ مَا لَ صَبِيبُ
أَوْ تَرَاهَا مِثْلَ الْعَرُوسِ : تَرَاهَا كَلَّهُ مِنْ دَمِ الْعِدَا مَحْضُوبُ
لَطَائِنِ السُّيُوفِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ عَلَى هَامِ أَهْلِهَا تَطْرِبُ
وَلِجَمْعِ الْحَشُودِ مِنْ كُلِّ حِصْنٍ سَلَبٌ مُهْمَلٌ لَهُمْ وَنُوبُ
وَبِحَوْلِ الْإِلَهِ ذَاكَ ، وَمَنْ غَا لَبَ رَبِّي فَوَيْلٌ مَغْلُوبُ (٨)

(١) قشيب : جديد .

(٢) هو شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الحروب ومن كبار الثائرين على بني أمية . توفي سنة ٧٧ هـ .

(٣) هذه رواية الروضتين وفي الأصل : ترم .

(٤) الشطن محركة : الحل الطويل .

(٥) القلب : البر .

(٦) اشتغل المطر : اشتد انصبابه .

(٨) هذه القصيدة وصفت لما أصاب القدس في عهد الحروب الصليبية واستنأض من الوزير المصري الملك الصالح

للك النادل نور الدين محمود كي يجتمع شمل البلدين لطرد العدو من الوطن المغتصب .

قافية الجيم

(٢٩٤)

وقال :

يا مُتَهَيِّ الأَمَلِ اامتَدَّتْ مَطَارِحُهُ وَيَا حَيِّ مَنْ إِلَيْهِ فِي الخُطُوبِ بَلَّحَا
هَدَى نَتِيجَةُ فِكْرٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ السَّمَاوِيِّ عَقِيمًا ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نُنَجَّا
أَتَتَكَ تَحْمِلُ شُكْرًا لَوْ قَرَنْتَ بِهِ لَطَيْمَةٌ^(١) لَا كَتَسْتُ مِنْ نَشْرِهِ^(٢) أَرْجَا^(٣)

قافية الحاء

(٢٩٥)

وقال^(٤) :

فِيَا أَخَا العِزِّمِ يَطْوِي البِيْدَ مُنْصَلِتًا فِي سَيْرِهِ عَنِ مَسِيرِ العَاصِفَاتِ وَحَى^(٥)
قَلِّ لِلهَدْبِ فِي فَضْلِ ، وَفِي خُلُقِي ، وَابْلِغْ ، إِذَا مَا جَدَّ أَوْ مَرَّحَا
مَنْ يَنْشُرُ الدَّرَّ فِي نَثْرِ الكَاتِبَةِ إِنْسَاءً ، وَيَنْظُمُهُ فِي النَّظْمِ إِنْ مَدَّحَا
مَنْ لَفْظُهُ تُسَكَّرُ الصَّاحِي فَصَاحْتُهُ^(٦) وَلَوْ وَعَى فَضْلَهُ ذُو سَكْرَةٍ لَصَحَا :
أَتَتَكَ مُعْرِبَةَ الأَنْبِيَاءِ مُعْرِبَةً عَنِ مُخْلِصٍ ، إِنْ دَنَا فِي الوُدِّ ، أَوْ تَزَحَا

(١) الطيئة : المسك .

(٢) النثر : الريح الطيبة .

(٣) الأرج : توهج ربح الطيب .

(٤) اهل أول القصيدة في باب الغزل ص ١١ قوله : أرته غرته في الجبر مصلحتي .

أو قوله : عقائل الحلى أم سرب الميا سحبا ...

(٥) الوحى : العجولة والإسراع . وانصلت : مضى وسبق .

(٦) في دماش الديوان : بلاغته .

فاسمع ، فلا زلت للخيرات مُستمعاً
مولاي إن سدَّ عني باب أنعمه
ولم يجذ لي بطرف من مواهبه
بجوذه السكب إن أكذت^(٢) مخابله^(٣)
وكم له من يدٍ عندي تزيد على
أقل ما نلت من جدوى^(٤) يديه غني
لقد غنيت به عنه ، كما غني السغدِيرُ بالسُحْبِ عنها ، بعد ما طفحاً
لكن بقلبي همُّ زاد سورته
أظنَّ بي العجز في الحرب العوان ، وهل
ومنها :

فقل له ، جدد الله البقاء له .
كم قد بعثت إلى عيالك من أمل
وأنت من لو حبا الدنيا بأجمعها
وما سلبت فذنب الدهر معتقراً
ما شقَّ جيب الدجى صبح و ما وضحاً :
ألتننيه ، وكم من مطلبٍ نجحاً
لم يرضه ما حبا منها وما منحاً
وصرفه ما جنى جرماً ولا اجترحاً^(٥)

تأفية الدال

(٢٩٦)

وقال :

كناسُ سربِ المَهَا عَرِيْسَةُ الأَسَدِ^(٧) فكيف بالوصل للستهر^(٨) الكمد
والبيض ، دون خدور البيض ، مُصلته

(١) أبزل . (٢) أكدى : بخل ، أو قل خيره . أو قل عطاءه . (٣) مخابله : جمع مخيلة من خال بمعنى ظن .

(٤) الجدوى : العطية . (٥) سورة الشىء : حدثه . ويخجو : يسكن . وقدح بالزند : رام الإبراء به .

(٦) صرف الدهر : نوابه . واجترح : اكتسب .

(٧) الكناس : مستتر الظني في الشجر . والمها : بقرة الوحش . والعريسة : ماوى الأسد .

(٨) الستهر : بكذا على ما لم يسم فاعله : قتن به ، وذهب عقله ، وانصرف همه إليه .

وَكُلُّ أَسْمَرَ فِيهِ لَهْذَمٌ ذَرْبٌ^(١) بَمَذْوَةِ النَّارِ لَمْ تُقْبَسْ وَلَمْ تَقْدِ
إِذَا تَسَدَّدَ دَاوَى كُلِّ ذِي لَدَدٍ^(٢) وَإِنْ تَأَوَّدَ^(٣) سَاوَى مَيْلِ ذِي الْأَوْدِ
وَالْيَيْضُ وَالشُّمْرُ لَا تَرَوَى بغيرِ دِمٍّ مِنْ كُلِّ جَانِثَةِ الْأَرْجَاءِ بِالزَّبْدِ
صَدِينِ حَتَّى جَلَّاهَا فِي النُّحُورِ وَفِي الْهَامَاتِ أَوْعُ يُرَوَى غُلًّا^(٤) كُلُّ صَدِ
مَنْ أَظْهَرَ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَ إِذْ عُدِمَا إِلَى الْوُجُودِ بِضَرْبِ الْهَامِ وَالصَّبْفَدِ^(٥)
وَنَفَقَ الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْكِسَادِ ، فَمَا تَرَى سِوَى طَالِبٍ لِلْعِلْمِ مُجْتَهِدِ
مَنْ عَدَلُهُ أَمَّنَ الشَّاءَ الْمَهْمَلِ فِي عَرَيْنِ أَنْ يَتَوَقَّى وَثْبَةَ الْأَسَدِ
مَنْ يَلْتَقِي الْمُنْذِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا جَنُوهُ قَصْدًا بَعْفُوغَيْرِ مُقْتَصِدِ
يُسْنِي الْمَوَاهِبَ مَسْرُورًا بِهَا جَدَلًا فَمَنْهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) وَلَا نَكِدِ
وَمَا تَدْمَرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ غَضَبٍ إِلَّا جَلَّأَ عَنْ مُحِيًّا بِالْحِمَاءِ نَدِ
كَالْمُشْرِفِيَّةِ فِيهَا حُسْنُ رُونِهَا فِي السَّلْمِ ، وَالْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتِ ، وَالغُمْدِ

قافية الراء

(٢٩٧)

وقال :

يَا مُنْقَدِي ، وَيُدُ الزَّمَانَ تَنْوُشِي^(٧) وَمُقْبِلَ جَدِي ، وَهُوَ كَابٍ عَائِرُ^(٨)
حَتَّامَ أَنْتَ لِتَقْبِلَ هَيَّ حَامِلُ وَمَا يَبِيضُ^(٩) الدَّهْرُ مِنِّي جَابِرُ
وَمُقَارَعُ دُونِي الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَلْمِينَ^(١٠) ، وَأَنْتَ فَئْدُ حَامِرُ

- (١) الهذم : القاطع من الأسته . والدرب : الحاذ .
(٢) أود : اعوج .
(٣) الصغد محركة . الوثاق .
(٤) تنوشى : تناولى .
(٥) أقال جدده : رفعه من سقوطه . والجد : الحظ . وكبا : انكب على وجهه .
(٦) هاض : كسر .
(٧) استلام : لبس الامة وهي الدرع . والحاسر : المتكشف .
(٨) اللدد : الخصومة الشديدة .
(٩) الغل : العطش . والصبى : العطشان .
(١٠) من الحيل : قطعه .

مهلاً ، فِدَى لِكَ مَهْجَةً دَافَعْتَ مِنْ حَوَائِهَا^(١) ، إِذْ لَيْسَ غَيْرَكَ نَاصِرٌ
خَفِضَ عَلَيْكَ ؛ فَلِلْأُمُورِ نَهَايَةٌ وَإِلَى النِّهَايَةِ كُلِّ شَيْءٍ صَاوِرٌ

(٢٩٨)

وَقَالَ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ مُعِينَ الدِّينِ أَنْزَلَ وَقَدْ لَبَّى الْفَرْنَجِ فَهَزَمَهُمْ :
كُلَّ يَوْمٍ فَتَحَ مَبِينٌ ، وَنَصَرَ وَاعْتَلَأَ عَلَى الْأَعَادِي وَقَهَرُ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُذْرِ وَالْإِعْتَابِ^(٢) مِمَّا جَنَاهُ ، إِذْ هُوَ غِرٌّ
صَدَقَ النَّعْتُ فَيْكَ ، أَنْتَ مُعِينُ الدِّينِ ، إِنْ النُّعُوتَ فَأَلْ وَزَجْرُ
أَنْتَ سَيْفُ الْإِسْلَامِ حَقًّا ؛ فَلَا فَلَ غِرَّارِيكَ أَيُّهَا السَّيْفُ دَهْرُ
بِكَ زَادَ الْإِسْلَامُ يَاسِيفَهُ الْخِزْمَ^(٣) عِزًّا ، وَذَلَّ شِرْكَهُ وَكُفْرُ
ثِقَ بِإِدْرَاكِكَ مَا تَوَقَّلُ ؛ إِنْ اللّٰهُ يَجْزِي الْعِبَادَ عَمَّا أَسْرَوْا
لَمْ تَزَلْ تُضْمِرُ الْجِهَادَ مُسْرًا ثُمَّ أَعْلَنْتَ ، حِينَ أَمَكَانَ جَهْرُ
كُلِّ ذَخِرِ الْمُلُوكِ يَفْتِي وَذُخْرَاكَ ، هُمَا الْبَاقِيَانِ : أَجْرُ ، وَشُكْرُ
لِلنَّدَى مَالِكِ الْمُبَاحِ ، وَمَا مَا لُكْ إِلَّا جُرْدٌ^(٤) ، وَبَيْضُ ، وَسُمْرُ
عَمَّ أَهْلَ الشَّامِ عَدْلُكَ لَكِنَّا بَعْدَنَا ، وَغَايَةُ الْبَعْدِ مِصْرُ
فُحْرْمَنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَيْعَ مَا كُنَّا زَرَعْنَا ، وَقَالَ زَيْدٌ ، وَعَمْرُو
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْتَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ شَفَعُ ، وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وَتَرُ
كَانَ حِظِّي مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا شَنِيعًا ثُمَّ مَالِي فِيمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

(١) أعتبه : أعطاه العتيبي وهو الرضا .

(٢) جرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر .

(٣) الجوبيا : النفس .

(٤) خذمه : قطعه .

لَا تَنَامِي مَنْ كَانَ ظِلِّكَ فِي الْعَسْرِ وَضَبِقَ الزَّمَانِ إِذْ جَاءَ يُسْرُ
إِنَّ حَسْنَ الْوَفَاءِ مِنْ مَلِكٍ مَثَلِكَ فَضْلٌ ، يَرُوهُ بَدْوٌ وَحَضْرُ
فَاقٍ ، وَاسْلَمَ ، وَزَدَ عَلَى رَغَمِ أَعْدَاكَ جَدًّا ، مَا أَعْقَبَ اللَّيْلَ بَحْرُ
لَا أَغْبَى الزَّمَانُ قَصْدَ أَعْدَايَكَ ، وَلَا شَدَّ مِنْ تَبَضَّتْ جَبْرُ^(١)

(٢٩٩)

وقال :

صَدِيقُ لَنَا كَاللَّيْلِ : يَسْتُرُ السُّدُحَانَ ، وَيُبْدِي النُّورَ لِلنُّورِ
يُورِي إِسَاءَاتِي ، وَيُبْدِي مِحْسِنِي وَيَحْفَظُ غَيْبِي فِي مَغِيبِي وَمَحْضِرِي

(٣٠٠)

وقال في ناصر الدين نصير بن الأفضل عباس رحمه الله^(٢) :

يَا مَنْ يُهَيِّنُ الْمَالَ فِي كَسْبِ الْعَلَا وَيَرِي الثَّنَاءَ أَجَلَ ذُنْحِرٍ يُذْنَحِرُ
أَغْرَبْتَ فِي بَذْلِ النَّوَالِ ، وَخَاطَبْتُ الْعُلَيَاءَ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَا يُبْهِرُ
وَسَعِيَتَ لِلجِدِّ الَّذِي فِي مِثْلِهِ إِلَّا عَلَيْكَ حُرُونَةٌ وَتَوَعَّرُ
وَبَذَلْتَ جُودَكَ لِلْعَفَاةِ^(٤) ، فَطَاهَمَ
كَمْ مِنْ يَدٍ أَوْلَيْتَنِيهَا ، أَثْمَرْتُ عِنْدِي ، وَمَا كُلُّ الْأَيْدِي تُثْمَرُ
وَكَرَامَةٌ أَبَدًا ، أَبُوحُ بِشِكْرِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكَرَامَةِ يُشْكِرُ
وَالشُّكْرُ مِنْ مِثْلِ يَزِينُ ، وَإِنَّمَا بِنَاءٌ مِنْ بِنَائِي عَلَيْهِ يُفَخَّرُ
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ كَالرَّسْمِيِّ : ذَا^(٥) مِنْ قَطْرَةٍ نَبَتْ ، وَهَذَا جَوْهَرُ

(٢) راجع مقدمة الديوان

(١) أغب : جاء يوما وترك يوما . وتبيض : انكسر .

(٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف .

(٣) أغرب : أتى بالغير .

(٥) الرسمى : مطر الربيع الأول .

(٣٠١)

وقال في الملك الصالح ، وقد تقدم أول^(١) القصيدة :

لكن مكاني من أنعم الملك الصا لِح لا تهتدى له الغير^(٢)
أنهاني، ثم علني جوده الغم ر ، فبعدي عن بابه صدر^(٣)
فقل لمن ستره بعادي : ما تبعد أرض يؤمها المطر
ماضرتني البعد عن ندى ملك يبلغ ما ليس يبلغ الخبر
يطلب طلاب جوده ، فلدن يرجو مقام ، وللندی سفر
أبقت عطاياهُ لي غناي ، كما تبقى عقيب السحاب الغدر

ومنها :

يامالكا أصبحت بدولته ال أيام تزهو تيباً ، وتفتخر
أطال باعي جميل رأيك ، فال أحداث دوني في باعها قصر
وشد أزري ، حتى ترجيت أن يحمل عني أثقال ما أزر
أنشرت لي أسرتي، فشكري، ما فاه في، في البلاد منتشر
وانتشتهم من يد الخطوب، ولا ملجأ منها ينجي ولا وزر
سيرهم فضلك الذي أعجز الوصف ، ولم تتل مثله السير
فاعل ، ودم، ما علا النهار ، وما أضاء في حنيس الدجى القمر^(٥)
مشرفاً عصرنا البهيم^(٦) ، فأيامك فيه الأوضاح والغر^(٧)

(١) أزل القصيدة :

أورا فادتك منهم الذكر ومظتهم قلبك الفكر

راجع ص ٧٧ .

(٣) النهل : أول الشرب . والعلل : الشرب بعد الشرب . والذمر : الماء الكثير . والصدر : الرجوع .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

(٥) الحنيس : الظلمة .

(٤) أنشأه : أنجحه .

(٦) البهيم : الأسود .

(٧) الأوضاح : جمع وضح ، وهو يبيض الصبح . والغر جمع غرة ، وهي يبيض في الجبهة .



وَأَجْتَاهَا بِنْتَ يَوْمِهَا ، ثُمَّ عَمَّرُ الدَّهْرِ ، حَتَّى يَفْنَى ، لَهَا عَمْرٌ
يَضُوعٌ مِنْهَا فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الأَرَضِ ضِئْضِئٌ نَشَاءُ كَأَنَّهُ قَطْرٌ^(١)
وَلَوْ رَأَى الجَوْهَرِيُّ أَلْفَظَهَا العُرَى لَمَّا شَكَ أَنْهَا دُرٌّ
هَذَا ، وَفِيهَا ، إِنْ رُمْتُ شُكْرًا لِإِنْعَاءِ مَكَ أَوْ حَصَرَ بَعْضُهُ ، حَصْرٌ
(٣٠٢)

وقال :

سَأْرَحَلُّ عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَ قَالٍ بِشُكْرِ يَفْعَمُ الأَفَاقَ نَشْرًا^(٢)
وَمَا شُكْرِي لِمَا أَوْلَيْتَ كُفًءٌ وَلَكِنِّي سَأَلِي فِيهِ عُدْرًا^(٣)

قافية السين

(٣٠٣)

وقال :

لَلَّهِ دَرْكٌ مِنْ قَتِيٍّ أَبَدَتْ بِهِ أَيَّامُنَا بِبَشَرِ الزَّمَانِ العَاسِ
صَدَقَتْ أَمَانِي الخَيْرِ فِيهِ ، فَلَمْ تَدْعُ صَدْرًا يُضْمُ عَلَى قُوَادِ آيسِ
نَالَ^(٤) العَلَا ، حَتَّى أَقَرَّ بِفَضْلِهِ وَعُلاهُ كُلِّ مُعَانِدٍ وَمُنَافِسِ
جُودٌ كَمَا المِزْنِ طَلَقُ خَالِصٍ مِنْ مَنِّ مَنَانٍ وَمَنْعٍ مَمَّا كَسِ^(٥)
وَمَوَاهِبٌ لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الوَرَى مَا كَانَ يُوْجَدُ فِيهِمْ مِنْ بَائِسِ
وَنَدَى يَدٍ لَوْ أَنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي الأَرْضِ أَمْرَ كُلِّ عَوْدٍ يَابِسِ

(١) القطر بالضم : العود الذي يتجرب به . وضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .
(٢) قلاه : أبيضه . وفضه الطيب : سد خياشيمه . والنشر : الريح الطيبة .
(٣) أبلاه عذرا : أداه إليه فقبله .
(٤) بهامش الديوان (حاز) رواية .
(٥) ما كسه في البيع : شاحه .

قافية الطاء

(٣٠٤)

وقل في الملك الصالح من قصيدة مضى أولها (١) :

ومن عَلَقَتْ بالصَّاحِجِ الْمَلِكُ كَفَّهُ
فليس له دُونَ الْعُلَا وَالْغَنَى شَرْطُ
ومن دُونِهِ، إِنْ رَابَ خَطْبُ، ذَوَابِلُ
وبِيضٌ، وَجَرْدٌ، لِالْقَتَادَةِ وَالْخُرْطُ (١)
أَمَارَتْ جُدُودِي مَذْ عَلَقْتُ بِجَبَلِهِ
وكان لها في خَاطِبِ عَشْرَائِهَا خَبْطُ
له نَائِلٌ يَسْرِي إِلَى كُلِّ أَمِيلٍ
”إِذَا جِيرَةٌ سَمِيحًا النَّوَالِ فَلَمْ يُنْطُوا (٢)“
عَلَى كُلِّ وَجْهِ نَضْرَةٌ مِنْ نَوَالِهِ
وَفِي كُلِّ جَيْدٍ مِنْ صَنَائِعِهِ قُرْطُ
وَكَمْ أَمِيلٍ جَفَدَ أُنَى الْيَأْسِ دُونَهُ
تَلَقَّاهُ مِنْ إِنْعَامِهِ نَائِلٌ سَبَطُ
وَكُنْتُ أُرِيحِي مِنْهُ مَا دُونَهُ الْغَنَى
إِذَا مَا غَدَا فِي كَفِّهِ الرَّفْعُ وَالْحَطُّ
فَلَمَّا وَرَى زَنْدُ الْمَعَالِي بِكَفِّهِ
وَقَالَ نَدَاهُ لِلْوَفُودِ : أَلَا حَطُّوا
نَأَتْ بِي الْيَالِي عِنْدَهُ ، لَكِنَّ جُودَهُ
أَتَانِي ، وَلَمْ يَحْجِزْهُ نَأْيٌ وَلَا شَطُّ
كَذَا الْغَيْثُ يَسْرِي طَالِبًا كُلَّ طَالِبٍ
فَكُلُّ لَه مِنْ فَيْضِ وَابِلِهِ قَسْطُ
وَإِنْعَامُهُ كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا
لَمَنْ زَاغَ ، أَوْ حَاذَاهُ مِنْ أَفْقِهَا خَطُّ
فَأَنْزَرُ حَنْتِي مِنْ مَوَاهِبِهِ الْغَنَى
وَأَيْسُرُ تَخْوِيلِي (٥) الْعَشِيرَةُ وَالرَّهْطُ

(١) مطلع القصيدة :

أجيرة قلبى إن تدانوا وإن شطوا .

(٢) القناد : شجر صلب له شوكة كالإبر . والخروط : الدابة الجوح تجذب رسلها من يد مسكها ، ثم مضى ، والجامع : خرط . والذوابل : الرماح ، والجرود : الخليل القصيرة الشعر .

(٣) العشوا : الظلمة .

(٤) مطلع قصيدة أبي العلاء المعرى :

لن جيرة سموا النوال فلم ينطوا يظلمهم ما ظل بينته الخط

وأعطى : أعطى .

(٥) خوله : أعطاه متفضلا .



وَنَوَلْتِي مَا لَمْ يُنَلْ مَلِكٌ قَطُّ
هُمُ الدَّادَةُ الشَّبَانُ ، وَالسَّادَةُ الشُّمَطُ (٢)
إِذَا مَا بِلَادُ النَّاسِ جَرَّهَا الْقَحَطُ
وَإِنْ رَكِبُوا فَالْأَسَدُ هَيْجَتْ ، لَهَا نَحَطُ (٤)
بِهِ تُؤْمَنُ الْأَحْدَاثُ وَالْمِيثَةُ الْعَبْطُ (٥)
سِوَاهُ ، فَقَدْ زَالَ التَّنَافُسُ وَالْغَبْطُ
وَفِي يَدِهِ حَلُّ الْمَالِكِ وَالرَّيْبُ

وَمِنْ أَنْجَمِ الْجُوزَاءِ فِي نَحْرِهَا سَمَطُ (٧)
تُظَلُّ ، وَمِنْ نَسِجِ الرَّبِيعِ لَهَا بَسُطُ
مِنَ السَّقِيمِ ، وَالْأَيْدِي تَقْلِبُهُ ، خَطُّ
عَلَيْهِ ، إِذَا زَارَتْ ، بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو
يُجَرِّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَادِيهَا مَرَطُ (٩)
يَصْدُ كَمَا صَدَّتْ ، وَيَعْطُو ، كَمَا تَعْطُو (١١)
مَحَاسِنِهَا ، لَوْلَا ذَوَائِبُهَا ، قَسَطُ

حَبَابِي نَفُوسًا ، لَا تَقْبِسًا مِنَ اللَّهِ (١)
وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلُ رُزِيكَ ، لِإِنَّهُمْ
بُنُو الْحَرْبِ فِي يَوْمِ الْوَعَى ، وَبُنُو النَّدَى
إِذَا مَا اخْتَبَوْا (٣) فَالرَّاسِيَاتُ رَجَاحَةٌ
لَهُمْ جَبَلٌ ، لَا زَعْرَعَ الْخَطْبُ رَكْنَهُ
أَقْرَّ الْوَرَى أَنْ لَيْسَ كُفْنًا لِمُلْكِهِ
فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
فَأَجَابَهُ مَحْرُضًا عَلَى الْجِهَادِ (٦) :

هِيَ الْبِدْرُ ، لَكِنِ الثَّرِيًّا لَهَا قُرْطُ
مَشَتْ ، وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظَلَالِلُ
تَسُومُ صَرِيعًا فِي الرَّحَالِ كَأَنَّهُ
فَمَا اخْضَرَّتْ تَرْبُ (٨) الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنَّهَا
وَلَا طَابَ نَشْرُ الرُّوِضِ إِلَّا لِأَنَّهُ
وَلَا طَارَ ذِكْرُ الظَّبْيِ إِلَّا لِأَنَّهُ (١٠)
مِنَ الْبَيْضِ مِثْلَ الصَّبْحِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي

(١) اللهي بالضم : العطايا ، مفردة طوة .
(٢) جمع أشمط . والشمط : باض يحاط سواد الشعر .
(٣) احتجى باللوب : اشتبه به .
(٤) نخط يخط نخطا ، والنحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كأنه نخط ، والنحط شبه الزفير .
(٥) مات عبطة : شابا صحيحا .
(٦) النص بعضه في الخريدة المطبوعة ١ : ١٧٦ ، والروضتين ١ : ١١٩ . وثلاثة آيات منه في نقد الجان : القسم الثاني ، ومرآة الزمان ج ٨ .
(٧) السمط : القلادة .
(٨) المرط بالكسر : كساء من صوف أو خز ، جمعه مروط .
(٩) في القمد والمرأة : نوب .
(١٠) في الخريدة : وقد غدا .
(١١) العطو ، رفع الرأس واليدين .
(١٥)



وقد ضمَّها في الحسنِ مع يوسفٍ سبَّطُ^(٢)
بِحُقَيْنِ منه ، قد أجادهما الخِرطُ
كما انساب في الرِّوضاتِ حياتها الرُّقَطُ^(٣)
تَحَدَّرَ ، لا جَعَدُ النَّبَاتِ ، ولا سَبَطُ
ويُخْفِي سوادَ المِسكِ ، فهو لها خَلَطُ
تساوى الرِّضا والسَّخَطُ والقربُ والسَّحَطُ^(٤)
نأوا ، فكأنَّا ما لقيناهاهم قَطُّ
إلى بحرِ شوقٍ ما للجنته شَطُّ
بساحله للعيسِ رَفَعُ ولا حَطُّ
بجواركم في أرضها الخوفُ والقحطُ
بمصر ليغني عنكم ذلك الخَطُّ^(٥)
رضاكم بها ، لولا تخوفكم ، سُخَطُ
ونحن لكم ، من دون رهطكم ، رَهْطُ
يحكم في الأموالِ منَّا ، فيشتطُّ^(٦)
غدا لهم شرطُ علينا ، ولا شرطُ
وكلُّ مليكٍ عنده القبضُ والبسطُ
عليها الشبابُ المرْدُ ، والجلَّةُ الشَّمَطُ^(٨)
هناك مع السَّارينِ في جُنحها خَبِطُ

إلى العَرَبِ الأَحْاضِ يُعزَى قبيلها
ولما غَدَت كالعَاج ، زُينَ صدرها
وأرسلَ فوق الخَدِّ صَدْعٌ مَكَلَّلُ
ذوائبُ زارَ الخَصَرَ منهنَّ فاحمُ
يُنافي سنا الكافورِ إن مُشَطَّتْ به
ولما نأت عَنَّا على كلِّ حالَةٍ
فأذكرنا ذاك البِعَادُ مَعاشِرًا
وَأَلقُوا ، وقد شَطُّوا ، فوادَ مُحِبِّهم
وليس تَسُقُ الشُّفنُ أمواجه ، ولا
أحبابنا بالشَّامِ ، عَفَمُ جوارنا
وما كان بعدَ النَّيلِ ، والنَّيلِ زانرا
وقد عَشَمُ فيها زمانًا ، فما اعترى
وكتُم لنا دونَ الأقاربِ أسرة
وإنَّا أناسُ ، ليس يبرحُ جارنا
ويمتأخنا^(٧) زوارنا ، فكأنما
ويُصْبِحُ بَسَطُ الكَفِّ بالمالِ عندنا
وتَحْرِقُ شرقَ الأرضِ والغربَ خيلنا
وظلماءُ للشَّهْبِ الدَّارِي إذا سَرَتْ

(٢) في الخريدة : سبَطُ .

(٤) الشحط : البعد .

(٦) اشتط : جاوز الحد .

(٧) المنح : الاستقاء . . . (٨) جمع أشمط . والشمط : بياض شعر الرأس يتخالط سواده . والجلَّة : جمع جليل .

(١) الأحاض : جمع محض وهو الخالص .

(٣) الرقطة : سواد يشوبه نفض بياض أو عكسه .

(٥) الخلط بالضم : موضع الحى .

كَمَا أَوَّلَ الْفَجْرَيْنِ سَقَطُ^(١) يُسَلُّ مِنْ
سَلَلْنَا بِهَا بِيضَ السَّيْفِ ، فَلَاحَ فِي
سُيُوفٍ لَهَا فِي كُلِّ دِرْعٍ وَجُنَّةٍ^(٢)
ذَخَرْنَا سَطَاهاَ لِلْفَرْنَجِ ؛ لِأَنَّهَا
لَمْ قَسَطُهمَ فِي الْحَرْبِ مِنْهَا ، وَمَا لَهَا
وَقَدْ كَاتَبُوا فِي الصَّلَاحِ ، لَكِنْ جَوَابُهُمْ
سُطُورٌ خَيْرٌ لَا تُدْبِئُ دِيَارَهُمْ
وَحَرْبٌ لَهَا الْأُرُوحُ زَاهِقَةٌ ؛ لَمَّا
إِذَا أُرْسِلَتْ فَرَعًا مِنَ النَّقْعِ فَاحِمًا
كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنْامُلٌ حَاسِبٍ
رَدَدْنَا بِهَا ابْنَ الْفُنْشِ عَنَّا ، وَإِنَّمَا
فَقُولُوا نُورِ الدِّينِ : لَيْسَ لِلْحَائِفِ السَّجِرَاتِ إِلَّا الْكَيْ فِي الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٣)
وَحَسْمٌ أَصُولِ الدَّاءِ أَوْلَى لِعَاقِلٍ
فَدَعِ عَنكَ مِيلاً لِلْفَرْنَجِ وَهُدَنَةٌ
تَأْمَلُ ، فَكَمْ شَرِطٍ شَرِطَتْ عَلَيْهِمْ
وَشَّرٌ ، فَإِنَّا قَدْ أَعْنَا بِكُلِّ مَا

حَشَاهاَ ، كَذَلِكَ الْبَرْقُ فِي جَوْهَا سَقَطُ
شَبَابِ الدُّجَى ، لَمَّا بَدَأَ لَمَعُهاَ ، وَخَطُ^(٤)
إِذَا مَا اعْتَلَّتْ قَدٌّ ، أَوْ اعْتَرَضَتْ قَطُّ^(٥)
بِهِمْ دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَجْدَرُ أَنْ تَسْطُو
عَلَيْهِمْ لَدَى الْهَيْجَاءِ عَدْلٌ وَلَا قَسَطُ^(٦)
بِحَضْرَتِنَا مَا يُنْبِتُ الْخَلْطُ^(٧) لَا انْخَلَطُ
لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا الشَّكْلُ وَالنَّقْطُ
تُعَايِنُ ، وَالْأَصْوَاتُ مِنْ دَهْشِ لَعَطُ
أَثْبَتًا^(٨) ، فَاسْنَانُ الرِّمَاحِ لَهَا مُشْطُ
أَجَدَّ بِهَا فِي السَّرْعَةِ الْجَمْعُ وَاللَّقْطُ
يُثْبِتُهُ فِي سَرَجِهِ الشَّدُّ وَالرَّبْطُ
السَّجِرَاتِ إِلَّا الْكَيْ فِي الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٩)
لَيْبٍ ، إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمُدْنَفِ انْخَلَطُ^(١٠)
بِهَا أَبْدًا يُخْطِي سِوَاهُمْ ، وَلَمْ يُخْطُوا
قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدْرٍ بِهِ تَقْضَى الشَّرْطُ
سَأَلْتُ ، وَجَهَّزْنَا الْجِيُوشَ ، وَلَنْ يُبْطُوا^(١١)

(١) السقط : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري .
(٢) الجنة : كل ما رقى .
(٣) القسط بالفتح : الجور والمدول عن الحق .
(٤) الخبط : سيف البحرين ومرقا السفن بالبحرين وإليه نسبت الرماح .
(٥) الخبط الثانية المراد بها الكتابة .
(٦) الخبط : سيف البحرين ومرقا السفن بالبحرين وإليه نسبت الرماح .
(٧) الخبط الثانية المراد بها الكتابة .
(٨) الخبط الثانية المراد بها الكتابة .
(٩) الخبط الثانية المراد بها الكتابة .
(١٠) الخبط الثانية المراد بها الكتابة .
(١١) الخبط الثانية المراد بها الكتابة .

وَدُونَكَ، مَجْدَ الدِّينِ، عِذْرَاءَ، زَفَهَا
هَدِيًّا^(٢) تَهَادَى بَيْنَ حُسْنِ وَفَائِنَا
عَلَى أَنَّهَا تَسْتَطُّ إِنَّ هِيَ سَاجَلَتْ^(٣)
إِلَيْكَ الْوَفَاءَ الْمُحْضَ وَالكَرَّمَ السَّبْطُ^(١)
وَأِنْعَامَنَا، ذَا النَّاجُحِ زَانَ، وَذَا الْقُرْطُ
(أَجِيرَةَ قَلْبِي، إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُّوا)^(٤)

قافية العين

(٣٠٥)

وقال أيضا في الملك الصالح :

لَنْ شَتَّتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمَلْنَا
هُوَ الْمَلِكُ الْجَزُلُ النَّدَى الصَّالِحُ الَّذِي
يَجُودُ بِلَا مِنْ^(٦) عَلَى عُظْمٍ مِنْهُ^(٧)
بِحَكْمٍ مُسْتَطَّ الْمُنَى فِي نَوَالِهِ
بُجُودُ أَبِي الْغَارَاتِ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
بِحَارُ نَدَاهُ كَلْهَنَ شَرَائِعُ^(٥)
كَأَنَّ عَطَايَاهُ لَدَيْهِ وَدَائِعُ
فَتَعَجَّبُ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ الْمَطَامِعُ

(٣٠٦)

وقال فيه من قصيدة :

فإليكَ بِنْتَ الْفِكْرِ، مِنْ بَعْدِ الْمَدَى
وَصَدَاقُهَا الْإِكْرَامُ، لَا مَا سَبَقَ فِي
فَهِيَ الْكَرِيمَةُ، لَيْسَ فِي أَعْرَاقِهَا
تُهْدَى، فَشَرَّفَهَا بِحُسْنِ سَمَاعِ
نَحْلِ الْكِرَامِ : مِنْ لَهَى^(٨) وَمَتَاعِ
عَرَّقَ إِلَى الْأَطْمَاعِ بِالنِّزَاعِ^(٩)

- (١) السبب : السخي . (٢) الهدى : العروس . (٣) ساجله : باراه .
(٤) مطلع قصيدة أسامه السابقة . راجع ص ٧٨ . (٥) الشريعة : المورد .
(٦) منت عليه : عددت له ما فعلته من الصنائع . (٧) المنز : الإنعام .
(٨) اللهم جمع لهوة وهي العطية . والنحلة بالضم : مهر المرأة . والاسم النحلة بالكسر .
(٩) نزع إلى الشيء . ذهب إليه .

قافية الفاء

(٣٠٧)

وقال :

هو الجوادُ الذي يلقاهُ مادحُه وإن غَلا، فوقَ ما أُنخِي وما وصَفا
مَعْدَلٌ في الذِّدى ، لَكَنَّ راحتهُ تَأبَى مع العَدْلِ إِلا البَدَلَ والسَّرَفا
صَعِبُ الإِباوِ ، إِذا ما هجَت سَورَتَه ^(١) نَزُرُ الرِّضا ، إِذا اسْتَعطَفْتَه عَطَفاً
بَادى الحُقُودِ على أَعْدانِه ، إِذا نالَتْهُمُ قَدْرَةٌ مِنْه حَباباً ^(٢) ، وَعَفاً
نَغَشَى مَوارِدَ مِنْ أَخلاقِه كَرُمَتِ وَرِداً ، وَنَزاتُ مِنْها رَوضَةٌ أَنفاً ^(٣)
مَسْتَهْتَرٌ ^(٤) بِالْمَعالى ، لا يَزالُ على تَقَلَّبِ الدَّهْرِ مَشغُوقاً بِها كَلِفاً
إِن أَخْلَفَ الغَيْثُ لَمْ تُخْلِفِ مواهِبُه أو فَظَّ دَهْرٌ على أبنائِه لَطُفاً
عَدُلُ القَضِيَّةِ إِلا في مواهِبِه لَمْ يَقْضِ في المِمالِ إِلا جارا وَعانِفاً
تَعَمُّ نِعْماهُ ذا نَقْصٍ وَذا شَرِيفِ كَأنَّه البَحْرُ يَجوى الدَّرَّ وَالصِّدْفاً
مَنْزَهَ الخَلْقِ عَن فِعْلي يُعابُ بِهِ فَمَ تَرى لِكِجالِ عَنه مُنْصَرِّفاً

(٣٠٨)

وقال من قصيدة في الملك الصالح ، ذكر أولها ^(٥) :

مَنْ كانَ لى مِنْ حِماهُ خَيسٌ ^(٦) ذى لَيدٍ ضارٍ ، ولى مِنْ نِداهُ رَوضَةٌ أَنفاً ^(٣)
مَنْ لَمْ يَزَلْ لى مِنْ جِلدوى يَدِيهِ غِنىً وَفى ذُراهِ مِنْ الأَيامِ لى كَنفاً

(١) السورة : الحدة والبطر . (٢) حبا : أعطى .

(٣) روضة أنف : لم ترع . (٤) استهتر بكذا : فتن به ، وذهب عقله ، وانصرفت همه إليه .

(٥) مطلع القصيدة : أذكرهم الود إن صلوا ، وإن صدقوا راجع ص ٨٥ .

(٦) الخليس : موضع الأسد .



الملك الصالح الهادي الذي شهدت
ملك أقل عطاياهُ الغني ، فإذا
أغر ، أروع ، في كفيه سُبُّ نَدَى
هو الوزير الذي يأوي إلى وزير^(٢)
تريه آراؤه في يومه غَدُهُ
بصيرةً كشفت ما في القلوب له
سعت إلى زهده الدنيا برغبتها
ولم تُزَفَّ إلى كَفِّ سِوَاهُ ، وما
حَبْرٌ ، إذا الليل آوَاهُ بجندسه^(٥)
ومحرب^(٦) ما أتى المحراب مُبْتَلَا
مُسَدَّدٌ ، وعيونُ الخلق هاجعةٌ
وتشرق الأرض من لآلاءِ غرته
لم يدبر ما القصد^(٩) في جُودِ ، ويُعجبه
إذا حَبَا^(١٠) عَادَتِ الآمَالُ راضيةً
بأيها الملك الموفي بِدِمَّتِهِ
إليك يا عادلاً في حِكْمِهِ ، وعلى
أشكوزماناً قَضَى بالجور في ، ولم
لَحَتْ^(١٣) نوابهُ عودى ، وأنفَدَ مو

بفضل أيامه الأنباء والصحفُ
أدناكَ منه ، فأدنى حظَّكَ الشرفُ
تمنار^(١) سُبُّ الحيا منها ، وتغترفُ
منه الأنامُ ، فيكفوا كل ما كلفوا
فيحسُّ الخطبَ فيه قبلَ يكتنف^(٣)
وأطلعتَه عليه قبلَ ينكشفُ
طوعاً ، وفيها على حُطَّابها صلفُ
زالت إلى مجده تصبُو ، وتُسْتَرْفُ^(٤)
بحرٌ من العلم طامٍ ليس يُتَرْفُ
إلا وأدمعه من خشية تكف^(٧)
على التهجُّدِ والقرآن معتكفُ
في دَسْتِهِ^(٨) ، فتكاد الشمسُ تنكسفُ
في بذلِ أمواله الإفراطُ والسرفُ
وإن سطا كادت الآفاقُ ترتجفُ
ومن تجلَّى عن الدنيا به السدْفُ^(١١)
أمواله من قضايا جوده الجنتفُ^(١٢)
يزلُّ يجورُ على مثلي ويعتسفُ
جودي ، وشنت شملي ، وهو مؤآلفُ

(١) الميرة : جلب الطعام .
(٢) اكتنفه القوم : كانوا منه بمنة وبسرة .
(٣) الخندس : الظلمة .
(٤) تكف : تقطر .
(٥) القصد : الاقتصاد .
(٦) السدف : الظلمة .
(٧) الوزر : الملجأ والمعتصم .
(٨) في المصباح : استشرفت الشيء : رفعت البصر أنظر إليه .
(٩) الحرب : رجل الحرب الشجاع .
(١٠) القسبت : صدر البيت — معرب .
(١١) حبا : أعطى .
(١٢) الجنتف : الحور .
(١٣) لحا العود : قشره .

وقد دعوتك مظلوماً ومُرتجياً
فاجمع بجودك شماً كان مجتمعا
وانشر بمعرفك المعروف مبيهم
فهو القريب مرالاةً ومعتقداً
وعش على رغم من يسناك مقتدراً
فأجابه :

آدابك العرُّ بحرٌ ، ماله طَرْفٌ
نقول ، لما أتانا ما بعثت به :
خطُّ تترهت الأزهار حين بدا
إن نظمه طرق الأسماع كان لها
رقت حواشي كلام أنت ناظمة
وردت بحر القوافي فاغرقت ، كما
زهت على البدر نوراً ، إذ أتت بسوا
قرطست^(٧) زميا ، وكم رام بأسهمه
بخاطرٍ فاق غزر العدِّ ، لا وشلُّ
إذا تطلَّع فوق الأرض ذو أدبٍ

في كل سمع بدا من حسنه طَرْفٌ
هذا كتابٌ أتى ، أم روضةٌ أنف^(٣)
كأنه الدرُّ ، عنه فُتِح الصَّدْفُ
وإن حوت عطلاً من حلية ، شنف^(٤)
فيه ، بجاء كزهر الروض يُقتطفُ
قد حلَّ يوماً بمدَّ النيلِ مُغتَرْفُ
دِ النَّقْسِ^(٥) يشبهه من خده كَأَف^(٦)
إذا تُحَقِّق منه يسلم الهدفُ
ولا ببرِض^(٨) إذا ما حلَّ يتنزفُ
فأنت منه على العيوق^(٩) تسترفُ

(١) الطلقة بالضمه : الماء الصافي ، قل أو أكثر والجمع نطاف ونطف .

(٢) شاد : أبغضه .

(٣) روضة أنف : لم ترع .

(٤) الشنف بالفتح : القرط .

(٥) النقس : المداد .

(٦) الكاف : سواد في صفرة .

(٧) قرطس : أصاب القرطاس ، وهو أديم ينصب للنضال .

(٨) البرِض : القليل . والوشل : الماء القليل .

(٩) العيوق : نجم .

فَأنت مُدَّرِعٌ مِنْهَا وَمُلْتَحِفٌ
فَعَنْ قَوَافِكِ شَيْلَتِ دُونَنا السَّجْفُ^(٢)
كَمَا الْقُلُوبُ تُلَاقِيهَا فَتَخْتَلِفُ
شَوْقٌ تَجَدَّدُ مِنْهُ الْوَجْدُ^(٣) وَالْأَسْفُ
يَحِيطُ بِالْقَلْبِ مِنْ أَرْجَانِهِ التَّلْفُ
إِنْ^(٤) كُنْتَ عِنَّا عَلَى الْأَحْوَالِ تَخْتَلِفُ
حُرِّ ، وَكُلُّ قَضَايَاهُ بِهَا جَنَفٌ^(٥)
إِنْفَاقَكَ الصَّبْرَ فِي شَرَعِ الْهَوَى سَرَفُ
الْأَبْرِ الْجَزِيلِ ، وَفِي إِحْرَازِهِ شَرَفُ
جَنَابِنَا^(٦) دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَنْعَطِفُ
ظَلَّتْ إِلَى بَيْتِهِ الرُّكبانُ تَخْتَلِفُ
نُوفِي لِمَنْ ضَمَّهُ فِي قَرِينَا كَنَفٌ^(٧)
عَفْوًا ، وَنَسْرَهُ فِي حِينٍ يَنْكَشِفُ
يَرْدُنَا الصَّفْحُ أَوْ يَعْتَاقُنَا الْأَنْفُ^(٨)
وَلَيْسَ يُدْرِكُنَا كِبَرٌ وَلَا صَلْفٌ^(٩)
وَلَا لِمَوْعِدِنَا يَوْمَ النَّدى خُلْفُ
إِذَا دَنَا مُجْتَنٍ مِنْهَا ، وَمُقْتَطِفُ
قَدْ ضَلَّ مِنْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ يَعْتَسِفُ^(١٠)

وَإِنْ تَعَرَّى دَعَى مِنْ فَضَائِلِهِ
إِذَا تَخَنَّى لِقُبُحِ^(١) وَجْهِ قَافِيَةٍ
لِأَعْيُنِ النَّاسِ نَهَبٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا
إِذَا ذَكَرْنَاكَ مَجْدَ الدِّينِ ، عَاوَدْنَا
وَدُونَ مَا قَدْ وَجَدْنَاهُ لَفَرَقْتُمْ
وَلَوْ عَرَفْتَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ لَمَّا
وَلَا مَجِيبٌ إِذَا حَافَ الزَّمَانُ عَلَى
فَلَا تَكُنْ جَازِعًا ، إِنْ التَّجَاوَزَ عَنْ
فَإِنْ حَصَلَتْ عَلَى الصَّبْرِ اِحْتَوَيْتَ عَلَى
يَا مَنْ جَفَانًا ، وَلَوْ قَدْ شَاءَ كَانَ إِلَى
وَحَقِّ مَنْ أَمَّهُ وَفَدُ الْمَجِيجِ ، وَمَنْ
إِنَّا لَنُوفِي عَلَى حَالِ الْبِعَادِ ، كَمَا
وَنَعْفُرُ الذَّنْبَ إِنْ رَامَ الْمَسِيءُ بِنَا
وَإِنْ جَنَى مَنْ رَأَى أَنَا نَعَاقِبُهُ
نَعْمَ ، وَنَحْفَظُ عِنْدَ الْغَيْبِ صَاحِبِنَا
فَمَا لِإِعَادَتِنَا يَوْمَ الْوَعْدَى مِيلٌ
فَعِنْدَنَا جَنَّةٌ تَدْنُو النِّمَارُ بِهَا
هَدَى مُصَاحِبِنَا ضَوْءَ النَّهَارِ ، وَكَمْ

(٢) السجاف : السر .

(٤) إن زائدة بعد ما .

(٦) إجناب : الفناء والناحية .

(٨) الأنف : الاستنكاف .

(١٠) اعتسف : خبط على غير هداية .

(١) في الأصل (الفتح) تحريف .

(٣) الوجد : شدة الحزن .

(٥) الحيف : الظلم . والجنف : الميل والجور .

(٧) الكف : الجانب والظل والناحية .

(٩) الصاف : أن تملح بما ليس عندك .

فَلِإِنَّا بِأَمَالٍ مُحَقَّقَةٍ وَكُفَّ غَرْبٌ^(١) دُمُوعٌ لَمْ تَزَلْ تَكْفُفُ
كُنْفِي اغْتِرَابًا ، فَعَجَلُ بِالْإِيَابِ لَنَا فَمَنْكَ لَا عَوْضُ يُلْقَى وَلَا خَلْفُ
وَقَدْ أَجْبَنَّا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ فَالآنَ كَيْفَ تُرَوِّى^(٢) فِيهِ أَوْ تَقْفُ
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عَلَانِيَةً وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
وَقُدِّمْتَ لَكَ تَمْهِيدَاتِنَا ، وَبَهَا وَخَشُ الْفَلَاةِ ، إِذَا مَارُوعَتْ ، أَلْفُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَجْرِي ذِكْرَةٌ لَكُمْ عَلَى اضْطِرَامِ لَهَبِ النَّارِ نَعْتَكُفُ
فَإِنْ يَبَالِغُ أَنَا فِي النَّسَاءِ عَلَى أَوْصَافِكُمْ قَصَرُوا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
نَحْنُ نَحْذُ نِظَامًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبْتَ بِدَاكَ إِذْ عَدَدُ النَّظْمِينَ مُؤْتَلَفُ

(٣٠٩)

وقال فيه من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

دَعَا ، وَقَلَّ لِبَنِي الْأَمَالِ : قَدْ وَصَحَّتْ لَكُمْ سَبِيلُ الْأَمَانِي وَالْحِجْلَى الْأَسْفُ
وَأَيْنَعَتْ دَوْحَةً لِلْجُودِ دَانِيَةً الْقُ طُورِ ، يُجْنِي الْغَنَى مِنْهَا ، وَيُقْتَنَفُ
أُمُومًا بِأَمَالِكُمْ مِصْرًا ، فَإِنَّ بِهَا سَحَابَةً مِنْ نَدَاهَا السُّحْبُ تَغْتَرِفُ
أَجْرَى بِهَا اللَّهُ نَيْلًا زَانِدًا أَبَدًا فَلَيْسَ يَنْقُصُ فِي وَقْتٍ ، وَلَا يَقْفُ
مِيَاهُهُ مِنْ نُضَارِ جَامِدٍ ، وَعَلَى أَرْجَانِهِ ، لِلْأَمَانِي ، رَوْضَةٌ أَنْفُ
عَلَتْ بِهَا رَايَةٌ لِلْعَدْلِ ، قَاصِدُهَا يَقْتَصُّ مِنْ دَهْرِهِ الْجَانِي ، وَيَنْتَصِفُ^(٤)
سَعَى بِهَا أَرْوَعُ^(٥) فِي الرَّوْعِ^(٦) ذُو وَرَعٍ فِي السَّلْمِ ، حَتَّى تَجَلَّى الْجُودُ وَالْجَنْفُ
وَجَادَ بِالْمَالِ ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَمَلًا مَا الْجُودُ وَالْفَضْلُ إِلَّا الْبَدْلُ وَالسَّرْفُ

(١) الغرب : الحدة والنشاط والتمادي . (٢) روى في الأمر : نظروا فكر .

(٣) انظر مطلع القصيدة : « ما منهم لك مناض ولا خلف » ص ٨٦ .

(٤) انتصف منه : استوفى حقه منه . (٥) الأروع : من يعجلك بحسه وبجهازة منظره أو بشجاعته .

(٦) الروع : الفرع .

الملك الصالح الهادي الذي كشف الغمَّاء^(١)، إنَّ الدُّجَى بالصَّحْبِ مُنْكَشَفُ
مَنْ فِيهِ عَن زُحْرَفِ الدُّنْيَا وَزَيْتِهَا
جَوَابُهُ نَعَمٌ ، فِي إِثْرِهَا نَعَمٌ
يُعْنَى الْعُقَاةُ^(٣) ، وَيَلْقَاهُمْ بِمَعْدَرَةٍ
مَا يَبْلُغُ الشُّكْرُ مَا يُولِيهِ مِنْ مَنِّ
لَكِنْ مَوَاهِبُهُ فِي الْخَلْقِ شَاهِدَةٌ
كَالرَّوْضِ إِنْ لَمْ يُطَقْ شُكْرُ السَّحَابِ إِذَا
يَا كَافِيَ الْخَلْقِ بِالنُّعْمَى ، وَكَأَفْلَهُمْ
رَأَيْتُ مَجْدَكَ يُعَلِي قَدْرَ وَاصِفِهِ
قَلَّدْتَنِي أَنْجَمَ الْجُوزَاءِ ، قَدْ نُظِمْتَ
أَعْلَتْ مَحَلِّي ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ شَرَفِ
حَلَا بِسْمِعِي ، وَحَلَّاهُ ، فَتَنَّهُ بِهِ
جَعَلْتُ نَظْمِي لَهُ ، ضَنَّأَ بِفَانِحِهِ
لَأَصْرِفَ الْعَيْنَ عَنْهُ ، إِنَّهَا أَبَدًا
يَا كَاشِفَ الْغُمَّةِ ، أَسْمِعْ دَعْوَةَ كَلِمَاتِ
مِنْ نَازِحِ الدَّارِ بِالْإِخْلَاصِ مُقْتَرِبِ
إِذَا رَأَى بُعْدَهُ عَنِ بَابِ مَالِكِهِ
لَوْ حَاوَلَ الْخَلْقُ جَمْعًا حَمَلَ مَالِكََ مِنْ

مَنْ رَاوَدْتَهُ عَلَى عِدَائِهِ ، ظَلَفُ^(٢)
وَلَا تُؤَلِّمُ فَاهُ اللَّامُ وَالْأَلِفُ
كَأَنَّمَا عَاتَبُوهُ ، وَهُوَ مُقْتَرِفُ^(٤)
إِنْعَامُهُ فَوْقَ مَا تُؤْتِي وَمَا نَصَفُ
بِشُكْرِ إِنْعَامِهِ ، وَالشُّكْرُ يَخْتَلِفُ
هَمِّي فَفَضْرَتُهُ بِالْفَضْلِ تَعْتَرِفُ
حَتَّى لَقَدْ أَمْنُوا فِي عَدْلِهِ وَكُفُّوا
فَكَيْفَ لَا يَتَعَالَى قَدْرُ مَنْ تَصَفُ
عَقْدًا ، فَحَقَّ^(٥) لِثَلْبِي الْفَخْرُ وَالشَّرْفُ
بِهَا عَلَى الْمُشْتَرَى^(٦) أَسْمُو ، وَأَشْتَرِفُ
بُشْرَى ، بِإِدْرَاكِ مَا يَرْجُوهُ وَالشَّنْفُ^(٧)
وَقَايَةً ، وَوَقَاءَ الْجَوْهَرِ الصَّادِفُ
عَنِ الْكَمَالِ بِرُؤْيَا النِّقْصِ تَنْصَرِفُ
شُكْرًا ، تَنْظُلُ لَهُ الْأَسْبَاعُ تَرْتَشِفُ
حُرِّ ، بِرَقِّكَ دُونَ الْخَلْقِ يَعْتَرِفُ
يَكَادُ يَقْضِي عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْأَسْفُ
مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَدْنَى شُكْرِهِ ، ضَعْفُوا

(١) الغمَّاء : الكرب .

(٢) يقال ظلف نفسه عن الشيء . بظلفها : منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه .

(٣) العُقَاة : جمع عُقَاة ، وهو مالاب المعروف .

(٤) اقترف الذنب : أتاه .

(٥) حق الأمر : وجب .

(٦) المشتري : أحد الكواكب السيارة .

(٧) الشنف : القرط .

كم فَاجَأْتَنِي مِنْ نِعْمَاكَ عَارِفَةٌ
بها عَنِ الْوَعْدِ كَبِيرٌ ، كُلُّهُ كَرَمٌ
وَجَمْعُ شَمَلِي بِمَنْ لِي فِي ذُرَاكَ ، وَإِنْ
مُجَدِّدٌ لِي مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
فَابْرِدْ بِهِمْ حَرَّ قَلْبٍ لَيْسَ يَبْرُدُهُ
وَارْحَمْ ضِعَافًا وَأَطْفَالًا إِذَا ذَكَرُوا
لَهُمْ تَشْيِيعٌ^(٢) وَإِعْوَالٌ إِذَا نَظَرُوا
فَنظَرَةٌ مِنْكَ تُحْيِيهِمْ ، وَتَجْعَلُهُمْ
وَلَيْسَ لِي شَافِعٌ إِلَّا مَكَارِمُكَ الـ
وَاسْلَمْ ، لَتَحْيَا بِكَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا
وَالْتِقَ الْأَعَادِي بِجَدِّ لَا يَحْوُنُكَ إِنْ

سَبِيلُهَا عَنِ سَبِيلِ الْوَعْدِ مُنْحَرَفٌ
وَعَنْ تَقَاضِيهِ تَيْهٌ ، كُلُّهُ أَنْفٌ^(١)
أَضْحَى لَهُمْ مِنْ نَدَاكَ الْبَرِّ وَالْأَطْفُفُ
مَازَالَ لِي تَالِدٌ مِنْهَا ، وَمَطَّرَفُ
سَوَاهِمُ ، وَحَشَا مِنْ ذِكْرِهِمْ يَجْفُفُ
بُعْدَى عَصَتِهِمْ ، فَفَاضَتْ أَدْمَعُ ذُرْفُ
مِنْ حَالِهِمْ غَيْرَ مَا اعْتَادُوا وَمَا الْفُؤَا
مُحْمُولَةٌ عَنْهُمْ الْأَنْقَالُ وَالْكَكُفُ
الَّتِي إِذَا اسْتُعْطِفْتَ لِلْفَضْلِ تَعْطُفُ
مَا اغْبَرَّتِ الْيَدُ ، أَوْ مَا اخْضَرَّتِ النَّطْفُ^(٣)
خَانَتْ غَدَاةَ الْإِلْقَاءِ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ^(٤)

فَاجَابَهُ :

عُلُومُكَ الْبَحْرُ عَمْرًا^(٥) لَيْسَ تُتَرَفُّ^(٦)
فَانْجِدْ فَلْتَةً فِي الدَّهْرِ ذُوْ أَدَبٍ
تُجْبِلُ فِكْرَكَ فِي رَوْضِ الْعُقُولِ ، فَلَا
بَعَثَتْ مِنْهَا هَدْيًا^(٨) فِي الْوَرَى ، جَلِيَتْ

أَسْمَاعُنَا لِمَعَانِي دُرِّهَا صَدَفٌ
تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الزَّخَارِ^(٧) يَغْتَرَفُ
تَزَالُ تَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَطِفُ
فَالْحُسْنُ وَقَفَّ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرَفُ

(١) الأنف : الاستنكاف .

(٢) نصح الياكى تشبيهاً : غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب . والإعوال رفع الصوت بالبكاء .

(٣) الطلقة بالضم : الماء الصافي .

(٤) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحككة أو الرقيقة الحسنة السلاسل .

(٥) العمر : الماء الكثير .

(٦) زف ماء البئر : زحمة كله .

(٧) زخر البحر كنع : طمى وطملاً .

(٨) الهدى بكسر الدال وتشديد اليا : العروس تهدي إلى زوجها .

عَدْرَاءَ ، تُثَبَّتُ فَضْلَ الْوَاصِفِينَ لَهَا قَدَّ أَفَادَتْ جَمَالًا كُلَّ مَنْ يَصِفُ
بِعَثْمَتِهَا دِيمًا^(١) تُرَوَى بِهَا عَطَشُ الصَّادِي^(٢) ، وَمَسْكَنُهَا فِي سِيرِهَا الضَّحْفُ
تُرَوَى الْقُلُوبُ بِهَا بَعْدَ الْعُيُونِ ، فَلَا قَلْبٌ ، وَلَا عَيْنٌ إِلَّا وَهوَ يَرْتَشِفُ
أَلْهَمْتُ عَنِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانَ أَجْمَعَهُ إِذَا اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَنْفُ^(٣)
حَسَنَاءُ تَبْرُزُ فِي عَرْنِينِهَا^(٤) شَمَمٌ مِنَ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَطْفُ^(٥)
كَأَنَّ أَسْمَاعَنَا ، لَمَّا أَصْخَنَ لَهَا عَجْبًا ، أُتِيحَ لَهَا مِنْ حَائِمِهَا شَنْفُ^(٦)
بَدَتْ لَنَا كَمَا يَبِيجُ الظَّلَامُ ، وَفِي رَأْيِ الْعُيُونِ أَتَنَّا الرُّوضَةَ الْأَنْفُ^(٧)
قَدْ بَرَهَنْتَ بِالْمَعَانِي عَنْ فَوَادِ شَجِّ قَدْ هَاضَمَهُ الْأَثْقَالانَ : الهمُّ ، وَالْأَسْفُ
إِنْ يَبْتَسِمُ غَلْطَةً فِي الدَّهْرِ ، عَاتَبَهُ قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكْفُ^(٨)
وَرُبَّ صَعِبٍ بَدَا ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا ، وَهُوَ مُنْعَطِفُ
وَكَمْ مَصَابٍ جَنَّتْهُ فِرْقَةٌ ، فَعَدَا سَحَابُهُ بِنَسِيمِ الْقُرْبِ يَنْكَشِفُ
وَكُرْبِيَةٌ نَزَعَتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا بِثُوبِ الهمِّ مُلْتَحِفُ
وَحِينَ تُسْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَمَا يَضُرُّ مَاضِي لَيَالٍ عَمَّهَا السَّدْفُ^(٩)
أَحْوَالُ ضُرِّكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَاضْحَمَةٌ قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوْكِيدِهَا سَرْفُ
بُرُقُ الْيَقِينِ بَدَا مِنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَغُرُّ خُلْبَهُ^(١٠) ، بَلْ سُحْبُهُ تَكْفُ
لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مِنَّا بِالنَّجَاحِ لِمَنْ لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١١)
يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْطَقَهُ إِذْ شَمَسُهُ ، لِأَكْمَلِ الشَّمْسِ تَنْكَسِفُ :
أَوْلَادُ رَزِيكَ لَا تُغُرُّ كَفَخَرِهِمْ حَازُوا الْمَفَاحِرَ فِي الدُّنْيَا وَهَمْ نَطْفُ

(١) ديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدموم في سكون .
(٢) أنف منه كفرح : استنكف .
(٣) أنف منه كفرح : استنكف .
(٤) العرنين : الأنف .
(٥) الوطف محركة : كثرة شعر الحاجبين والعينين .
(٦) الروضة الأنف : التي لم ترع .
(٧) وكف : قطر .
(٨) الهم : الحزن والقدرة على التصرف .
(٩) السدف : الغلظة .
(١٠) الخلب : المطعم الخلف .
(١١) السدف : الغلظة .
(١٢) الرق الخلب : المطعم الخلف .
(١٣) اختلف إليه : تردد .

في المكرمات فما استطاعوا، ولا عرفوا
 أفهامهم، وإلى حيث أتوها وقفوا
 به المطى إلى أوطانهم تحف^(١)
 وما يحيب رجاء عندنا يقف
 وكان ظنكم أن ليس يأتلف
 شتم من الدهر فاقصصوا، أو انتصفوا
 تشاكياً، وعلى المستأنف استأنفوا
 يدعو، وهل مدمع قد عاد يندرف^(٢)
 لكم، فلها عرضنا لم تكن تقف
 كأنهم عنك ما غابوا، ولا انصرفوا
 عليه، واله في استمراره التلّف
 نفي الملام^(٣) قد جرت له عطف
 فالمكرمات لعمري بينهم طرف^(٤)
 بأن قلبك بالأشواق يخطف
 فضلاً، فكيف يرى منكم بها خلف
 فالها عنكم في الدهر منحرف
 فقد أضاعته منكم نية قذف^(٥)
 فراح، وانظر، فإن الخير مؤتلف^(٦)

وكم أراد الوري إحصاء فضلهم
 لكنهم أخذوا ما تستقل به
 ندني الغني من يدى ربّ المنى، فلنا
 في غيرنا نتجمل الآمال إن قصدت
 وقد قضى الله بي تأليف شملكم
 وقد أساء لكم دهر مضى، فإذا
 واقضوا ديون الهوى عن مدة سلقت
 وقد بدأنا، وتممنا، فهل أمل
 نحن الزلال، دفعنا غصبة عرضت
 وعندنا أهلكم، كانوا لعيشهم
 كم جهد ذى الهمة أن يبقى تجلده
 لا تأسفن على فقدان غيرهم
 قوم إذا ارتفعوا قدراً، هووا همما
 ولا تقل إن تذكرت البلاد أسي
 وإن دولتنا كنت الوحيد بها
 عليكم بدع^(٥) الآداب قد وقفت
 من ناشد عهد ذلك الاجتماع لنا
 هتبت أهلك مجد الدين، فانجح الأ

(١) ذرفت العين ذمها : أساته .

(٤) الطريقة : المال المستحدث .

(٦) نية قذف : بعبدة .

(١) الوجيب : ضرب من سير الخليل والإبل .

(٣) الملام : جمع ملامة .

(٥) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٧) الائتلاف : الائتلاف والابتداء .

قافية القاف

(٣١٠)

وقال :

تَهَمِي مواهبه والسُّحْبُ جَامِدَةٌ فَمِنْ يَدَيْهِ مَصَابُ الْوَابِلِ الْغَدِقِ^(١)
نُعْمَاهُ تُطَلِّقُ أُسْرَى ، ثُمَّ تَأْسِرُهُمْ لَهُ ، وَكَمْ مَنَّةٌ أَغْنَتْ عَنِ الرَّيْقِ^(٢)

(٣١١)

وقال^(٣) :

مَنْ مَنَهْلٌ أَنْعَمَ الْمَلِكِ الصَّا لِح : يَرَوِي دَانٍ بِهِ وَسَمِيحُ
سُحْبٌ ، وَبَلَّهَا النُّضَارُ وَاللَّاءُ دَاءٌ فِيهَا صَوَاعِقُ وَحَرِيقُ
مَلِكٌ زَادَهُ التَّوَاضَعُ لَأَنَّ بِهِ جَلَالًا ، يَرُوعُ ، ثُمَّ يَرُوقُ
سَطَوَاتٌ تُخَشَى ، وَحَلْمٌ يُرْجَى وَنَوَالٌ طَلَّقَ ، وَوَجْهٌ طَلِيقُ
مَنْ حَكِي بِي وَرَقِ الْجَمَانِمِ فِي الْأَفْسَانِ : جِيدِي حَالٍ ، وَغُصْنِي وَرِيقُ
وَتَنَانِي كَشَدُوهُنَّ مَدَى الْأَيَّامِ ، يَحْلُو سَمَاعُهُ ، وَيَرُوقُ
رَوْتُ الصِّدْقِ فِيهِ بَادٍ ، وَمَا زَا لَ إِلَى الصِّدْقِ كُلِّ سَمِجٍ يَتُوقُ^(٤)
يَا أَمِيرَ الْجَبُوشِ ، مَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ وَالِدِينَ مِنْكَ رَكْنٌ وَثِيقُ
أَسْمَعَتْ دَعْوَةَ الْجِهَادِ ، فَلَبَّأَ هَا مَلِيكَ بِالْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ

- (١) مصاب : انصباب . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر . ودقت العين : غزرت . ووجد : بجل .
(٢) الريق : جمع ريق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم كل عروة ربة .
(٣) أول هذه القطعة قوله : كم بل كم يلحى الحب المشوق راجع القطعة ٢٥٤ ص ١٣٦ .
(٤) تاق إليه : اشتاق .



ملكٌ عادلٌ ، أنارَ به الدينُ ، فعمَّ الإسلامَ منه الشروقُ
 ما له عن جهاده الكُفْرَ والعدو لِ وفعلِ الخيراتِ سُغْلُ يعوقُ
 هو مثلُ الحُسامِ : صدرٌ صقيلٌ لِينُ مَسُه ، وحدُّ ذَلِيْقُ^(١)
 ذو أناةٍ يخالها الغرُّ إهما لاً ، وفيها حتفُ الأعداى المحيِقُ^(٢)
 فاسلها للإسلامِ كهفين^(٣) ماطرًا زَ ثوبَ الظلامِ برقُ خفوقُ

قافية اللام

(٣١٢)

وقال في الشيخ أبي ترابٍ حيدرةَ بنِ نجمِ الكاتبِ ، وقد عَزَلِ عن الكتابةِ :
 أبا تُرابٍ ، دهرنا جاهلٌ يرفعُ للشبهِ ذوى الجهلِ
 كأنه الميزانُ : يعلو به ذوالنقصِ عن رتبةِ ذى الفضلِ
 وما يخرُّ العزلُ مَنْ لم يزلِ من فضلهِ الباهرِ فى سُغْلِ

(٣١٣)

وقال :

أبا حسينِ فى طيِّ كلِّ مساءةٍ من اللهِ صنعٌ للعبادِ جميلُ
 كرهتُ لك الترحالَ أمسٍ ، ورجما أفادَ الفتى طولَ المُقامِ رحيلُ^(١)
 وقد يكرهُ الشئُ الفتى ، وهو خيرُهُ له ، ويحبُّ الشئُ وهو وَييلُ^(٢)

(٢) أحاط به : أحاط به .

(٤) يشر إلى قول الشاعر .

وتسكب عيناى الدموع لتجعدا

(١) ذليق : حاد . وصقله : جلاه .

(٣) الكهف : الوزر والمجأ .

ساطب بعد الدار عنكم لتقربوا

(٥) الويل : الوخيم .

ولو لم تُفدِ إلَّا الجِهَادَ ، فإنه
فكيف وقد أصبحتَ جاراً لما جد
كريم كليل^(١) الطَّرْفِ عن عيبِ جاره
شَرَى الحمدَ بالأموالِ ، لا يَسْتَقِيلُ في
وَمَنْ كَمَعِنِ الدينِ ، أَمَّا جنَابُهُ
إذا وَرَدَتْ آمالُنَا بَحْرَ جُوده
فَكُنْ واثِقاً باللهِ ثم بِجُوده

ثوابٌ ، كما نَصَّ الكتابُ ، جزيلٌ
يَجُودُ ، على عِلَّاتِهِ ، ويُيَسِّلُ
وما طَرَفُهُ عِنْدَ السَّوَالِ كَأَيْلُ
شِرَاهُ ، ولا عِنْدَ البَيْعِ^(٢) يُقِيلُ
فرحُبُ ، وأما ظِلَّهُ فَظَلِيلُ
صَدَرَنَ رِوَاءً^(٣) ، ما يَهِنُ غَلِيلُ
فإني بما أَمَلْتُ منه كَأَيْلُ

(٣١٤)

وقال في نصر بن الأفضل^(٤) :

يا مُسْتَقْبِلَ النِّبْيِ فيما تَجُودُ به
وَمَنْ مواهبُهُ كالعَارِضِ^(٥) الهَطِيلِ^(٦)
وَمَنْ إذا جَادَ بالدُّنْيَا لِأَمَلِهِ
قَالَتْ معا [رُفَهُ]^(٧) حاشاك من بَحْلِ
وَمَنْ إذا جَرَّدَ البِيضَ الصَّوَارِمَ في السَّهْبِجَاءِ [أَسْكَنَهَا]^(٧) في الهَامِ والقَلَلِ^(٨)
قد كُنْتُ أَخْضَعُ في الخَطْبِ المَلْمُ ، فذُ
وَلَيْتَ يانصِرُ عادِ [الخَطْبُ]^(٧) يَخْضَعُ لي
وَبَعْدُ ، لي فيكَ آمالٌ ، وَظَنِّي في
عُلاكَ [أَنَّكَ]^(٧) تُوفِّي بي على أَمَلِي^(٩)

(١) كل بصره : نبا .

(٢) بايعه مبايعة وبياعا : عارضه بالبيع . وأقلته : فسخته . واستقاله : طلب إليه أن يقبله .

(٣) رواه : جمع ريان . (٤) راجع مقدمة الديوان .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق . (٦) الهطل : تابع المطر العظيم القمطر .

(٧) سقط بالأصل ولعل ما أكلنا به يستقيم به الوزن والمعنى .

(٨) القلة : أعلى الرأس . والهامة : الرأس . (٩) أوفى عليه : أشرف .

(٣١٥)

وقال من قصيدة :

فَتَبَّتْ أَلْتَجِي إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْبِ، وَذَحْرِي إِنْ غَالُ وَفَرَى غَوْلٌ^(١)
 بَعْلَاهُ أَسْمُو ، وَمَنْ فَضِلَ مَا نَسُوْلُ أَقْضَى فَرَضَ الْعَلَا وَأُنَيْلُ
 مَلِكٌ يَذْكُرُ الْمَوَاعِيدَ وَالْعَهْدَ ، وَيَأْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يُنَيْلُ
 مُلْكُهُ مَلِكٌ رَحِمَةٌ ، وَقَضَايَا هُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ

ومنها :

أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ حَتَّى تَعْرِفَ الْمَجْهُولُ
 وَعَلَا خَامِلٌ ، وَحَامَى جِبَانٌ وَوَفَى غَادِرٌ ، وَجَادَ بَنَجِيلُ
 وَحَمِيَتَ الْبِلَادَ بِالسَّيْفِ ، فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا سَهْلٌ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
 وَقَسَمَتَ الْفَرَنْجَ بِالْغَزْوِ شَطْرَيْنِ : فَهَذَا عَانٌ^(٢) ، وَهَذَا قَتِيلُ
 وَالَّذِي لَمْ يَجْنِ^(٣) بِسَيْفِكَ مِنْ خَوْ فِكَ أَمْسَى وَعَقْلُهُ نَجْمِيولُ
 مَثَلِ الْخَوْفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَيْشًا لَكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَا يَزُولُ
 فَالْرَبِّي عِنْدَهُ جِيوشٌ ، وَمَوْجُ الْبَحْرِ فِي كُلِّ بَلْحَةِ أُسْطُولُ
 وَإِذَا مَا أَعْنَى^(٤) أَقْضَى^(٥) بِهِ الْمَضْجِعَ فِي الْحُلْمِ سَيْفِكَ الْمَسْلُولُ
 فَابْقِ لِلْسَّلْبِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِفْرَنْجِ حَنْفًا ، مَا أَعْقَبَ الْجَيْلَ جَيْلُ
 بَيْنَ مُلْكٍ يَدُومُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَحَالٍ فِي الْفَضْلِ لَيْسَتْ تَحْوُلُ^(٦)
 ثَابِتَ الدَّسْتِ فِي اعْتِلَاوِ وَجْدٍ وَعَطَايَاكَ فِي الْبِلَادِ تَجْوُلُ
 بَالِغَ الْعَبْدُ فِي النِّيَابَةِ وَالتَّحْرِيبِ ، وَهُوَ الْمَقْوَهُ الْمَقْبُولُ

(١) غاله : أهلكه . والوفر : الفنى . (٢) العانى : الأسير .

(٣) حان : هلك . (٤) أعنى : نام نوما خفيفا .

(٥) أقض المضجع : خشن . وأقضه الله ، لازم ومتعد . (٦) تحول : تحول .

فَرَأَى مِنْ عَزِيمَةِ الْغَزْوِ مَا كَا دَت لَه الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَمِيلُ
وَأَجَابْتَهُ بِالصَّلِيلِ سُيُوفٌ ظَامِنَاتٌ ، وَبِالصَّهِيلِ خُبُولُ
وَرَأَى التَّقَعَ رَاكِدًا دُونَ مَجْرَى الشَّمْسِ ، وَالْأَرْضُ بِالْجِيُوشِ تَسِيلُ
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا مِنَ الْأَسَدِ جَيْشٌ سَائِرٌ فَوْقَهُ مِنَ الشَّمْرِ غَيْلٌ^(١)
وَإِذَا عَاَتَ الْمَقَادِيرُ فَاللَّهُ إِذَا حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣١٦)

وقال :

زَدْنِي عُلًّا ، لَا أُرْتَضَى بِاللَّهِى^(٢) حَسْبَى مَا تَوَلَّتْ : مِنْ مَالِ
أَعْنَيْتَ نَفْسِي وَيَدِي ، فَاسْتَوَى حَالَى فِي الْعَفَّةِ وَالْمَالِ
فَلِي نَوَالٌ وَنَدَى سَيِّبِهِ^(٣) يَرْجَى ، وَمَنْ فَضْلِكَ إِفْضَالِي
وَإِنَّمَا أَبْنَى الْعُلَا ، لَا الْغَنَى وَمِثْلَهَا يَبْغِيهِ أَمْثَالِي

(٣١٧)

وقال :

وَالْجَوْرُ فِي حَكْمِ الصَّبَابَةِ جَائِرٌ بِخِلَافِ أَحْكَامِ الْمَلِيكِ الْعَادِلِ
الصَّالِحِ الْهَادِي الَّذِي فِي عَدْلِهِ سَاوَى انْخِفَاضِ الرَّجْعِ^(٤) صَدْرَ الْعَامِلِ^(٥)

(١) الفيل : الشجر الكثير الملتف ، والأبجة . والسمر : الريح . (٢) اللهم : العطايا .
(٣) السيب : العطاء .
(٤) الرج : الحديد أسفل الريح .
(٥) عامل الريح : صدره .

قافية الميم

(٣١٨)

وقال :

وسر إلى بحرٍ خَضَمٍ له من عَزَمِهِ سيفٌ وعِىَّ مَخْذَمٌ^(١)
حتى إذا أنطقَكَ العدلُ في جلاله والخلُقُ الأَكْرَمُ
قل لأمير المسلمين الذى به استنار الزَّمنُ المَظْلَمُ :
أنت الذى ما جرت يوماً ، ولا جرى على سيفك ظلماً دمٌ
ساويتَ فى عدلك بين الورى حتى تساوى الزُّجُجُ واللَّهْمُ^(٢)
وقمتَ فى الله احتساباً فقد وقمتَ^(٣) من يطعى ومن يُجْرِمُ
وكلُّ أهلِ الشامِ أوسعتهم عدلاً ، فإلى دونهم أُحْرِمُ !
أطعتَ فى حكمك فى الهوى وما كذا يفعلُ من يحكُمُ
من ينصفُ المظلومَ مناً إذا كنتَ ، وحاشاك ، الذى يَظْلِمُ
وأنت ظلُّ الله فى أرضه تردعُ من يظلمُ أو يَغْشَمُ^(٤)
فلا يسبُّ أجرَ الجهاد الذى فُزتَ به دون الورى مائِمُ

(٣١٩)

وقال :

دعوتك يا عَمَرَ المَكْرَمَاتِ لأمرٍ عراً ، ومهمٍّ أَلَمُ
وأنت السَّريعُ إلى من دعاك بذلك قضى لك إرثُ الكَرَمِ
وإن نأمتَ حظيَ عما عهدتُ فإن اهتمامك بى لم يَنَمِ

(١) مخذم : قاطع .
(٢) اللهزم : القاطع من الأستة .
(٣) رقة كوعده : قهره وأذله .
(٤) الغشم : الظلم .

(۳۲۰)

وقال :

لو استطعت ، ولو ملكتُ أمری فی قضاءِ فرضك عمّات من خدیی
مشیتُ أحملُ أثقالَ النّساءِ إلى جنابك الخِضلِ^(۱) الأذافِ كالقلمِ

(۳۲۱)

وقال من قصيدة مضى أولها^(۲) :

خُلِقْتُ تَحَلَّى بِهِ سَلْمَانُ^(۳) بِذِكِّكَ مِنْ أَخْلَاقِكَ العُرْيَا ذَا البَاسِ والنَّعِيمِ
مَوْلَى عُلَاكَ ، وَكَمْ قَد عَادَ شَأْنُهُ^(۴) بِيَأْسِهِ مِنْ مَلُوكِ العُرْبِ والعَجَمِ
يُقَرُّ بِالْمُلْكِ لِلْمَلِكِ الَّذِي نَشَرَ الرَّحْمَنُ أَيَّامَهُ ظَلًّا عَلَى الأُمَمِ
لِلصَّالِحِ المَلِكِ المِيمُونِ طَائِرُهُ بِجِدِّهِ طَوْقٌ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعِمِ
حَمَى ذَوِيهِ ، وَكَمْ مِنْ بَاسِطِ لَيْدٍ لَوْلَا حَمَاهُ ، وَكَمْ مِنْ فَاغِرٍ لَقَمِ
وَذَاذَ عَنْهُمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ إِذْ كَلَبَتْ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ
وَنَالَهُمْ مِنْ تَوَالِي سُبْحِ نَائِلِهِ مَا نَالَ نَبَتِ الثَّرَى مِنْ وَابِلِ الدَّيَمِ
يَا حَاسِدِيهِ ، اكْظِمُوا ، حِرَاتِكُمْ فَأَنَا الَّذِي ذِيرُ مِنْ أَخْذِهِ ، إِنْ هُمْ ، بِالْكَظْمِ^(۵)
إِيَّاكُمْ عَثَرَاتِ البَغِيِّ ، إِنْ لِمَنْ يَبْغِيهِ يَوْمًا يُوَارِي الشَّمْسَ بِالظُّلْمِ
حَدَّارٍ مِنْ مَصْرَعِ البَاغِيْنَ قَبْلَكُمْ فَالسَّيْفُ مَنْصَلَتْ فِي كَفِّ مُصْطَلِمِ^(۶)
وَفِي تَمِيمٍ وَمَنْ وَالَاهِ مَوْعِظَةٌ إِنْذَارُهَا يُسْمَعُ الأَمْوَاتَ فِي الرَّجْمِ^(۷)

(۱) الخِضل : كل شيء ، ندى يترشح نداه .

(۲) مطلع القصيدة : أجب دراعى الهوى بالأدمع السجم ... راجع القطعة (۹۰) ص ۴۴ .

(۳) سلمان الفارسي : صحابي جليل .

(۴) شاد فلانا : أصابه بالعين ، وحسده .

(۵) الجرة : ما يفيض به البعير ، فيأكله ثانية . وكظم البعير : أمسك عن الجرة . والكظم محرّكة

الخلق أو الفم أو مخرج النفس .

(۶) السيف المنصلت : الصقيل الماضي . واصطلمه : استأصله . (۷) الرجم : القبر .



تَوْهَمُوا أَنَّ ضَارِي الْأَسَدِ يَنْفِرُ عَنْ
 وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍّ (١)
 مُغَامِرٌ تَرَهَّبُ الْآجَالُ سَطَوْتَهُ
 يَسْتَقْبَلُ الْحَرْبَ بَسَامًا، وَقَدْ كَثُرَتْ
 يَلْقَى الْأَلُوفَ وَيَجْبُوهَا ، فَفِي يَدِهِ
 مَا غَرَّمُكُمْ بَصَدُوقِ الظَّنِّ يُخْبِرُهُ الرَّ
 يَرَى الضَّغَانِ فِي قَلْبِ الْحَسُودِ لَهُ
 فَإِنْ سَطَا عَنْ يَقِينٍ ، أَوْ عَفَا كَرَمًا
 أَدَانُكُمْ ، فَاعْتَلَيْتُمْ عَنْ ذَوِي رَحِمٍ
 وَعَمَّكُمْ سَبَبُ جُودٍ مِنْهُ نَبَهُ ذَا
 كَمْ غَمَّةٌ كَشَفَتْ عَنْكُمْ صَوَارِمَهُ
 لَوْلَاهُ ، لَا زَالَ عَنْكُمْ ظَلُهُ أَبَدًا ،
 إِنْ رَابَهُ مِنْكُمْ أَمْرٌ ، فَلَا وَزَرَ
 يَا مَالِكًا مَالِكًا رِقِي بِأَنْعَمِهِ
 مَا الشُّكْرُ كُفُّ عُلَا أَوْلِيَتٍ مِنْ مَنْ
 وَإِنْ أَكُنْ كَزُهَيْرٍ فِي الشَّنَاءِ ، فَقَدْ
 وَإِنْ تَكُنْ مِدْحِي وَقَفَا عَلَيْكَ فَلَا
 فَفِي يَمِينِكَ مَنِي صَارِمٌ خَدِمٌ

عَرِيته لِحَشُودِ الْبُومِ وَالرَّخِمِ
 مِنْ بَاسِهِ ، غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا بَرِمٍ
 وَتَفَرَّقَ (٢) الْأَسَدُ مِنْهُ فِي حِمَى الْأَجَمِ
 بِهَا الْمَنِيَّةُ عَنْ أَنْبِيَائها الْأُرَمِ (٣)
 مِنَ الْعَطَا وَالشُّطَا بِجَرَائِدِي وَدَمٍ
 أَيُّ الصَّحِيحِ بِمَا فِي الصَّدْرِ مِنْ سَقَمٍ
 تَدَبُّ مِثْلَ دَبِيبِ النَّارِ فِي الْفَحْمِ
 فَإِنَّهُ خَيْرٌ ذِي عَفْوٍ وَمُسْتَقِيمٍ
 وَحَاطِكُمْ ، فَاعْتَدَيْتُمْ مِنْهُ فِي حَرَمٍ
 الْخُضُولِ مِنْكُمْ ، وَأَغْنَى كُلِّ ذِي عُدْمٍ
 وَلَمْ يَزَلْ كَاشِفَ الْأَوْاءِ (٤) وَالْغَمِّ
 عَلِمْتُمْ كَيْفَ تَأْتِي بِلُحَاةِ النَّقَمِ
 لَكُمْ ، وَلَا عَاصِمٌ مِنْ سَيْلِهِ الْعَرَمِ (٥)
 وَمِثْلُ مِثْلِي لَا يُبْتَاعُ بِالْقِيمِ
 وَإِنْ تَسَهَّلَ لِي مُسْتَوْعِرُ الْكَيْمِ
 عَلَوْتَ مَجْدًا وَجُودًا عَنْ مَدَى هَرَمِ (٦)
 تَنْظُرُ أَنْ ثِنَائِي مَتَهَى هَمَمِي
 يَقْرِي ، إِذَا كَلَّ حُدَّ الصَّارِمِ الْخَدَمِ (٧)

(٢) فرق : فرغ .

(١) اللب : الجلبة والاضطراب .

(٣) أرم ما على المساندة : أكله فربدع شيئا . والذي : شدة .

(٤) الأواء : الشقة .

(٥) العرم : الشديد .

(٦) هرم : مدوح زهيرين أبي سلمي .

(٧) يقري : يشق . والخادم : القاطع .



فِي حِدَّةٍ حَتْفٌ مِنْ نَاوَاكٍ وَهَوْلَانٍ وَالْأَكْ مُنْبَجَسٌ بِالْبَارِدِ الشَّمِيمِ
 فَمَرَّ بِمَا شِئْتَ : أَلْقَى الْأَمْرَ مِمْتَلَأً بِهِمَّةً مَا اعْتَرَتْهَا قَفْرَةٌ الْحَمِيمِ
 مَجْرَبًا طَاعَتِي تَجْرِبَ مُخْتَبِرٍ إِنَّ التَّجَارِبَ تَجْلُو شُبُهَةَ التَّهْمِ
 فَبَدَّلَ نَفْسِي عِنْدِي فِي رِضَاكَ ، فَلَا حُرْمَتَهُ ، بَعْضٌ مَا أَنْوِيهِ مِنْ خِدْمِي
 وَحَقٌّ ذَلِكَ لِمَنْ أَنْشَرْتَ أَسْرَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَدَّهُمْ مِنْ نَاحِرِ^(١) الرِّمِّ
 صَرَفْتَ صَرَفَ اللَّيَالِي دُونَ غَشْمِهِمْ^(٢) وَكَفَّفَ بِأَسْكَ عَنْهُمْ كَفَّفَ مُهْتَضِمِ
 وَأَوْصَلْتَهُمْ صَلَاتٌ مِنْ نَدَاكَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، لَقَدْ أَغْرَبْتَ فِي الْكَرَمِ
 وَمَا الَّذِي نَلْتُ مِنْ نِعْمَاكَ غَايَةَ آمَالِي ، وَلَا مَتَهِي حِظِّي وَلَا قِسْمِي
 نَيْلُ الْعُلَا دُونَ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ ، كَمَا أَنَّ الْغَنَى دُونَ مَا تَحْبُوهُ مِنْ نِعَمِ
 شَرَفْتَنِي ، فَاعْتَلَى قَدْرِي ، وَأَصْحَبَ لِي^(٤) دَهْرِي ، وَأَصْبَحَ فَيَا رُمْتُ مِنْ خِدْمِي
 وَطُلْتُ^(٥) عَمَّنْ يُسَامِينِي ، فَفَخَرُّهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا ، إِنْ سَمَتَ هِمَاتِهِمْ ، قَدَمِي
 لِلَّهِ دُرٌّ طُرُوسٍ ضَمَنْتَ دُرَّرًا أَكْرَمُ بِمَتَشْرِ مِنْهَا وَمُنْتَظِمِ
 أَضْحَتَ عَلَى مَفْرُقٍ تَاجًا ، وَفِي عُقْنِي تَمِيمَةٌ مِنْ عَوَادِي الْخَطْبِ وَالْعُدْمِ
 لَفِظْتُ أَرْقُ مِنَ الشُّكْوَى ، وَالطُّفُّ مِلَّ عُتْبِي ، وَأَشْهَى مِنَ الْإِبِلَالِ فِي الْأَلَمِ
 بَجَرَتْ لَطَافَتَهُ مِنْ قَلْبِ سَامِعِهِ مَجْرَى الْهَوَى مِنْ فُؤَادِ الْمَغْرِمِ السَّدِيمِ^(٦)
 فَصَاحَةٌ أَسْمَعَتْ مَنْ كَانَ ذَا صَمِّمٍ وَحُسْنُ مَعْنَى أَفَادَ الْفَهْمِ ذَا اللَّمِّمِ^(٧)
 وَوَشَى خَطِّ حِكِي زَهْرَ الرَّبِيعِ سَرْتِ أَكْمَامِهِ عَنِ بَدِيعِ الْفَضْلِ وَالْحِكْمِ
 لَوْ كَانَ حَالِكُهُ لَوْنَ الشَّبَابِ لَمَا حَالَتْ نَضَارَتُهُ بِالشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

(١) الناحر : (ال) المنفتحة . والرامة : العظام .
 (٢) أغرب : أتى بالغريب .
 (٣) طاروتى نطلته : كنت أطول منه .
 (٤) أصحاب : ألقاد .
 (٥) اللمم : الجنون .
 (٦) البدم محركة : الهم أومع بدم ، أو غيظ مع حزن .
 (٧) اللمم : الجنون .

يزيدُ سامعها تكرارها شغفا بها ، وكم جَلَبَ التكريرُ من سأم
 يأمُوجَدَ الفضلِ والإفضالِ إذُعَدما حتى لقد أصبحا نارين في علم
 مملوكُ الأصغرُ القنِ المبالغُ في الإخلاصِ ، والسيرُ مقدودٌ من الأدم^(١)
 لو نال ما يتننى من مشيئته مشى إليك خضوعاً مشيةً بالقلم
 وكان كتب هذه القصيدة المتقدمة إلى الملك الصالح جواباً عن قصيدة نونية .
 كتبها إليه ، وهي هذه :

وردت إلينا منك "مجد الدين"
 حررت منها حرةً برزت لنا
 نرساء صامتة ، ولكن أخبرت
 غراء ، يلتقي الشك عند قدومها
 تشكو صبايتك التي آلت إلى
 أبدت إلى الكرم الباب^(٢) تمسكاً
 قد علمت سمر القنا أخلاقه
 إن من لم يتبع صنائع جوده
 تأتي القوافي ، وهي أبقار له
 حتى إذا وفدت علينا لم تجد
 وجوابنا هذا عقيب هلاك من
 أمست أكاذيب المنى تقناده
 إذ ظن أنا مثل من عن ملكه
 بيضاء تخطر في الثياب الجون^(٣)
 حسناً كنظم اللوائ المكنون
 منها الفصاحة عن لسان حزين
 فتظلم تكشفه بصبح يقين
 داء تضرم^(٤) في الفؤاد دفين
 بندي كفيل بالنجاج صمين
 فلذاك منها شدة في لين
 مناً ، وليس نداء بالممنون^(٥)
 قصاداً ، فتمخجل للأيادي العون^(٦)
 بابا لعمرك معلقاً من دوني
 ورد المنيّة رانم العرينين^(٧)
 حتى رمته إلى حضيب الهون
 قد راح منه بصفقة المغبون^(٨)

(١) الأدم : جمع آدم ، وهو الجلد المدبوغ .
 (٢) الباب : اشتدحه .
 (٣) تضرم : اشتدحه .
 (٤) من : أنعم . والمقن : الاتقان . والممنون : المقطوع .
 (٥) العران من النساء : التي كان لها زوج .
 (٦) المغبون : المحذوع .
 (٧) العرينين : الأنف .
 (٨)

خَلَّى حَلَالَهُ ، وَقَالَ انْفَسَهُ :
أَمَلٌ لَعَمْرُكَ زَيْنَتُهُ لِعَيْنِهِ
حَتَّى إِذَا شَيْطَانُهُ قَالَ : ابْتَدِرْ
وَرَأَى بِأَنَّ الْحَشْدَ صَانِنٌ عِزَّهُ
نُدِبَتْ إِلَيْهِ صَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا
مِنْ آلِ رُزَيْكَ الَّذِينَ بِجُودِهِمْ
صَحِبَتْ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ سَمِيدِجٍ (١)
وَإِذَا بَدَأَ أَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِيًا (٢)
لَمْ يَلْبَثُوا ، حَتَّى بَدَأَ مَتَخَضِبًا
فَلَجَا مِنَ الْحَشْدِ الَّذِي قَدِ غَرَّهُ
وَأَتَوْا بِرَأْسٍ فَارِغٍ لَمَّا يَكُنْ
أُسْرَ ابْنِهِ ، وَتُوزِعَتْ أَمْوَالُهُ
وَعَقِيبُهُ فَتَحَّ الْإِلَهُ بِالْطُّفَةِ
مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَرَأْيٍ نَفْسِهِ
وَاسْتَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ
قُرْنَ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ ، فَأَشْبَهُوا
وَالْعِدَّةُ الْعَظْمَى مِنَ الْعُدَدِ الَّتِي
بِصَوَارِمٍ قَدِ أَطْلَعَتْهَا لِلْوَعَى

مَنْ بَكَ مِنْ صَرْفِ الرَّدَى (١) يَكْفِيهِ
خُدَعُ العُرُورِ ، وَسَكْرَةُ المَفْتُونِ (٢)
فِي سُرْعَةِ العَمَلِ وَالتَّمَكِينِ
مَنْ أَنْ يُدَالَ (٣) ، فَلَمْ يَكُنْ بِمَحْصُونِ
لَمْ تَسِرْ أَسَادُ الشَّرَى بِعَرِينِ (٤)
وَبِبَأْسِهِمْ خَلَطُوا مَتَى مَنُونِ (٥)
يَجْرِي إِلَى الهَيْجَلِ بِغَيْرِ قَرِينِ
جَلَّتْ غَرَّةُ وَجْهِهِ المِيمَرِ
بِدِمَائِهِ ، كَتَخَضِبِ المَجْنُونِ
عَدَدًا ، لِحِصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِمَحْصِينِ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَعْلُو القَنَا بِرَزِينِ
حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصِّينِ
بَابَ الظُّهُورِ عَلَى عُدَاةِ الَّذِينَ
غَرَقًا ، وَمَجْرُوحٍ ، وَبَيْنَ طَعِينِ
بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الطُّبِّ (٨) بِضَنِينِ
خَلَطَ القَسَاوِرَ (٩) بِالطُّبِّاءِ العَيْنِ (١٠)
تَضْفُو (١١) مَلَابِسُ سَرْدِهَا المَوْضُونَ (١٢)
عِنْدَ الصَّقَالِ لَهَا أَكْفٌ قِيُونَ (١٣)

(١) صرف الردى : نواحيه . (٢) المفتون : الضال . (٣) أذاله : أهانه .
(٤) العرين : مأوى الأسد . والشري : جليل بهامة كثير السباع . (٥) المذن : الموت .
(٦) السميدج : السيد الكريم الموطن الأكناف والشجاع . (٧) داجيا : مظلمًا .
(٨) الطبا : جمع ذابة وهي حد سيف أو سنان أو نحوه . (٩) القساوير : جمع قسورة : الأسد .
(١٠) العين : جمع عينا ، وهي حسة العينين واسمعتها . (١١) الضفو : السبوح والكثرة .
(١٢) وطن التي : شئ بعضه على بعضه . والدمرد : اسم جامع للدروع وسائر الخلق . (١٣) القين : الخزاز .



فَلَا خِذْمٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْعٌ مِنْ دُونِهِ فِي الْقَدْرِ فَتَحُ حُصُونُ
وَالطُّورُ^(١) لَا يُجِيبِي أَمْرًا مِنْ حَيْنِهِ^(٢) فَذَلِكَ لَا يُجِبُهُ عَلُو سَفِينِ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ ، فَمَعْدُهُ متواصلٌ مِنِّي لَمَّا يُؤَلِّمُنِي
فَلَوْ أَنِّي رَمْتُ السَّمَاءَ بِحِوَلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَطَلَّتْهَا بِيَمِينِي
فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي ثَنَاءٌ لَمْ يَزَلْ يُعْتَادُ مِنْهُ نَفْحَةُ النَّسْرِينَ^(٣)
وَلطالَمَا^(٤) أُولَى الْأَمِيرِ يَدًا إِلَى قَلْبٍ بِكُلِّ مَسْرَةٍ مَشْحُونِ
مَنَا لِنُعْلَمَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ فِي وَدِنَا مَا زَالَ غَيْرَ ظَنِينِ^(٥)
وَلَهُ التَّوَسُّعُ فِي الْمَقَالِ ، وَشَأْنُهُ فِي نَظْمِهِ وَالشِّعْرِ غَيْرُ شُؤْنِي
وَالْأَهْلُ قَدْ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَأَيْنَا طَابُ افْتِكَكَ فَوَادِهِ الْمَرْهُونِ
لَمْ يَبَقْ ، مَجْدَ الدِّينِ ، وَجَدُ^(٦) فَاغْتَمَّ قَرَحًا أَتَيْحَ لِقَلْبِكَ الْحَزُونِ
وَاسْأَلُهُمْ إِنْ شِئْتَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَأَبْنَهُمْ مِنْ شِجْرِكَ^(٧) الْمَخْزُونِ
وَأَفْضَ عَلَيْنَا مِنْ فَنُونِكَ مَلْبَسًا عِنْدَ النَّشَاطِ ، فَأَنْتَ رَبُّ فُنُونِ

(٣٢٢)

وقال :

يَا مُنْعِمًا ، مَوْرُدُ إِحْسَانِهِ سَهْلٌ ، فَمَا فِي مَنِّهِ^(٨) مَنْ^(٩)
قَدْ أَقْتَدَى بِالْمُرْنِ^(١٠) فِي جُودِهِ بَلْ يَنْبِدَاهُ يَقْتَدَى الْمُرْنُ
بَسَطَتْ كَفًّا فِي النَّدَى وَالْوَعَى مَا كَفَّهَا بُحْلٌ وَلَا جُبْنُ
فَاسْلَمْ مِنَ الدَّهْرِ ، فَفِيهِ عَلَى كُلِّ كَرِيمٍ مَا جَدِ زِغْنُ^(١١)

(١) الطور : الجبل . (٢) الحين : الهلاك . (٣) النسرين : ورد .
(٤) لطلت الأول في الأصل ككذا : ولعلنا أول الأمير يدا إلى ... ولعلنا اخترناه أقرب إلى الصواب .
(٥) الظنين : المتهم . (٦) الوجد : الحزن . (٧) الشجر : الحزن .
(٨) منه : إتمامه . (٩) منبت عليه : عددت ما قدمته إليه من نعم . (١٠) المرن : السحاب .
(١١) الضغن : الحقد .

ما قاله مفتخرا ، وتمدح به متأثرا

قافية الرء

(٣٢٣)

أُظَنَّ الْعِدَاءَ أَنَّ ارْتِحَالِي ضَائِرِي ضَلَالًا لِمَا ظَنُّوْا، وَهَلْ يَكْسُدُ التَّبِيرُ
وَمَا زَادَنِي بُعْدِي سِوَى بُعْدِ هِمَّةٍ كَمَا زَادَ نُورًا فِي تَبَاعُدِهِ الْبَدْرُ
وَلَوْ كَانَ فِي طُولِ النَّوَاءِ فَضِيلَةٌ لَمَا انْتَقَلَتْ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَلَوْ لَزِمْتَ أَغْمَادَهَا الْبَيْضُ مَا انْجَلَتْ بِهَا غَمْرَاتُ الْحَرْبِ، وَاتَّضَحَ النَّصْرُ
وَهَلْ فِي ارْتِحَالِي عَن بِلَادٍ تَنْكَرْتُ لِمِثْلِي أَوْ لِلْسَّاكِنِينَ بِهَا نَخْرُ
وَإِنْ بِلَادًا ضَاقَ عَنِّي فَضَاؤُهَا لِأَرْحَبُ مِنْ أَكْخَافِهَا لِلْعَلَا فِئْرُ
وَأَرْضًا نَبَتْ بِي، وَهِيَ آهَلَةُ الرَّبَا هِيَ الْقَفْرُ، لَا، بَلْ دُونَ وَحَشْتِمَا الْقَفْرُ
وَهَلْ يُنْكَرُ الْأَعْدَاءُ فَضِيلِي، وَإِنَّهُ لِأَسِيرٌ ذَكَرَا أَنْ يُوَارِيهِ الْكَفْرُ^(١)
أَلَسْتُ الَّذِي مَا زَالَ كَهْلًا وَيَافِعًا لَهُ الْمَكْرَمَاتُ الْغُرَّ، وَالنَّائِلُ الْغَمْرُ^(٢)
وَخَائِضَ وَقَعَاتٍ، بَوَارِقُهَا الطُّبَا وَوَابِلُ هَاتِيكَ الْبُرُوقِ دَمٌ هَمْرُ^(٣)
يَهْوُلُ الرَّدَى مَنَى تَقْصَمِي الرَّدَى وَيَعْتَادُهُ مِنْ جَأَشَى الرَّابِطِ الذُّعْرُ
وَلَوْ حَكَمْتُ بِنِي وَبَيْنَهُمُ الطُّبَا رَضِيْتُ بِمَا تَقْضِي الْمَهْنَدَةُ الْبُتْرُ^(٤)
وَلَكِنْ تَوَلَّى الْحَاكِمِينَ قَضَاءَنَا فَكَانَ أَبُو مُوسَى^(٥) لَنَا، وَلَهُمْ عَمْرُو

(١) الكفر: السر والتغطية .

(٢) النائل: ما نلته . والغمر: الكثير .

(٣) همر: منهر .

(٤) البتر: السيف القاطعة .

(٥) يريد أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص الحكيمين في وقعة صفين .

(٣٢٤)

وكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها :

أبي الله إلا أن يدين لنا الدهرُ ويخُذمنا في مُلكِ العزِّ والنصرِ ،
وهي طويلةٌ ، يذكر فيها وقائعهُ وسراياهُ إلى الفرنج ، وتسييره الجيوش ،
وأسماءَ مُقدميها ، ويصفُ نجاتهم ، فوقف عليها الملك العادلُ رحمه الله ، وخرجَ
علي أمرِهِ إلى الأميرِ مجدِّ الدين بالإجابة عنها ، بمعانٍ وقعت الإشارةُ إليها .
فقال هذه القصيدة ، وذكر فيها بعض الفتوحات :

أبي الله إلا أن يكون لنا الأمرُ
وتخُذمنا الأيامُ فيما نرؤمهُ
وتخضع أعناقُ الملوكِ لعزنا
بحيث حللنا الأمنُ من كلِّ حادثٍ
بطاعتنا لله أصبح طوعنا الأ
فأيمأنا في السلمِ سُبُ موابٍ
قضت في بني الدنيا قضاءَ زمانها
وما في ملوكِ المسلمين مجاهدٌ
جعلنا الجهادَ همنا واشتغلنا
دماءَ العدا أشهى من الراح^(٣) عندنا
نواصلهم وصل الحبيب وهم عدا

لتحيأ بنا الدنيا ، ويفتخر العصرُ
وينقاد طوعاً في أزمنا^(١) الدهرُ
ويرهبها منا على بُعدنا الذكرُ
وفي سائر الآفاق من بأسنا دُعرُ
نام ، فما يعصى لنا فيهم أمرُ
وفي الحربِ سُبُ وبلهن دم همر^(٢)
فسر بها شطر ، وسىء بها شطرُ
سوانا ، فما يأنيه حرٌّ ولا قرُ
ولم يلهنا عنه السماعُ ولا الخمرُ
ووقع المواضي^(٤) فيهم النَّأى والوترُ
زيارتهم يخطُ عنا بها الوزرُ

(٢) همره : رصبه . والويل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٤) المواضي : السيوف البائرة .

(١) أزمة : جمع زمام .

(٣) الراح : الخمر .

وفي سجننا ابن الفئس خيرُ مملوكهم
أسرناه من حصن العريمة^(١) راغماً
وسل عنهم الوادي بإقليس^(٢) إنَّه
هم انتشروا فيه لردِّ رعيننا^(٣)
ونحنُ أسرنا الجوسلين^(٤) ولم يكن
وكانَ يظنُّ الغرُّ أنَّنا نبيعه
فلمَّا استبجنا ملكه وبلادَه
كَلَمْنَاهُ، نَبِيَّ الْأَجْرِ فِي فَعْلِنَا بِهِ
ونحنُ كسرنا البغدوين^(٥) وما لمن
فسله اللعين الحائن^(٥) الخائن الذي
وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها
أفَى غَدْرِهِ بِالْخَيْلِ بَعْدَ يَمِينِهِ
دَعَتْهُ إِلَى نَكْتِ الْيَمِينِ وَغَدْرِهِ
وقد كانَ لونُ^(٦) الخيلِ شتَّى فأصبحت
توهمُ عجزاً حَلَمْنَا وَأَنَا تَنَا
فلمَّا تَمَادَى غَيْبُهُ وَضَلَّالُهُ
برزنا له كالليثِ فارقِ غِيَلِهِ
وسرنا إليه حينَ هَابَ لِقَاءَنَا

وإن لم يكن خيرُ لديهم ولا برُّ
وقد قُتِلت فرسانُه فهمُ جُزْرًا
إلى اليومِ فيه من دمانهم عُدرُ
فمن تُرِبِه يومَ المعاد لهم تَشْرُ
ليخشى من الأيامِ نائبةً تعرُّو
بِمَالٍ، وكم ظنُّ به يهلك الغرُّ
ولم يبق مالٌ يُستباح ولا تُغسرُ
وفي مثلِ ما قد نالَه يُجرز الأجرُ
كسرناه إبلالُ يرُجى ولا جبرُ
له الغدرُ دينٌ: ما به صنع الغدرُ
فلم يُنجِه برُّ، ولم ينجِه بحرُ
بإنجيله بين الأنام له عُدرُ
بذمته النفسُ الخسيسةُ والمكرُ
تُعَادُ إِلَيْنَا، وهى من دمهم سُفْرُ
وما العجزُ إلا ما أتى الجاهلُ الغمرُ
ولم يَنْبِه عن جهله النهىُّ والزجرُ
وعادته كسرُ الفرائسِ والهصُرُ^(٧)
وبأن له من بأسنا البؤسُ والشرُّ

(١) أهم موضع .
(٢) جزو : مخفف جز بضمين وهى جمع جزور وهى الناقة المجزورة : الذبجة
(٣) الرزبل : الجماعة المتقدمة من الخيل . (٤) أحد ملوك الفرنج الصليبيين .
(٥) الحائن : الأحمق . (٦) فى الحاشية قتلان عن ولده مرهف «وكانت شيات الخيل شتى ...» .
(٧) الهصر : الكسر .

وثير حشايانا الشروج، وقصنا الد
تري الأرض مثل الأفق، وهي نجومه
وهم الملوك البيض والشمر كالدمي^(١)
صوارمنا حمر المضارب من دم
نسير إلى الأعداء^(٢) والطير فوقنا
فبأس يذوب الصخر من حر ناره
وجيش إذا لاقى العدو ظنتهم
تري كل شهم في الوعى مثل سهمه
هم الأسد من بيض الصوارم والقنا
برون لهم في القتل خلداً، فكيف بال
إذا نُسبوا كانوا جميعاً بنى أب
يظنون أن الكفر عصيان أمرنا
لنا منهم إقدامهم وولاؤهم
بنا أيد الإسلام، وازداد عزة
قتلنا البرنس، حين سار بجهله
ولم يبق إلا من أسرد، وكيف بالبقاء لمن أختت عليه الطبأ البتر^(٧)

روح ، ومنصوب الخيام لنا قصر
وإن حسدتها عزها الأنجم الزهر
وهبتا البيض الصوارم والشمر
قوائمها من جودنا نصره خضر
لها القوت من أعدائنا ، ولنا النصر
ولطف له بالماء ينبجس^(٣) الصخر
أسود الشرى عنت لها الأدم^(٤) والغفر
نفوذاً ، فما يئنه خوف ولا كثر
لهم في الوعى التاب الحديدة والظفر
لقاء لقوم قتلهم عندهم عمر
فطعنهم شزر ، وضربهم هبر^(٥)
فما عندهم يوماً لإنعامنا كفر
ومنّا لهم إكرامهم والندى الغمر
وذل لنا من بعد عزته الكفر
تحف به الفرسان والعسكر المجر^(٦)

(١) الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقشة من الرخام . والتقال . (٢) في هامش الديوان : الهيجا .
(٣) انجيس : تصجر . (٤) الأدم من الطباة : المشربة بياضاً . والأعفر من الطباة : ما يعلو بياضه حمرة .
(٥) طين شزر : شديد حمب . وضرب هبر : يسقط الحبرب والهبرة : بضعة لحم لا عظم فيها .
(٦) المجر : الجيش العظيم . (٧) أسنة السيوف القاطعة .

فَوَلَّى يَبَارِي عَائِرَاتٍ سِهَامِنَا
وَحَلَّى لَنَا فُرْسَانَهُ وَحُمَاتَهُ
وَمَا تَدْنِي عَنْهُ آعِنَةُ خَيْلِنَا
إِلَى أَنْ يَزُورَ الْجَوْسِلِينَ^(٢) مُسَاهِمًا
وَنَزَجِعَ الْقَدَسَ^(٣) الْمُطَهَّرَ مِنْهُمْ
كَأَفْعَالِنَا فِي أَرْضٍ مِنْ حَانَ^(٤) مِنْهُمْ
إِذَا اسْتَعْلَقَتْ شُمَّ الْحِصُونِ فَعِنْدَنَا
وَإِنْ بَلَدٌ عَزَّ الْمُلُوكَ مَرَامُهُ
وَأَضْحَى عَلَيْهِ لِلْسِهَامِ وَاللَّطْبَا
بِنَا اسْتَرَجَعَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَمَّنَ الْعِبَادَ ،
فَتَحْنَا الرَّهَاءَ^(٦) حِينَ اسْتَبَاحَ عِدَاتُنَا
جَعَلْنَا طُلِي^(٨) الْفُرْسَانَ أَعْمَادَ بَيْضِنَا
وَنَحْنُ فَتَحْنَا تَلَّ بِأَشْرَ^(٩) بَعْدَهَا
أَتَى سَاكِنُوهَا بِالْمَقَاتِيحِ طَاعَةً
وَمَا كُلُّ مَلِكٍ قَادِرٍ ذُو مَهَابَةٍ
وَتَلَّ عِرَازِ^(٩) ، صَبَحَتْهُ جُبُوشُنَا
وَمِنَّا إِلَى بُرْجِ الرَّصَاصِ^(٩) وَإِنَّا

وَفِي سَمْعِهِ مِنْ وَقَعِ أُسَافِنَا وَقَرُّ^(١١)
فَشَطْرُهُ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطْرُهُ لَهُ أُسْرُ
وَلَوْ طَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِهِ النَّسْرُ
لَهُ فِي دِيَاحٍ ، مَا لِلَّيْلِهَا بِقُرُّ
وَيَتَلَى بِإِذْنِ اللَّهِ فِي الصَّخْرَةِ الذُّكْرُ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي مَمَالِكِهِمْ شِبْرُ
مَفَاتِحُهَا : بَيْضُ ، مُضَارِبُهَا حُمْرُ
وَرُمَانُهُ ، ذَلَّ الصَّعْبُ وَاسْتَسْهَلَ الْوَعْرُ
وَوَقَعَ الْمَذَاكِي^(٥) الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْقَطْرُ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا قَهْرُ
حَامَاهَا ، وَسَنَى مُلْكَهَا لَهَا الْخِطْرُ^(٧)
وَمَلَكْنَا أَبْكَارَهَا الْفِتْكَةَ الْبِكْرُ
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَكْسِرَةُ الْغُرُّ
إِلَيْنَا ، وَمَسْرَاهُمْ إِلَيْنَا شَهْرُ
وَلَا كُلُّ سَاجِدٍ يَسْتَتِبُّ لَهُ الْأَمْرُ
فَلَمْ تَجْمَعْهُ عَنَّا الرِّجَالُ وَلَا الْجُنْدُ
لِكَالْسِدِّ ، لَكِنِ الرَّصَاصَ لَهُ قَطْرُ^(١٠)

(١) العائر: كل ما أعل العين، والوقر: نقل في الأذن . (٢) أحد ملوك الصليبيين .

(٣) في الهامش « البيت المقدس » . (٤) حان: هلك .

(٥) المذاكي من الخيل: التي أتى عليها بعد فروعها سنة أو سنتان . (٦) عاصمة إمارة صليبية بالنام .

(٧) سناه: سهله . والختر: العدو والخديمة . (٨) الطلي: الأعناق .

(٩) موضع بالنام . (١٠) القطر: النحاس الذائب .

وأُضْحِتْ لَأَنْطَاكِيَّةَ^(١) حَارِمُ^(٢) شَيْبَى
وَحِصْنُ كَفْرٍ لَأَنَا وَهَابَ^(٣) تَدَانِيَا
وَفِي حِصْنٍ بَاسُوطًا وَقُورَصَ ذَلَّتِ الصَّعَابُ لَنَا ، وَالنَّصْرُ يَقْدُمُهُ^(٤) الصَّبْرُ
وَفَامِيَّةَ^(٥) وَالْبَارَةَ^(٦) اسْتَنْقَذْتُهُمَا
وَحِصْنُ بَسْرُفُودٍ^(٧) وَأَنْبَبُ^(٨) سُهَيْلَتِ
وَفِي تَلِّ عَمَّارٍ^(٩) ، وَفِي تَلِّ خَالِدٍ^(١٠)
وَمَا مِثْلُ رَاوَنْدَانَ^(١١) حِصْنٌ وَإِنَّهُ
وَكَمْ مِثْلُ هَذَا مِنْ فَلَاحٍ وَمِنْ قَرَى
فَلَبَّا اسْتَعْدَدْنَاهَا مِنَ الْكُفْرِ عَنُوةً
رَدَدْنَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ رِبَاعَهُمْ
وَجَاءَتْهُمْ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَفَاقَةٍ
وَمَرَّ عَلَيْهَا الدَّهْرُ ، وَالْكَفْرُ حَاكِمٌ
فَنَالَهُمْ مِنْ عَوْدِهَا الْخَيْرُ وَالْغَنَى
وَنَحْنُ وَضَعْنَا الْمَكْسَ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ
وَأَصْبَحَتِ الْآفَاقُ مِنْ عِدَانِي حَمَى
فَكَيْفَ تُسَامِينَا الْمَلُوكُ إِلَى الْعُلَا

(١) أنطاكية : مدينة كانت قسبة العواصم من النور الشامية ، موصوفة بالحسن ، وطيب الهواء ، وغذوبة الماء ، وكثرة الفواكه (ياقوت) .
(٢) حارم : مدينة بالشام .
(٣) الأنوق كصبر : العقاب .
(٤) موضع بالشام .
(٥) قدم القوم كنصر : تقدمهم .
(٦) مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حصن .
(٧) فرخ الدلو الملقوم والمؤنن : ميزان لقمير . والغفر : منزل للقمير أيضا . (٨) ازدرع : زرع .
(٩) التلا : طائر . والكدي : ضرب من التظا غير الألوان ، ورش الظهور ، صفرا الحلق .

وإن وعدوا بالغزوِ نظماً، فهذه رموس أعادهم بأسيا فإنا نثر
سنتق العدا عنهم بييض صقالها هداياهم، والبستر^(١) يرهقها البتر^(٢)
وما قولنا عن حاجة، بل يسوءنا إذا لم يكن في غزونا لهم أجر
نزاننا ملامى، وما هي ذخرننا الممعد، ولكن الثواب هو الذخر
ملكنا الذي لم تحويه كف مالك ولم يعرنا تيه المتوك ولا الكبر
فنحن ملوك البأس والجود، سوقة التواضع، لا بذخ لدينا، ولا نخر
عزفنا^(٣) عن الدنيا، على وجدها بنا فمنها لنا وصل، ومنا لها هجر
وأحسن شىء في الدنيا زهد قادر عليها، فإيصيه ملك ولا وفر^(٤)
ولولا سؤال الله عن خلقه الذى رعيناهم حفظا إذا ضمننا الحشر
لمننا عن الدنيا، وقولنا لها: اغربى^(٥) لك الهجر منا، ماتمادى بنا العمر
فأخير ملك، أنت عنه محاسب ومملكة^(٦)، من بعدها الموت والقبر
فقل للملوك الأرض: ما الفخر فى الذى تعدونه من فعلكم، بل كذا الفخر

قافية الفاء

(٣٢٥)

وقال :

يأبى احتمال الضيم لى خلق فيه على ما رأبى صلف
سهل العريكة حين تنصفه صعب المقادة حين يعتسف^(٧)

(١) البتر: السيوف الفاطمة . (٢) البتر: القطع . (٣) عزف عنه: زهد فيه .

(٤) الوفر: الفنى . (٥) اغربى: ابعدى .

(٦) في هامش الديوان «وسلطنة» . (٧) اعتسفه: ظله .



خُلِقَ نَمَاهُ أَغْرُ أَرُوعٍ مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ مَا جَدُّ أُنْفٍ^(١)
 مِنْ مَعْشِرِ طَابَتْ مَغَارِسُهُمْ فَسَمَا لَهُمْ فَوْقَ السَّهَاءِ^(٢) شَرَفُ
 قَوْمٍ إِذَا عُدَّتْ مَنَاقِبُهُمْ كَادَتْ لَهْنَ الشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
 لَوْ حَاوَلُوا الْإِفْلَاقَ مَا قَصُرَتْ عَنْهَا أَكْفُهُمْ ، وَلَا ضَعُفُوا
 لَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي جُودِهِمْ لِعَفَاتِهِمْ^(٣) سَرَفُ
 أُنْفِي يَعْلى فِيهِمْ ، وَهُمْ فَوْقَ النَّاءِ ، وَفَوْقَ مَا أَصْفُ

قافية اللام

(٣٢٦)

وقال :

جُودِي بِمَوْجُودِي عَلَى النِّكْبَاتِ فِي مَالِي أَبِي لِي أَنْ أُعَدَّ بِحَيْلًا
 أَهْبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَإِنْ لَحَتْ^(٤) عُودِي وَهَبْتُ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا
 كَيْ لَا أُكْذِبَ فِي رَجَائِي آمَلًا إِنَّ الْبَخِيلَ يُكْذِبُ التَّامِيلًا

(١) النقية : الطبيعة . وأنف كفرح : استكف . والأروع : من يعجبك بحسه وجمارة منظره ، أو بشجاعته .
 والميمون : المبارك . ونماه : رضه .
 (٢) السها : نجم .
 (٣) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .
 (٤) لحا العود : قشره .

ما قاله في الحماسة ، ووصف به شجاعته وبأسه

قافية الهمزة

(٣٢٧)

قال :

قَتَلْنَا بِقِتْلَانَا مِنْ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ مَرَارًا ، وَلَكِنْ مَا الدَّمَاءُ سَوَاءُ
وَلَكِنْ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ لَاعِجِ الْأَسَىٰ بِقَتْلِهِمْ ، إِنْ كَانَ مِنْهُ شِفَاءُ

قافية الباء

(٣٢٨)

وقال ، وقد عرض له ألم في رجله منعه من الركوب :

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتَ قُوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ
وَكُنْتُ إِنْ ثَوَّبَ^(١) دَاعِيَ الْوَعَىٰ لَيْتَهُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دُجَىٰ نَقْعِهَا شَقَّ الدِّيَابِجِي مَرْسَلُ الشُّهْبِ
أَنَازِلُ الْأَقْرَانِ يُرْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُغْبِي
فَلَمْ تَدْعَ مِنِّي اللَّيَالِي سَوَىٰ صَبْرِي عَلَى الْأَوَاءِ^(٢) وَالخَطْبِ
أَلْبَىٰ الرِّزَايَا رَابِطَ الْجَاشِ فِي أَجْدَانِهَا مَجْتَمِعَ اللَّبِّ
مَا خَاتَمِي عَزْمِي ، وَلَا عَزَمِي^(٣) صَبْرِي ، وَلَا ارْتَاعَ لَهَا قَلْبِي

(٢) اللأراء : الشدة .

(١) الثوب : الدعاء .

(٣) عزمي : نلني ، فلم يلعني .

قافية الجيم

(٣٢٩)

وقال ، ما كتبه على طوق خُوذة :

أَنَا تَاجُ فُرْسَانَ الْهَيْبَاجِ^(١) ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ ثَبِتْتُ أَوْأَحِي^(٢) مُلْكَ كُلِّ مُتَوَجِّجٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ عَجِبَتْ مِنْ بَحْرِ تَدَافَعٍ فِي لَطْفِ مُتَوَهِّجٍ
صَبْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ مُعْتَرِكُ الْقَنَا فَرَجَتْ سَيُوفُهُمْ مَضِيقَ الْمُنْهَجِ
وَإِذَا رَجَوْتَهُمْ لَنْصِرَ صَدَّقُوا بِعَظِيمٍ بِأَسْهَمٍ رَجَاءَ الْمُرْتَجِي

قافية الحاء

(٣٣٠)

وقال :

لِخَمْسَ عَشْرَةَ نَازَلْتُ الْكُجَاةَ إِلَى أَنْ شَبْتُ فِيهَا ، وَخَيْرُ الْخَيْلِ مَا قَرَّحَا^(٣)
أَخْوَضُهَا كَشَهَابِ الْقَذْفِ مَبْتَسِمًا طَلَّقَ الْحَيَا ، وَوَجْهَ الْمَوْتِ قَدْ كَاخَا
بِصَارِمٍ ، مِنْ رَأَاهُ فِي قَتَامٍ وَعَيَّ أَفْرَى بِهِ الْهَامَ^(٤) ، ظَنَّ الْبَرْقَ قَدْ لَحَا
أَغْدُو لِنَارِ الْوَعْيِ فِي الْحَرْبِ إِنْ نَحَمْتُ بِالْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ وَالْهَامَاتِ مُقْتَدَحًا^(٥)
فَسَلْ كُجَاةَ^(٦) الْوَعْيِ عَنِّي ، لَتَعْلَمَ كَمْ كَرَّبٍ كَشَفْتُ ، وَكَمْ ضَيَّقَ بِي أَنْفَسَا

(١) الهياج بالكسر : القتال .

(٢) الأخية كناية ويشدد ويخفف : عود في حائط أو في حبل يذفن طرناد في الارض و يبرز طرفه كالحلقة تشد

فيها الدابة ، الجمع أخايا أو أواحي . والأخية : الطنب .

(٣) قرح الفرس كنع : انتهت أسنانه ، فهو قارج ، وذلك عند إكمال خمس سنين .

(٤) القتام : الغبار . والوعى : الحرب . وأفرى : أشق . والهام : جمع هامة : وهي الرأس .

(٥) اقتدح : رام الإبراء . والبيض : جمع بيضة ، تتخذ من الحديد ، وتلبس في الرأس .

(٦) الكمي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

قافية الدال

(٣٣١)

وقال من أبيات تقدّمت^(١) :

ولكنني ألقى الحوادثَ وادِعاً بقلبٍ أريبٍ بأسه يتوقّدُ
أبي على عدلِ الزّمانِ وجوره غنيٌّ عن الأعوانِ إن قلَّ مُسعدُ^(٢)
فما هو في خطبٍ وإن راعَ جازعُ مروعٌ ، ولا في حادثٍ متبلدُ^(٣)

(٣٣٢)

وقال من قصيدة تقدّم أولها^(٣) :

يا عجباً من وشكٍ بينَ مارَعَتِ^(٤) فيه مطايانا ولا الحادي حدّاً
نرى الجمالَ المصحباتِ^(٥) بيننا مُهملاتٍ ، والرجالَ بدداً^(٦)
موقفٍ توديعٍ ترى البيضُ به شهباً ، وهابي النّقع ليلاً أسوداً
وللطعانٍ في الكماةِ أعيناً تهيم على السردِ^(٧) نجيعاً مزبداً
فياله من موقفٍ رقيبهِ ككاتبِ الأعداءِ ، والواشي الرّدي
لو لم تكن عادتي الإقدامِ في أمثاله ، قضيتُ فيه كمدّاً
ومنها :

لا تحسبن الرّزءَ أوهى جددي إنّ النّسيمَ لا يفيضُ^(٨) الجلمدأ
وهل يروعُ الخطبُ قلبَ أروعِ إن كلبِ^(٩) الدهرُ عليه أسداً^(١٠)

(٢) المسعد : المعين .

(٤) رغا البعير غواء بالضم : صوت فضح .

(٦) بددا : متفرقة .

(٧) السرد : اسم جامع للدروع . والتجيع : دم الجوف . (٨) الفرض : الكسر بالفتحة . وبالمد : الصخر .

(١٠) أسد : صار كالأسد .

(١) انظر القطعة (١٢٨) صفحة (٦٢) .

(٣) راجع ص ٦٦ .

(٥) أصعب : اتقاد .

(٩) كلب : سفه .

مَتَى رَأَى الشَّامِتُونَ ضَرِعًا لَنَكِيَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقِ الْمُدَى^(١)
هُم يَعْلَمُونَ أَنِّي أَصْلَبُ مِنْ صِمِّ الصَّفَا^(٢)، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا
هَلْ بَزَنِي الْخَطْبُ سِوَى وَفِرَى الَّذِي كَانَ مُبَاحًا لِلنَّوَالِ وَالنَّدَى
إِنْ جَمَعُوا الْمَالَ فَأَوْعَوْا أَتَلَقْتُ يَدِي طَرِيفَ مَا حَوَتْ، وَاتَّلَدَا
هُم يَرُونَ الْمَالَ ذُخْرًا بَاقِيًا وَإِنَّمَا ذُنُرُ الْقَتَى أَنْ يُحَمَّدَا

قافية السين

(٣٣٣)

وقال^(٣) :

سَلِّ بِي كُجَاةَ الْوَعَى فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ^(٤) يَضِيقُ بِالنَّفْسِ فِيهَا صَدْرُ ذِي الْبَاسِ
يَبْتُوكَ بَأْنِي فِي مَضَائِقِهَا نَبْتُ، إِذَا الْخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِيَّ^(٥)
أَخْوَضَهَا كَشَهَابِ الْقَذْفِ، يَصْحَبُنِي عَضْبُ كَبْرِي سَرَى أَوْضُوءِ مِقْبَاسِ^(٦)
إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ قِرْنًا أَنْزَلُهُ أَوْجَاهُ^(٧) عَنْ عَائِدٍ يَغْشَاهُ أَوْ آسِيَّ^(٨)

قافية الطاء

(٣٣٤)

وقال من قصيدة مضي أكثرها^(٩) :

وَلَكِنْ قَضَتْ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَعَادَتْهَا كُفْرُ الْفَضَائِلِ وَالغَمَطُ
حَكِي حَكْمَهَا الْمِيزَانَ، لِأَدْرَدْرِهَا: فَذُو النَّقِصِ يَسْتَعْلِي، وَذُو الْفَضْلِ يَخْطُ

(١) الضرع : الخاضع الذليل المستكين . وعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . والمدي : جمع ندية ، وهي السكنين .
(٢) الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وجرأصم : صلب .
(٣) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ١٩٥ . (٤) في لباب الآداب : " معرك " .
(٥) الجبل .
(٦) العضب : السيف . والمقباس : شعلة ارتعبتس من منظم النار .
(٧) أوجاه : أجمه . وفي لباب الآداب « أوجاه » بمعنى زجره ، ونجاه ، وردده . (٨) الآسي : الطيب .
(٩) راجع ص ٧٨ ، ١٧٤ .

وَعِنْدِي عَلَى مَرَابٍ مِنْ حَدِيثِهَا صَرِيْمَةٌ عَزِيمٌ ، مَالِمًا عَقَلْتُ نَشْطُ^(١)
تُهَوِّنُ عِنْدِي الْخَطْبَ ، وَالْخَطْبُ هَائِلٌ وَتَقْبِضُ عَنِّي كَفَّهُ ، وَلَهَا الْبَسْطُ

قافية الفاء

(٣٣٥)

وقال^(٢) :

إِنْ يَحْسُدُوا فِي السَّلْمِ مَنْزِلَتِي مِنَ الْعَزِيزِ الْمُنِيفِ^(٣)
فِيهَا أَهْيُنُ النَّفْسِ فِي يَوْمِ الْوَعَى بَيْنَ^(٤) الصَّفُوفِ
فَلَطَمًا^(٥) أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْخُتُوفِ^(٦) عَلَى الْخُتُوفِ
بِعَزِيمَةٍ أَمْضَى عَلَى حَدِّ السِّيُوفِ مِنَ السِّيُوفِ

قافية القاف

(٣٣٦)

وقال^(٧) :

قَلْبِي وَصَبْرِي إِفْئَانٌ مُذْ خُلِقْنَا تَقَاسَمًا صَادِقَيْنِ : لَا افْتَرَقَا
(أَمْشَى الْهُوَيْنِي ، وَالْخَطْبُ فِي طَلْبِي يُوَضِّعُ طَوْرًا ، وَتَارَةً عَنَقًا)^(٨)
مَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ أَنْ أَدِلَّ ، وَلَا تَمَلَأُ قَلْبِي أَهْوَالُهُ فَرَقًا^(٩)

(١) حدثان الدهر : نوبه . والصريمة : العزيمة . وعقل : شد البعير بالفعال . والنشط : الحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ولباب الآداب ص ١٨٤ .

(٣) المنيف : العالي المشرف ، (٤) في لباب الآداب « يوم » .

(٥) في الخريدة « ولطامًا » . (٦) اخنفت : الموت .

(٧) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في لباب الآداب ص ٢٠٣ .

(٨) ورد هذا البيت في موضعه هذا في لباب الآداب . ولم يرد في أهل الديوان . وأوضح : أسرع . والعنق :

السير الفسيح . (٩) هذا البيت ساقط في لباب الآداب .

أَحْنُو ضُلُوعِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ^(١) عَلَى فِؤَادٍ لَا يَعْرِفُ الْقَلْقَا
لَا يَزِدْهِهِ^(٢) خَوْفُ الْحِجَامِ ، وَلَا عَهْدُهُ فِي مُلَبَّةٍ خَفَقَا

(٣٣٧)

وقال

قَالُوا تَرَشَّقَتِ اللَّيَالِي مَاءَهُ وَاغْتَالَهَ بَعْدَ النَّمَامِ مَحَاقُ
هُوَ جَمْرَةٌ أَفْنَى الزَّمَانِ لَهِيهَا فَتَضَاءَلَتْ ، وَطَبَأُهَا الْإِحْرَاقُ

قافية اللام

(٣٣٨)

وكتب إليه الملك الصالح^(٣) :

قُلْ لَابِنِ مُنْقِدِ الَّذِي قَدْ حَازَ فِي الْفَضْلِ الْكَمَالَ
فَلَيْدَاكَ قَدْ أَصْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فَضَائِلِهِ^(٤) عِبَالًا
وَقَرِيضُهُ عِنْدَ الظَّمَا يَنْسِيهِمُ الْمَاءُ الزُّرْلَالَ
كَالدَّرِّ وَالْبَاقُوْتِ ، مَا سَكَنَ الْبَحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَ
لَكِنْ يُجَاوِرُ فَيْضَ أَيْمَانٍ ، وَأَحْلَامًا ثِقَالًا :
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُحْرَمَ مِنْهُ لِي السَّحَرُ الْحَلَالَا
كَلَّا ، وَلَا يَشْكُو لِحَمَلِ رَسَائِلِ مَنِي كَلَالَا^(٥)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكَ الْأَشْعَارَ مُسْرَعَةً عِجَالَا

(٢) الازدهاء : الاستخفاف .

في الروضتين : مكرمه .

(١) في لباب الآداب : حادثة .

(٣) النص في الروضتين أيضا : ١١٧ .

(٥) الكلال : الإعياء .

مِثْلَ الحِسانِ الغِيدِ^(١) تَأْتِيهِ هَتْ فِي محاسِنِها دَلالًا
 بِذَلِكَ لَكَ المِنوعَ ، ثُمَّ مَنَحَها مَنكَ اِبْتِداءً^(٢)
 وَصَدَدَتْ عَنيها ، حينَ رَأى مَن مَن محاسِنِكَ الوِصالًا
 ما كانَ مُرِساها ، وَحَقَّقَكَ ، يَسْتَحِقُّ بِها المِلالًا
 هَلَّا بِذَلِكَ لَنا مَقا لًا ، حينَ لَم تَبْذُلْ فَعالًا
 مَعَ اُنْنا نُؤيِّكَ صَبْرًا فِي المودَّةِ واحْتِمالًا
 وَنَبْؤَكَ الأَخْبارَ ، إِنْ أَضَحَّتْ قِصارًا أو طَوالًا
 سارَتْ سَرايا نانا لِقِصْدِ الشَّامِ ، تَعْتَسِفُ الرِّمالًا^(٣)
 تُرْجى إِلى الأعداءِ جُر دَ الخِليلِ اُنْتِباعًا^(٤) تَوالِي
 تَمْضى خِفافًا لُغْنا رِ^(٥) بِها ، وَتَأْتينا ثِقالًا
 حَتَّى لَقَدْ رَامَ الأعا دى مَن دِيارِهِمُ ارْتِحالًا
 وَعلى الوُعيرةِ^(٦) مَعشَرٌ لَم يَعهَدُوا فِيها القِقالًا
 لَمّا نأتِ عَمَّن يُحْفُ بِها يَمِينًا أو شِمالًا
 نَهَضَتْ إِليها خِيانًا مَن مِصرَ مَحْتَمِلُ^(٧) الرِّجالًا
 وَالبيضَ لامِعَةً ، وَيَبِضُّ المِندِ ، وَالأسَلَ النِّمالًا^(٨)
 فَغَدَتْ كَأَنَّ لَم يَعهَدُوا فِي أَرْضِها حِبالًا^(٩)
 هَذا ، وَفى تِلْ العُجُو لِ^(١٠) ، مِلائِنَ بِالقَبلى التِّلالًا

- (١) الفيد : جمع غيداء ، وهي الثنية لنا .
 (٢) الابتغال : ضد الصيانة .
 (٣) اعتسف الطريق : حبط على غير هداية .
 (٤) أتباع : يأتي بعضها خلف بعض .
 (٥) ر : الوعيرة : اسم حصن .
 (٦) المغار : الإغارة .
 (٧) احتمله : حمله .
 (٨) النمال : جمع ناهلة وهي المختلفة إلى المنبل . والأسل : الرماح . والبيض : السيوف .
 (٩) جمع حلة وهي القوم النزول ، وجماعة بيوت الناس .
 (١٠) موضع بالشام .

إِذْ مَرَّ مَرِيٌّ^(١) لَيْسَ يَلْوِي^(٢) نَحْوَ رُفْقَتِهِ اسْتِغْلَالًا
وَاسْتِنَاقَ عَسْكَرُنَا لَهُ أَهْلًا يُجِبُّهُمْ وَمَالًا
وَسَرِيَّةَ ابْنِ فُرَيْحِ الطَّا نِي طَالَ بِهَا وَصَلَا
سَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَلِيلِ ، فَلَمْ تَدْعَ فِيهَا خِلَالًا^(٣)
فَلَوْ أَنَّ نُورَ الدِّينِ يَجِيءُ عَلٰى فَعَانَا فِيهِمْ مِثْلًا
وَيُسِيرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَمَا يُنَازِلُهُمْ^(٤) نَزَالًا
وَيَنِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوْ لَنَّهُ بِمَا قَدْ كَانَ قَالَا
لِرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طُرًّا فِي مَعَاقِلِهَا اعْتِقَالًا
وَتَجَهَّزُوا لِلسَّيْرِ نَحْوَ الْغَرْبِ أَوْ قَصَدُوا الشَّمَالَ
وَإِذَا أَبِي إِلَّا اطَّرَاحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالًا
عُنْدَنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى

فأجابه :

يَا أَشْرَفَ الْوُزَرَءِ أَخْلَاقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَعَالَا
وَأَعَزَّهُمْ جَارًا ، وَأَمَّ نَعْمَهُمْ حِمِي ، وَأَجَلَّ آلَا
وَأَعَمَّهُمْ جُودًا ، إِذَا جَادُوا ، وَأَكْثَرَهُمْ نَوَالَا
فَلِذَلِكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى مَكَارِمِهِ عِيَالَا
وَحِمَى الْبِلَادَ بِسَيْفِهِ عَنِ أَنْ تُدَالَ^(٥) ، وَأَنْ تُدَالَ
وَأَحَلَّ بِالْإِفْرَنْجِ فِي بَرِّ ، وَفِي بَحْرِ نِكَالًا^(٦)

(١) مري : أحد ملوك الفرنج الصليبيين .

(٢) يلوي : ينتظر .

(٣) الخلال : جمع خل بالفتح ، وهو الطريق . (٤) هذه رواية الروضتين . وفي الأصل : تنازلهم .

(٥) أذاته : أمته . والدولة : انقلاب الزمان . وأداله . أى جعل الزمان يتقلب به .

(٦) النكال ما نكلت به غيرك بأن تصنع ما تحذره به .

حَتَّى لَقَدْ سَمِعُوا لِقَاءَ جِيوشِ مِصْرٍ وَالْقِتَالَآ
نَبَّهَتْ عَبْدًا طَالِمًا نَبِيَّتَهُ^(١) قَدْرًا وَحَالًا
وَعَدَّتْهُ ، فَأَنْتَلَتْهُ شَرْفًا وَمَجْدًا لِنِ يُنَالَا
وَكِسْوَتَهُ شَرْفًا ، إِذَا مَا طَاوَلْتَهُ الشُّهْبُ طَالِمًا^(٢)
لَكِنَّ ذَاكَ الْعَنْبَ يُسْعَلُ فِي جَوَانِحِهِ اشْتِعَالًا
أَسْفًا بِلِحْدِ مَالٍ عَنْهُ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، وَمَالًا
وَحِمَاهُ ، وَهُوَ الْحَائِمُ الظَّمَانُ ، أَنْ يَرِدَ الزُّلَالَا
وَأَجَرَ مَقُولَهُ^(٣) فَصَرَ نَ الْحَادِثَاتُ لَهُ عَقَالَا
فَلَوْ اسْتَطَاعَ السَّمْعَى ، وَهُوَ الْفَرُضُ ، لَمْ يَرْضَ الْمَقَالَا
لَكِنَّهَا الْأَيَامُ تُوسِعُنَا مَطَالَا وَاعْتِلَالَا
وَتُسَوِّفُ الرَّابِحَى ، وَتُو رَدُّ ذَا الصَّدَى الظَّمَانُ آلَا^(٤)
وَالدَّهْرُ لَا يَنْفِكُ يَبْرَى ، أَوْ يَرِيشُ لَنَا النَّبَالَا^(٥)
وَيَصِدُنَا عَمَّا نَحْنَا وَلَهُ جِهَارًا وَاغْتِيَالَا^(٦)
وَإِذَا حَمِدْنَاهُ عَلَى حَالِ تَنْكَرٍ وَاسْتِحَالَا^(٧)
وَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَاثَرَتْ فِينَا الرَّمَالَا
بِالصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي جَمَعَ الْمَهَابَةَ وَالْجِهْلَالَا
مَلِكٌ إِذَا زُغِنَا أَقَالَ ، وَإِنْ سَأَلْنَاهُ أَنَا لَا
فِيْبِيحُ جَاهِلِنَا وَسَائِلِنَا نَوَالَا وَاحْتِمَالَا
فَالِيهِ مَعْدَرَةٌ الْمُقْصِرِ ، مِنْ إِسَاءَتِهِ اسْتِقَالَا

(١) نَبَّهَتْ بِاسْمِهِ : تَوَه .
(٢) طَاوَلْتَهُ : كُنْتُ أَطُولُ مَعَهُ .
(٣) أَجَرَ مَقُولَهُ : شَقَّ لِسَانَهُ .
(٤) الصَّدَى : الْعَطَشُ . وَالْآلُ : السَّرَابُ .
(٥) يَرِيشُ : يَنْحَثُ . وَرَاشَ عَلَيْهِ الرِّيشُ : وَالنَّبَالُ : الدِّهَامُ .
(٦) اغْتَالَهُ : أَهْلَكَهُ .
(٧) اسْتِحَالَا : تَحَوَّلَ وَتَغَيَّرَ .

وبفضلِ مَالِكِ تَعَوَّ ذَا أَنْ يَظُنَّ بِهِ الْمَلَلَا
 أَوْ أَنَّهُ يَشْكُو الْكَلَالَا ، لَسَمِعَهُ السُّحْرَا الْحَلَالَا
 وَهُوَ النَّهْوُ بِمَا تَحَمَّلَهُ ، وَلَوْ حَمَلَ الْجَبَالَا
 أَمَّا السَّرَايَا حِينَ تَرَجُّعُ بَعْدَ خِطْفِهَا نِقَالَا
 فَكَذَلِكَ عَادَ وَفُودُ بَابِكِ مُثْقَلِينَ نَسَا^(١) وَمَالَا
 وَمَسِيرُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ تَبْتَغِي فِيهَا الْمَجَالَا
 فَكَذَلِكَ فَضْلُكَ مِثْلُ عَدَلِكَ فِي الدُّنْيَا سَارَا وَجَالَا
 فَاسْلَمْنَا ، حَتَّى نَرَى لَكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا مِثَالَا
 وَأَشَدُّ يَدِيكَ بَوْدَ نُورِ الدِّينِ ، وَالْقَبْ بِي الرِّجَالَا
 فَهُوَ الْمُحَامِي عَنْ بِلَادِ الشَّامِ جَمْعًا أَنْ تَذَالَا^(٢)
 وَمِيبِدُ أَمْلَاكِ الْفَرَنْجِ وَجَمْعُهُمْ حَالًا فَحَالَا
 مِلكُ يَتِيهِ الدَّهْرُ وَالذُّنْيَا بِبَوْلَتِهِ اخْتِيَالَا
 جَمْعُ الْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَدْعُ مِنْهَا خِلَالَا
 فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّالِرِ يَنْ رَأَتْ عِيُونُهُمْ ، الْكَمَالَا
 فِقِيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ حِمِي ، وَلِلدُّنْيَا جَمَالَا

وكتب إليه الملك الصالح من قصيدة تقدم أولها^(٣)

ذَا كَرِيْنَ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالْصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيلُ
 لَمْ يَزَلْ فَعَلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهُوَ لِيَا شَاءَ فِي الْأَنْامِ فَعُولُ

(١) التنا : ما أخبرت به عن الرجل . وتنا الحديث : حدث به وأشاعه .

(٢) أذاله : أهانه . (٣) انظر صفحة ١٤٠ .

جاءنا بعد ما ذكرناه في كُتُبِ أُنَا كُمْ بِهِنَّ مَنَا الرُّسُولُ
أَنَّ بَعْضَ الْأَسْطُولِ نَالَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ مَا لَا يَنَالُهُ التَّامِيلُ
سَارَ فِي قَلَّةٍ، وَمَا زَالَ بِاللَّهِ، وَصَدَقَ النِّيَاتِ يَنْبِي الْقَلِيلُ
وَبَقَايَا الْأَسْطُولِ لَيْسَ لَهُ بَعْدُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ وَوُصُولُ
خَوِي مِنْ عَمَّا وَأَنْظَرُ طُوسَ عَدَّةً لَمْ يُحِطْ بِهَا التَّحْصِيلُ
جَمَعَ دِيوِيَّةً^(١) بِهِمْ كَانَتْ الْإِفْرَنْجُ تَسْطُو عَلَى الْوَرَى وَتَصُولُ
قَيْدَ فِي وَسْطِهِمْ مَقْدَمُهُمْ، يَهْدَى إِلَيْنَا، وَجِيْدُهُ مَغْلُولُ
بَعْدَ مَتَوَى جَمَاعَةٍ هَلَكْتَ بِالسَّيْفِ، مِنْهَا الْغَرِيقُ وَالْمَقْتُولُ
هَذِهِ نِعْمَةٌ الْإِلَهِ وَتَعْدِيدُ أَيَادِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ
فَالْبَغْزُ قَوْلُنَا إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ، فَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
قُلْ لَهُ: كَمْ تُمَاطِلُ الدِّينَ فِي الْكُفَّارِ، فَاحْذَرُ أَنْ يَغْضَبَ الْمَطُولُ
سِرِّي الْقُدْسِ، وَاحْتَسِبْ ذَلِكَ فِي اللَّهِ، فَالْبَسِيرِ مِنْكَ يُشَقِّ الْغَلِيلُ
وَإِذَا مَا أَبْطَأَ مَسِيرُكَ فَاللَّهُ إِذْنَ حَسْبُنَا، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣٣٩)

وقال^(٣).

بُجْهِلٌ فِي الْإِقْدَامِ رَأْيِي مَعَاشِرٌ^(٤) أَرَاهُمْ إِذَا فَرَّوْا مِنْ الْمَوْتِ أَجْهَلًا
أَبْرَجُوا الْفَتَى عِنْدَ انْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَإِنْ فَرَّعَنْ وَرَدَ الْمَنِيَّةَ مَرْحَلًا^(٥)

(١) أنظر طوس : بلد ساحل بالشام . (٢) الديوية : لقب لطافة من الصليبيين .

(٣) ذكر أسامة هذه الأبيات أيضا في باب الآداب صفحة ٢٢٥ .

(٤) في أصل الديوان « رأى معاشر » بالإضافة والتصويب للأستاذ الشيخ أحمد شاكر في باب الآداب .

(٥) زحل عن مكانه كنع : زال .

إِذَا أَنَا هَبْتُ الْمَوْتَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى^(١) فَلَا وَجَدْتُ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ مَوْتًا^(٢)
 وَإِنِّي إِذَا نَازَلْتُ كَبِشَ^(٣) كَتَيْبَةً فَلَسْتُ أَبَالِي أَيُّنَا مَاتَ أَوْلًا

(٣٤٠)

وقال :

قُلْ لِلخَطُوبِ : إِلَيْكَ عَنِّي ، إِنْ لِي فِي الخَطْبِ عَزْمًا مِثْلَ حَدِّ المُنْصَلِ^(٤)
 لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ مِنْ نَكْبَةٍ طَرَقَتْ ، وَلَا يَعْيَا^(٥) بِأَمْرِ مُشْكِلي
 يَلْقَى الخَطُوبَ ، إِذَا دَجَّتْ أَهْوَاهُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَضْمَحَلَّ وَتَجْجَلِي
 تَجَابُ^(٦) عَنْه الحَادِثَاتُ إِذَا عَرَتْ عَن قَلْبِ ثَبِتِ العَزَائِمِ حَوْلَ^(٧)
 قَدْ جَرَّبَ الأَيَّامَ حَتَّى خَلَّتْهُ يُبْدِي لَهُ المَاضِيَ خَفِيَّ المُقْبَلِ

قافية الميم

(٣٤١)

وقال :

إِذَا ضَاقَ بِالخَطَى^(٨) مُعْتَرِكُ الْوَعَى وَهَالَ الرَّدَى وَقَعُ الظُّبَا^(٩) فِي الجَمَاجِمِ
 سَلَّ الْمَوْتَ عَنِّي ، فَهُوَ يَشْهَدُ أَنِّي عَلَى خَوْضِهِ فِي الحَرْبِ ثَبِتُ العَزَائِمِ

(٣٤٢)

وقال :

مُعِينِ الدِّينِ ، كَمْ لَكَ طَوْقٌ مِنْ بِيحْدِي ، مِثْلَ أَطْوَاقِ الحَمَامِ
 تَعْبَدُنِي لَكَ الإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الإِحْسَانِ رَقٌّ لِلكَرَامِ

- (١) حومة الوعى : أشد موضع فيه . والوعى : الحرب . (٢) الموتل : اللعاب .
 (٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم . (٤) المنصل بضمين وككرم : السيف .
 (٥) عي بالأمر : لم يبتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطق إحكامه .
 (٦) اتجأب : انكشف . وعرا : غشى . (٧) حول قلب : بحال بصير بتقلب الأمور .
 (٨) الخطى : الريح . (٩) الظبا : جمع ظابة ، وهي حد سيف أو سنان أو نحوه .



فصارَ إلى مودَّتِكَ انتسابي على أتى العِظَامِي العِصَامِي^(١)
 ألمَ تَعَلَّمْ بَأَنِي لِأَثْمَانِي إِلَيْكَ رَمَى سَوَادِي^(٢) كُلُّ رَامٍ
 وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُصْحَبْ^(٣) شِمَائِي لِقَسْرٍ^(٤) دُونَ إِعْذَارِ^(٥) الْحُسَامِ
 وَلَكِنْ خَفْتُ مِنْ نَارِ الْأَعَادِي عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِطْفَاءَ الضَّرَامِ^(٦)

(٣٤٣)

وكتب إليه الملك الصالح :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى الْعَزَائِمُ وَتُمْضَى لَدَى الْحَرْبِ السِّيُوفُ الصَّوَارِمُ
 وَتُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طُودِ عِزِّهِمْ وَتُغْزَى جِيُوشُ الْكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا
 وَيُوفَى الْكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِنَذْرِهِمْ وَتَنْزَنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ، فَمَا
 بَعَثْنَا مِنْ مِصْرٍ إِلَى الشَّامِ، قَاطِعًا وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْجِفَارِ^(٩) إِذَا التَّظَى
 وَصَارَتْ عُيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(١٢) فَمَا هَالَهُ بَعْدَ الدِّيَارِ، وَلَا نَنَى
 يَهْجُرُ^(١٤) وَالْعَصْفُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهِ وَتَمْضَى لَدَى الْحَرْبِ السِّيُوفُ الصَّوَارِمُ
 وَلَيْسَ سِوَى سُمْرِ الرِّمَاحِ سَلَامٌ وَيُوطَأُ حِمَاهَا، وَالْأَنْوْفُ رَوَاغِمُ
 وَإِنْ بُدِلَتْ فِيهِ النَّفُوسُ الْكَرَائِمُ مَضَى نِصْفُهُ، حَتَّى أَنْتَنَى وَهُوَ غَائِمُ
 مِفَاوِزٍ^(٧) وَخَدَّ الْعَيْسِ^(٨) فَيَهِنُ دَائِمُ بِجَنْبِيهِ مَشْبُوبٌ^(١٠) مِنَ الْقَيْظِ جَاحِمٌ^(١١)
 إِذَا مَا أَتَاهَا الْعَسْكَرُ الْمُتَزَاكِمُ عَزِيمَتَهُ جَهْدُ الظَّمَا وَالسَّيِّئِمْ^(١٣)
 وَيَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ، وَالنَّجْمُ نَائِمٌ

(١) عظامي عصامي : شريف المنصب والنفوس . (٢) السواد : الشخص . (٣) أصعب : أقاد .
 وشمس الشمس : استعصى على راكمه . (٤) القسر : القهر . (٥) أعذر : أنصف . (٦) أضرم النار : ألهبها .
 (٧) المفاوز : جمع مفازة وهي الفتاة لا ماء بها . (٨) العيس : الإبل البيض يحاطل بياضها شقرة . والوخد :
 الإسراع . (٩) الجفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رخ كلها رمال بيض . (١٠) من شبت النار :
 أخذت . والتظى : تلب . (١١) الجاحم : الجحيم . (١٢) عز الشيء : قل . (١٣) السوم : الرجح
 الحارة تكون غالباً بالتار ، اجمع سائمه . (١٤) هجر : سار في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .



إذا ما طوى الرايات وقت مسيره
تبارى خيولاً ما تزال كأنها
فإن طلبت قصداً تساوين سرعةً
هي الدَّهْمُ^(٣) ألواناً وصبغ عجاذة
تصاحبها علماً بأن سوف نغتدى
كما أن وحش الفقر ما زال منهم
خيولاً إذا ما فارقت مصر تبغى
يسير بها ضرغام^(٥) في كل مازق
ورفقتُه عين الزمان ، وحاتم
مضى طاهر الأثواب من كل ريبة
هنيئاً له يسقى الرحيق^(٩) ، إذا غدت
ولو أننا نبكى على فقد هالك
ولكننا بعنا الإله نفوسنا
تهون علينا أن تُصاب نفوسنا
وما خام^(١٠) إذ لاقى همام وصنوه
وبرقية^(١٢) شاموا السيوف فلم يعش

غدت عوضاً منها الطيور الحوائم
إذا ما هي انقضت نُسور قشاع^(١)
قوادمها^(٢) في جوها والقوائم
فإن طلبت أعداءها فالأداهم
بها ، وهما في الكافرين مطاعم
مدى الدهر أعراس لهم وولائم
عداء ، فلها النصر المين ملازم
وما يصحب الضرغام إلا الضرغام^(٦)
ويحي^(٧) ، وإن لاقى الميتة ، حاتم
شهيداً ، كما تمضى السراة^(٨) الأكارم
تُحييه في الخلد الحسان النواعم
لقلت له منّا الدموع السواجم
ورحناً ، وما منّا على البيع نادم
إذا لم تُصبنا في الحياة الماتم
عشية أصوات الرجال همهم^(١١)
لبارقتها في ساحة الشام شامم

- (١) القشع : المن من التسود والضمخ .
(٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح .
(٣) الدَّهْمُ : جمع دهما ، وهي السوداء .
(٤) الأداهم : القيود .
(٥) ضرغام : قائد مصري آلت إليه الوزارة في أيام العاضد الفاطمي .
(٦) الضرغام : جمع ضرغام : الأسد .
(٧) أسماء قواد ثلاثة .
(٨) السراة : السادة .
(٩) الرحيق : الخمر ، أو أطيبها .
(١٠) خام عنه يخيم : تكس وجين .
(١١) المهمة : الكلام المنفي وتردد الزئير في الصدر من الألم وكل صوت مبهج .
(١٢) برقية : طائفة من الجيش المصري قدم أصولهم من برقة .

وأفناء^(١) جُندٍ لو تَوَجَّهَ جمعهم
 وجمعُ ممالكٍ بأفعالنا اقتَدُوا
 وسننيس^(٢) قد شادُوا المعالي بفعلهم
 وتعلبة^(٣) أضحوا بنا قد تأسدُوا^(٤)
 وإن جُداماً^(٥) لم يزل قطُّ منهم
 جيوشُ أفدناها اعتزماً ونجدةً
 إذا ما أثارُوا النقعَ ، فالغُرُ عابسُ
 ولما وطوا أرضَ الشامِ تحالفت
 وواجههم جمعُ الفرنجِ بجملةٍ
 فلقوهم زُرُقَ الأسنَةِ ، وانطووا
 وما زالتِ الحربُ العوانُ^(٦) أشدَّها
 يُسبِّههم من لآح جمعهم له
 وحسبك أن لم يبق في القومِ فارسُ
 وعادُوا إلى سِلِّ السيوفِ ، فقطعت
 فلم ينجُ منهم يومذاك مخبرٌ
 كذلك ما ينفكُ تُهدى إلى العدا
 وتَسرى لهم آراؤنا وجيوشنا

لرومية جالت عليها المقاسمُ
 فكأهمُ بالطعنِ والضربِ عالمُ
 وليس لهمُ إلا العوالى^(٣) دعائمُ
 فما لهمُ في المشركينِ مِقَاقِمُ
 قديماً لحبلِ الكُفْرِ بالشامِ جاذمُ^(٥)
 فطائنا منهم ، ومنَّ العزائمُ
 وإن جردُوا الأسيافَ فالغُرُ باسمُ
 فأضحت جميعاً عربها والأعاجمُ
 تهونُ على الشجعانِ منها الهزائمُ
 عليهم ، فلم ينجُم من الكُفْرِ نَاجِمُ^(٦)
 إذا ما تلاقى العسكرُ المتصادمُ
 بلجةً بحرٍ موجها متلاطمُ
 من الجيشِ إلا وهو للرمحِ حاطِمُ^(٨)
 رعوسُ ، وحزت للفرنجِ غلاصِمُ^(٩)
 ولا قيلَ : هذا وحده اليومَ سالمُ
 وللوحشِ أعراسُ لهم ومآتمُ
 بدهيةٍ تبيضُ منها المقادِمُ^(١٠)

(١) الأفناء من الناس : الأخطا .
 (٢) العوالى : أعلى الرماح .
 (٣) جذمه : قطعه . (٦) نعم : ظور .
 (٤) أسد كفرح : صار كالأسد .
 (٥) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة .
 (٦) الحطم : الكسر . (٩) التلصص : اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم .
 (٧) مقدم العين كحسن ومعظم : ما يلي الأنف ، ومن الوجه ما استقبلت منه .



فَتَلَّهُمْ بِالرَّأْيِ طَوْرًا ، وَتَارَةً
 وَمَا الْعَازِمُ الْمُحْمَدُ إِلَّا الَّذِي يُرَى
 وَقَدْ غَرَّقَ الْكُفَّارَ مِنْهُ بِقَطْرَةٍ
 فَكَيْفَ إِذَا سَأَلْتَ عَلَيْهِمْ سُيُولُنَا
 وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ لِلشَّرْكِ هَازِمٌ
 فَقُولُوا لِنُورِ الدِّينِ ، لَا قُلْ حُدَّهُ
 تَجَهَّزْ لِي ، أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَا تَهِنْ
 فَمَا مِثْلُهَا تُبَدِي أَحْتَفَالًا بِهِ ، وَلَا
 فَعِنْدَكَ مِنْ أَلْطَافِ رَبِّكَ مَا بِهِ
 أَعَادَكَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ زَعَمَ الْوَرَى
 بِوَقْتِ أَصَابِ الْأَرْضِ مَا قَدِ أَصَابَهَا
 وَخِيَمَ جَيْشُ الْكُفْرِ فِي أَرْضِ شَيْزِرٍ
 وَقَدْ كَانَ تَارِيحُ الشَّامِ وَهَلَكُهُ
 فَقُمْ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضِهِ
 فَتَحْنُ عَلَى مَا قَدِ عَهَدْتَ : زَوْعُهُمْ
 وَغَارَاتُنَا لَيْسَتْ تَقْتَرُ^(٦) عَنْهُمْ
 وَأَسْطُولُنَا أَضْعَافُ مَا كَانَ سَائِرًا
 تَدُوسُهُمْ مِنَ الْمَذَاكِي الصَّلَادِمِ^(١)
 مَعَ الْعَزْمِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ حَازِمٌ
 سَحَابُ انْتِقَامٍ عِنْدَنَا مُتْرَاكِمٌ
 وَجَاسَتْ لَنَا تِلْكَ الْبَعَارُ الْخَضَارِمُ^(٢)
 وَلَكِنَّا الْإِيمَانُ لِلْكَفْرِ هَادِمٌ
 وَلَا حَكَمْتَ فِيهِ اللَّيَالِي الْغَوَاشِمُ :^(٣)
 وَتُظْهِرُ قُتُورًا أَنْ مَضَتْ مِنْكَ حَارِمٌ^(٤)
 تُعْضُّ عَلَيْهَا لِلْمَلُوكِ الْأَبَاهِمِ^(٥)
 عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُ لَكَ رَاحِمٌ
 بِأَنَّكَ قَدْ لَا قَيْتَ مَا اللَّهُ حَاتِمٌ
 وَحَلَّتْ بِهَا تِلْكَ السَّوَاهِي الْعِظَائِمُ
 فَسِيقَتْ سَبَايَا ، وَاسْتَحَلَّتْ مَحَارِمُ
 وَمَنْ يَحْتَوِيهِ أَنَّهُ لَكَ عَادِمٌ
 إِلَيْهِمْ ، فَشَكَرُ اللَّهَ لِلخَلْقِ لِأَزِمُ
 وَنَحْلِفُ جَهْدًا أَنَّنَا لَا نُسَالِمُ
 وَلَيْسَ يُجِبِّي الْقَوْمَ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
 إِلَيْهِمْ فَلَا حِصْنٌ لَهُمْ مِنْهُ عَاصِمُ

(١) الصلادم كزبرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . والمذاك من الخيل : ما أتى عليها بعد قرحها سنة أو سنتان .

(٢) الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شيء . (٣) الغشم : الظلم .

(٤) حارم : مدينة بالشام . (٥) الأباهم : جمع إيهام بالكسر (وهذا تناية عن الدم) .

(٦) تقتر : تنقطع وتضغف



وَنَرَجُو بَانَ نَجْتَاَحَ^(١) بِأَقْبِهِمْ بِهِ
عَلَى أَتْنَا نَلْنَا مِنْ الْمَجْدِ مَا بِهِ
وَلَكِنَّا نَبِغِي الْمُتُوبَةَ جَهْدَنَا
وَنَحْتَمُّ بِالْحُسْنَى الْفَعَالَ، وَإِنَّمَا
فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةَ :

لَكَ الْفَضْلُ مِنْ دُونَ الْوَرَى وَالْمَكَارِمُ
وَصَلَّتْ، فَأَغْنَيْتِ الْأَنَامَ عَنِ الْحَيَا
وَجُدْتَ عَلَى بُحْلِ الزَّمَانِ، فَأَيْنَ مِنْ
تَكْفَلْتَ لِلْإِسْلَامِ أَنْكَ مَانِعٌ
فَأَصْبَحْتَ تَرَعَى سِرْحَهُ بِصَرِيمَةٍ^(٤)
وَأَيْدَتَهُ بِالْعَدْلِ، وَالْبَدَلِ، وَالتَّقَى
فَعَدَلُ مُزِيلٌ كُلَّ ظُلْمٍ وَجُودُهُ
رَمَيْتِ الْعِدَا بِالْأَسَدِ فِي أَجْمِ الْقَنَا
بِمَثَلِ أَيْ^(٧) السَّيْلِ، ضَاقَ بِهِ الْفَضَا
يُبَارِينَ شُهَبَ الْقَذْفِ يَحْمِلُنْ مِثْلَهَا
سَرَايَا كَمَوْجِ الْبَحْرِ، فِي لَيْلِ عَشِيرٍ^(٩)
تَسِيرُ جِيُوشُ الطَّيْرِ فَوْقَ جِيُوشِهَا

فَمَنْ حَاتِمٌ، مَا نَالَ ذَا الْفَخْرِ حَاتِمٌ
وَصُلَّتْ، نَغَافَتْ مِنْ سَطَاكِ الصَّوَارِمِ
نَدَاكَ [السُّكُوبِ]^(٢) [الْمُسْتَهْلِ]^(٣) الْعَنَامِ
حِمَاهُ، مَبِيحٌ مَا حَمَى الْكُفْرَ هَادِمٌ
مِنَ الْعَزْمِ، لَمْ تَبْلُغْ مَدَاهَا الْعَزَائِمُ
وَضَرِبَ الطَّلِي^(٥)، وَالصَّالِحَاتُ دَعَائِمُ
وَجُودٌ مُذِيلٌ^(٦) مَا تَصُونُ الْخَوَاتِمُ
عَلَى الْجُرْدِ، تَقْتَادُ الرَّدَى وَهُوَ رَاغِمٌ
وَضَاقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُ الْمُخَارِمُ^(٨)
مِنَ الْخَتْفِ، لِلْبَاغِي الرَّجِيمِ رَوَاجِمُ
بِهِ مِنْ عَوَالِيهِمْ^(١٠) نَجْمُومٌ نَوَاجِمُ
لَهَا كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عِدَاهَا وَلَا تَمُّ

(١) الاجتياح : الإهلاك والاستئصال .
(٢) سقط بالأصل ولعله [السكوب] أو كلمة على وزنها ومعناها . (٣) استهل المطر : اشتد انصابه .
(٤) من صرم السيف : احتد . (٥) الطل بالضمعة : الأعناق . (٦) أذله : أهته .
(٧) الأتى : السبل يأتي من موضع بعيد . (٨) المخارم : الطرقة . (٩) العشير : التراب .
(١٠) العوال : جمع عالية وهي أعلى القناة ، أو رأسه ، أو النصف الذي على السنان .



فَإِنْ خَفَضَ الْفُرْسَانُ لِلطَّعْنِ فِي الْوَعْيِ
تَعَرَّضَ مِنْهَا فَوْقَ (غَزَّةٍ) عَارِضٌ
فَلانْتَقِعَ سُبْبٌ ، وَالسِّيُوفُ بَوَارِقُ
بَوَارِقُ مِنْهَا الْغَوْتُ ، لَا الْغَيْثُ ، يُرْتَجَى
فَلَيْسَ لِرَاجٍ غَيْرَ عَفْوِكَ مَلْجَأٌ
تَزَهَتْ عَنْ أَمْوَالٍ مَنْ أَنْتَ قَاتِلٌ
فَنَهَبَكَ أَرْوَاحٌ تَنْفُلُهَا^(٤) الطُّبَا
فَلَا مَوْرِدٌ إِلَّا يُمَارِجُهُ دَمٌ
فَسَيْفِكَ لِلنَّصِيمِ الْمَعَانِدِ خَاصِمٌ
خَلَطْتَ السُّطَا بِالْعَدَلِ ، حَتَّى تَأَلَّفَتْ
يَسُنُّ أَبُو الْغَارَاتِ غَارَاتِ جُودِهِ
وَيَبْعُثُهَا شُعَثَ النَّوَاصِي^(٥) ، كَانَتْهَا
تُلْطُ^(٦) بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ ، كَانَتْهَا
فَوَيْجِ الْعَدَا مِنْ بَأْسِهَا ، إِنْ مَاسَرَى
فَهُمْ جَزْرٌ^(٧) لِلْبَيْضِ ، وَالْبَيْضُ كَالْدَمِ
غَزَوْتَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
فَأَفْنَيْتَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا بِأَسْرِهِمْ
فَلَمَّا أَبَادْتَهُمْ سِيُوفَكَ ، وَانْجَلَتْ

رِمَاحَهُمْ انْقَضَتْ عَلَيْهَا الْقَشَاعِمُ^(٨)
سَحَابُ الْمَنِيَا فَوْقَهُ مُتْرَاكِمٌ
وَاللِّدْمُ وَنَبْلٌ ، وَالنَّبَاتُ بِجَمَاجِمِ
أَشَانِمِ^(٩) ، لَا يَرَوِي بِهَا الْدَهْرُ شَانِمِ^(١٠)
وَلَيْسَ لِعَاصٍ لَمْ يُنَبِّ ، مِنْكَ عَادِمٌ
فَقَدْ جُهَلَتْ بَيْنَ الْجَيُوشِ الْمُقَاسِمِ
وَسُمُرِ الْعَوَالِي ، وَالْبِلَادُ مَغَانِمِ
وَلَا مَرْتَعٌ إِلَّا رَعْتَهُ الْمُنَاسِمِ^(١١)
وَعَدْلُكَ لِلشُّكُوى وَلِلْجُورِ شَانِمِ^(١٢)
أَسْوَدُ الشَّرَى وَالْمُطْفَلَاتُ الرَّوَانِمِ^(١٣)
عَلَى مَالِهِ ، وَهُوَ الْمَطْبِيعُ الْمُسَالِمُ
ذَابُ الْفَلَا تُرْدِي ، عَلَيْهَا الضَّرَاعِمُ
صَوَادٍ إِلَى وَرْدٍ ، حَوَانٍ^(١٤) حَوَانِمِ
إِلَيْهَا ، وَلَمْ تَسْعُرْ ، رَدِي وَأَدَاهِمِ^(١٥)
سَبَايَا تُهَادِي ، وَالْبِلَادُ مَعَالِمُ
وَجَفَلُهُمْ فِي أَرْضِهَا مُتْرَاحِمُ
فَنَاجِيَهُمْ مُسْتَسْلِمٌ أَوْ مُسَالِمُ
عَنِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ وَمُظَالِمُ

(١) القشاعم: السور. (٢) الأشانم: ضد الأيا من. (٣) من شام البرق: نفاذ إليه أين يقصد وأين يحطر.
(٤) نقله: أعطاه إياه. (٥) المناسم: جمع منسم كجلس: خف البعير. (٦) خصمه: غلبه. وشاكم: للمعلم.
(٧) المطفلات الروانم: يريد بن الطبا. (٨) النواصي: جمع ناصية وهي قصاص الشعر. واتشعث: تلبد الشعر.
(٩) اللظ: اللوم والإلحاح. (١٠) من حتى ظفروه: عطفه. والحوانم: جمع حاتم، وهو العطنان.
(١١) الأدام: القيود. (١٢) الجمر: جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة.
(١٣) الروانم: جمع رواجم. (١٤) حوان: حوانم. (١٥) أداهم: أدهمهم.

غزوتهم في البحر ، حتى كأنما الأساطيل فيه موجه المتلاطم
بفرسان بحر ، فوق دهم^(١) ، كأنها على الماء طير ، ما هن قوادم^(٢)
يصرّفها فرسانها بأعنة جرت ، حيث لم توصل بين الشكائم^(٣)
إذا دفعوها قلت فرسان غارة سراً بجياد ، ما هن قوائم
يسوق أساطيل الفرنج اليهم حمام ، وطير للفرنج أشائم
دماؤهم في البحر حمر سوائح وهامهم في البر سم^(٤) جوائم
فلم يخف في فجع من الأرض هارب ولم ينج في بلج من الماء عائم
وعاد الأسارى مردفين^(٥) ، وسفنهم ثقاد ، كما قاد المهاري الخزانم^(٦)
وقد شمر الملكان في الله ، طالبي بجد ، هو العضب الحسام ، وحده
وقاماً بنصر الدين ، والله قائم بنصرهما ، مادام للسيف قائم^(٧)
وما دون أن يفنى الفرج ، وتفتح البلاد ، سوى أن يمضي العزم عازم
فيا ملكاً ، قد أحمد الله سعيه ونيتة ، والله بالسر عالم
تن ثناء ، طبق الأرض نشره هو المسك ، لا ما ضمته اللطائم^(٨)
ثناء به يحدو الحدأة ، وينشد الرواة ، وتسدو في الفصون الحمام
يسير مع الركب ، أتى تيمموا على أنه في ساحة الحي هاجم^(٩)
أمير الجيوش ، اسمع مقالة بأعج بشرك ، يبدي مثل ما هو كاتم

(١) يريد السفن السود . (٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . (٣) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي في الحمام : الحديدة المعترضة في فم القوس . (٤) سم : جمع أسعم ، وهو الأسود . (٥) من أردت : إذا أركبت حلفك . (٦) الخزانم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في ثقب أنف البير . (٧) قائم السيف : مقبضه . (٨) اللطائم : جمع لطيمة ، وهي وعاء المسك . (٩) من هجم : إذا دخل بغير إذن .



بِفَضْلِكَ آلَىٰ صَادِقًا : إِنَّ فِكْرَهُ
كَانَ بَدِيعِي شِعْرِهِ وَبَيَانِهِ
عَلَىٰ أَنَّهُ كَالصَّمِّ^(١) : صَبْرًا ، وَقَسْوَةً
فَمَا يَعْرِفُ الشُّكُورَىٰ وَلَا يَسْتَكِينُ لِلْخُطُوبِ ، وَلَا تُوْهِى قَوَاهُ الْعِظَامِ
وَلَوْ كَانَ سَحَابًا أَجْرَ لِسَانِهِ^(٢) (أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمَضَى الْعِزَامِ)
هِيَ السَّحْرُ ، لَا مَسَارَ عَنْ أَرْضِ بَابِلَ
فَرِيدَةٌ دَهْرٍ ، لِلْقُلُوبِ تَهَافَّتْ
إِذَا أُشْدَّتْ فِي مَحْفَلٍ قَالَ سَامِعٌ :
وَلَوْلَا رَجَاءُ الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي
وَأَتَىٰ أُمَّتِي النَّفْسَ لَثَمَ بِنَانِهِ
فَقِيهَا مَنَابِئًا لِلْأَعَادِي قَوَاصِمِ
وَحَطَىٰ رِحَالَ الشُّكْرِ عَنِّي بِبَابِهِ
وَيَعْجَبُ مِنِّي النَّاسُ ، حَتَّى يَقُولَ مِنْ
قَضَيْتُ ، لَبُعْدَىٰ عَنْ ذِرَاهُ ، نَدَامَةٌ
أَتَتْكَ ابْنَةُ الْفِكْرِ الْحَسِيرِ^(٣) ، بِوَالِئِهَا
بِمُدْجٍ بَدِيعٍ مِنْ وَلِيِّ مُمَدَّجٍ
تَسْوَمُ^(٤) جَمِيلَ الرَّأْيِ ، لَا الْمَالَ ، إِنَّهُ
تَضَمَّنَ رَوْضًا ، زَهْرُهُ مَدْحُ مَجْدِكَ الْعَلِيِّ ، وَأَوْرَاقُ الْكِتَابِ كَمَا مُمْ
قَدُمْتَ ، وَدَامَتْ هَالَةٌ ، أَنْتَ بَدْرُهَا

(١) الصم : جمع أصم ، يريد به الحجر .

(٢) أجر لسانه : منته من الكلام .

(٣) سام : أراد .

(٤) من حَسِرَ إِذَا أَعْيَا

قافية النون

(٣٤٤)

وقال^(١) :

إِلَيْكَ ، فَمَا تَكُنِي شُهُورُكَ^(٢) شَانِي
وَلَا تُجَزَعِي مِنْ بَعْتَةِ الْبَيْنِ ، وَاصْبِرِي
وَلَا تَحْمِلِي^(٣) هَمَّ اغْتِرَابِي ، فَلَمْ أَزَلْ
وَفِيًّا ، إِذَا مَا حَانَ جَفْنٌ لِنَاطِرِي
فَلَأَسْدٍ غَيْلٌ حَيْثُ حَلَّتْ ، وَإِنَّمَا
وَلَا تَسْأَلِنِي عَنْ زَمَانِي ؛ فَإِنِّي
وَلَكِنْ ، سَلِي عَنِي الزَّمَانَ ، فَإِنَّهُ
رَمَتْنِي اللَّيَالِي بِالْخَطُوبِ جَهَالَةً
فَمَا أَوْهَنْتُ عِظْمِي الرَّزَايَا ، وَلَا لَهَا
وَكَمْ نَكِيَّةٍ ظَنَّ الْعِدَا أَنَّهَا الرَّدَى
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ
وَإِنْ كَانَ دَهْرِي غَالًا^(٤) وَفَرِي فَلَمْ يَغْلُ

وَلَا تَمَلِكِ الْعَيْنُ الْحِسَانَ عِنَانِي
لَعَلَّ التَّنَانِي مُعْتَمَبٌ لَتَدَانِي
غَرِيبَ وَفَاءٍ فِي الْوَرَى وَبَيَانِ
وَلَمْ تَرَعْ كَفُّ صِحْبَةٍ لِنَبَانِ
يَهَابُ التَّنَانِي قَلْبُ كُلِّ جَبَانِ
أُنزِرُهُ عَنْ شِكْوَى الْخَطُوبِ لِسَانِي
يُحَدِّثُ عَنْ صَبْرِي عَلَى الْحَدَثَانِ
بِصَبْرِي عَلَى مَا نَابَنِي^(٥) وَعَرَانِي
بِحُسْنِ اصْطِبَارِي فِي الْمُلَمِّ يَدَانِ
سَمَّتْ بِي ، وَأَعَلَّتْ فِي الْبَرِيَّةِ شَانِي
وَلَا يَمْلَأُ الْهَوْلُ الْخَوْفَ جَنَانِي
ثَنَانِي ، وَلَا ذِكْرِي بِكُلِّ مَكَانِ

(١) رويت هذه القصيدة في تاريخ دمشق لابن عساکر ٥ : ١٧٤ .

(٢) الشنون : الدموع .

(٣) هنا البيت والبيت الذي بعده وردا في ابن عساکر بعد قوله " فلا أسد "

(٤) في ابن عساکر " نالني " .

(٥) غال : أهلك .

وما كَانِ إِلَّا لِلنَّوَالِ وَلِلتَّرَى وَغَوْنًا لِلْمُهْرِفِ ، وَفِدِيَةَ عَانِ^(١)
حُمِدْتُ عَلَى حَالِي يَسَارٍ وَعُسْرَةٍ وَبَرَزْتُ فِي يَوْمِي نَدَى وَطِعَانِ
وَلَمْ أَدْحِرِ لِلدَّهْرِ ، إِنْ نَابَ أَوْ نَبَا^(٢) وَلِلخَطْبِ إِلَّا صَارِي وَسِنَانِي
لَأَنَّ جَمِيلَ الذِّكْرِ يَبْقَى لِأَهْلِهِ وَكُلُّ الذِّي فَوْقَ البَسِيطَةِ فَانِ

قافية الهاء

(٣٤٥)

وقال :

كَمْ تَغُصُّ الأَيَّامُ مِنِّي ، وَتَأْبِي هَمَّتِي أَنْ تَنَالَ مِنِّي مَنَاهَا
أَنَا فِي كِفِّهَا بِكُدُوءِ نَارٍ كَلَّمَا نُكِّسْتَ تَعَالَى سَنَاهَا

(٢) نيا : فح .

(١) العان : الأسير .

باب الأدب

قافية الباء

(٣٤٦)

قال :

لا تجزَعَنَّ نخطبِ فكلُّ دهرِك خطبُ
 وحادثاتُ الليالي مُملَّةٌ ، ما تُغِبُّ
 تروحُ سلماً ، وتغدو على الفتى ، وهي حربُ
 ولا تَضِقْ باصطبارِ ذرعاً ، إذا اشتدَّ كربُ
 فصبرُ يومك مرٌّ وفي غدٍ هو عذبُ
 كم صابرَ الدهرِ قوم فأدرِكُوا ما أحبُّوا
 وكلُّ نارٍ حريقٍ يُحشى لظاها ستخبو

(٣٤٧)

وقال :

أَيْحَسُّبُ دَهْرِي . أَيِّ جَزَعْتُ ، لِمَا غَالَ مِنْ نَشِيٍّ (١) وَاتَّهَبَّ
 فَقَدْ أَخْلَصْتَنِي أَحْدَانُهُ وَبِالنَّارِ يَبْدُو خَلَاصُ الذَّهَبِ
 وَمَا حَطَّيْ أَخْذُهُ مَا اسْتَعَادَ ، وَلَا زَادَنِي رِفْعَةٌ مَا وَهَبُ
 وَمَا لَنَا إِلَّا كَفْوَةُ الشَّهَابِ ، إِذَا نَكَّسُوهُ اعْتَلَى وَالتَّهَبُ (٢)

(١) التَّهَبُ : المال الأصيل .

(٢) عبر عن هذا الخاطر بالبيت السابق ص ٢٢٩ ، وهو :

أما في كعها بكثرة نار كلما نكست تعالى ساهبا

(٣٤٨)

وقال :

لأصبرنَّ لدهرى صبرَ مُحْتَسِبٍ حتى يرى غيرَ ما قد كان يحسبه
وأستميتُ لما تأتي الخطوبُ به ليعلم الخطبُ أتي لستُ أرهبه
إن غالبتني على وفري نوابه فحسنُ صبري في الأواءِ يغلبه^(١)
أو أبعثني عن أهلي وعن وطني فأبعدُ الفرجَ المرجوَّ أقربه
والدهرُ يهدمُ ما بيني ، ويخمدُ ما يورى^(٢) ، ويبعدُ ما يدني تقلبه

(٣٤٩)

وقال من أبيات :

دع ذَا ، فما عذرُ الفتى في غيِّه ، والفودُ^(٣) شائب
والأزيميةُ تمنعُ الكرماءَ أن يغشوا المعائب
والجهلُ يأي أن يكو ن له أخوالستين صاحب

(٣٥٠)

وقال أول قصيدة كتبها إلى الملك الصالح تقدمت^(٤) :

كفَّ عني وإش ، وأغضى رقيبُ ونهاني عن التَّصابي المشيبُ
وأرثني الستونَ نهجي ، وقد كان عفاً ، وهو مهيعُ^(٥) ملحوبُ^(٦)
وانقضتْ شرتي^(٧) ، وشدَّ لي الحلمُ حباً^(٨) ، لا يحلها ما يريبُ

- (١) الوفير : النفي . واللاأواء : الشدة .
(٢) يورى : أوردى اللد : أوهدط .
(٣) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .
(٤) انظر صفحة ص ٧ .
(٥) طويق موهج : بين .
(٦) لحب الطريق : بيته .
(٧) شرتي : نشاطي .
(٨) احتبي بالثوب : اشتغل ، أوجع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والاسم الحبوقة و يضم .

وخبرتُ الأيامَ حتى لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا هُوَ الْخَيْرُ الْأَرِيبُ
وعزيرٌ عَلَى أَنِي وَقَدْ جَرَّ بَتُّ دَهْرِي ، لَمْ يَهْدِنِي التَّجْرِبُ
وإِذَا حُمَّتِ الْمَقَادِيرُ أَخْطَأَ السَّمْرُ فِي الرَّأْيِ ، حَيْثُ كَانَ يُصِيبُ

قافية الحاء

(٣٥١)

وقال (١) :

لَا تُتَكْرَنُ مَرَّ الْعَنَابِ ، فَتَحْتَهُ شَهْدٌ ، جَنَّتَهُ يَدُ الْوِدَادِ النَّاصِحِ
وَتَطَلَّبَ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهِ فَالْدُرُّ يُطَلَّبُ فِي الْأَجَاجِ الْمَالِحِ

(٣٥٢)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا تَخْتَشِي ، أَوْ تَرْجِي تَنْظَرْ بِحُسْنِ سَكِينَةٍ وَنَجَاحِ
أَوْ مَا تَرَى السَّارِينَ لِمَا صَابَرُوا ظَلَمَ السَّرِي أفضوا إلى الإصباح

قافية الحاء

(٣٥٣)

وقال :

زَهَتْ نَفْسِي عَنِ الرِّجَالِ ، وَإِنْ عَلَّتْ بِهِمْ رُبُّ الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَخَّوْا
إِذَا الْمَطَامِعُ قَادَتْني إِلَى طَمَعِ بَزْرِي (٢) ، فَمَاذَا أَفَادَ الشَّيْبُ وَالشَّيْخُ

(١) هذان البيتان مما يرويهما مسالك الأبحار لأمانة ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أزرى : عاب ..

(٣٥٤)

وقال :

سِرْعَن بِلَادِهِمْ فَقَدْ سَمْتَتْ بِهَا عَيْسَى مَحْوَلٌ مُعْرَسِي وَمُنَاخِي^(١)
وَدَعِ الْأَمَانِي ، إِنَّمَا غَرَارَةٌ وَوَعُودُهَا لِلطَّامِعِينَ أَوْانِي^(٢)
مَا عِنْدَهَا لِلوَارِدِينَ سَرَابَهَا غَيْرُ الْمِطَالِ بِمَوْعِدِ مُتْرَانِي

قافية الدال

(٣٥٥)

وقال :

أَنْظُرْ بِعَيْشِكَ ، هَلْ تَرَى أَحَدًا يُلُومُ عَلَى الْمَوْدَةِ
لِتَرَى أَخْلَاءَ الرَّخَاءِ عِدًّا ، إِذَا نَابَتْكَ شِدَّةٌ
وَلِكُلِّ مَا تَأْتِي وَتَمَّوِي إِنْ صَبَرْتَ ، مَدَى وَمُدَّةٌ

(٣٥٦)

وقال :

عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنْ أَقْبَاتِ عَلَى فَعْلُ الْخَيْرِ وَالْجُودِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ ، فَفَقْرَادِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، فِي اللَّأْوَاءِ^(٣) ، جُلُودِ
يُصَابِرُ الْأَيَّامَ ، أَوْ تَنْقِضِي خُطُوبَهُنَّ الْبَيْضُ وَالسُّودُ

(١) معزى : من تترس القوم زلوا في آخر الليل للاستراحة . والمناخ في الأصل : ميرك الإبل . والمحول

المكان الجذب .

(٢) الأوانى : جمع أخواة وهي عود في حائط أو في جبل يدفن طارفاً . في الأرض وبرز طرزه كالحلقة تشد فيها الذابة .

(٣) اللأواء : الشدة .

(٣٥٧)

وقال :

تَيْقُظُ ، فَمِنْ يَسْنَاكَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ وَقَدْ يَجْدَعُ الْيَقْظَانَ مَنْ هُوَ رَاقِدٌ
وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ ، فَإِنَّمَا تَقْدُ شِفَارَ الْمَرْهَقَاتِ الْمَبَارِدُ
وَتُلَقَى الْأَسْوَدُ بِالْخَلْدِيَّةِ فِي الرَّبِّيِّ (١) وَلَوْ جُوهرتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُنَّ صَائِدٌ
وَإِهْمَالُ مَا يُخَشَى مِنَ الْأَمْرِ مُهْلِكٌ وَمَصْرَعُ رِضْوَانٍ بِمَا قُلْتَ شَاهِدٌ

(٣٥٨)

وقال (٢)

سَانِقٌ وَفَرَى (٣) فِي اكْتِسَابِ مَكْرِمٍ أَظَلُّ (٤) بِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَخْلَدًا
وَأَسْعَى إِلَى الْهَيْجَاءِ ، لَا أَرْهَبُ الرَّدَى وَلَا أُنْخَشِي عَامِلًا (٥) وَمَهْنَدًا
بِكُلِّ قَتَى يَلْقَى الْمَنِيَّةَ ضَاحِكًا (٦) كَأَنَّ لَهُ فِي الْقَتْلِ (٧) عَيْشًا مُجَدِّدًا
فَإِنْ نَلْتُ مَا أَرْجُو فَالْجُودِ (٨) ، ثُمَّ لِي وَإِنْ مِتُّ خَلَفْتُ الثَّنَاءَ الْمُؤَبَّدَا

(١) الربي جمع زبية : حفرة للأسد .

(٢) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ٢٠٢

(٣) في لباب الآداب "مال" .

(٤) في المصدر قسه "أعيش" .

(٥) عامل الترح : صدره . والمهتد : السيف .

(٦) في المصدر السابق "باسما" .

(٧) » » "في الموت" .

(٨) » » » "ظلمجد" .

(٣٥٩)

وقال :

لا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ إِذَا شَاهَدْتَهُ وَخَبَرْتَهُ ، لَمْ تُلْفِهِ بِالشَّاهِدِ
وَمَتَى أَرَدْتَ تَكْثُرًا بِدُنُوهِ فَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَمْ تَزِدْ عَنْ وَاحِدٍ

(٣٦٠)

وقال :

تَلَقَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ بِالْبِشْرِ ، إِنَّهُ إِلَى كُرْمَاءِ النَّاسِ أَشْهَى مِنَ الْجَدَا^(١)
عَسَى مِنْ يُرْجَى سَبِيكَ الْيَوْمَ يَغْتَبِي فَتُصْبِحُ فِيمَنْ تَرْتَجِي سَبِيهِ^(٢) غَدَاً

(٣٦١)

وقال :

أَرْضُ الْخُمُولِ ، تَعَشُّ بِهِ فِي نَجْوَةٍ مِمَّا تَخَافُ ، وَمِنْ مُعَانَدَةِ الْعَدَا
دُونَ الْمَعَالِي عُدْوَةٌ^(٣) إِنْ خُضَّتْهَا مَتَقَحَّمًا^(٤) أوردتْ مُهْجَتَكَ الرَّدَى
وَإِذَا سَلِمْتَ وَنَلْتَ أَيْسَرَ بُغْيَةٍ مِنْهَا جَعَلْتَ لَكَ الْبَرِيَّةَ حُسْدًا
فَاسْمَعْ نَصِيحَةً مَنْ يَكَادُ لَعْلَهُ بِالذَّهْرِ يَدْرِي الْيَوْمَ بِالْآتِي غَدًا

(٣٦٢)

وقال :

مَا كَفَّ كَفِّي عَنْ جُودِي بِمَوْجُودِي نَوَائِبُ ، وَمَلَبَاتُ لِحَتِ^(٥) عُدُودِي
فِي الْبَيْسْرِ أَبْذُلُ مَيْسُورِي ، وَأَبْذُلُ فِي عُسْرِي لِطَالِبِ رَفْدِي شَطْرَ مَوْجُودِي

(٢) السيب : العطاء .

(١) الجدا : العطية .

(٤) متقحماً : من تعمر في الأمر : روى نفسه فيه بغاة بلا روية .

(٣) العدوة : المكان المرتفع .

(٥) لحا العود : قنبره .

قافية الراء

(٣٦٣)

وقال :

إِنْ فَاجَأَتْكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوءُ ، فَصَبِرًا
 فَالدهرُ يُرهِقُ عُسْرًا وَيُبْعِ الْعُسْرَ يُسْرًا
 لو دَامَ مَا سَاءَ مِنْهُ لِدَامَ مَا كَانَ سَرًّا

(٣٦٤)

وقال^(١) :

انق الخطوب إذا طرقتن بقلب محتسب صبور
 فسيتقضى زمن المومم ، كما انقضى زمن السرور
 فمن المحال دوام حالي في مدى العمر القصير

(٣٦٥)

وقال^(٢) :

أسترهمومك بالتجمل^(٣) ، واصطرير إن الكريم على الحوادث يصبر
 كالشمع ، يظهر نوره متجملاً خوف الشمات ، وفيه نار تسع

(١) هذا الشعر ما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ ، وياقوت ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هذا الشعر ما روى لأسامة في المسالك ١٠ : ٥٠٨ .

(٣) التجميل : التصير .

(٣٦٦)

وقال :

لَا تَأْمَنَنَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ ، فَأَمَّنُّ كَيْدِهِمْ غَرَّرَ^(١)
 كُنْ مِنْهُ إِنْ كَانَ الْقَوِيُّ ، أَوْ الضَّعِيفُ ، عَلَى حَذَرٍ
 فَلَمَاءٌ يُطْفِئُ النَّارَ طَبْعًا ، فِي الصَّفَاءِ وَفِي الْكَدْرِ

(٣٦٧)

وقال :

عَشْرًا وَاحِدًا ، أَوْ فَالْتَمَسَ لَكَ صَاحِبًا فِي مَحْتَدِي وَرَعٍ وَطِيبِ نِجَارٍ^(٢)
 وَاحِدًا مُصَاحِبَةً السَّفِيهِ ، فَشَرَّمَا جَلَبَ النَّدَامَةَ صَحْبَةَ الْأَشْرَارِ
 وَالنَّاسُ كَالْأَشْجَارِ : هَذَى يُجْتَنَى مِنْهَا النَّارُ ، وَذَى وَقُودُ النَّارِ

قافية السين

(٣٦٨)

وقال :

يَقُولُونَ لِي : أَفْنَيْتَ كُلَّ ذَخِيرَةٍ وَأَنْفَقْتَ مَا لَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسُ
 فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَقْتُ مَا جَمَعْتُ يَدَيَّ وَأَرْجُو غَدًا يَأْتِي بِمَا أَذْهَبَ الْأَمْسُ

(١) غرر بنفسه : عرضها للهلكة . والاسم الفرر .

(٢) المحتد : الأصل والطبع . والنجار : الأصل .

قافية الشين

(٣٦٩)

وقال :

إيَّاكَ والسلطانَ لا يُدِينِكَ من أبوابِهِ مُتَكَسِّبٌ ومَعَاشُ
واعلمَ بأنَّهُمُ ، على ما كانَ من أحوالِهِمُ ، نارٌ ، ونَحْنُ قَرَأُشُ

قافية الضاد

(٣٧٠)

وقال :

كُلُّ مُسْتَقْبَلٍ من الهمِّ يُنْسَى إذا مَضَى
والَّذى ساءَ من زما نِكَ سَهْلٌ مع الرِّضَا
وأخو الحزَمِ مَنْ إذا أعْضَلَ الأمرُ فَوْضَا

(٣٧١)

وقال :

أصبحتُ كالنَّسْرِ خانَتَه قوادِمُه لا تَسْتَقِلُّ^(١) جَنَاحَاهُ إذا نَهَضَا
أروْحُ من نائباتٍ لا تُغَبُّ ومن هُمومِ عيشٍ كما لا اشْتَهَى غَرَضَا
لكتبتى قد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَه^(٢) فما يرانى لخطبِ نابٍ مُنْقَبَضَا
ألقي الحوادثُ بالصبرِ الجميلِ ، ومَقْدورِ القضاءِ بتسليمٍ له ورِضَا
علماً بتغييرِ أحوالِ الزمانِ ، فكم رأيتُ مُبرمَ أمرٍ عادٍ مُتَمَقِّضَا

(١) استقله : حمله ورضه . واستقل الطائر : ارتفع .

(٢) حلب فلان الدهر أشطره : مر به خيره وشتره .

قافية العين

(٣٧٢)

وقال :

لا تَسْتَكِنَنَّ لِلَّهِمَّ ، وَاثْنِ جِمَاحَهُ بِعَزِيمَةٍ فِي الْخَطْبِ لَا تَتَضَعَّضُ
 فَإِذَا أَتَى مَا لَيْسَ يُدْفَعُ فَالْقَهْ بِالصَّبْرِ ، فَهُوَ دَوَاءٌ مَا لَا يُدْفَعُ

قافية الفاء

(٣٧٣)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ يَسِرُّهُمْ مَا سَاءَ نَأَى : لَا زَايَلْتُمْ حَسْرَةً وَتَلَهْفُ
 شَمْلِي ، بِمَجْدِ اللَّهِ بَعْدَ تَشْتِئِ وَتَفْرِقُ ، مَتَجَمَّعُ مَتَأَلْفُ
 وَالْمَالُ إِنْ غَالَ الزَّمَانَ تِلَادَهُ وَسَلَمْتُ ، سَدَّ مَكَانَهُ الْمُسْتَطَرَفُ

قافية اللام

(٣٧٤)

وقال :

إِلَى كَمْ تَرْتَجِي عَطْفَ الْمَلُولِ وَتَسْتَجِدِي نَوَالًا مِنْ بَحْيِيلِ
 كَأَنَّكَ فِي الَّذِي حَاوَلْتَ سَأَجَ لِمَجْعِ ضُحَى نَهَارِكَ بِالْأَصِيلِ
 لَقَدْ أَوْقَعْتَ قَلْبَكَ فِي عَنَاءِ كَبِيرٍ فِي رَجَاءٍ جَدًّا^(١) قَلِيلِ

وَفِي الْأَطْمَاعِ لَلْمَعْتَرِ دُلٌّ وَحُسْنُ الْبَأْسِ عَزٌّ لِلذَّلِيلِ
فَلَا تَعْصِ النَّهْيَ؛ فَالْحَزْمُ نَاهٍ لِمَنكَ عَنْ طِلَابِ الْمَسْتَحِيلِ
تَنَاسَوْا، أَوْ نَسُوا عَهْدِي، وَمَالُوا إِلَى بَحْدِ الْهَوَى كُلِّ الْمَعِيلِ
وَلَمَّا أَنْ رَأَوْا حَسَنِي قَبِيحًا رَأَوْا تَعَمَّطَ الْجَمِيلِ مِنَ الْجَمِيلِ
سَلُّوا، وَتَبَدَّلُوا بِكَ، فَاسْأَلْ عَنْهُمْ وَدَعْ مَا رَابَ مِنْهُمْ لِلْبَدِيلِ
وَلَا تَتَطَلَّبِ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ فَكُلُّ النَّاسِ مِنْ أَبْنَاءِ جَبِيلِ
وَلَا تَجْزَعْ لِفَنَدِرٍ مِنْ خَلِيلِ فَقَدْ نُسِخَ الْوَفَاءُ مِنَ الْخَلِيلِ
وَأَغْضِ عَلَى الْقَدَى عَيْنًا، وَسَكِنَ حَشَاكَ عَلَى جَوَى الْهَمِّ الدَّخِيلِ

(٣٧٥)

وقال :

وَأِنِّي لِعَصَاءِ الْعَوَازِلِ، لَا أُرَى عَلَى شَعَثٍ^(١) الْخُلَّانَ مُسْتَبَدَلًا خِلًّا
ضَنِينٌ بِمَنْ صَاحَبْتُ، أَحْسَبُ أَنَّهُ إِذَا بَانَ، لَا أَلْقَى لَهُ أَبَدًا مَثَلًا

(٣٧٦)

وقال :

أَيُّهَا الرَّبِيعُ الْحَمِيلُ جَدَّ بِي عَنْكَ الرَّحِيلُ
لَسْتَ بِالذَّارِ، وَلَا فَيْكَ لِمَنْ يَضْحَى مَقِيلٌ^(٢)
غَابَ عَنِّي الرُّشْدُ فِي قَصِيدِكَ وَالرَّأْيُ الْأَصِيلُ
تَمَلُّطَةٌ كَانَتْ، وَلُطْفُ اللَّهِ مَا زَالَ يُقِيلُ

(١) شعث : تغير .

(٢) ضحى كسى : أصابه الشمس . وقال يقيل : نام في وسط النهار . وامم المكان : مقيل .

مَا مَقَامُ الْحَرْفِي أَرِضٍ بِهَا النَّاسُ قَلِيلُ
 بَلَدٌ فِيهِ عَزِيزُ الْقَوْمِ مَقْهُورٌ ذَلِيلُ
 لَسْتُ أَرْجُوكَ وَقَدْ لَاحَتْ لِعَيْنِي الْمَحْوُلُ
 إِنَّمَا يَرْتَادُ أَرْضَ السَّمْحَلِ مَغْرُورٌ جَهُولُ

(٣٧٧)

وقال (١) :

أَبْنُ غَضٍّ دَهْرٌ مِنْ جِمَاحِي ، أَوْ ثَنِي عِنَانِي ، أَوْ زَلَّتْ بِأَنْخَصِي النَّعْلُ
 تَظَاهَرَ قَوْمٌ بِالشَّمَاتِ ؛ جِهَالَةٌ وَكَمْ إِحْنَةٌ (٣) فِي الصَّدْرِ أْبْرَزَهَا (٤) الْجَهْلُ
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا السَّيْفُ فَلَلْ حِدَّةٌ قِرَاعُ الْأَعَادِي ، ثُمَّ أَرْهَفَهُ الصَّقْلُ

(٣٧٨)

وقال :

تَوَالِي لِي السَّائِلُونَ ، وَإِنِّي لَأَنْفُ أَلَا يُدْرِكُ السُّؤَالَ سَائِلِي
 وَلَكِنْ مَسْتُورِي كَظَاهِرِ حَالِهِمْ فَحَيْلِي ، وَالْحِظُّ حَرْبُ الْفَضَائِلِ
 وَلَوْ بَسَطْتُ أَيْدِي الْحَوَادِثِ مِنْ يَدِي تَلَقَّتْهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ بِنَائِلِي

(١) روى هذا الشعر في تحفة القصر ١ : ١٠١ وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٢) رواية الخريدة وياقوت « لئن غض » . (٣) الإحنة : الحقد والغضب

(٤) في الخريدة « آزرها » .

(٣٧٩)

وقال :

علامَ أخضعُ في الدنيا لمن رفعتُ وما بأيديهمُ رزقي ولا أجلي
 ما قدرَ اللهُ لا أستطيعُ أدفعهُ وما لهمُ في سوى المقدورِ من عملٍ

(٣٨٠)

وقال :

إن سرَّ أعدائي أن عَضَّني دهرِي بما أذهبَ من مالي
 فهمتي بالنجمِ معقودةٌ ما حطَّها ما حال من حالي
 كالنَّارِ إن نكَّسها قابسٌ لم يتنكَّس نورُها العالِي

قافية الميم

(٣٨١)

وقال :

سلوتُ عن كلِّ حالٍ كنتُ ذا شغفٍ بها ، ولم أسلُ في حالٍ عن الكرمِ
 ما غالَ دهرِي وفرِي في تقلِّبهُ إلا جعلتُ الندى سِترًا على العدمِ

(٣٨٢)

وقال :

لنا هجمةٌ^(١) للحقِّ إن ناب، والفرى ولجَّارٍ ما تنفكُ نهباً^(٢) مقسماً
 إذا هي لم يعجلِ إلى الضيفِ درُّها أدرَّ أيماني من عراقِها النِّمَّ

(١) الهجمة من الإبل أرها أربعون إلى ما زادت . (٢) النهب : الغنيمة .

قافية النون

(٣٨٣)

وقال :

لَا تُودَعَنَّ سَمْعَ أَحْجَ شَكِيَّةٍ فَالْقَلْبُ أُولَى بِالذِي أَجَنَّا^(١)
وَكُلُّ مَا نَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِنَا نَزُولُ عَنْهُ ، أَوْ يَزُولُ عَنَّا

قافية الهاء

(٣٨٤)

وقال :

ظَلَمْتُ شَعْرِي ، وَلَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ شَيْمِي يُطِيعُنِي حِينَ أَدْعُوهُ ، وَأَعْصِيهِ
يَوْمٌ أَنْ يَذْكَرَ القَوْمَ اللثَامَ بِمَا فِيهِمْ ، فَازْبِرْهُ عَنْهُمْ ، وَأُنْيِئِهِ
وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِي ثَلْبُ الغَنِيِّ ، وَإِنْ جَنَى ، وَلَا ذَكَرْتُ ذِي نَقْصٍ بِمَا فِيهِ

قافية اليا

(٣٨٥)

وقال :

لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ هَذَا الذَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْبِرَايَا
يَعْلُو بِهَا هَذَا ، وَيَسْبِطُ ذَا ، وَقَصْرُهُمُ^(٢) الْمُنَايَا

(١) أجن : ستر . (٢) قصرهم : غابتهم .



ورأيتُه مُسْتَرَجِعًا تَزَرَ المواهب والعطايَا
مُتَغَايِرَ الأحوَالِ مَخْتَلِفَ الضَّرَائِبِ^(١) والسَّجَايَا
لَا نِعْمَةً فِيهِ تَدُو مُ، وَلَا تَدُوْمُ بِهِ البَلَايَا
لَمْ أَعْتَبِطْ فِيهِ بِفَائِدَةٍ، وَلَمْ أَخْشَ الرِّزَايَا

(١) الضَّرَائِبُ : جمع ضَرْبَةٍ وهي الطَّيْبَةُ .

في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال

قافية الباء

(٣٨٦)

قال :

لو صبرنا على البلاء احتساباً لرجونا عنه جزيل الثواب
غير أن اصطبارنا صبرٌ عجيبٌ واضطرارٌ ، كذاك صبرُ الدَّوَابِ
فلحى^(١) الله أنفُساً ترتضى العيش ، إذا كان فيه ذلُّ الرقاب

(٣٨٧)

وقال :

حَسْبِي مِنَ الْعَيْشِ خَيْرُ الْعَيْشِ يُدْرِكُهُ سَوَايَ بِي ، وَوَلِي الْأَوْصَابِ^(٢) وَالنَّصَبِ
كَأَتَى الْبَوْ^(٣) تُسْتَمْرَى^(٤) الْعَجُولُ^(٥) بِهِ وَإِنَّمَا لِسَوَاهُ الدَّرِّ وَالْحَلَبِ

(٣٨٨)

وقال^(٦) :

[بُعْدًا لِمَنْ]^(٧) شَرُّهُ أُنْعَمَى ، يُصِيبُ وَلَا يَرَى مَكَانَ الْأَعَادَى مِنْ ذَوَى النَّسَبِ
[كَالْتَارِ تَحْرَقُ]^(٧) طَبْعًا ، لَا تُمَيِّزُ بَيْنَ الْمُنْدَلِ الرَّطْبِ ، فِي الْإِحْرَاقِ ، وَالْحَطْبِ

- (١) لحى الله فلانا : مجبه ولعمرة . (٢) الوصب : المرض . والنصب : الإعياء . والنصب .
(٣) البؤ : جلد الحوار يحشى تبنا ، فيقرب من أم الفصيل ، فتعطف عليه ، فتدز .
(٤) من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر .
(٥) العجول : التكلو والواله من الإبل .
(٦) البتان من مختارات المسالك لأسامنة (١٠ : ٥٠٦) .
(٧) سقط بالأصل . والتكلمة من مسالك الأبصار .
(٨) المندل : العود ، أو أجوده .

(٣٨٩)

وقال :

أَلَفْتُ الكجاوَةَ^(١) بعد الثُّمُورِ ، وطابَّتْ ، وما خلتها لى تطيبُ
وصرفُ الزمانِ ، كما قد علستَ ، أَمَنَّكَ اللهُ منه ، عجيبُ
يُعيدُ صديقَكَ ، وهو العدوُّ ويأبى بغيضَكَ وهو الحبيبُ

(٣٩٠)

وقال :

أما ترى الماجدَ المفضالَ ترفعه أيامه ، وهو بالإحسانِ مقترَبُ
طوعَ القيادِ كغصنِ البانِ يجذبُه مرُّ النَّسيمِ ، على ضَعْفِ ، فينجذبُ

(٣٩١)

وقال وقد رأى نَمَلًا يجاذبُ زهرةً ، كلما أخذتها نَمَلَةٌ انزعجتُ منها أخرى :
شاهدتُ نَمَلًا قد مجاذبُ زهرةً ذا قد تَمَلَّكها ، وهذا يسلبُ
مثلُ الملوكِ تجاذبوا الدنيا ، فما حصلتُ لمغلوبٍ ولا من يغلبُ

قافية الجيم

(٣٩٢)

وقال :

يا آلِفَ الهَمِّ ، لا تَقْنَطْ ، فأياسُ ما تكونُ يأتِيكَ لُطْفُ اللهِ بالفريجِ
ثِقْ بالذى يَسْمَعُ النَّجْوَى ، وَيُنجِي من الـ بَلْوَى ، وَيَسْتَنْقِذُ العَرَقَى من الجَجَجِ

(١) الكجاوة (بالفارسية) : الخودج . فلهه يريد هنا : الاتزواء والبعذ عن الناس .

(٣٩٣)

وقال :

ثَقَلِي إِذَا نَادَيْتَنِي لِمَلْبَةٍ أَجْدَى مِنَ الْمَتَسَّرِعِ الْهَلْبَاجِ^(١)
 إِنَّ الْأَنَاةَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَا أَنِّي تَغْنِيكَ عَنْ سَيْرٍ ، وَعَنْ إِدْلَاجِ^(٢)
 مَا فِي شَرَارِ النَّارِ نَفْعٌ يُرْتَجَى وَالْجَمْرُ فِيهِ فَضِيلَةٌ الْإِنْضَاجِ

قافية الحاء

(٣٩٤)

وقال

لَوْلَا الَّذِي بَحَرَتِ الْأَقْلَامُ قَبْلُ بِهِ مَا نَالَ ذُو الْجَهْلِ ، دُونَ الْحَازِمِ ، الْمَنْعَا
 لَكِنَّ لِلْحِطِّ مِيزَانًا تَرَفَعُ ذُو النِّقْصَانِ فِي وَزْنِهِ ، وَانْحَطَّ مِنْ رِبْحًا

قافية الدال

(٣٩٥)

وقال^(٣) :

قَالُوا : نَهَمَ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصِّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ نَمَتْ يَهْتَدِي
 لَمْ ضَلَّ^(٤) فِي لَيْسَ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ وَضَحُّ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَفْصَدِ
 وَإِذَا عَدَدْتُ سَنِيَّ ثُمَّ نَقَصْتُهَا زَمَنَ الْهَمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةٌ مَوْلِدِي

(١) في القاموس : الهلجاجة : الأحمق .

(٢) الدلج : السير من أول الليل .

(٣) هذا الشعر مما روى في خريدة القصر ١ : ١٠٠ ، ومعجم الأدباء ٥ : ١٩٥ ، ومسالك الأبحار ١٠ : ٥١٠ .

(٤) رواية باقوت وخريدة القصر « جار » .

(٣٩٦)

وقال :

أصبحتُ في زمنٍ يسبُّ لجوره فودُّ الجنينِ، ويهرمُ المولودُ
وإذا شكونا اليومَ، ثم أتى غدُّ قلنا : ألا ياليتَ أمسِ يعودُ

(٣٩٧)

وقال :

ودعْ أخا العزمِ مصرًّا، لا لميسَ، وخُضْ بالسَّابِحَاتِ بحارَ المهمةِ البيدِ^(١)
وسرِّ عن الأرضِ تنبو بالكرامِ، فقد طال انتظارُ الجنى من يابسِ العودِ

(٣٩٨)

وقال :

صديقُ لي ، تنكَّرَ بعد وِدِّ وأُمُّ الغديرِ في الدنيا ولودُ
أراه مَلالَهُ حَسَنِي قبيحًا فصَدَ ، وأيسرُ الغديرِ الصُّدودُ
وذمَّ اليومَ ما حمدته مني تجارِبُهُ ، وأمسِ به شهيدُ
ولستُ ألومُهُ فيما أتاهُ أساءَ ، فراهُ الفعلُ الحميدُ
وقد يمجِّدُ المريضُ الماءَ مرًّا بفيه ، وهو سلسالُ برودُ

(١) المهمة : المغازاة البعيدة . والبيد : جمع بيدا . وهي الفلاة .

(٣٩٩)

وقال :

مَصَّتْ لِدَاتِي^(١) وَإِخْوَانِي ، وَأَفْرَدَنِي دَهْرِي ، فَعَشْتُ وَحِيدًا مَبْتًا كَدَا
وَمَا أَرَى لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ بَعْدَهُمْ وَإِنْ تَجَلَّدْتُ خَوْفَ الشَّامِتِينَ ، يَدَا
وَالْقَبْرِ أَرْفُقُ مَسْكُونٍ وَنَكَرُهُ إِذْ كَانَ يَسْكُنُهُ الْإِنْسَانُ مَنْفَرِدًا

(٤٠٠)

وقال :

تَنْظُرُ الْعَاجِزَ الْحَظُوظَ فَيَسْتَعَلِّي ، وَتَعْمَى عَنْ حَازِمٍ مَحْدُودٍ^(٢)
فِي اعْتِلَاءِ الشَّرَارِ عَنْ رَاكِدِ الْجَمْرِ دَلِيلٌ أَنَّ الْعَلَا بِالْحُدُودِ^(٣)

قافية الراء

(٤٠١)

وقال :

إِنْ يَسْتَرُوا وَجَهَ إِحْسَانِي بِكُفْرِهِمْ فَالشَّمْسُ أَدْنَى سَجَابٍ عَنِ^(٤) يَسْتَرُهَا
وَإِنْ هُمْ كَدَرُوا صَفْوِي بِغَيْثِهِمْ فَالْعَيْنُ أَدْنَى الْقَدَى^(٥) فِيهَا يَكْدِرُهَا

(٤٠٢)

وقال :

إِنْ كُنْتُ فِي مَصْرٍ مَجْهُولًا ، وَقَدْ شَهَرْتُ فَضَائِلِي بَيْنَ بَدْوِ النَّاسِ وَالْحَضَرِ
فَمَا عَلَى الشَّمْسِ مِنْ عَارٍ تُعَابُ بِهِ إِذَا اخْتَقَى ضَوْءُهَا عَنْ غَيْرِ ذِي بَصِيرٍ

(١) اللدات : جمع لدة ، وهو التراب . (٢) المحدرد : المحروم والمنوع من الخير .
(٣) المحدرد : المحظوظ . (٤) عن : ظهر . (٥) القدي : ما يقع في العين .

(٤٠٣)

وقال :

كفى حزنًا أن الحوادث قصرت يدي ولساني عن نوال وعن أمر
فما يحخشى الأعداء بأسي وسطوتي ولا يرتجى الإخوان نفعي ولا نصري
إذا نابهم خطب فكل استطاعتي تلهب^(١) أنفاس أحرًا من الجمر
ولا خير في الدنيا بما لي ولو صفت إذا كان لا يرجي لنفع ولا ضرر

(٤٠٤)

وقال^(٢) :

سهل على العاريف بالدمر ماناب من مستضعب الأمر
وكل ما استعظم من حادث مستضعر في جانب الصبر

(٤٠٥)

وقال^(٣) :

أنظر إلى حسن صبر الشمع، يظهر لا رأيين نورًا ، وفيه النار تستعمر
كذا الكريم: تراه ضاحكًا جدلاً وقلبه بدخيل الهم^(٣) مفطر

(١) في هاشم الديوان "تغرم" رواية .

(٢) هذان البيتان مما روى لأسامة في الخريدة ١: ١٠١، وياقوت ٥: ١٩٩ .

(٣) رواية ياقوت "الهم" .

(٤٠٦)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا كَرِهْتَ تَحْتَظَّ بِمَا تَهْوَى ، فَمَا جَارِعُ بِمَعْدُورٍ
إِنَّ اصْطِبَارَ الْجَنِينِ فِي ظُلْمِ الْأَحْ - شَاءَ أَفْضَى بِهِ إِلَى النَّوْرِ

(٤٠٧)

وقال :

إِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ وَإِنْ أَبَدَى الْمُدَاجَاةَ^(١) ، مَا تُخْفِي صَمَائِرُهُ
كَالْحَطِّ يَلْحَظُهُ الْقَارِي ، فَيُرِصُّلُ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِهِ فِي الْوَقْتِ نَاطِرُهُ

قافية الزاي

(٤٠٨)

وقال :

اصْبِرْتَنَلْ مَا تُرْجِيهِ ، وَتَفْضُلُ مَنْ - جَارَاكَ شَاؤَ الْعُلَا سَبْقًا وَتَبْرِيْرًا
فَالْتَبِرُ أَحْرَقَ بِالنَّبْرَانِ مُصْطَبِرًا عَلَى لَطَاهَا ، إِلَى أَنْ عَادَ لِإِبْرِيْرًا^(٢)

(١) المداجاة : المداراة .

(٢) التبر : فوات الذهب . والإبريز : الذهب الخالص .

قافية السين

(٤٠٩)

وقال :

اصبر إذا نابَ خطبٌ، وانتظر فرجاً يأتي به الله بعد- الرِّيث^(١) واليأسِ
إن اصطبارَ ابنة العنقود، إذ حاست في ظلمة القَارِ، أداها إلى الكأسِ

(٤١٠)

وقال :

الضرُّ في أيامنا هذه كالليلِ يغشى سائرَ النَّاسِ
وكلهم راضٍ، وفوق الرضا يُبَغِّعُ الطَّاعِمِ والكأبي
ودون ما يرجونه مانعٌ يلقي وجوهَ النَّاسِ باليأسِ

قافية الطاء

(٤١١)

وقال :

أراني أستطيلُ مدى حياتي وما في مفرقي للشيبِ وخطُ
ولو أسقطتُ منه زمانَ همي لقال النَّاسُ : هذا الشَّخصُ سقطُ

(١) الريث : الإبطاء .



قافية العين

(٤١٢)

وقال :

لا تُخَدَعَنَّ بِأَطَاعِ تَزَنُرِهَا لَكَ الْمُنَى بِحَدِيثِ الْمَيْنِ^(١) وَتُخَدَعُ
فَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الْمَوْتِ بِأَجْمِعِهِمْ وَجَدْتَ هُلَكَهُمْ فِي الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ

(٤١٣)

وقال :

وَمُمَازِقِ^(٢) رَجَعُ النَّدَاءِ جَوَابُهُ فَإِذَا عَرَا خَطْبُ فَأَبْعَدُ مَنْ دُعَى
مِثْلُ الصَّدَى ، يَخْفَى عَلَى مَكَانِهِ أَبَدًا ، وَيَمْلَأُ بِالْإِجَابَةِ مِسْمِعِي

قافية القاف

(٤١٤)

وقال :

قَوْمٌ يَمُوتُ النَّاسُ عِنْدَهُمْ ضُرًّا ، وَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى فَرَقِ^(٣)
كَالْبَحْرِ يَهْلِكُ فِيهِ رَاكِبُهُ عَطَشًا ، وَيَخْشَى الْمَوْتَ بِالْفَرَقِ

(١) المين : الكذب .

(٢) مذاق الود : لم يخلصه .

(٣) الفرق : الخوف .

(٤١٥)

وقال :

لنا صديقٌ يغرُّ الأصدقاءَ، وما رأيتُهُ قطُّ في ودِّ امرئٍ صدقاً
صديقهُ أبداً منه على وجَلٍ^(١) كراكب البحرِ، يخشى دهره الغرقاً

(٤١٦)

وقال :

لا تقربنَّ بابَ سلطانٍ، وإن ملأتْ هباته غيرَ ممنونٍ بها الطُّرقاً
وإنَّ أبوابهم كالبحرِ : راكبه مروءُ القلبِ، يخشى دهره الغرقاً

(٤١٧)

وقال :

أستُرُّ بصبرك ما تُخفيه من كمدٍ وإن أذابَ حشاكَ الهمُّ والحرقُ
كالشَّمعِ يُظهرُ أنوارَ التَّجَمُّلِ، والذُّمُّوعُ منهلةٌ ، والجسمُ مُحترقُ

قافية الكاف

(٤١٨)

من رزقِ الصبرِ نال بُغيتهُ ولاحظته السعودُ في الفلكِ
إنَّ اضطبارَ الزجاجِ للسبكِ والذُّمُّوعُ من فمِ الملكِ

(١) الوجل : الخوف .

قافية اللام

(٤١٩)

وقال (١) :

أنظر إلى صرف دهرى، كيف عودنى
وفي تغاير صرف الدهر معتبر
قد كنت مسعر حرب، كله اخمدت
همى منازل الأقران، أحسبهم
أمضى على الهول من ليل، وأنجم من
فصرت كالعادة المكسال: مضجعهما
قد كدت أعفن من طول الثواء كما
أروح بعد دروع الحرب في حلل
وما الرفاهة من رأيي ولا أربي
ولست أهوى (٦) بلوغ المجد في رقه

بعد المشيب سوى عاداتي الأول
وأى حال على الأيام لم تحل
أضرمتها باقتداح البيض في القابل (٢)
فرائدي، فهم منى على وجل
سبل، وأقدم في الهيجا من أجل
على الحشا يوراء السجف (٣) والكيل
يصدى المهند طول المكث في الخليل (٤)
من الديبق (٥) فبؤسا لي وللحلل
ولا التنعم من همى ولا شغلى
ولا العلادون حطم البيض والأسل

(١) رويت هذه القصيدة لأسامة في تاريخ دمشق لابن عساکر : ٥ : ١٧٤ .
(٢) الذال : الجماعات من الناس . والقلة بالضم : أهل الرأس والجمع قتل . والبيض : السيوف . وسعر الحرب : أوقدها .
(٣) السجف : الستر .
(٤) الخلة : جفن السيف الذي يثقب بالأدم والجمع حلل .
(٥) الديبق : كأمير بلد بمصر منها الثياب الديبقية .
(٦) في هامش الديوان « أرضى » .

(٤٢٠)

وقال (١) :

إذا ما عرا خطبٌ من الدهرِ فاصطبرْ فإنَّ اللَّيَالِيَّ بِالْخَطُوبِ حَوَامِلُ
 فكلُّ (٢) الذي يأتِي بِهِ الدهرُ زَائِلٌ سرّيعا ، فلا تجزع لما هو زَائِلٌ

(٤٢١)

وقال :

كُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَا خِيَالَ إِذَا انْتَبَهْتَ يَزُولُ
 مَا يَدُومُ النَّعِيمُ فِيهَا ، وَلَا الْبُؤْسُ ، مَنْعُ الدُّنْيَا مَنْعٌ قَلِيلٌ
 وَالَّذِي يَصْرِفُ الِهْمُومَ إِذَا مَا ضَمَقَتْ ذُرْعًا بَهَتْ صَبْرٌ جَمِيلٌ

(٤٢٢)

وقال (٣) :

إِنِّي وَثِقْتُ بِأَمْرِ غَرْنِي أُمْلِي فِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ : كَمْ مِنْ وَائِي خَجَلٍ
 عَادَتْ إِلَى الْأَمَانِي مِنْهُ آيَسَةٌ فَيَا حَيْبَاءَ الْمَنَى مِنْ خَيْبَةِ الْأَمَلِ

(١) روى اليتان في تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) رواية ابن عساكر « وكل » .

(٣) روى هذان اليتان في مسانك الأوصار ١٠ : ٥٠٨ .

(٤٢٣)

وقال :

لا دَرَّ دُرُّكَ من رَجَاءٍ كاذِبٍ يَغْتَرُّنَا بِوَرُودِ لَامِعِ آلٍ^(١)
أَبْدًا يُسَوِّفُنَا بِنُصْرَةِ خَاذِلٍ ووفاءِ خَوَّانٍ ، وَعَطْفَةِ قَالٍ^(٢)
وَنَزَى سَبِيلَ الرُّشْدِ ، لَكِن مَالَنَا عَزْمٌ مع الأَمْوَاءِ وَالْآمَالِ

(٤٢٤)

وقال :

لا تَعْتَبِنَ مَنْ مَلَّ ، إِنَّ عَنَابَهُ كَثِيفٌ^(٣) مُعَوِّجٌ الظَّلَالِ المَائِلِ
يَلْتَقِي العِتَابَ بِسَمْعِ لَاهٍ صَادِفٍ^(٤) ويرى الخُضُوعَ بِطَرْفِ سَاهٍ غَافِلِ
فَإِذَا أَقْتَدَيْتَ دَلِيلَ قُبُجِ فَعَالِهِ دَفَعَ العِيَانَ بِجُحَّةِ المِتْجَاهِلِ

(٤٢٥)

وقال :

لا يُؤَسِّفُنَكَ ما غَالَ الزَّمَانُ ، فَما يَرْضَى بِما^(٥) غَالَ : من وَفَرٍ وِمن مَالِ
وَإِنما هُوَ بِالتَّدرِجِ يَنْقَلِنَا نَقَلَ المُخَادِعِ من حَالٍ إلى حَالِ
وَلَيْسَ يَرْضَى بِما دُونَ النُّفُوسِ . وِما تُفَدَى إِذا غَالَهَا ، حاشاك ، بِالغَالِي

(٢) القال : المبعوض .

(٥) في الأصل (إذا) تحريف .

(١) الآل : السراب .

(٣) ثقفه : سراه .

(٤) صدف : أعرض .

(٤٢٦)

وقال :

يا جاعل الأشغالِ عُدًّا رَأَى فِي مُدَافَعَتِي وَمَطْرِي
شُغْلِي إِلَيْكَ إِذَا اشْتَغَلْتُ ، فَإِذَا^(١) فَرِغْتَ فَأَنْتَ مَشِي

(٤٢٧)

وقال :

إِلَى كَمْ أَجُوبُ الْأَرْضَ مَالِي مُعَرَّسٌ وَلَا لِمَسِيرِي فِي الْبِلَادِ قُفُولٌ
كَأَنَّ فِي الدُّنْيَا قَدَاةً بِمَقْلَةٍ تَرَدُّدٌ فِي أَرْجَائِهَا ، وَتَجَوْلٌ
أَشِيمُ بِهَا بَرَقَ الْحَيَاةِ^(٢) ، وَهُوَ خُلْبٌ وَأُرْتَادُ أَرْضِ الرُّوِضِ ، وَهِيَ مَحْوُلٌ
وَمَا مِنْ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَبُؤْسِهَا خَلَاصٌ بِغَيْرِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ مَهْوُلٌ

(٤٢٨)

وقال :

زَهَدَنِي فِي الْعَقْلِ أَتَى أَرَى عِنَايَةَ الْأَيَّامِ بِالْجَهْلِ
وَالدَّهْرُ كَالْمِيزَانِ : ذُو الْفَضْلِ يَنْحَطُّ ، وَذُو النِّقْصَانِ يَسْتَعْلِي

(٤٢٩)

وقال :

رَفَعُ الْحُطُوطِ لِمَنْ أَصَبَنَ ، وَحَطُّ مَنْ أَخْطَأَنَهُ ، فِيهِ يَحَارُ الْعَاقِلُ
يُعْطَى الْغَنَى ، وَيُحْرَمُ النَّدْبُ^(٣) الْفَتَى كَالدِّيكِ تُوجَّحُ ، وَالْبِرَاةُ عَوَاطِلُ

(١) فِي الْأَمَلِ (فَإِذَا) . تَحْرِيفٌ .

(٢) الْحَيَاةُ : الْمَطَرُ . وَالخُلْبُ : الْمَطْمَعُ الْخَفِيفُ .

(٣) النَّدْبُ : الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ الطَّرِيفُ النَّجِيبُ .

قافيه الميم

(٤٣٠)

وقال (١) :

بِ مَوْلَى صَحْبِهِ مُذْهَبَ الْعُمَرِ (٢) ، فَلَمْ يَرَعِ حُرْمَتِي وَذِمَامِي
ظَنَنِي ظِلَّةً أَصَاحِبُهُ الدَّهْرَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ وَاحْتِرَامِ
فَاقْتَرَفْنَا كَأَنَّهُ كَانَ طَيْفًا وَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

(٤٣١)

وقال :

لَوْ كَانَ رِزْقُ الْفَتَى بِقُوَّتِهِ نَازَلَتْ ضَارِي الْأَسْوَدِ فِي الْأَجَمِ
لَكُنْتُ عَنْ مَشِيئَةٍ سَبَقَتْ فِي الْخَلْقِ تَجْرِي فِيهِمْ عَلَى الْقَسَمِ

(٤٣٢)

وقال :

لَحَى اللَّهُ أَرْضًا يَرشُفُ الْمَرْءُ رِزْقَهُ بِهَا مُكْرَهًا رَشَفَ الذُّعَافِ مِنَ السَّمِّ
تُسَيِّبُ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِجَوْرَهَا وَتُهْرَمُ إِنْسَانِ الْعَيُونِ مِنَ الْهَمِّ

(١) رويت هذه الأبيات الثلاثة في الخريدة ١ : ١٠٦ ومسالك الأبصار ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أى العمر الغائب .

(٤٣٣)

وقال :

لَتَأْسَفَنَّ لَذَاهِبٍ أَوْ فَانَتْ يُرْبِحِي ، وَلَا تُتْبِعُهُ زَفْرَةَ نَادِمٍ
وَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثَانِ صَبْرَ مُسْلِمٍ مُتَيَقِّنٍ أَنْ لَيْسَ مِنْهُ بِسَالِمٍ
فَغَضَارَةُ الدُّنْيَا كَطَلٍّ زَائِلٍ وَالْعَيْشُ فِيهَا مِثْلُ حُلْمِ النَّائِمِ
وَالدَّهْرُ يَمْنَحُ ، ثُمَّ يَمْنَعُ نَزْرًا مَا أُعْطِيَ ، وَيَجْزِلُ بِالسُّرُورِ الدَّائِمِ
وَالنَّاسُ مَنْ لَمْ يَصْطَبِرْ لِمَعَاوِرِ صَبْرَ الرِّضَا صَبْرًا اصْطَبَارَ الرَّاعِمِ

(٤٣٤)

وقال :

قُلْ لِلرَّجَاءِ : إِلَيْكَ ، قَدْ أَتَعَبْتِي بَعْدَ الْكِرَامِ
قَدْ عَمَّ دَاءُ الْبُخْلِ ، حَتَّى شَاعَ فِي كُلِّ الْأَنَامِ
فَاكْفُهُم بِالْبُخْلِ مُقْفَلَةٌ عَلَى سُمِّتِ (١) الْحَطَامِ
فِي الْأَمِّ تَرْتَادُ الْحَوْلَ ، وَتَرْتَجِي رِيَّ الْجَهَامِ (٢)

(٤٣٥)

وقال :

يَا أُنْحَى الشَّاكِي لِمَا أَشْكُوهُ وَالْحَامِلَ هَمِّي
وَنَسِيبَ الْوُدِّ لِأَنَسِيبَةَ آبَاءِ وَعَمِّ

(١) السمت : الحرام .

(٢) الجهام : السحاب لآما . فيه .

ظلمتني دولةُ العَدْلِ ، فمن يَكشِفُ ظُلمِي
ومتى يُحْكَمُ لي بالعَدْلِ ، والحَاكِمُ خَصْمِي

(٤٣٦)

وقال :

لَا تَطْلَعَنَّ لِسَانَ شَكْوَى بَائِحٍ ضَجْرًا عَلَى سِرِّ الْفُؤَادِ الْكَاتِمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ بَنُو الدُّنْيَا يَزُولُ زَوَالِ حُلْمِ النَّائِمِ

قافيه النون

(٤٣٧)

وقال :

اصْطَبِرْ لِلزَّمَانِ إِنْ حَافَ حِينًا أَوْ تَلَقَّكَ بِالْمَخَافِ حِينًا
إِنَّ صَبْرَ الْكَلِيمِ^(١) وَهُوَ طَرِيدُ الْخَوْفِ أَفْضَى بِهِ إِلَى طُورِ سِينَا

(٤٣٨)

وقال :

مَنْ مَلَّ فَاهْجُرْهُ ، فَقَدْ أَبَدَى لَكَ الْيَأْسَ الْمِينَا
أَعْيَا شِمَاسُ أَحْيَى التَّلَوْنَ وَالْمَالِ الرَّائِضِينَا^(٢)
لَنْ يَرْجَعَ الْفَخَّارُ بَعْدَ تَلَافِهِ بِالْكَسْرِ طِينَا

(١) الكليم : موسى عليه السلام .

(٢) الشماس : عدم الاقياد . وراض الفرس : ذلله .

(٤٣٩)

وقال :

يا شاربَ الخمرِ بعدَ التَّسْكِ والدينِ وبعدَ ما تَابَ عما رابَ مُذِ حينِ
أفسدتَ دينَكَ، والسبعونَ أفسدتَ الدنيا، فليستَ بذى دُنْيَا ولادينِ
ولِإِثْمَا أَنْتَ نَفَّارٌ تَكْسِرُ، لَا يُرْجَى لِنَفْعِ، وَلَا يَعْتَدُ فِي الطَّيْنِ

(٤٤٠)

وقال :

كَمْ تَقْصِدُ الْمَاجِدِينَ الْفَاضِلِينَ، وَكَمْ تَعْلَمُ الْكِرْمَاءَ الْبُخْلَ يَازِمُنُ
إِذَا تَوَالَتْ عَلَيْهِمْ نَائِبَاتُكَ، وَاجْتَاكَ^(١) فَوَاضِلٌ مَا يُؤْلُونَهُ الْحَنُ
فَكَيْفَ بِالْجُودِ وَالْأَحْدَاثُ تُسَلِّبُ مَا يُؤَلَى بِهِ الْعَرْفُ، أَوْ تُسَدِّي بِهِ الْمَنُ
شُغْلُ الزَّمَانِ بِأَهْلِ النَقِصِ يَرْفَعُهُمْ حَتَّى يُثْمَرَ لِّلسُّورَاتِ مَا نَخْرُنُوا
أَهْلَاهُ عَنِ كِرْمَاءِ النَّاسِ، فَهُوَ عَلَى ذَوَى الْمَكَارِمِ وَالْأَفْضَالِ مُضْطَغِنُ^(٢)

قافية الهاء

(٤٤١)

وقال :

لَا تَحْضَعُنْ رَغْبًا وَلَا رَهْبًا، فَمَا الْمَرْجُوُّ وَالْمَخْشِيُّ إِلَّا اللَّهُ
مَا قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ مَالِكًا مِنْ يَدِ بَدِ قَاعِهِ، وَسِوَاهُ لَا تَحْشَاهُ

(١) الاجتناع : الاستئصال والإهلاك .

(٢) اضطنن : انطوى على الحقد .

(٤٤٢)

وقال :

نلتُ في مصبرِ كلِّ ما يرتجى الآملُ : لمن رفعةٍ ، ومالٍ ، وجاهٍ
فاستردتُ ما حولتني^(١) ، وما أسرعَ نقصَ الأمورِ عندَ التَّناهي
كنتُ فيها كأنني في منامٍ زالَ منه ما سرَّ عندَ انبئاهي

(١) قوله الله مالا : أطاق .

في الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب

قافية الباء

(٤٤٣)

قال :

وشائمةً برقاً بفودى راعها وما كلُّ برقٍ لاحٍ يُؤذنُ بالخصبِ
 رأَتُ شَعْرَاتٍ أَخْلَقْتُ بَعْدَ جِدَّةٍ ونفساً سلت بعد الغواية في الحُبِّ
 فقالت : نهاك الشيبُ عن مَرَجِ الصِّبَا وردَّاك بعد الجونِ دهرُك بالعصبِ^(١)
 فقلتُ : نعمُ أَصْبَحْتُ طَوَّعَ عَوَاذِلِي وَأَصْبَحْتُ لَا أَصْبُو لِلْهَوِ وَلَا أُصْبِي
 وَلَا عَجَبٌ : لَيْلٌ تَبْلِجُ بَجْرُهُ وَحِلْمٌ رَمَى شَيْطَانَ جَهْلِي بِالشَّهْبِ
 وَهَمٌّ وَرَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ زَنْدُهُ أَضَاءَ لَهُ فِي مَفْرَقِي لَامِعُ اللَّهْبِ

(٤٤٤)

وقال :

أما ترى الشيبَ قد ردَّاك بعد دُجَى فودَيْكَ ، واهَا لِدَاكَ اللَّيْلِ ، بِالْعَصَبِ
 وأسمعتك الليالي في مواظِها أَنَّ ابْنَ سَبْعِينَ مِنْ وَرْدٍ عَلَى قُرْبِ
 أَعْرَضْتُ عَنْ صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَغْفِ بِهَا ، وَجَانِبْتُ مَا يُدْنِي مِنَ الرَّيْبِ
 وسرْتُ طَوَّعَ النَّهْيِ ، تُرَضَى أَنَاتِي فِي سِيرِي ، وَمَرَى فِي شَدَى وَفِي خَبِي^(٢)

(١) الجون : الأسود . والعصب : ضرب من البرود يظهر أنه أبيض .

(٢) الشد : العدو . والخب : ضرب منه .

(٢٤٥)

وقال^(١):

لو كان صدَّ مغاضباً^(٢) ومُعَاتِباً
لكن رأى تلك النَّضَارَةَ قد ذَوَّتْ^(٣)
وتعاقبُ الأيامِ أعقبَ لِمَتِي^(٤)
ورأى النهى بعد الغوايةِ صاحبي
وأبيه ، ما ظلمَ المشيبُ ، وإنه
أنا كالذَّبْحِي ، لما انتهى نَشْرَتُ له
نحسونَ من عُمرِي مضتْ لم أتَّعْظُ
لم أنتَمَّعْ بِجَارِي فِيهَا عَلِي
وأنتِ عَلِيٌّ بِمَصْرَ عَشْرَ بَعْدَهَا
شاهدتُ من لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ
أعْتَبْتُهُ^(٥) ، ووضعتُ حَدِي تَائِباً
لما غدا ماءُ الشَّيْبَةِ نَاضِباً^(٦)
من حَالِكِ جَنْدِلٍ^(٧) شَكِيرِياً^(٨) شَابِياً
فَفَتِنِي العِنَانُ ، يُرِيغُ^(٩) غَيْرِي صَاحِباً
أَمْلِي ؛ فَقُلْتُ: عَسَاهُ عَنِّي رَاغِباً
أيدِي الصَّبَاحِ مِنَ الضَّيَاءِ ذَوَائِباً
فِيهَا ، كَأَنِّي كُنْتُ عَنْهَا غَائِباً
أَتِي لَقِيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِباً
كَانَتْ عِظَاءً كُلُّهَا وَتَجَارِباً
وَتَقَلَّبِ الدُّنْيَا الرُّقُوبِ^(١٠) عَجَائِباً

قافية التاء

(٤٤٦)

وقال :

صحاً ، وللجهلِ أوقاتٌ وميقاتٌ
رأى المشيبَ كبيضِ الهندِ لامعةٌ
وللغواياتِ والأهواءِ غاياتٌ
لها على فوده الغريبِ^(١١) إصلاّتُ^(١٢)

(١) روى ياقوت في معجم الأدياب: ٥٠: ١٩٧ والخريدة: ١: ١٠٠ البيت الأول والأبيات من الثالث إلى السادس.
(٢) في ياقوت والخريدة «معاتباً ومناضياً» . (٣) أعتبته : طلبت إليه العتي وهو الرضا .
(٤) ذوى العنصن : ذبل . (٥) نضب الماء : غار . (٦) العنّة : الشعر المجاوز شمة الأذن .
(٧) الجندل : الشعر الكثير المنلف . (٨) الشكير : الشعر اللين الرقيق . (٩) يرغ : يريد .
(١٠) الرقوب : التي لا يعيش لها ولد . (١١) الغريب : الشديد السواد . (١٢) أصلت السيف : جرده .

فراجعَ الحلمَ، وانجابت^(١) غوايتهُ وفي النهي للهوى المُردي نِهايَتُ
والشيبُ شهبُ رمت شيطانَ شرته^(٢) فأفصدته^(٣)، وكم تجو الرميَّاتُ
للهِ دُرُ الصِّبا، لو دَامَ روتقُه فما كأوقاتهِ في العُمُرِ أوقاتُ
ولارعى الشَّيبَ من زورٍ^(٤) إذا نزل السَّموى نأت، وسرت عنه المسراتُ
طوالعُ الشَّيبِ إن رآقتك واضحةً طلائعُ قدمتهن المنيَّاتُ

(٤٤٧)

وقال :

مالي رأيتُ التَّلَجَ عممَ شيبُه قُلِّلَ^(٥) الرِّيا، فزهت بحسن نَبَاتِهَا
رَاقَ العيونَ، وشيبُ فودي راعها حتى كان الشَّيبَ ونجز^(٦) قَدَاتِهَا

قافية الجيم

(٤٤٨)

وقال :

دغ ما نهى الشَّيبُ والسبعون عنه، فترِ
واعتمت من فتك أخذان الصِّباورعاً
عذرت، إذ جرت في ليل الشَّباب، فهل
وما أساءت بك الأيام إذ جعلت
بأك : الصِّبا، والشَّبابُ الغضُّ قد درجاً^(٧)
ومن جهالة أيام الشَّبابِ حجا
عذراً، وشيبك قد أذكى لك السُّرجا
فوديك درأ ، وكانا^(٨) قبله سبجاً^(٩)

(٢) شرة الشباب : نشاطه .

(٤) الزور : الزائر .

(٦) الرنخ : الطن لا يكون اندا .

(٨) في الأصل (كانت) تحريف .

(١) انجابت : انكشف .

(٣) أفصد فلانا : طعمه فلم يحطه .

(٥) قلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل والريوة .

(٧) درج : مات .

(٩) السبج : خبز ، لعله أسود .

مافية الدال

(٤٤٩)

وقال ، وقد غسل رأسه في بركة ، فرأى شعرا أبيض قد سقط من رأسه
على وجه الماء :

أرى شعراتٍ يَنبَئُنَّ^(١) ، كأنها على الماء صَدْعٌ في الزَّجَاجَةِ بَادٍ
وعهدى بها فيما مَضَى ، وكأنها على النِضَّةِ البيضاءِ نَقْشُ سَوَادٍ

(٤٥٠)

وقال :

إذا ما جَلَا اللَّيْلُ النَّهَارُ بِنُورِهِ تَعَقَّبَهُ لَيْلٌ أَحْمَرُ^(٢) رَكُودٌ
فألى أرى لَيْلَ الشَّبَابِ إذا جَلَا وجاء نهارُ الشَّيْبِ لَيْسَ يَعُودُ

(٤٥١)

وقال

نَظَرْتُ بِيَاضَ مَفَارِقِي ، فَاسْتَرْجَعْتُ أَسْفَا ، وَقَالَتْ : أَيْنَ ذَاكَ الْأَسْوَدُ
قُلْتُ : اِضْمَحَلَّ ، فَاطْرَقْتُ ، وَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا تُصَعِّدُهُ حَشًّا تَتَوَقَّدُ
قَالَتْ : فَهَلْ مِنْ مَوْعِدٍ لَلْقَائِنَا فَأَرَى نَذِيرَ الْبَيْنِ ، قُلْتُ : الْمَوْعِدُ^(٣)

(١) الانتباز : التنحي . (٢) الأحمر : الأسود ، من كل شيء .

(٣) يريد بالموعد يوم القيامة .

قافية الراء

(٤٥٢)

وقال :

يقولون : جارَ عليك المشيبُ ومَن ذا يُجِيرُ^(١) إذا الشيبُ جَارًا
وما كنتُ مغتبطًا بالشباب وهل كان إلا رداءً مُعارًا
ولكنتي ساءني فقده فواهاً له ، أي همُّ آثارًا
وما ساءني أن أحالَ الزمانُ ليلي نهارًا ، وجَهلي وقَارًا
ولكن يقولون : عصرُ الشباب يكونُ لكلِّ سرورٍ قرارًا
وما زلتُ منذُ تردُّيتهُ تتكايطُ ليلٍ أعاني العنارًا
أكابدُ دهرًا يُسببُ الوليدَ وهما يسبُّ بأحشاي نارا
فوجدى أيَّ فارقتُه ولم أبلُ^(٢) ما يزعمون اختيارًا

(٤٥٣)

وقال :

تصاممتُ عن لَويمِ العذولِ ، كأنما رمى الوجدُ يومَ الينِ سمعي بِالوَقْرِ^(٣)
وقد كنتُ معذورًا بانفة^(٤) الصبا فهل لي بَعْدَ الشيبِ في الجهلِ من عذرٍ
وغيرُ ملومٍ مدلج^(٥) ضلَّ ، إنما يلامُ إذا ما ضلَّ في وضحِ الفجرِ

(١) أجار : أتمد . (٢) أبلو : أختبر . (٣) الوقر : ذهب السمع .
(٤) آفة الصبا : ميمته وأرليه . (٥) التلج : السير من أول الليل .

(٤٥٤)

وقال :

رَأَيْتُ مَا تَلْفِظُ الْمَوْسَى، فَاسْفَنَى إِذْ عَادَ حَالِكُهُ كَالْتَلِجِ مَشْهُورًا
 فَقُلْتُ إِذْ رَأَيْتُنِي تَغْيِيرُ صَبْغَتِهِ: سَبْعَانَ مِنْ رَدِّ ذَاكَ النَّدِّ كَافُورًا^(١)

(٤٥٥)

وقال :

إِذَا تَقَوَّسَ ظَهْرُ الْمَرْءِ مِنْ كِبَرٍ فَعَادَ كَالْقَوْسِ يَمْشِي، وَالْعَصَا الْوَتْرُ
 فَالْمَوْتُ أَرْوَحُ آتٍ يَسْتَرِيحُ بِهِ وَالْعَيْشُ فِيهِ لَهُ التَّعْدِيبُ وَالضَّرَرُ

(٤٥٦)

وقال :

إِذَا عَادَ ظَهْرُ الْمَرْءِ كَالْقَوْسِ، وَالْعَصَا لَهُ حِينَ يَمْشِي، وَهِيَ تَقْدُمُهُ، وَتَرَّ
 وَمَلَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَأَضْعَفُهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّتِهِ الْكِبَرُ
 فَإِنَّ لَهُ فِي الْمَوْتِ أَعْظَمَ رَاحَةٍ وَأَمَّا مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يُنْتَظَرُ

(١) الند : العنبر . والكانور : طيب خشب أبيض هش .

قافية القاف

(٤٥٧)

وقال :

لَدَيْهِ وَإِخْوَانُ الشَّبَابِ مَضُونًا قَبِيلِي ، وَكَمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبْقَى
كُنَّا كَأَقْرَاسِ الرَّهَانِ جَرَوْا فِي غَايَةِ ، فَتَقَدَّمُوا سَبَقًا
وَهُمْ إِذَا بَلَّغُوا الْمَدَى وَقَفُوا حَتَّى تَضُمَّ الْحَلْبَةَ^(١) الْخَلْقًا

(٤٥٨)

وقال :

تَلَجَّ النَّبَاتُ فِرَاقَ لَوْنٍ مَشْبِيهِ فَعَلَامَ لَوْنِ الشَّيْبِ لَيْسَ يَرُوقُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَ ذَا دَاغٍ إِلَى طَيْبِ السَّرُورِ ، وَذَاكَ عَنْهُ يَعُوقُ
وَإِذَا أَخُو الشَّيْبِ اسْتَجَابَ لِلذَّةِ وَمَسْرَّةٍ ، فَسُرُورُهُ مَسْرُوقُ

قافية اللام

(٤٥٩)

وقال :

لَمْ تَرَكَ السَّبْعُونَ فِي إِقْبَالِيَا مِنِّي سِوَى مَا لَا عَلَيْهِ مَعُولٌ
حَتَّى إِذَا مَا عَامَهَا عَنِّي انْقَضَى وَوِطِئْتُ فِي الْعَامِ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) الحلبة : مجال التحليل للسباق .

حَطَمْتُ قَوَائِي، وَأَوْهَنْتُ مِنْ نَهَضَتِي وَكَذًا بَمَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ تَفَعَّلُ
كَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْحُرُوبِ؛ فَلَيَاتِي فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبْلِ نَكْسِي أُقْتَلُ
وَالْقَتْلُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلَى، وَيُفْنِيَهُ الزَّمَانُ، وَأَجْمَلُ
وَأَبِيكَ مَا أَجْمَمْتُ عَنْ حَوْضِ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ الْمُنْصَلُ^(١)
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ أَتَّخَرَنِي إِلَى أَجَلِي الْمُؤَقَّتِ لِي فَمَاذَا أُنْعَمُ

(٤٦٠)

وقال :

وَضَحَّ الصَّبَاحُ لِنَاظِرِ الْمُتَأَمِّلِ فإِلَامَ تَوْضِعِ فِي الطَّرِيقِ الْمَجْهَلِ^(٢)
أَوْ مَا نَهَتْكَ السَّنُّ عَنْ مَرَحِ الصَّبَا وَالْحَوْضِ فِي غَيِّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
تَزَّهَ بِيَاضِ الشَّيْبِ عَنْ دَنَسِ الْهُوَى فَفَسَدَ ارْتَدَيْتَ الدَّرَّ غَيْرَ مُفْصَّلِ
وَاعْفِ الْعَذُولَ عَنِ الْمَلَامِ، فَلَوْمُهُ غَيْرُ الْمَلِّمْ يَسْمَعُ مِنْ لَمْ يَجْهَلِ

(٤٦١)

وقال :

نَضًا^(٣) صَبِغُ الشَّبَابِ، فَلَسْتُ أَدْرِي لَصِبِغِ حَالٍ، أَمْ تَغْيِيرِ حَالِ
وَمَا أبيضُ الْغَرَابُ الْجَوْنُ إِلَّا لِيَنْعَبَ بَانْتِقَالِ وَارْتِحَالِ

(٢) أرض مجهل كقوله: لا يهتدى فيها . وأرضع : أسرع في سيرة .

(١) المنصل : السيف .

(٣) نضا : ذهب .

(٤٦٢)

وقال :

إن ضُعُفَتَ عن حَمَلٍ ثِقَلِي رَجُلِي وَرَأَيْتُ عِشَارَهَا فِي السَّهْلِ
أَمْشَى كَمَا يَمْشَى الْوَجِي^(١) فِي الْوَحْلِ مَشَى الْأَسِيرِ مُثْقَلًا بِالْكَبْلِ^(٢)
فَللِعَصَا عِنْدِي عُدْرُ الْمُبْلِي^(٣) إن عَجَزْتُ، أَوْ ضَعُفْتُ عَنِ حَمَلِي

قافية الميم

(٤٦٣)

وقال :

قالت وَأَحْزَنَهَا بِيَاضُ مَفَارِقِي : مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : تَرْيِكَةُ^(٤) الْأَيَّامِ
فَبَكَّتْ ، وَقَالَتْ : هَلْ لَهَا مِنْ وَارِدٍ أَوْ رَائِدٍ يَوْمًا ؟ فَقُلْتُ : حِمَامِي

(٤٦٤)

وقال :

أَنْظُرْ إِلَى لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهُ أَحْلَامُ
قَدْ كَانَ كَنَفِي مَأْلَفًا لِمَهْنَدٍ تُعْرَى^(٥) الْقُلُوبُ لَهُ وَتُعْرَى^(٦) الْهَامُ
وَلَأَسْمِرٌ لَدُنِ الْكَعُوبِ، وَجَارُهُ^(٧) حَيْثُ اسْتَمَرَ الْفِكْرُ وَالْأَوْهَامُ

(١) الوجي : الحفا . وجي كرضي وجي فهو وج ووجي . (٢) الكبل : القيد .

(٣) أبلاء عذرا : أداه إليه فقبله . (٤) التريكة : روضة يُعْقَلُ عن رعيها .

(٥) تُعْرَى من العروى وهي : الزعدة . (٦) فراد يفر به : شقته .

(٧) الوجار في الأصل : حجر الضيع وغيرها .

تَزِيلُ الْأَبْطَالِ عَنِّي ، مَثَلَهَا نَقَرْتُ مِنَ الْأَسَدِ الْهَصُورِ نَعَامُ
 فَرَجَعْتُ أَحْمَلُ بَعْدَ سَبْعِينَ الْعَصَا فَاَعْجَبَ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ
 وَإِذَا الْحَمَامُ أَبِي مُعَاجَلَةَ الْفَتَى خِيَاتَهُ . لَا تُكْذِبَنَّ^(١) ، حَمَامُ

(٤٦٥)

وقال مخاطبا لصديق :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي فَلَا نَ الدِّينِ ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي
 أَنِّي هَجَرْتُكَ لَا كَظْمِكَ طَائِعًا ، لَكِنْ بَرَعِي
 أَوْهَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ هَمِي ، وَفَلَّتْ حَدَّ عَزْمِي
 وَرَمَنْعِي الْأَيَّامُ عَنِ قَوْسِي ، فَأَرَدْتَنِي بِسَهْمِي
 وَغَدَاَ الدِّينَ بِهِمْ أَسَى لِي الْهَمُّ حِينَ يُلْمُ ، هَمِي

(٤٦٦)

وقال ، وقد رزق ابنة ، سماها أم فروة ، بعد أن تجاوز أربعاً وسبعين سنة
 أَفْكَرُ فِي فُرْيَةٍ مَا تُلَاقِي مِنَ الدُّنْيَا فَتَغْشَانِي الْهُمُومُ
 وَتَصْعَدُ زُفْرِي أَسْفَا ، لَعَلِّي بِمَا يَلْقَى مِنَ الْبُؤْسِ الْيَتِيمُ
 وَقَدْ أَوْدَعْتُهَا رَبًّا كَرِيمًا وَمَا يَنْسَى وَدَيْعَتَهُ الْكَرِيمُ

(١) كَذَبَ الرَّجُلُ : أَخْبَرَ بِالْكَذِبِ .

قافية النون

(٤٦٧)

وقال في المعنى أيضا :

لَمَّا مَخَطَّنِي السَّبْعُونَ مُعْرِضَةً وَسَاوَرَ الضَّعْفُ بَعْدَ الْأَيْدِ^(١) أَرْكَانِي
 وَأُدْخِلْتَ كَانِي فِي شُكْرِي وَفِي صِفَتِي وَاسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مَا قَدِ كَانَ أُعْطَانِي
 رُزِقْتَ فَرَوَةً ، وَالسَّبْعُونَ تُخْبِرُهَا أَنْ سَوْفَ تَيْتِمُّ عَن قُرْبٍ ، وَتَنْعَانِي
 وَهِيَ الضَّعِيفَةُ ، مَا تَنْفُكَ كَاسِفَةً ذَلِيلَةً ، تَمْتَرِي^(٢) دَمْعِي وَأَحْزَانِي
 مَا كَانَ ، عَمَّا سَنَلَقَاهُ وَعَن جَزَعِي لَمَّا سَنَلَقَاهُ . أَغْنَاهَا وَأَغْنَانِي

(٤٦٨)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي فِي السَّهْلِ الْعَصَا وَنَبَتْ بِي ، حِينَ حَاوَلْتُ الْحَزُونََا
 وَإِذَا رَجَلِي خَائِتْنِي ، فَلَا لَوْمَ عِنْدِي لِلْعَصَا فِي أَنْ تَخُونَا

(٤٦٩)

وقال ، وكتبها بخط يده :

نُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ ، وَحَطَّنِي السَّ بَعُونَ لَمَّا أَنْ عَلَتْ سِنِّي
 وَغَيَّرْتَ خَطِّي ، فَأَضْحَى كَمَا تَرَى ، وَكَمْ قَدْ غَيَّرْتَ مَنِّي
 وَالْمَوْتُ فِيهِ رَاحَةٌ مِنْ أَدَى الدُّ نِيَا ، فَمَا أَغْفَلَهُ عَنِّي

(١) الأيد : الفتوة . (٢) امتدى الشيء : استخرجه .

تأفیه الہاء

(٤٧٠)

وقال :

نظرتُ مُبيضَ فودي ، فبكتُ ثم قالت : ما الذي بعدى عراهُ
 قلتُ : هذى صبغةُ الله ، ومن يصبغُ الأسودَ مبيضًا سواهُ

(٤٧١)

وقال :

حملتُ ثقلِي بعد ما شبتُ العصا فتحملته ثمحل المتكأره
 ومشت به مشى الحسير^(١) بوقره^(٢) لا يستقل^(٣) ، مقبدا بعناره
 ما آدها^(٤) ثقلِي ، ولكن ثقلُ ما أبق الشاب على من أوزاره
 ورجاى معقود بمن أعطى أخوا السبعين عهدة^(٥) عتقه من ناره

-
- (١) حسر كعرب وفرح : أعيا ، فهو حسير .
 (٢) الوقربا لكسر : الحمل الثقيل .
 (٣) يستقل : ينهض .
 (٤) آده الأمر : بلغ منه المجهود .
 (٥) العهدة : كتاب البيع .

في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار

قافية الباء

(٤٧٢)

قال :

يَا رَبِّ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَنٌ لِي تَضْيِيعَ وَقْتِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبِ
وَأَنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أَضْحَى عَلَى ثِقَةٍ بِحَسَنِ عَفْوِكَ : إِنِّي عِنْدَ ظَنِّكَ بِي

قافية التاء

(٤٧٣)

وقال :

يَا غَافِلِينَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ، أَفِيقُوا ، فَلانْسَوَامَ هَبَّاتُ
مَاذَا السَّكُونُ إِلَى دُنْيَا حَوَادِثِهَا لَهَا عَلَى الْخَلْقِ غَدَوَاتٌ وَعَدَوَاتُ
كَيْفَ الْبَقَاءُ بَدَارٍ لِلْفَنَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ كَرَّاتٌ وَغَارَاتُ
وَأَنْتَ ، يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَالِكٌ فِي الدُّ نِيَاً مِنَ النَّاسِ غَيْرِ الْبَعْدِ مَنْجَاةُ
يَسْرَكَ الْبَشَرُ مِنْهُمْ حِينَ تُبْصِرُهُمْ وَلَوْ خَبِرْتَ لَسَاءَ نَكَ الطَّوَيَّاتُ
فَاقْطَعْ حِبَالَكَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ ، فَهَمُّ فِي كُلِّ حَالَةٍ مَنْ دَانُوا حِبَالَاتُ^(١)

(١) حباله ككتابة : انصدة .

واحدَر من النَّاسِ ، إِنِّي قد خَبَرْتُهُمْ^(١) ولا يَغْرَنَكَ خَبْرٌ^(٢) فِيهِ إِخْبَاتٌ^(٣)
لا تَرْجُهُمْ فِي مُلَبَّاتِ الزَّمَانِ ؛ فَمَا تُلِيمُ إِلَّا مِنْ النَّاسِ الْمُؤَلَّبَاتُ
وَكُلَّهُمْ ، وَهُمْ الأَحْيَاءُ ، إِنْ بُعِثُوا^(٤) على الحياءِ وفعلِ الخَبْرِ ، أَمَوَاتُ
وقد سَمِعْنَا أَنَّ الأَرْضَ كانَ بِهَا ناسٌ كَرَامٌ ، وَلَكِنْ قِيلَ : قَدَمَاتُوا
ولستُ أدرى صحیحاً ما تَضَمَّنَتِ الكُتُبُ القَدِيمَةُ أم فِيهَا صَمَانَاتُ^(٥)
وأغلبُ الظنِّ أَنَّ القومَ قد جَمَعُوا لِلبَاحِلِينَ حَدِيثَ البُهْتِ^(٦) : أَى هَاتُوا
لو كانَ ما جَمَعُوا يَبْقَى لَهُمْ لَقَضَتْ عَلَيْهِمُ بِالمُؤاساةِ المِروءَاتُ
فكَيْفَ ، وَهِيَ عَوَارٍ تُسْتَرَدُّ ، وَأَفْأَاءُ^(٧) تُنْقَلُهَا فِي النَّاسِ دَوْلَاتُ

قافية الحاء

(٤٧٤)

وقال :

لا تَرْتَجِ الخَلْقَ ؛ فالأَبوابُ مُرْتَجَةٌ دُونَ الحُطَامِ ، وَبَابُ اللهِ مَفْتُوحٌ
والرِّزْقُ لو كانَ فِي أَيْدِي الأَنامِ أَبَوا أَنْ يَشْرَبَ المِماءَ مِنْ طُوفانِهِ نوحٌ
لَكِنَّهُ فِي يَدَيَّ مَنْ فَضَلَهُ أَبَداً لِلطَّاعِمِينَ وَالعاصِمِينَ مَمْنُوحٌ

(١) الخب : الخداع .

(٢) أخبت : خشم وتواضع .

(٣) بعثه على الشيء : حمله على فعله .

(٤) الضمة بالضم وكسحاب وسحابة : المرض .

(٥) البهت بالضم : الكذب .

(٦) أفباء : جمع فيء وهو الظل .

قافية الدال

(٤٧٥)

وقال :

مُذْ بَصَّرْتَنِي تَجَارِي ، وَنَبَّهَنِي ، خُبْرِي بدهري ، فَقَدْتُ العَيْشَةَ الرِّغْدَا
كَأَنِّي كُنْتُ فِي حُلْمٍ ، فَأَيْقَظَنِي ، خَوْفِي ، وَآلَى عَلَي جَفْنِي لَارْقَدَا

(٤٧٦)

وقال :

عَجَزْتُ عَنِ الدُّنْيَا ، فَهَلَى مِنْ يَدٍ ، وَلَى الْاَيْدِ^(١) الْمَسَاعِدُ وَالْيُدُ
وَلَكِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْهَا ، فَأَرْعَوِي ، وَلَا نِلْتُ مِنْهَا مَا أُوَدُّ ، وَأَقْصِدُ
شَقِيتُ بِمَا أَحْرَزْتُهُ : مِنْ فِضَائِلٍ ، بِأَيْسَرِهَا يَحْطَى الشَّقِيُّ وَيَسْعُدُ
وَفِي النَّفْسِ ، إِنْ نَاجَيْتُهَا بِاطْرَاحِهَا ، وَبِالزُّهْدِ فِيهَا ، فَتَرَةٌ وَتَرْدُ
فِيَارِبِ أَهْمِهَا الرِّشَادَ بَتْرِكِهَا ، فَإِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ وَتُرْشِدُ

(٤٧٧)

وكتب على حائط مسجد ، بظاهر منبج ، وهو متوجه إلى الحجاز :

زَلْنَا بِهِ ، حَتَّى إِذَا يَوْمُنَا انْقَضَى رَحَلْنَا عَلَى الْعَيْسِ النَّجَائِبِ وَالْجُرْدِ^(٢)
نَوْمٌ بِهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَنَبْتَعِي مِنْ النَّارِ عَتَقًا جَاءَ فِي سَابِقِ الْوَعْدِ
فِيَا مَنْ قَصَدْنَا بَيْتَهُ وَنِيَّهِ بِكَ الْعَوْذُ ، يَا مَوْلَايَ ، مِنْ خَيْبَةِ الْقَصْدِ

(١) الأيد : القوة .

(٢) فرس أجرد : قصير الشعر رفيعه . والعيس : الإبن البيض يحالط بياضها شقرة .

(٤٧٨)

وقال من قصيدة تقدمت^(١) :

أما رأوا تقاب الدنيا بنا وفتكها بمن إليها أخلداً^(٢)
كم نسفت أيدي الخطوب جبلاً وصيرت لجةً بحرٍ ثمداً^(٣)
ولم أعادت ذا ثراءً مُعدماً وذا قِيلٍ وعديدٍ مُفرداً
علمت ما لم يعلموا ، ونظرت عيناى دهرى مضدراً ومورداً
فما رأيت غير ظلٍ زائلٍ كلُّ يمدُّ نحوهُ، جهلاً، يداً

(٤٧٩)

وقال^(٤) :

مُتَوَبُّةُ الْفَاقِدِ عَنْ فَقْدِهِ بِصَبْرِهِ أَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِ
يَبْكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يَطْمَعُ فِي التَّخْلِيدِ مِنْ بَعْدِهِ
ما حيلةُ النَّاسِ؟! وهل من يد لهم بدفع الموتِ أو صدِّهِ
وروده لا بدَّ منه ؛ فلم^(٥) . تُنْكِرُ ما لا بدَّ من ورده^(٦)
سِهامُهُ لم يَسْتَطِعْ رَدَّهَا داودُ بِالْحَكَمِ مِنْ سَرْدِهِ

(١) أول القصيدة : أنهم فيكم لاني وأنجدوا وما أفاد سلوة إذ فندا راجع ص ٦٦ .

(٢) أخلد إليه : مال .

(٣) الحمد : الماء ، القليل .

(٤) رويت هذه القصيدة في نريدة القصر ١٠٤٠١ .

(٥) رواية النريدة "فا" .

(٦) ينظر فيه إل فوق المتنبي : نحن بنو الموق ، فإ بالنا ناعف ما لا بد من ورده

ولا سليمانُ ابنه ردها بملكه والحشد من جنده
عدلُ تساوى الخلق فيه ، فما يميزُ المالكُ عن عبده
كلُّ له حدٌّ ، إذا ما اتهمى إليه وأفاه على حده
تجمعنا الأرضُ ، فكلُّ (١) امرئ في لحده كالطفلٍ في مهده
أما ترى وراذنا (٢) عرسوا (٣) بمنزلٍ دانٍ على بعده
تبوءوا الأرضَ ، ولم يُخبروا عن حرِّ متوأمهم ولا برده
لِحادثٍ أسكتهم أمسكوا عن ابتداء القومِ أو رده
لو نطقوا قالوا : التقي خيرُما تزودَ المرءُ إلى لحده
فارجعْ إلى الله ، وثق بالذي وآفأك في الصّادقِ من وعده
للصّابرينَ الأجرُ ، والأمنُ من عذابه ، والفوزُ في خُله

(٤٨٠)

وقال :

تبارك اسمك ، كم من آيةٍ شهدتْ بأنك الواحدُ المستعلَى الصمدُ
ما يصبغ الأسودَ الغريبَ غيرُك مُبِيضًا ، ولا يتعاطى صبغه أحدُ

(١) في الحرية "وكل" .

(٢) في المصدر منه "أسلافنا" .

(٣) عرس القوم في المنزل : إذا تزولوا .

قافية الراء

(٤٨١)

وَكَتَبَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ بِصُورٍ^(١) :

أَحْذَرُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْعُمْرِ الْقَصِيرِ
وَانظُرْ إِلَى آثَارِ مَنْ صَرَعْتَهُ مَنَّا بِالْغُرُورِ
عَجَّرُوا ، وَشَادُوا مَا تَرَاهُ : هُ مِنْ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ
وَتَحَوَّلُوا مِنْ بَعْدِ سُكْنَانِهَا إِلَى سُكْنَى الْقُبُورِ

(٤٨٢)

وقال :

لَا تَغْتَبِطُ بِسُرُورٍ ذِي مَا يَدُومُ بِهَا سُورُ
وَكذَلِكَ لَا تَجْزَعُ لِحَا دَثَّةٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
بِجَمِيعِ مَا فِيهِ الْأَنَا م ، أَلَيْسَ أَنْجَرَهُ الْقُبُورُ

(٤٨٣)

وقال :

أَرَى الْعَيْنَ تَسْتَحْلِي الْكَرَى ، وَأَمَامَهَا كَرَى لَيْسَ تَقْضِيهِ إِلَى دَاعِي الْحَشْرِ
وَلَيْسَ يَنَامُ الْخَائِفُونَ ، فَالَهَا تَنَامُ عَلَى عَظْمِ الْمَخَافَةِ وَالذُّعْرِ

(١) روى هذا الشعر في كتاب الروضتين ١ : ١٢٧ ، وقد ذكر أن أسامة كتب هذا الشعر بمدينة صور حين دخل دار ابن أبي عقيل محمد بن عبد الله بن عياض صاحب صور ، فأرادها تهدمت ، وتغيرت زخرفها ، فكتب هذه الأبيات على لوح من رخام .

(٤٨٤)

وقال :

دنياى ناشِرَةٌ^(١) ، فإن فارقتُها طوعاً ، وإلا فارقتني كإرهاباً
إِنَّا لَنُنْكَرُ سَوْءَ عَاقِبَةِ الْوَرَى فيها ، ونهواها على إنكارها
كُلُّ بِهَا كَافٌ ، ومن يزهّد يكن في زُهده متكلفاً متكارها
أَذْكَرْتُ نَفْسِي مَضْرَعِ الْآبَاءِ مِنْ قَبْلِي ، فَمَا أَضَعْتُ إِلَى إِذْكَارِهَا
وَعَجِبْتُ مِنْهَا ، كَيْفَ لَمْ يَجِرِ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ يَوْمًا عَلَى أَفْكَارِهَا
وَالْمَوْتُ إِنْ لَمْ يَأْتِ فِي إِمْسَانِهَا وَآقَى مَعَ الْإِصْبَاحِ فِي إِبْكَارِهَا
وَأَمَامَهَا السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، وَقَطَعَهُ بِالْبِرِّ ، لَا يَقْرُومُهَا^(٢) وَبِكَارِهَا^(٣)
وَالذَّهْرُ يَطْرُقُ بِالْخَطُوبِ ، وَمَالَنَا بِعَوَانِهَا^(٤) أَيْدٍ ، وَلَا أَبْكَارِهَا
وَالثَّرْبُ أَوْكَارُ الْأَنَامِ ، وَكُنَّا كَالطَّيْرِ ، رَانِحَةٌ إِلَى أَوْكَارِهَا

(٢٨٥)

وقال ، وكتبها على حائطِ مسجدِ سَبْرِينَ ، بظاهِرِ مَدِينَةِ حَلَبِ^(٥)

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ ، كَمْ لَكَ مَنَّةٌ عَلَيَّ ، وَفَضْلًا^(١) لَا يَقُومُ بِهِ شُكْرِي
نَزَلَتْ بِهَذَا الْمَسْجِدِ الْعَامِ قَافِلًا مِنْ الْعَزْوِ ، مَوْفُورَ النَّصِيبِ مِنَ الْأَجْرِ

(١) نشرت المرأة : استعصت على زوجها .

(٢) القوم : بالفتح الفعل ، وجمعه قروم .

(٣) البكرة بفتح وسكون وبجر : الجماعة الفنية من الإبل ج بكار .

(٤) العوان من النساء : من كان لها زوج . والأيد : الشدة والقوة .

(٥) روى هذا الشعر في الروضتين ١ : ٢٧٠ ، وقد كتبها أسامة سنة ٥٥٧ هـ .

(٥) هذه رواية الأصل في الروضتين " وفضل " .



ومنه رحلتُ العيسُ في عامي الذي مضى نحو بيتِ الله ذي الركنِ والحجرِ
فأذيتُ مفروضي، وأسقطتُ نفلَ ما تحملتُ من وِزرِ السنينِ على ظهري

(٤٨٦)

وقال :

أيها الظالمُ . مهلاً أتَ بالحاكمِ غرُّ
كلُّ ما استعدتَ من جورِكَ تعذيبٌ وجرُّ
ليس يلقى دعوةَ المظلومِ دونَ اللهِ سترُ
تخفُ اللهَ ، فإِ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ سرُّ
يجمعُ الظالمُ والمظلومَ بعدَ الموتِ حشرُ
حيثُ لا يَمْنَعُ سُلْطَانٌ ، ولا يَسْمَعُ عُذْرُ
أَوْ مَا يَنْهَاكَ عَنْ ظُلْمِكَ مَوْتُ ، ثُمَّ قَبْرُ
بعضُ ما فيه من أهوالِ فيه لك زجرُ

قافية الطاء

(٤٨٧)

وقال :

الناسُ كالطيرِ ، والدنيا سِباكُهُمُ وهمُ بينَ ركاضٍ ومُحْتَبِطٍ (١)
والموتُ قناصُهُمُ ، يأتي على مهلٍ إهلِكَهمُ بينَ مذبوحٍ ومُعْتَبِطٍ (٢)

(١) الخيط . السير على غير هدى . (٢) اعتبط الذبحة : نحرها من غير علة ، وهي سمية فبحة .

وقد شُغِنَا بِدُنْيَانَا وَزُخْرِهَا فَالْخَلْقُ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمُعْتَبِطٍ
هَذَا يُسْرٌ بِحَالٍ لَا تَدُومُ ، وَذَا يَبْكِي عَلَى الْقَوْتِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْقَرْطِ
وَلَيْسَ يَسْوَى^(١) الَّذِي نَالَ الْمُلُوكُ مِنَ الدَّ نِيَا ، فَدَعَّ غَيْرَهُمْ ، كَفًّا مِنَ الْعَبْطِ^(٢)

(٤٨٨)

وقال :

مَا زَلْتُ فِي غِبْطَةِ عَيْشِي عَالِمًا أَنْ سَيُزُولُ بِالْهَمِّ مَا غَبَطَ^(٣)
وَأَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يَأْتِي بِالَّذِي سَاءَ اعْتِمَادًا ، وَبِمَا سَرَّ غَاظَ
بَيْنَا الْفَتَى تَعَلُّوْا بِهِ جُدُودَهُ إِذْ أَسْلَمْتَهُ لِلرَّزَايَا ، فَهَبَطَ
حَتَّى يَرِقَّ حَاسِدٌ لِحَالِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَافَسَ فِيهَا ، وَغَبَطَ^(٤)

قافية العين

(٤٨٩)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ الْمُعْتَرِّ^(٥) وَالْقَانِعِ وَابْنِ السَّبِيلِ النَّازِحِ النَّازِعِ^(٦)
أَنَّ النَّدَى قَدَمَاتُ ، فَاسْتَعَصَمُوا بِالْيَاسِ ، مِنْ دَانَ ، وَمَنْ شَاسِعِ

(١) يسوى : يساوى . (٢) العبط : البحر اليابس القديم .

(٣) غبط : مر . والغبطة : النعمة والبرور .

(٤) غبط هنا بمعنى حسد ، يقال غبط الرجل يغبطه غبطاً وغبطة : حسده .

(٥) المعتر : الضيف الزائر ، والمتعرض للسؤال من غير طلب . (٦) النازع : المشتتا

لا يبدلن ذو فاقة وجهه
ما يظفر الرجى ندى كفه
هل ينفع الظامى إذا ما طمأ
لله در اليأس من ناصح
ولا سقى الأطماع صوب الحيا
لا ترجون خالقاً ، فكل الورى
وما حوت أيديهم فهو فى
قد سمعوا بالجود ، لكنه
وكلهم إن أنت كشفتهم
فدعهم ، واطلب من الله ما
فأما يقطع من وأصل
قد قسم الأرزاق بين الورى
كلهم يأتيه من رزقه
لكنهم من حرصهم قد عموا
لو أيقنوا أن لهم رازقاً
ولا لما يرفع من خافض
ما طلبوا من غير معط ، ولا

لدى ثراء باخل باخع^(١)
بغير ذل الخاشع الخاضع
أجاج بحر ليس بالناقع^(٢)
ليس بغيرار ، ولا خادع
فإنها مهلكة الطامع
يقبض كف المانع الجامع
مثل لثاة^(٣) الأسد الجائع
لبخلهم ما لذ للسامع
مثل سراب القيعه^(٤) اللامع
ضنوا به : من فضله الواسع
ولا لما يوصل من قاطع
فى متعب ساع ، وفى وأدع
كفاية ، لو كان بالقانع
عن الطريق المهيح^(٥) الشارع
ليس لما يعطيه من مانع
ولا لما يخفض من رافع
دعوا إذا اضطروا سوى السامع

(١) الباخع : المبالغ ، يريد المفرط فى البخل .
(٢) الناقع : التناطح المعطش .
(٣) اللثاة : اللجمة المشرفة على الخلق .
(٤) القاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال .
(٥) المهيح : البين .
والآكام ، ج قيع ، وقية وقبان .

(٤٩٠)

وقال :

أَيُّهَا الْغَافِلُ ، كَمْ هَذَا الْهَجُوعُ
أَنْتَ عَمَّا هُوَ آتٍ غَافِلٌ
نَحْنُ فِرْعُ لَأَصُولٍ ذَهَبَتْ
وَزُرُوعٌ لِلنَّايَا ، حُصِدَتْ
بَادِرِ الْخَوْفِ ، وَقَدِّمِ صَالِحًا
نَحْنُ سَفَرٌ سَارِمًا سَلَفٌ
وَإِلَى الْمُرْدِ مِيعَادُهُمْ
أُمَّنَا الدُّنْيَا رَقُوبٌ^(١) ، يَسْتَوِي
مَارَيْنَا نَاكِلًا مِنْ قَبَاهَا
كُنَّا مِنْهَا ، وَمَنَا كَاهَا
بِئْسَتِ الْأُمُّ رَمَتْ أَوْلَادَهَا
مَا هَنَاهُمْ فَوْقَهَا نَوْمُهُمْ
أَبْدًا تَجْفُو عَلَيْنَا ، وَلَنَا
هِيَ لَيْلَى ، وَالْوَرَى أَجْمَعُهُمْ
جِدٌّ يَامَطْلُوبٌ ، مِنْ جَدِّ نَجَا

(١) رَقُوبٌ : لَا يَبْقَى طَاوِلُهُ .

ليس يُجَيِّبُ الجَهْلُ الجِرَارُ من يده الطُولى ، ولا الحصنُ المنيعُ
 يأخذُ السلطانُ ذَا الجمعِ ، فلا يدفعُ السلطانُ عنه ، والجموعُ
 ليسَ يرعى حرمةَ الجَارِ ، ولا يُنقذُ الشَّاسِعَ فى البُعدِ الشُّسوعُ^(١)
 ما مع السَّبْعينَ تسويْفُ ، فلا ينجذعنكَ الأملُ اِراهِى الخلدوعُ
 قد تجمَّتْ على ضعفِكَ من نُقلِ أوزاركِ مالا تَسْتَطِيعُ
 وتَقصَّتْ^(٢) عنكَ أيامُ الصُّبا وعلى مفردكِ الشَّيبُ الشُّنُيعُ
 ثم أفضتْ مدَّةُ الشَّيبِ إلى هريمِ يُعقبه الموتُ الدَّرِيعُ
 صوح^(٣) المرعى ، فاذا ترتجى بعد ما صوحَ مرعَاكِ المرِيعُ^(٤)
 هل ترى إلَّا هشيماً ذاوياً تجتويه^(٥) العينُ إن ولىَّ الربيعُ

تافية القاف

(٤٩١)

وقال ، وقد تتابعت الزلازل بجماة^(٦) .

أيها الغافلون عن سكرة الموت ، وإذ لا يسوغُ فى الخلقِ ريقُ
 كم إلى كم هذا التشاغلُ والغفلةُ ، حارَ السَّارى ، وضلَّ الطَّرِيقُ
 إنما هزَّتِ الزلازلُ هذى الأَرْضَ ، بالغافلين ، كي يَسْتَهَيِّقُوا

(١) الشُّسوعُ : البعد . (٢) من القصور وهو البعد . (٣) صوح : جف .
 (٤) المرعى : الخصب . (٥) اجتواه : كره . (٦) كان ابتداء هذه الزلازل ، كافى الروميين (١ : ١٠٥) فى شهر رجب سنة إحدى وخمسين وخمسة مائة ، وهلك
 بها نحو من عشرة آلاف نسمة .

قافية الكاف

(٤٩٢)

وقال :

سلوتُ عن صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَعَفٍ بها ، وَمِلْتُ إِلَى الْإِخْبَاتِ وَالنُّسُكِ
لَكِنْ لِقَلْبِي مِنْ تَذْكَارِهَا قَلَقٌ وزوَةٌ ، كَاخْتِبَاطِ الطَّيْرِ فِي الشَّرْكِ
هَدَى عَقَابِيلُ^(٢) دَاءٌ ، كَانَتْ يَمِطُّنِي ولم أزل مُشْعِبًا مِنْهُ عَلَى الْهَلْكِ
حَتَّى إِذَا الشَّيْبُ رَدَانِي تَصَرَّمَ ذَا كَ الدَّاءِ عَنْ شَائِبِ الْفُودَيْنِ مُحْتَنَكِ^(٣)

قافية اللام

(٤٩٣)

وقال :

أرى الموتَ يَسْتَقْرِئُ النَّفُوسَ ، وَلَا أَرَى سِوَى مَا نَجَّ مَافِي يَدَيْهِ بِجَيْلِ
فِيَا عَجَبًا لِلْبَاخِلِينَ ، وَإِنَّمَا قَلِيلُهُمْ لِلْإِرْتِ بَعْدَ قَلِيلِ

(١) الإخبات : الخضوع لله والخشوع . (٢) العقابيل : بقايا العلة .

(٣) حنكته السن وحنكته الأمور : عاد مجرباً فاحنك ، ورجل محنك ومحك .

(٤) يستقري يتبع .

قافية الميم

(٤٩٤)

وقال :

إذا ما عرا مالا أطيقُ دَفَاعَهُ وأرْمَضَنِي^(١) الْفِكْرُ الْمَسْبَدُ^(٢) وَالْهَمُّ
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ مُوسَى لِدَفْعِ مَا يَحَاذِرُ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَانْفَرَقَ الْيَمُّ^(٣)
وَنَادَيْتُ مَنْ نَادَاهُ ذُو النَّوْنِ وَائِقًا بِهِ فِي ظَلَامِ الْبَحْرِ، فَانكشَفَ الْغَمُّ^(٤)

(٤٩٥)

وقال من قصيدة تقدمت^(٥) :

فليس بعد الموتِ دَارٌ سِوَى جَنَّةِ عَدْنٍ ، أَوْ لَطَّا تَضْرَمُ^(٦)
والموعدُ الحشرُ، وَتُجْزَى عَنِ الْأَ عَمَالِ ، وَالغَبْنُ لِمَنْ يَنْدُمُ
وَيُنْصَفُ الْمَظْلُومُ مِنْ خَصْمِهِ وَيَسْتَوِي السُّلْطَانُ وَالْمُعْدِمُ
وَيَشْخُصُ الْخَلْقُ إِلَى حَاكِمٍ يَحْكُمُ فِيهِمْ بِالَّذِي يَعْلَمُ
وَاللَّيَالِي وَاعْظُ صَامِتٌ يُسْمَعْنَا، لَوْ أَنَّنَا نَفْهَمُ
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا نِيَامٌ، وَمَا أَسْرَعَ مَا يَسْتَيْقِظُ النَّوْمُ
وَيَقْدَمُ الْخَلْقُ عَلَى وِزْرِ مَا تَقَلَّدُوا أَوْ أَجْرٍ مَا قَدَّمُوا

(١) أرمضه : أوجعه وأحرقه .

(٢) أرمضه : أوجعه وأحرقه . (٣) راجع القرآن الكريم سورة الشعراء، الآية ٦٣ . (٤) راجع القرآن الكريم سورة الأنبياء، الآية ٨٧ و٨٨ .

(٥) لعل أول القصيدة قوله ، ما أنصفوا في الحب إذ حكموا... راجع القطعة (٩١) ص ٤٤ .

ثم انتقل من الغزل إلى المدح فقال : ومير إلى بحر خضم له... راجع القطعة (٣١٨) ص ١٩٣ .

(٦) ضرم كفرح . اشتدحه .

(٤٩٦)

وقال في الزلازل المتتابعة بحماسة^(١) :

نَمْنَا عَنِ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ، فَاصْبَحْنَا نَظْنُ الْيَقِينِ أَحْلَامًا
 فَحَرَكْتَنَا هَدَى الزَّلَازِلُ أَنْ تَبْقَطُوا ، كَمْ بِنَامُ مِنْ نَامًا

(٤٩٧)

وقال .

فَوِضَ الْأَمْرَ رَاضِيًا جَفَّ بِالكَانِ الْقَلَمَ
 لَيْسَ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ إِنَّمَا الرِّزْقُ بِالْقِسْمِ
 دَلَّ رِزْقُ الضَّعِيفِ وَهُوَ كَأَحْمِ عَلَى وَضْمِ
 وَافْتِقَارُ الْقَوِيِّ تَرَاهُ بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجْمِ
 أَنْ لِلخَلْقِ خَالِقًا لَا مَرَدُّ لِمَا حَكَمَ

(٤٩٨)

وقال .

أَوْبَقْتَ^(٢) نَفْسَكَ يَا ظَلُومُ بِمَا احْتَقَبْتَ^(٣) مِنَ الْمَظَالِمِ
 أَظَنَنْتَ أَنَّ الْمَالَ لَا يَفْنَى ، وَأَنَّ الْمَلَكَ دَائِمٌ
 هِيَاتَ ، أَنْتَ وَمَا جَمَعْتَ كِلَاكُمَا أَحْلَامُ نَائِمٌ

(١) انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

(٢) أوبق : أهلك .

(٣) احتقب : ادخر .

تَفْنِي ، وَيَفْنِي ، وَالَّذِي يَبْقَى الْخَطَايَا وَالْمَأْتَمِ
وَعَدًّا يُنَاقِشُكَ الْحَسَابَ عَلَى الْحَقِيرِ مِنَ الْجَرَائِمِ
مَلِكٌ تُنَاجِيهِ الْقُلُوبُ مِنْ الذُّنُوبِ بِمَا تُكَاثِمُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ ، بِكُلِّ مَا تُنْحِي صُدُورُ الْخَلْقِ عَالِمٌ .

(٤٩٩)

وقال :

مَآذَا الْوُقُوفُ عَلَى دَارِ بَنِي سَلَمٍ عِجَاءً ، أَوْ قَدْ عَرَاهَا عَارِضُ الْبَكَمِ
أَحَالَهَا الدَّهْرُ عَمَّا كُنْتَ تَعَاهِدُهُ وَغَالِ مُسْتَوِطِنِيهَا غَائِلُ الْأُمَمِ
حَتَّى لَقَدْ أَظْلَمْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَقَدْ غَنَوْنَا^(١) بِهَا ، وَهُمْ الْأَقَارُ فِي الظُّلْمِ
بَلُّوا كَمَا بَلَيْتَ آثَارُهُمْ ، وَلَكُمْ أَيْلَى دِيَارًا وَأَهْلًا سَالِفُ الْقَدَمِ
أَمَلِي الزَّمَانُ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّهُمْ مَا خُوِّلُوهُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدُمُ^(٢)
مَضُوعًا ، وَمَا اسْتَصْحَبُوا مَالًا وَلَا نِعَاءً وَنُوقِشُوا عَنْ حِسَابِ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
لَمْ يَحْصُلُوا حِينَ وَأَفَاهُمْ حَمَامُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى النَّدَمِ
وَصَبُوءُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا وَسُغْلُهُمْ عَمَّا سَبَقَ بِمَا يَفْنِي مِنَ اللَّعَمِ^(٣)

قافية النون

(٥٠٠)

وقال :

لَا تَغْرِطُنْ أَهْلَ بَيْتِ سَرَّهُمْ زَمْنٌ فَسُوفَ يَطْرُقُهُمْ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ
يُعِيرُهُمْ كُلُّ دُنْيَاهُمْ ، وَيَنْهَبُ مَا أَعَارَهُمْ بِيَدِ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِ

(١) غنى بالمكان كرضى : أقام به .

(٢) أمل له في غيبه : أطال وأمهل . وخوِّلوه : أعطوه .

(٣) اللم : الجنون .

حتى يروحوا بلا شيءٍ ، كما خَلِقُوا كَأَنَّ مَا خُوِّلِرَهُ أَمِيسٌ لَمْ يَكِنْ
لا يصحبُ المرءَ مما كان يملكه في ظَلْبَةِ اللَّحْدِ إِلَّا حِرْقَةُ الْكَفْنِ
يُسْتَنْزَعُ الْمَالُ مِنْهُ ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ جَمِيعِهِ ، يَا هَا مِنْ حَسْرَةِ الْعَبِينِ^(١)

قافية الهاء

(٥٠١)

وقال^(٢) :

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَهْلًا بَلَغَ الْعَمْرُ مَدَاهُ
كَمْ عَسَى مِنْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ يَبْقَى ، كَمْ عَسَاهُ
أَنْسَيْتَ اللَّهَ^(٣) ، أَمْ أَمَّانَكَ اللَّهُ لَظَاهُ
[تَظْلَمُ]^(٤) النَّاسَ لِمَنْ تَرْجُوهُ ، أَوْ تَحْشَى سَطَاهُ
أَنْتَ كَالنُّورِ : يَصِلِي النَّارَ فِي نَفْعِ سِوَاهُ

(٥٠٢)

وقال :

أَفِ لِلدُّنْيَا ، فَمَا أَوْبَا^(٥) جَنَاهَا لَيْسَ يَخْلُو مَنْ رَأَاهَا مِنْ أَذَاهَا
خَدَعْتَنَا بِأَبَاطِيلِ الْمُنَى فَارْتَكَسْنَا^(٦) فِي هَوَانَا لِهَوَاهَا
وَاسْمَاتِنَا بِوَعْدٍ كَاذِبٍ فَتَمَسَّكْنَا بِوَاهٍ مِنْ عُرَاهَا

(٢) رويت هذه القطعة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .
(٤) سقط بالأصل والتكلمة من الخريدة .
(٦) ارتكس : انكس ووقع .

(١) غبه غيبا ويحرك : خدعه .
(٣) في الخريدة « أنسيت الموت » .
(٥) وبشت الأرض : كثرفها المرض .

وَعَدْتَنَا بِاللَّهِ (١) لِأَهِيَّةٍ فَاشْتَغَلْنَا بِتَقَاضِينَا لَهَا مَا
 وَهِيَ إِنْ جَادَ بَنَزَرٍ بِوَمُهَا غَدُّهَا مُسْتَرْجِعٌ نَزَرَ جَدَاهَا (٢)
 بِنَسْتِ الْأُمِّ رِقُوبٌ (٣) أَكْثَرْتُ وَوَلَدَهَا ، ثُمَّ رَمْتَهُمْ بِقِلَآهَا (٤)
 وَغَدًا تَنْقُلُنَا مِنْهَا إِلَى .ظَلِمَ الْأَرْجَاءُ ضَنْكَ (٥) مِنْ ثَرَاهَا
 وَالَّذِي يَتَّبِعُنَا مِنْ سُخْتِهَا (٦) تَبَعَاتٌ مُوَبَقَاتٌ (٧) مِنْ شَذَاهَا (٨)
 وَتَحْوِزُ الْمَالِ بِالْإِثْرِ ، وَمَا حَازَتْ الْمِيرَاثَ مِنْ أُمَّ سِوَاهَا
 فَإِذَا اللَّهُ رَعَى وَالِدَةَ ذَاتَ بَرٍّ وَحَسَبٍ ، لَا رَعَاهَا
 أوردتنا النَّارَ ، لَا مَأْوَى . لَنَا مِنْ لَظَاهَا ، وَيُحَمِّجُ مَنْ يَصَلِّي لَظَاهَا
 أَمَرْتَنَا بِالْمَعَاصِي ، فَإِذَا وَقَّقَ اللَّهُ امْرَأً مِنْهَا عَصَاهَا
 آه مِنْ تَفْرِيطَانَا ، شُغْلًا بِهَا عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، آهَا

(١) اللّهُ : العطايا . (٢) الجدا : العطية . (٣) الرقوب : التي لا يبق لها ولد .
 (٤) القلى : البغض . (٥) الضنك : الضيق .
 (٦) السحت : ما حبت من المكاسب فلم عنه العار . (٧) موبقات : مهلكات .
 (٨) الشذى : الأذى . (٩) صلى النار : ناسى حرها . والالطى : حب النار .

باب المراثي

قافية الباء

(٥٠٣)

قال :

قَد كُنْتُ أَسْمَعُ ، لَكِنْ خَلْتُهُ مَثَلًا : أَنْ اللَّيَالِي يَصِدْنَ الصَّمَقْرَ بِالْحَرْبِ^(١)
وَأَنْ أُيْدِيهَا شَلَّتْ ، وَلَا انْبَسَطَتْ إِذَا ضَرَبْتَ كَسْرُنَ النَّبْعِ^(٢) بِالْغَرْبِ^(٣)
حَتَّى رَأَيْتُ النَّعَامَ الرُّبْدَ^(٤) قَدْ قَتَلَتْ أَسَدَ الْعَرِينِ ، فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ
كَأَنَّ سَقْبَ^(٥) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، فَاتُوا جَمِيعًا جِيرَةَ الصَّقَبِ^(٦)
لَمْ تُغْنِ نَجْدَتُهُمْ^(٧) ، إِذْ حَانَ^(٨) يَوْمُهُمْ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَحْمَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ النَّوْبِ

(٥٠٤)

وقال ، وكتب بها من مصر إلى أخيه عز الدولة ، وقد ماتت له بنتٌ بشير ، وهو نائب عنها بدمشق ، وأعمامها وأخوها غيب :

وَيَحِ الْغَرِيبَةَ ، وَالْدِيَارُ دِيَارُهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَتَّغَرِبِ
مَاتَتْ غَرِيبَةً وَحَدَةً : مِنْ تَرِبِهَا وَشَقِيقِهَا ، وَمِنْ الْعُمُومَةِ ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيدَةُ ، وَالْأَقْرَبُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيدَةُ فِي الْمَحَلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّمَ^(٩) فِي الْجَوَانِحِ ذَكَرُهَا قَالَ الْأَسَى : بِاللَّهِ يَا عَيْنُ اسْكُنِي

(١) الحرب محركة : ذكر الحياتي . والشطر مقبوس من المنبي .

(٢) النبع : شجر القسي والسهام بنبت في قلة الجبل .

(٣) الغرب بانحريك : شجر . وهو مقبوس من المنبي أيضا .

(٤) الربد : انغم : لون إلى الغبرة . (٥) السقب : ولد الناقة .

(٦) الصقب : القرب . (٧) النجدة : الشجاعة .

(٨) حان : جاء وقتهم . (٩) تضرمت النار : اشتعلت .

(٥٠٥)

وقال في ولده أبي بكرٍ ، وقد توفى صغيراً :

هَفَفَ نَفْسِي لِـهَلَالِ طَالِحٍ ما اسْتَوَى فِي أَفْقِهِ حَتَّى غَرَبَ
لَوْ رَأَى مَا حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هُمُومِ غَشِيَتِي وَكُرْبِ
لَبَكِّي لِي تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَبِكَاءِ الْمَيْتِ لِلْحَيِّ عَجَبِ
أَنَا مَيْتٌ مِثْلُهُ ، لَكِنَّهُ مُسْتَرِيحٌ ، وَمَمَاتِي فِي تَعَبِ

(٥٠٦)

وقال :

يَا نَفْسُ ، أَيْنَ جَمِيلُ صَبِ بِرِكَ حِينَ تَطْرُقُكَ الْخُطُوبُ
أَيْنَ احْتِمَالِكَ مَا تَكَا دُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ تَذُوبُ
وَثَبَاتُ جَاشِكَ حِينَ تَضْطَرُّ الْجَوَانِحُ وَالْقُلُوبُ
مَاذَا دَهَاكَ ، إِلَى مَنَى هَذَا التَّأْسُفُ وَالنَّحِيبُ
كَيْفَ اسْتَرَلْتُ^(١) بَعْدَ صَد قِ يَقِينِكَ الْأَمْلُ الْكَذُوبُ
أَرْجَوْتُ أَنْ سَيَّرُ مَنْ غَالِ الرَّدَى دَمْعُ سَكُوبُ
أَمْ خَلَّتْ أَنْ نَوَائِبَ الدُّ نِيَا لَغَيْرِكَ لَا تَنُوبُ
هِيَمَاتٍ ، كُلَّ الْخَلْقِ مِنْ نَجَابَتِهَا لَهُمْ نَصِيبُ
وَبِكَلِّ قَلْبٍ مِنْ حَوَا دِهَا ، وَأَسْمُهَا نُذُوبُ^(٢)
مَنْ ذَا الَّذِي يَبِيتُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ حَيْبُ

(١) زلت قدمه : زلقت . واسترله غيره .

(٢) ندوب : جمع ندبة ، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

لكن يُسَلَى النَّفْسَ أَنْ حَاقَنَا بِهِمْ قَرِيبٌ
 وَإِلَيْهِمْ ، من بَعْدِ غَيْبَتِهِمْ ، وَإِنْ طَالَتْ ، نَتُوبُ

(٥٠٧)

ومن قصيدة الملك الصالح المتقدمة^(١) :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارِ مِنَ السُّكَّانِ أَقْوَتُ^(٢) ، فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبٌ^(٣)
 وَلَكَمْ حَاطَهَا ، فَأَنْسَنِي أَوْطَانِ صِبَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا ، غَرِيبٌ
 فَاحْتَسِبُ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مَجْدَ الدِّينِ ، وَاصْبِرْ ، فَالْحَادِثَاتُ ضُرُوبٌ
 هَكَذَا الدَّهْرُ : حَكْمُهُ الْجَوْرُ ، وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ ، وَالْمَحْبُوبُ
 إِنْ تَخَصَّصْتُمْ نَوَائِبُ مَا زَا لَتَ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَتُوبُ
 فَكَذَلِكَ الْقَنَاءُ : يُكْسِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْهَا صَدْرٌ ، وَتَبْقَى كَعُوبُ

قافية التاء

(٥٠٨)

وقال :

يَا دَهْرُ ، كَمْ هَذَا النَّفْرُ قُ ، وَالْتَّغْرُبُ ، وَالشَّنَاتُ
 ابْدَأْ عَلَى سَيْرِ كَأَنَّ نِيَّ الشَّمْسِ ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتُ
 مَتَقَلَّلُ الْعَزَمَاتِ كَالْمَطْلُوبِ أَفْرَقَهُ^(٤) الْبَيَّاتُ
 نَاوٍ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ ، وَالْأَتْرَابِ^(٥) مَاتُوا

(٢) أقوت الدار : حلت .

(١) راجع ص ١٥٣ و ١٦٤ .

(٣) ما فيها عريب : ما فيها أحد . (٤) أفرقه : أفرقه . (٥) الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد ملك .

وَلَبِئْسَ عَيْشَ الْمَرْءِ فَأَا رَقَهُ الْأَحِبَّةُ وَاللَّدَاتُ
فَالِإِمَّ أَسْقَى بِالْبَقَا ء ، وَكَمْ تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ

قافية الراء
(٥٠٩)

وقال في ولده أبي بكر :

إلى الله أشكو روعتي^(١) ورزيتي
خلا نأظري منه ، وكان سواده
خشبت عليه أليتم ، لكنن مُنكاه
فيا ليتة لاقى الذى كنت أختشى
فما فى حياتي بعده لي راحة
ولم تُسليني الأيام عنه ، وإئما
وحرقة أحشاني لفقدي أبي بكر
ولم يخل من حزني ووجدى به صدرى
ولوعته لم يخطرا لي على فكر
عليه ، وأني دونه صاحب القبر
فيا طول حزني إن تطاول بي عمري
سُلوى بما أرجو من الأجر في الصبر

(٥١٠)

وقال فيه :

أعابُ فيك الدهرَ ، لو أعتب^(٢) الدهرُ
وأسأل عن نهج السُّلو ، وقد بدأ
وكيف التسلّي ، والحوادثُ جمّة
رميتي في عشرِ الثمانين نكبة
على حين أفتى الدهرُ قومي ، واتزل
وأستنجد الصبر الجميل ، ولا صبر
لعيني ، إلا أنت مسلّكهم وعمر
إذا ما انقضى أمرٌ يسوء أتي أمر
من الشكل يوهي حملها من له عشر
لهم ذروة العلياء والعددُ الدث^(٣)

(١) الروعة : الفرقة .

(٢) أعتب : أعطى العني ، وهى الرضا

(٣) الدثر : الكثير من كل . . .

وإن سالموا كان التبئيل والدكر
يُباح بها تغر ، ويحى بها تغر
كأثمهم ما عمروا ، ولها نشر
عليهم ، ولن يبق التأسف ، والدكر
ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
من الأرض ذات العريض دون الورى شبر
فيا لهفتا ، ما ذا جنى الحادث البكر
وكنت أرحى أن يطول به العمر
عتيق بهذا يخبر الفأل والزجر
ولا عجب ، قد يخضد^(١) العصن النضر
وهيات ، مالي بالأسى بعده خبر
ضمير الذى بي ، رقى لي ، وبكى الصخر
إلى أن بدالى أن دمع الأسى بجر
طوال الليالى ، ما انقضى اليوم والشهر
زمانى ليل كله ، ماله بجر
به من جفونى أن يلم بها دعر
فاشكوا إليه ما رمانى به الدهر
وتؤنسنى أشباهك الأنجم الزهر

إذا حاربوا فالأسد تحى عرينها
تبيح وتحى منذ كانت سيوفهم :
مضوا ، وانطوت دنياهم ، وتصرفت
فلم يبق إلا ذكرهم ، وتأسفى
وأصبحت لا آل يلبون دعوتى
كأنى من غير التراب ، فليس لي
رزئت أبا بكر ، على شغفى به
لسيع مضت من عمره ، غاله الردى
وقلت : عتيق من خطوب زمانه
فعاجله قبل التام حمامه
ويأمرنى فيه الأخلاء بالأسى^(٢)
يقولون : كم هذا البكاء ، ولو بدا
وكنت أظن الدمع يبرد غلى
أبا بكر ، ما وجدى عليك بمنقضى
أطلت على الليل ، حتى كأنما
وإنى لأستدعى الكرى ، وهونافر
لعل خيالاً منك يطرُق مضجعى
تملك الأفكار لي كل ليله

(١) خضد العود : كسره .
(٢) جمع أسوة : رمى القدرة .

فَارْجِعْ كَالْخَبُولِ دَلَمَهُ السِّحْرُ
 إِذَا كَانَتْ فِيهَا بَيْنَنَا لِلثَّرَى سِتْرُ
 عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، إِنْ أَمَكْنَ الصَّبْرُ
 بِلَا مَرِيَّةٍ، وَالْفِرْعُ يَجْذِبُهُ النَّجْرُ^(١)
 رِفَاقٌ، إِذَا وَأَفْوَهُمْ رَحَلَ السَّفْرُ
 وَمِنْهَا يَكُونُ النَّشْرُ، وَالْبَعْثُ وَالْحَشْرُ
 إِلَى بَطْنِهَا بَعْدَ الْوِلَادِ هُوَ الرَّبُّ
 وَكُلُّ رَقُوبٍ^(٢) تَاكَلِ دَمْعَهَا هَمْرٌ^(٣)
 خَيْرٌ سِوَاءَ فِي الضَّلَالَةِ وَالغَرِّ
 وَإِنْ امْهَلْتَهُ، إِنْ إِمَهَالَهَا خَيْرٌ^(٤)
 وَلَا خَيْرَ فِي عَارِيَّةٍ رَدَّهَا الْقَسْرُ
 مَوَاهِبًا عُقْبَى تَسْرُ، وَلَا يُسْرُ
 وَمَنْ نَالَهَا مَنَّا يَزِيدُ بِهِ الشُّكْرُ
 وَرَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ صَفْرُ
 عَنِ^(٥) الْفَقْرِ، فِي يَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ الْفَقْرُ
 وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُ كُثْرٌ وَلَا نَزْرُ

إِذَا لَجَّ بِي شَوْقٌ أَتَيْتَكَ زَائِرًا
 وَمَا الْقُرْبُ مِنْ قَبْرِ أَجْنَكَ نَافِعِي
 أَقُولُ لِنَفْسِي، حِينَ جَدَّ نِزَاعُهَا :
 أَلَسْنَا بَنِي الْمَوْتَى، إِلَيْهِمْ مَأَلْنَا
 فَنَحْنُ كَسَفَرِ عَرَسُوا، وَوَرَاءَهُمْ
 مِنَ الْأَرْضِ أَتَشْنُنَا، وَفِيهَا مَعَادُنَا
 هِيَ الْأُمُّ، لَا بَرٌّ لَدَيْهَا، وَرَدُّنَا
 تَكْوَلُ، وَلَا دَمْعٌ لَهَا إِثْرٌ هَالِكٌ
 أَضَلَّ الْوَرَى حُبَّ الْحَيَاةِ، فَحَازِمٌ
 فَلَا يَأْمَنُ غَدْرَ اللَّيَالِي آمِنٌ
 تُعِيرُ، وَبِالْقَسْرِ الْعَنِيفِ ارْتِجَاعُهَا
 وَنَحْنُ عَائِبُهَا عَاكِفُونَ، وَإِسَ فِي
 فَا بَالُنَا فِي سَكْرَةٍ مِنْ طَلَامِهَا
 مَضَى مِنْ مَضَى مِمَّنْ حَبْتَهُ، فَأَكْثَرَتْ
 وَمَا نَالَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مِنَ الْغِنَى
 يُحَاسِبُ عَنِ قِطْمِيرِهِ^(٦) وَنَقِيرِهِ^(٧)

- (١) النجر: الأمل كالنجار بكسر النون وضعها .
 (٢) الرقوب كصبور : المرأة التي لا يبق لها ولد أو مات ولدها .
 (٣) همر : منهر .
 (٤) الختر : الخديعة .
 (٥) في الأصل (هو) واهل ما اختاراه أول .
 (٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة بين النواة .
 (٧) القير : النكتة في ظهر النواة والنمر .



وهذا هو أُلْحَسُّ المِينُ ، فإِنا
وقد كانَ في آباءِنَا زاجِرُنا
تفانِراً ، فبطنُ الارِضِ مِن بَعْدِ وحِشَةٍ
وقد دَرَسْتَ آثارَهُمُ وقُبُورَهُمُ
فهل لِي في هَذِي المِواعِظِ وَاِعْظُ
يَحُثُّ عَلَي الصَّبْرِ الجَمِيلِ ، فَإِنَّهُ
وَمَن نَزَعَتْ أَيْدِي المِنيَةِ مِن يَدِي
حِراسُ عَلَي أمرِ عِواقِبِهِ خُسْرُ
يُبَصِّرُنَا ، لو كانَ يردُّنا الزَّجْرُ
بِهِم أَهْلُ مَسائِسُ ، وخِلا الظَّهْرِ
كَمَا دَرَسُوا فيها ، فليس لها أَثرٌ^(١)
يُردُّ ما يَحْنِي مِنَ الكَمَدِ الصَّدْرِ
يُنالُ بِهِ حُسنُ المِعوِضَةِ والْأَجْرِ
هو الذَّخْرُ لِي ، في يَوْمِ يَنْفَعُنِي الذَّخْرُ

(٥١١)

وقال فيه :

أزورُ قَبْرَكَ مُشْتاقاً ، فيحِبُّبِي
فأنتَ بِي ، ودُمُوعِي مِن جِوى كَبِدِي
ماهِلَ فِوقَكَ مِن تَرِبٍ وَأَجْجارِ
تَفِيضُ ، فاعجَبْ لِماءِ فاضٍ مِن نارِ

قافية الزاي

(٥١٢)

وقال :

تَحَرَّمْتَ^(٢) الأيامُ أَهْلَ مودَتِي
وأفَرِدْتُ مِنْهُمُ ، فارتِياحِي لِفَقْدِهِمُ
بَرَّتْهُمُ كِبارِي القِوَسِ ، جَدَّالِي المِحنِي
فقد أبرَزْتَنِي لِلحوادثِ ، لَيْسَ لِي
فَنفِسي عَنِ أُنسِ المِسرَّاتِ ناشِرُ
كروِعةِ ثِكلِي أوجَعَتْها الجِنازِرُ
عَليها ، إلى أن نالها وهى بارِزُ
إِذا مارَمْتَنِي حاجِرُ أو مُحاجِرُ

(١) الأثر بضم الهمزة : ما . الوجه ودوقه .

(٢) تحرمتهم الأيام : أخذتهم واستأصلتهم .

قافية العين

(٥١٣)

وقال ^(١) ووصله كتاب يموت صديق :

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إِخْوَانِي وَفُرْقَتِهِمْ غَدْرٌ، وَأَجْمَلُ بِي مِنْ صَبْرِي الْجَزَعُ
تَقَاسَمْتُهُمْ نَوَى شَطَّتْ بِهِمْ، وَرَدَى فَالْحَى كَالْمَيْتِ، مَا فِي قُرْبِهِ طَمَعُ
وَأَصْبَحْتُ وَحْشَةَ الْغِبْرَاءِ ^(٢) دُونَهُمْ مِنْ بَعْدِ أُنْسِي بِهِمْ، وَالشَّمْلُ مَجْتَمَعُ
وَعِشْتُ مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ، وَأَقْسَمُ مَا يَكَادُ مُنْفَرِدًا بِالْعَيْشِ يَنْتَفَعُ

(٥١٤)

وقال :

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ بَيِّدَاءَ بَلْقَعٍ ^(٣) خَلِيٍّ مِنَ النَّادِي صَمُوتٍ إِذَا دَعَى
نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ لَهَا الْهَوَى : هِيَ الدَّارُ، فَاسْتَمْرَى شُتُونُكَ ^(٤)، وَادْمَعَى
وَلَا تُنْكِرِي لِلدَّهْرِ إِخْلَاقَ ^(٥) جِدَّةٍ وَتَشْتَيْتِ الْأَفَّ، وَإِحْشَاشَ مَجْمَعِ
فَالْمَوْتُ سَكَّانُ الدِّيَارِ، وَاللَّيْلِي مَنَازِلَهُمْ، وَشَمْلَهُمْ لِلتَّصَدُّعِ
فَصَبْرًا فَإِنْ عَزَّتْ ^(٦) نَوَائِبُ دَهْرِنَا وَأَحْدَانُهُ حُسْنَ التَّصْبِيرِ فَاجْزَعِ

قافية الفاء

(٥١٥)

وقال في ولده أبي بكر ^(٧) :

أَزُورُ قَبْرَكَ ، وَالْأَشْيَاجُ تَمْنَعُنِي أَنْ أَهْتَدِيَ لِطَرِيقِي حِينَ أَنْصَرِفُ
فَا أَرَى غَيْرَ أَجْمَارٍ مُنْضَدَّةٍ قَدْ أَحْتَوَتْكَ، وَمَاوَى الدُّرَّةِ الصَّدْفُ

(١) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) الغبراء : الأرض . (٣) البلقع : الأرض القفر .

(٤) مرى الشئ : استخرجه . والشئون : الدموع . (٥) أخلق الجديدي : أبلاه .

(٦) عزه : غلبه . (٧) هذه القصيدة مما روى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٥ .

فَانثَى ، لَسْتُ أُدْرِى أَيْنَ مَنَقَلِي كَأَنِّي حَازِرٌ^(١) فِي اللَّيْلِ مُعْتَسِفٌ^(٢)
إِن قَصَّرَ الْعَرَبِي عَن أَن أَرَى خَلْفًا لَهُ ، فِي الْأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ لِي خَلْفٌ
أَقُولُ لِلنَّفْسِ إِذْ جَدَّ النَّزَاعُ بِهَا : يَا نَفْسُ وَيْحَكَ ، أَيْنَ الْأَهْلُ وَالسَّلْفُ
أَلَيْسَ هَذَا سَبِيلَ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ وَكُلَّهُمْ بَوْرُودِ الْمَوْتِ مُعْتَرِفٌ
كَمْ ذَا التَّأْسُفِ ، أَمْ كَمْ ذَا الْحَيْنِ ، وَهَلْ يَرُدُّ مَنْ قَدَ حَوَاهُ قَبْرُهُ الْأَسْفُ

قافية الكاف

(٥١٦)

وقال^(٣) :

أَصْبَحْتُ لَا أَشْكُو الْخَطُوبَ ، وَإِنَّمَا أَشْكُو زَمَانًا لَمْ يَدْعَ لِي مُشْتَكِي
أَفْنَى أَخِلَانِي وَأَهْلَ مَوَدَّتِي وَأَبَادَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ وَأَهْلَكَ
عَاشُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَمِثَّ لِفَقْدِهِمْ فَعَلَى بَيْكِي ، لَا عَلَيْهِمْ ، مَنْ بَغَى
بَقِيْتُ بَعْدَهُمْ كَأَنِّي حَازِرٌ بِمَفَازَةٍ ، لَمْ يَلِقَ فِيهَا مَسْلَكَ

(٥١٧)

وقال في ولده أبي بكر :

وَسَعَّ صَبْرِي عَن عَتَبِي الْإِسْمَى^(٤) مِنْ بَعْدِ مَا ضَاقَ بِي الْمَسَلُكُ
أَسَلَّمْتَهُ ، إِذْ لَمْ أَجِدْ لِي يَدًا بِدَفْعِ مَنْ يَطْلُبُ مَا يَمْلِكُ

(١) في الخريدة (خانم) . (٢) المعتسف : الخابط على غير هدى .

(٣) هذا الشعر يدور لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٤ . (٤) الإسمى : جمع إسموة وهي القدوة .

عَارِيَّةً كَانَتْ ، وَمَا كُلُّ مَا يُعَارُ ، يُسْتَفْنَى (١) ، وَيُسْتَمَلَكُ
أَعَارَهُ مُشْتَرِطًا رَدَّهُ وَالشَّرْطُ مَا بَيْنَ الْوَرَى أَمَلَكُ

قافية اللام

(٥١٨)

وقال فيه :

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَمْ كَيْفَ اصْطَبَارِي ؟ مَا عَنكَ صَبْرِي جَمِيلُ
أَنْتَ ، حَيْثُ اتَّجِهْتُ ، فِي أَسْوَدَى عَيْنِي وَقَلْبِي ، مَمْتَلٌ ، لَا تَزُولُ
وَعِلَامَ الْأَسَى ؟ وَنَحْنُ كَسَفَرٍ بَعْضُنَا سَائِرٌ ، وَبَعْضُ نَزُولُ
عَرَّسَ الْأَوَّلُونَ ، وَالْآخِرَاتَا لِي إِلَيْهِمْ عَمَّا قَلِيلٍ يُتَوَلُّ
وإِلَى حَيْثُ عَرَّسَ السَّافُّ الْأَوَّلُ لُ مِيعَادُنَا ، وَمِنْهُ الْقُفُولُ

(٥١٩)

وقال أيضا فيه :

أَحَدْتُ عَنْكَ بِالسَّلْوَانِ نَفْسِي وَهَلْ تَسْلُو مَوْهَةً نَكْوُلُ
إِذَا نَاجَيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَنْتُ كَمَا حَنْتُ إِلَى بَوِّ عَجْوُلُ (٢)
إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ أَنْكَرْتُهُ وَتَعَطَّفُهَا الصَّبَابَةُ وَالغَلِيلُ
وَلِي فِي الْمَوْتِ يَأْسُ مُسْتِينٌ وَلَكِنْ حَالٌ وَجَدِي لَا تَحْوُلُ
أَحْنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا لِي إِلَى رُؤْيَاهُ فِي الدُّنْيَا سَابِلُ

(١) الفتية بالضم والكسر : ما اكتسب ، الجمع قنى . وفقى المال : اكتسبه .

(٢) البؤ : جلد الحواريمشى تبنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فندر . والعجول : الرواله من الإبل .

فيا لله من يأسٍ مبيِّنٍ يخالفُ حاله الصبرُ الجميلُ
يغالبني على عقلي حينئذٍ إليه ، لا تغالبه العقولُ
فإنسيني يقينَ اليأسِ منه كما تُنسى معاقرها الشمولُ^(١)
ويأبحاني العذولُ، وليس يدري بما أخفي من الكمد العذولُ
إذا نامَ انخلتُ أراح^(٢) همي وأسهرَ ليلىَ الحزنُ الدخيلُ
كأنَّ نجومَ ليلىَ موثقاتٌ فليست من أماكنها تزولُ
وما في الصبحِ لي روحٌ^(٣)، ولكن به يتعللُ الدنفُ^(٤) العليلُ
نهارى لا يلائمي سلوً وليلى لا يفارقي العويلُ

(٥٢٠)

وقال فيه :

لعمرك ما يُسبني الدهرُ روعتي^(٥) يفقد أبي بكرٍ حياتي ، ولا يسلي
خَشيتُ عليه اليتيمَ بعدى ، فليتني رُميتُ بما أخشى ، ولم أزم بالشكل
فكلُّ بعيدٍ يرتجى جمعُ شمله وبعدُ المنايا غيرُ مجتمِعِ الشمَلُ

(٥٢١)

وقال ، يندب وطنه وأهله الهالكين في الزلازل بحصن شيزر^(٦) :

حيًّا ربوعك ، من رُبِّي ومنازلِ سارى الغمامِ بكلِّ هامٍ هامٍ
وسقَّتكَ يادارَ الهوى بعدَ التوى وطفَاءُ^(٨) تسفحُ بالهتونِ الهاطلِ

- (١) الشمول : الخمر . ومعاقرها : المدمن على شربها .
(٢) أراح الحزن همي : أى أعاد الحزن همى على عشية ، من أراح الراعى الإبل على أهلها .
(٣) الروح . الراحة . (٤) تعلل بالأمر : تشاغل به . والدنف : المريض .
(٥) الروعة : الفرقة . (٦) انظر ما سبق ص ٢٨٧ . (٧) هملت عينه : فاضت .
(٨) صحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هى الدائمة السح .



حَتَّى تُرَوِّضَ^(١) كُلَّ مَا حِجَّ مَاحِلٍ
أَبِيكَ ، أُمُّ أَبِيكَ زَمَانِي فِيكَ ، أُمُّ
مَاقِدْرُ دَمَعِي أَن يَقْسِمَهُ الأَسَى
أَنْفَقْتُهُ سَرَفًا ، وَهِيَ أَنَا مَآئِلٌ
وَإِذَا فَرَعْتُ إِلَى العَزَاءِ دَعْوَتُ مَنْ
أَيْنَ الطَّبَاءِ عَهْدَتِهِنَّ كَوَأَنَسَاءُ
التَّافِرَاتُ مِنَ الأَنْبَسِ تَكْرُمًا
مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ اللِّقَاءِ مُنَازِلٍ
مُتَمَنِّعٌ صَعِبٌ عَلَى أَعْدَانِهِ
عَزَا عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَالَفَ فِعْلُهُمْ
حَتَّى إِذَا اغْتَالَتْهُمُ بِمُخْطَوِيهَا
دَرَسَتْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ
وَاهًا لَهُمْ مِنْ عَالِمٍ وَمَعَالِمٍ
كَانُوا شَيْخِي فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدٍ
غَوَاً لِلْمُهْوِفِ ، وَمَلْجَأً لِأَجِيءِ
ذَهَبُوا ذَهَابَ الأَمْسِ مَا مِنْ مُخْبِرٍ
وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ حَلِيفَ كَآبَةِ
سَعَدُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَهِيَ أَنَا بَعْدَهُمْ
فَاعْجَبْ لِشَقْوَةٍ مُتَعَبٍ بِمُقَامِهِ

عَافٍ ، وَتُرَوِّى كُلَّ ذَاوِ دَابِلِ
أَهْلِيكَ ، أُمُّ شَرَحِ الشَّبَابِ الرَّاحِلِ
وَالوَجْدُ بَيْنَ أَحِبَّةٍ وَمَنَازِلِ
فِي مَاحِلٍ ، أَبِيكَ بِحُفْنِ مَاحِلٍ^(٢)
لَا يَسْتَجِيبُ ، وَرُمَتْ نَصْرَةَ خَادِلِ
بِكَ فِي ظِلَالِ السَّمْهَرِيِّ الذَّابِلِ^(٣)
وَالآنَسَاتُ بِكُلِّ لَيْثٍ بِأَسَلِ
رَحِبِ الفَنَاءِ لِطَارِقٍ أَوْ نَازِلِ
سَهْلِ المَقَادَةِ لِلخَلِيلِ الوَاصِلِ
أَفْعَالَهَا ، فَبَعَثَهُمْ بِغَوَائِلِ^(٤)
وَرَمَتَهُمْ بِجَوَادِثِ وَزَلَزِلِ
مَآنُوسُ أُنْدِيَةِ وَعِزُّ مَحَافِلِ
وَمُنْعَاتِ عَقَائِلِ وَمَعَاقِلِ
وَقَدَى يَجُولُ بَعِينِ كُلِّ مُحَاوِلِ
وَجَوَارِ رَبِّ جَرَائِرِ وَطَوَائِلِ^(٥)
عَنْهُمْ ، وَزَالُوا كَالظَّلَالِ الزَّائِلِ
مَسْتُورَةٍ بِجَمَلِ^(٦) وَتَحَامِلِ
فِي شَقْوَةٍ تُضْنِي ، وَهَمٌّ دَاخِلِ
مِنْ بَعْدِ أُسْرَتِهِ ، وَرَاحَةُ رَاحِلِ

(١) رَوِّضَ المَكَانَ : جَعَلَهُ رَوْضَةً . (٢) يَرِيدُ بِمَاحِلِ الأَوَّلِ : المَنْزِلَ الجَدْبَ . وَبِمَاحِلِ الثَّانِيَةِ الجَامِدَ الَّذِي لَا يَدْمَعُ .

(٣) كَسَسَ الظَّنِي : دَخَلَ فِي كَنَاسِهِ وَهُوَ مُسْتَرْتَدٌ فِي الشَّجَرِ . وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصَّالِبُ . وَالذَّابِلُ : الرِّيقُ .

(٤) الغَوَائِلُ : الدَّوَاهِي . (٥) الجَرِيرَةُ : الجُنَايَةُ . وَالطَّالِئَةُ : التَّرِيَةُ . (٦) النَجْمَلُ : التَّصْبِيرُ .

دَعَا ، فَأَنْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ^(١) تَلْقَى الرِّزَايَا عَلَمَاً كَالجَاهِلِ
وَاصْبِرْ ، فَمَا فِيمَا أَصَابَكَ وَصْمَةٌ كَلَّ الْوَرَى غَرَضٌ لِسَهْمِ النَّابِلِ^(٢)

قافية النون

(٥٢٢)

وقال في المعنى أيضا :

حَامِئِ الأَيِّكِ^(٣) هَيَّجْتَنَ أَشْجَانَا
كَمْ ذَا الحَيْنِ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ؟! أَمَا
هَلْ ذَا العَوِيلُ عَلَى غَيْرِ المَهْدِيلِ^(٤) ، وَهَلْ
مَا وَجَدُ صَادِحَةً فِي كَلِّ شَارِقَةٍ
كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَحَوَّنَهُمْ
إِذَا نَهَى الصَّبْرُ دَمْعِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
قَالُوا : تَأَسَّ ، وَمَا قَالُوا بِمَنْ ، وَإِذَا
مَا حَدَّثْتَنِي بِالسُّلُوبِ بَعْدَهُمْ
مَا اسْتَدْرَجَ المَوْتُ قَوْمِي فِي هَلَاكِهِمْ
فَكُنْتُ أَصْبِرُ عَنْهُمْ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ
وَأَقْتَدِي بِالْوَرَى قَبْلِي ، فَكَمْ فَقَدُوا

فَلْيَكِ أَصْدُقْنَا بِنَاً وَأَشْجَانَا
أَفَادَكُنَّ قَدِيمُ العَهْدِ نِسِيَانَا
فَقِيدَكُنَّ أَعَزُّ الخَلْقِ فَقِدَانَا
تُرْجَعُ النَّوْحَ فِي الأَفْئَانِ أَلْحَانَا
رَيْبُ المَنُونِ وَدَهْرٌ طَالَ مَاخَانَا
قَالَ الأَسَى : فَضْ ، وَجُدْ سَمًّا وَتَهْتَانَا
أَفْرِدْتُ بِالرِّزْوِ مَا أَنْفَكُ أُسْوَانَا^(٥)
نَفْسِي ، وَلَا حَانَ سُلُوبِي وَلَا آنَا
وَلَا تَحْرَمَهُمْ^(٦) مَتْنِي وَوَحْدَانَا
وَأَحْمَلُ الخَطْبَ فِيهِمْ عَزًّا أَوْ هَانَا
أَخَا ، وَكَمْ فَارَقُوا أَهْلًا وَجِيرَانَا

(٢) النَّابِلِ : صَاحِبُ النَّبَالِ . وَالْوَصْمَةُ : العَارُ .

(١) المرو : حجارة بيض براقه .

(٣) الأيكة : الشجر المثلث الكثير .

(٤) المهديل : فرخ حمام زعموا أن جارحا من الطير صاده فإمن حماة إلا وهي تبكي عليه .

(٦) تحرمهم : استأصلهم .

(٥) الأسوان : الحزين .

لَكِنَّ سَقَبَ^(١) الْمَنَايَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ
وَفَاجَأَتْهُمْ مِنْ الْأَيَّامِ قَارِعَةٌ
مَاتُوا جَمِيعًا كَرَجِجِ الطَّرْفِ، وَانْقَرَضُوا
أَعَزَّزَ عَلَيَّ بِهِمْ مِنْ مَعَشِرٍ صَبْرٌ
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
فَلَوْ رَأَوْنِي لَقَالُوا : مَاتَ أَسْعَدُنَا
لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتَ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي
بِأَدْوَا جَمِيعًا ، وَمَا شَادُوا ، فَوَا عَجَبًا
هَذِي قَصُورُهُمْ أَمْسَتْ قُبُورُهُمْ
وَمِجَ الزَّلَازِلِ ، أَفْنَتْ مَعَشِرِي ، فَإِذَا
بَنِي أَبِي ، إِنْ تَبِيدُوا ، أَنْ عَدَا زَمَنٌ
فَلَنْ يَبِيدَ جَوِي^(٢) قَلْبِي وَلَا كَمَدِي
أَفْسَدْتُمْ عَمْرِي الْبَاقِي عَلَيَّ ، فَمَا
أَفْرَدْتُمْ مِنْكُمْ ، وَمَا يَصْفُو لِمَنْفَرِدٍ
فَلَيْتِي مَعَهُمْ ، أَوْلَيْتَ أَتَمُّهُمْ
لَقَيْتُمْ مِنْهُمْ تَبَارِجَ^(٣) الْعُقُوقِ ، كَمَا

رَغَا ، نَفَرُوا عَلَى الْأَذْقَانِ إِذْعَانًا
سَقَتَهُمْ بِكُنُوسِ الْمَوْتِ ذَيْفَانًا^(٤)
هَلْ مَا تَرَى تَارِكُكَ لِلْعَيْنِ لِإِنْسَانًا
عِنْدَ الْحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لُؤْتَةٍ^(٥) لَنَا
قَلْبًا أَجْشَمُهُ صَبْرًا وَسُلُوَانًا
وَعَاشَ لِلَّهِمُ وَالْأَحْزَانِ أَشْقَانًا
عَنْهُمْ ، فَبُوضِحُ مَا لَأَقْوَهُ تَيْبَانًا
لِلخَطْبِ ، أَهْلَكَ عُمَرَاءَ وَعُمَرَاءًا
كَذَلِكَ كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ سُكَّانًا
ذَكَرْتُهُمْ ، خِلْتَنِي فِي الْقَوْمِ سَكَرَانًا
عَلَيْكُمْ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ عُدْوَانًا
عَلَيْكُمْ أَوْ يُبِيدَ الدَّهْرُ نَهْلَانًا^(٥)
أَنْفَكَ فِيهِ كَثِيبَ الْقَلْبِ وَلَهَانًا
عَيْشُ ، وَلُونَالِ مِنْ رِضْوَانِ رِضْوَانًا
بَقُوا ، وَمَا بَيْنَنَا بَاقٍ كَمَا كَانَا
لَقَيْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمًّا وَأَحْزَانًا

(١) الذيفان بفتح الذال وبكسرهما : السم القاتل .

(١) السقب : ولد الناقة .

(٢) اللوة بالضم : الاسترخاء والبطء والضعف . وهو مجزيت لقريط بن أنيف العبدي .

إذا لقام بنصري مشر خشن عند الحفيظة إن ذو لؤنة لانا

(٥) الحامسة (١٤)

(٥) نهران : جبل .

(٤) الجوى : شدة الوجد .

(٦) تبارج العقوق : شدة .

لغَادَرْتُ أَدْمِي فِي الْأَرْضِ غُدْرَانًا
فَنَسْتَجِيبُ مِيَاهَ الدَّمْعِ نِيرَانًا
بَقِيْتُ إِلَّا كَسِيرَ الْقَلْبِ حَيْرَانًا
مِنْهُمْ كَهَوْلًا، وَشَبَابًا، وَوِلْدَانًا
فَعَادَ بِالْيَأْسِ مَا رَامَ لَهْفَانًا
بِأَسَا تَنَازَرَهُ^(٢) الْأَقْرَانُ أَرْمَانًا
مِنْهُ، وَهَلْ حَذَرٌ مُنِجٌ لِمَنْ حَاذَ^(٣)
مُنِجَ أُسْوَارِهَا بَيْضًا وَخُرْصَانًا^(٤)
بِهَا، لِشَاهِدَتِ آسَادًا وَخَفَانًا^(٥)
كَهَفًا، وَلِلْبَغَائِي الْمَطْلُوبِ جِيرَانًا
كَمَا عَلَتْ شَيْزُرٌ فِي الْعِزِّ غَمْدَانًا^(٦)
وَبَائِسٍ فَاقِدِ أَهْلًا وَأُوطَانًا
مُسْتَرْفِدِينَ^(٧) وَزُورًا وَضَيْفَانًا
غَيْثًا هَتُونًا، وَفِي الظُّلْمَاءِ رُهْبَانًا
فَلَمْ يُطِقْ قَلْبِي الْمَحْزُونُ كِتَابَانًا
بَعْدَ التَّصَاقُبِ مِنْ جَرَّاهُ دَارَانًا
وَلَا مُحَافَظَتِي مِنْ حَانَ^(٨) أَوْ بَانًا :
كَمْ أَوْغَرُوا صَدْرَهُ غَيْظًا وَأَضْغَانًا^(٨)

لَوْلَا شِمَاتُ الْأَعَادِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
أُرْدُ فَيَضُ دُمُوعِي فِي مَسَالِكِهَا
لَا أَلْتَقِي الدَّهْرَ مِنْ بَعْدِ الزَّلَازِلِ مَا
أَخْنَتَ عَلَيَّ مَعْشِرِي الْأَدِينِ، فَاصْطَلَمَتِ^(١)
كَمْ رَامَ مَا أَدْرَكَتُهُ مِنْهُمْ مَلَكٌ
لَمْ يَحْمِمْهُمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا، وَلَا رَهْبَتٌ
أَتَاهُمْ قَدْرٌ لَمْ يُنْجِهِمْ حَذْرٌ
إِنْ أَقْفَرَتْ شَيْزُرٌ مِنْهُمْ، فَهَمَّ جَعَلُوا
وَهُمْ حَمَوْهَا، فَلَوْ شَاهَدَتْهَا، وَهُمْ
كَانُوا لِمَنْ خَافَ ظُلْمًا أَوْ سَطَا مَلِكٌ
عَلَوْا بِمَجْدِهِمْ سَيْفَ بَنِ ذِي يَزِينَ
كَانُوا مَلَاذًا لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَالَةٍ
إِذَا أَتَيْتَهُمُ الْفَيْتُ شَطْرَهُمْ
تَرَاهُمْ فِي الْوَعَى أُسْدًا، وَيَوْمَ نَدَى
حَاوَلْتُ كِتْمَانَ بَنِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
لَعَلَّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَمْرَ الَّذِي بَعْدَتْ
يَقُولُ بِالظَّنِّ، إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا خُلِقِ
أَسَامَةٌ لَمْ يَسُوَّهُ فَقَدْ مَعْشِرِهِ

(١) اصطبله : استأصله .
(٢) تناذروا : أنذرو بعضهم بعضا .
(٣) حان : هلك .
(٤) الخرسان : مأسدة .
(٥) الخرسان : مأسدة .
(٦) سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وغمدان : قصر ضم باليمن .
(٧) مسترفدين : طالين للرفد ، وهو العطاء والصلة .
(٨) الأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد .

وما درى أن في قلبي لفقدهم نارا تظنى ، وفي الأجناف طوفانا
 بنو أبي ، وبنو عمي ، دمي دمهم وإن أروني مناواةً وشناتاً^(١)
 كانوا جناحي ، فخصته الخطوب ، وإخواني ، فلم تبق لي الأيام إخواناً
 كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثةً وجتني ، حين ألقى الخطب عرياناً
 بهم أصول على الأمر المهول ، إذا عرا ، وألقى عبوس الدهر جذلاً
 فكيف بالصبر لي عنهم ، وقد نظموا دمي على فقدهم دراً ومرجاناً
 يطيب النفس عنهم أنهم رحلوا وخلفوني على الآثار عجلاناً^(٢)
 سقى نرى أودعوه رحمةً ملأت مئوى قبورهم روحاً ورينجاناً
 وأبس الله هاتيك العظام ، وإن بليت تحت الثرى ، عفواً وغفراناً

(٥٢٣)

وقال :

حسبي من العيش ، كم لا قيت فيه أذى أقله فقد أتراني وخلاني
 لم يبق لي مشنكى بث أحمله همى ، ولا من إذا استصرخت لباني
 وصم عنى صدى صوتي ، وأفردني ظلى ، ومل الكرى والطيف غشيانى
 وما نظرت إلى ما كان يبهجنى إلا شجاني ، وآساني^(٤) ، وأبكاني

(٢) الحص : حلق الشعر .

(١) الشنآن : البيض .

(٤) شجاء : حزنه ، والأسا : الحزن .

(٣) العجلان : التاكل الواه .

(٥٢٤)

وقال :

نَاحَتْ ؛ فَبَاحَتْ فِي مُفْرُوعِ الْبَانِ عَنْ لَوْعَتِي وَعَنْ جَوَىٰ أَحْزَانِي
بِخَيْلَةٍ الْعَيْنِينَ بِالْدَّمْعِ ، وَلِي عَيْنٌ تَجُودُ بِالنَّجِيعِ ^(١) الْقَانِي
إِذَا دَعَتْ أَجْبَتْهَا بِرُوعَةٍ ^(٢) وَرُقٌ ^(٣) تَدَاعَتْ فِي ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَحَسَرْتِي أَنَّ الزَّمَانَ غَالَ مَنْ كُنْتُ إِذَا دَعَوْتُهُ لِبَّانِي

آخر ما تضمنته الأبواب المذكورة من شعره

(١) النجيع : دم الجوف .
(٢) الروعة : الفرعة .
(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الجملة .

مسمّطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة

(٥٢٥)

قال مسمطاً^(١) شعراً لقيس بن ذريح :

كعهديك بانأت الحمى فوق كُنْهِهَا
ودارُ الهوى تحمى العداً سرحَ سِرْبِهَا
أقولُ، وسمرُ الخطِّ مجبٌ لحجبِهَا :
سقى طللَ الدار التي أتمُّ بها حَنَاتِمُ^(٢) ونبِلُ صَيْفٍ وربيعُ
بِدَارِكِ مابى : من بلى الشوقِ، والهوى
وبى ما بها : من وحشة اليبينِ، والنوى
سأروى ثراها من دموعى إن ارتوى
وحياتِكِ اللاتي بمنعرجِ اللوى بِلينِ بلى لم تبهنَّ رُبوعُ
وما الجورُ عن نهجِ السلوِّ أعاجنى
على ذى أثافٍ^(٣) كالحمَامِ الدَّواجِنِ
ولكنْ وفاءً ، وِرْدُهُ غيرُ آجِنِ^(٤)
ولو لم يهجنى الظاعنونَ لهاجنى حمائمُ ورقٍ فى الديارِ وقوعُ

(١) التسميط : أبيات تجمعها فافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات .

(٢) الحناتم : السحاب السود .

(٣) الأثافى : جمع أظفة ، وهى الحجر يوضع عليه القدر .

(٤) الآجن : الماء المتغير العلم واللون .

هَوَاتِفُ يُذَكِّرَنَّ الشَّجِيَّ أَخَا الْجَوِي
 زَمَانَ التَّدَانِي قَبْلَ رَائِعَةِ النَّوِي
 وَطَيْبَ لِيَالِيهِ الْحَمِيدَةِ بِاللَّوِي
 تَدَاعِيْنَ، فَاسْتَبْكِيْنَ مَنْ كَانَ ذَا هَوِيٍّ نَوَائِحُ لَمْ تَدْرِفْ لَهَا دُمُوعُ
 إِذَا مَا نَسِيْمٌ هَبَّ مِنْ جَانِبِ الْحَمِي
 أَقُولُ، وَأَشَوَاقِي تَزِيدُ تَضَرُّمًا:
 عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ، وَلَعَلَّهَا
 وَإِنَّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ يَا لَيْلُ كَلَّمَا ذَكَرْتُكَ وَحْدِي خَالِيًا لَسَرِيْعُ
 وَلَوْ عَادَ يَوْمٌ مِنْكَ يَا لَيْلَ ، قَدْ خَلَا
 يُعْمِرِي أَوْ شَرَحَ الشَّبِيْبَةَ مَا ذَلَا
 وَقَدْ عَزَقَتْ نَفْسِي عَنِ الْهَجْرِ وَالْقَلْبِي
 وَسَوْفَ أَسْأَلِي النَّفْسَ عِنْدَكَ ، كَمَا سَلَا عَنْ الْبَلَدِ النَّأْنِي الْخَوْفِ تَزْيِيْعُ^(١)
 أَيْرَجُو لِي اللَّاحِي مِنْ الْحَبِّ مَخْلَصًا
 وَقَابِي إِذَا مَا رَضْتُهُ بِالْأَسْمَى عَصَى
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلِقَ الْحَصَى
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتَ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى ، وَهِيَ أَمْسِ جَمِيْعُ

(١) التزيع : الغريب ، كالنازع .

أَطَاعَتْ بِنَا لَيْلَى افْتِرَاءَ التَّكْذِبِ
وَصَدُّ التَّعَجُّبِي غَيْرُ صَدِّ التَّعْتَبِ^(١)
فِيَا لَكَ مِنْ دَهْرٍ كَثِيرِ التَّقَلُّبِ
مَضَى زَمَنٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْفَا شَفِيعُ
أَلَا نَغْبَةُ^(٢) مِنْ بَرْدِ أَنْبَاهَا الْعُلَى
وَرُدُّ زَمَانٍ كَالْأَهْلَةِ يُجْتَنَلَى
فَقُولَا لَهَا : جَادَتْكَ وَاهِيَةُ الْكَلَى^(٣)
أَرَا جِعَةٌ يَا لَيْلَى أَيَامِنَا الْأَى بِذِي الرَّمْتِ^(٤) أَمْ لَا ، مَا لَهْنِ رُجُوعُ
أَعَاذَتْنِي ، مَالِي ، هُدَيْتِ ، وَمَالِكَ
لَقَدْ سَاءَتْنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
ذَرِينِي ، فَلَوْ مِي ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ
لَعَمْرُكَ ، إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءِ^(٥) مَالِكٍ لَعَا صِ لَامِرِ الْعَاذَلَاتِ مُصْبِعُ
أَعَدَّ ذِكْرَهَا ، أَحْبَبَ إِلَيَّ بِذِكْرِهَا
وَدَعَّ ذَنْبَهَا ، فَالْحُبُّ مُبَدِّ لِعِذْرِهَا
فَمَا زِلْتُ فِي حَالِي وَفَانِي وَغَدْرِهَا
إِذَا أَمَرْتَنِي الْعَاذَلَاتُ بِهَجْرِهَا هَفَّتْ كَيْدٌ عَمَّا يَقْلُنَ صَدِيعُ^(٦)

(١) تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . والتعجب : مخاطبة الأدلال . (٢) النغبة : الجرعة و يضم ، أو الفتح ليرة والضم للاسم .

(٣) كلية السحاب : أسفله . (٤) الرمت في الأصل : مرعى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه النضى ، وهذا مكان .

(٥) الجرعاء : الأرض ذات الحزوة تشاكل الرمل ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٦) هفا : ذهب في إثر الشيء . - موصدع : مشقوقة .

يَزِيدُ هَوَى لَيْلَى رِضَاهَا، وَعَتْبُهَا
وَبُعْدُ نَوَاهَا، إِن تَنَاءتْ، وَقُرْبُهَا
وَلَمْ يَنْهِنِي صَدَقُ اللَّوَاحِي، وَكَذْبُهَا
وَكَيْفَ أَطِيعَ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا يُورِقُنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

(٥٢٦)

وقال يسمط شعرا للجنون :

أَيَا لَأَنَّمِي فِي وَقْفَةِ الْمُتَلَوِّذِ^(١)
عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، بِالْحَمْرِ مُحْتَدِي
أَقْلَبُ فِي عِرْقَانِهَا النَّاطِرَ الْقَدِي
لِعَمْرِكِ، إِنَّ الْبَيْتَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي مَرَرْتُ، فَلَمْ أُتِمِّ بِهِ، لِي شَائِقُ
يُرَاجِعُ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَاهُ جَهْلَهُ
وَيَرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ فِيهِ وَسَهْلَهُ
وَيَسْفَحُ فِيهِ مَدْمَعِي مُسْتَهْلَهُ
وَأِنِّ مُرُورِي، لَا أَكَلِّمُ أَهْلَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا ذَائِقُ
وَفِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ
حِذَارَ وَشَاةِ الْحَيِّ أَدْمَاءُ مُغَزَلُ^(٢)
يَجِدُّ هَوَاهَا بِالْفُؤُوسِ وَتَهْزِلُ
وَبِالْحِزْجِ مِنْ أَعْلَى الْجُنَيْنَةِ مَزَلُ فِسِيحُ، شَجِي صَدْرِي بِهِ مُتَضَائِقُ

(١) لاذبه : لجا ، ولاوذ ملاوذة : استتر .

(٢) الأدمة في الغلباء : لون مشرب يابسا . وغاية مغزل : ذات غزال .



سَاعِلِينَ ، وَالْمَصْدُورُ لَا بَدَّ يَنْفِثُ
صَمَانَةً^(١) حُبَّ بِالْحَوَازِجِ تَضْبِثُ^(٢)
يُقَاسِمُنِي صَبْرِي عَلَيْهَا وَيَحْتِثُ
وَمَاذَا عَسَى الْوَأَشُونَ أَنْ يَخْتَدُّوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنِّي لَكَ عَاشِقُ
هَوَى فِي عَفَافٍ لَمْ تُدْتَسَّهُ رِيْبَةٌ
كَمَا كَانَ يَهْوَى قَيْسُ لُبْنَى وَتَوْبَةٌ
أَقُولُ ، وَلِلْوَأْثِي سَهَامٌ مُصِيبَةٌ:
أَجَلٌ ، صَدَقَ الْوَأَشُونَ ، أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكِ الْخَلَائِقُ
سَاخِضُ لِلطَّيْفِ الْمَلْمُ بَعْتِكُمْ
وَأُصِقُ خَدِي فِي الدِّيَارِ بِتُرْبِكُمْ
وَمَا زِلْتُ فِي حَالِي نَوَاتِمُ وَقُرْبِكُمْ
يَضُمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَوْصَالَ حِكْمِ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبِنَاتِقُ^(٣)
هِيَ الدَّارُ ، مَنْ لِي أَنْ أُسُوفَ^(٤) تُرَابَهَا
وَأَبْكِي لِيَالِينَا بِهَا وَانْقِلَابَهَا
وَسُمْرًا بِهَا تَحْمِي الْأَعَادِي قِبَابَهَا
كَأَنَّ عَلَى أَنْبِيَائِهَا الْخُمْرَ شَابَهَا بِمَاءِ النَّدى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(٥)

(١) الضمّة بالضم ، وكسحاب ومحابة : المرض .

(٢) ضبث به يضبث : قبض عليه بكفه .

(٣) البنية : جيب القميص .

(٤) السوف : الشم .

(٥) الدبوق : ما يشرب بالعشى — غبق : مقاء ذلك .

نَأْوَا ، وَعَسَى تَدْنُو بِهِمْ نِيَّةٌ ، عَسَى
 بِشَمْسٍ تَرَدَّتْ فِي الظَّهْرِ حِنْدَسَا^(١)
 كَانَ فِيهَا الرُّوضُ لَيْلًا تَنْفَسَا
 وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرَسَا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

(٥٢٧)

وقال مصرعا قصيدة مهبّار^(٢) :

أَسَاءَتْهَا لِلْبَيْنِ وَهُوَ بِجَوْلُ
 تَأَنَّ ، فَمَا هَذَا الْمَسِيرُ قُفُولُ
 وَقُلْ لِي ، فَإِنَّ الْمُسْتَهَامَ سُئُولُ :
 لِمَنْ طَالَعَاتُ فِي السَّرَابِ أَفُولُ يَقَوْمُهَا الْخَادُونَ ، وَهِيَ تَمِيلُ
 تَجَانَفْنَ عَنْ وَعْثِ الطَّرِيقِ وَسَهْلِهِ^(٣)
 وَأَعْرَضْنَ عَنْ خِصْبِ الْمَرَادِ^(٤) وَمَحَلِهِ
 فَهِنَّ عَلَى جَوْرِ الْغَرَامِ وَعَدْلِهِ
 نَوَاصِلُ^(٥) مِنْ «جَوِّ»^(٦) خَوَاضُ مِثْلِهِ صُعُودٌ عَلَى حَكْمِ الطَّرِيقِ^(٧) تَزُولُ

(١) المهندس : الطالعة . (٢) رويت هذه القصيدة في جوهرة الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥ مخطوطة دار الكتب
 ٩٣٢٣ أدب وذكرها تحت الباب الثالث من الخمس . وقصيدة مهبّار بدويّاته المطبوع بدار الكتب ٣ : ١٨٨ .
 (٣) في الجبهة . مهله « تحريف . وتجانف : تمایل . والوعث : الطريق السر .
 (٤) المراد : موضع الارتداد وهو طلب الكلا . (٥) في الجبهة « فواصل » تحريف . ونصل : نرج .
 (٦) جو : موضع . (٧) في ديوان مهبّار (الزمان) .

إِذَا أُجْفَلَتْ فِي الْبَيْدِ جُفْلَ نَعَامَهَا
 كَأَنَّ أَفَاعِي الرَّمْلِ تُخِي زِمَامَهَا
 تَنَّتْ لَيْتَهَا^(١) نَحْو الصَّبَا وَانْتَسَامَهَا
 هَوَاهَا وَرَاهَا، وَالسَّرَى عَنِ^(٢) أَمَامَهَا فَهِنَّ صَحِيحَاتُ النَّوَظِرِ حَوْلُ
 بِهَا مِثْلَ مَا بِالظَّاعِنِينَ كَابَةٌ
 وَصَبْرُهُمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ خِلَابَةٌ^(٣)
 وَلِلشُّوقِ مِنْهَا، مَا^(٤) دَعَاها، إِجَابَةٌ
 تَضَاعَى^(٥)، وَفِي قَرْطِ التَّضَاعَى صَبَابَةٌ وَتَرْغُو، وَفِي طُولِ الرِّغَاءِ غَلِيلُ
 أَهْلَةٌ بِيَدٍ، وَالْأَهْلَةُ فَوْقَهَا
 إِذَا لَحَّتْ أَجْبَالَ سَلَمَى وَرَوَّقَهَا^(٦)
 كَفَى شَوْقَهَا شَلَّ^(٧) الْحُدَاةَ وَسَوْقَهَا
 تَرَادُ عَلَى "نَجْدٍ"، وَيَجْدِبُ شَوْقَهَا مَظَلَّ عِرَاقِي الثَّرَى وَمَقِيلُ
 أَلَّا قَلْبًا تَصْفُو مَعَ الْبَيْنِ عَيْشَةٌ
 وَفِي الشَّوْقِ لِلنَّائِي هُمُومٌ مُطِيشَةٌ
 وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الْمَفَارِقِ بِبِشَّةٍ^(٨)
 وَمَا جَهَلْتِ أَنَّ "العِرَاقَ"^(٩) مَعِيشَةٌ وَرَوْضُ تَرْبِيَةِ صَبَا وَقَبُولُ^(١٠)

- (١) الليت بالكسر: صفحة العتق .
 (٢) خلبه: خدمه .
 (٣) تضاعى: تصيح .
 (٤) في الديوان (من) .
 (٥) في الجمهرة (إذ) .
 (٦) الروق: مقدم البيت ورواقه .
 (٧) الشل: الطرد، وفي الجمهرة نرس، ونساء: زجره، وساقه . (٨) واد بطريق اليمامة مأسدة .
 (٩) في الديوان (الجاز) .
 (١٠) القبول: ربح الصبا .

وفي الركبِ مسلوبُ العزاءِ فقيدُهُ
 يزيدُ إذا هبَّ النَّسيمُ وقُودُهُ
 وما كلُّ أسبابِ الغرامِ تقوده
 ولكنَّ سحراً "بأيليًا" عقوده نُحلَّلُ ألبابُ به وعُقُولُ
 وقد حَمَلَتْ لَدَنَ القوامِ رشيقةً
 حكى المسكُ فاهه، والمدامَةُ ريقه
 فأضْحَى بها نأني المحلِّ سحيقه
 نجائبُ إنَّ ضلَّ الحمامُ طريقه إِلَى أَنفُسِ العُشَاقِ فَهِيَ دَلِيلُ
 وَإِنِّي لِأَشْكُو مِنْ فِرَاقِكَ هَرَّةً
 وَرَوْعَةً شَوْقٍ لِلْحِشَاءِ ^(١) مُسْتَفِزَّةً
 وَقَدْ وَقَرَّتْ فِي الْقَلْبِ عَيْسُكَ حَزَّةً
 حَمَلَنَ وَجُوهًا فِي الْخُدُورِ أَعْرَةَ وَكُلُّ عَزِيزٍ يَوْمَ رُحْنٍ دَلِيلُ
 كَتَمْتُ هَوَى ظَمِيَاءٍ كَتَمَانَ مَعْلَنِ
 وَنَهْنَهْتُ دَمْعًا عَاصِيًا غَيْرَ مُدْعَنِ
 وَقَدْ قَالَتْ الْأَطْعَانُ لِلْسَّلْوَةِ : اظْغِنِي
 قَسَمَنَ ^(٣) الْعُقُولَ فِي السُّتُورِ ^(٤) بِأَعْيُنٍ قَوَاتِلَ ، لَا يُودَى ^(٥) لَهْنٌ قَنِيلُ

(١) في الجمهرة (في الحشا) . (٢) الغامياء من الشفاه : الدابة في سمرة .

(٣) هذه رواية الديوان ، وفي الأصل (يسمن) تحريف .

(٤) في الجمهرة (كاستور) . تحريف . (٥) يودي : تدفع دية .

مَحَبُّ إِذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ نَجْمُهُ
تَأْوَبَهُ^(١) بَثُّ الْهَوَى وَهَوْمُهُ^(٢)
وَفِي الْخِجْدِ بَدْرٌ آفَلٌ ، لَا يَرِيْمُهُ^(٣)
وَفِيهِنَّ حَاجَاتٌ وَدَيْنٌ غَرِيْمُهُ مَلِيٌّ^(٤) ، وَلَكِنَّ الْمَلُولَ^(٥) مَطْوُلٌ
لُبَّانَةٌ^(٦) نَفْسٌ مُسْتَمِرٌّ عَنَاؤُهَا
عِيَاءٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي دَوَاؤُهَا
قَضَى جِبْهًا أَلَا يَصَابُ شِفَاؤُهَا
يَخِفُّ عَلَى أَهْلِ الْقِيَابِ قَضَاؤُهَا لَنَا ، وَهِيَ مَنْ فِي الرَّقَابِ ثَقِيلٌ
وَقَفَّتْ عَلَى رِيحٍ لَظْمِيَاءٍ أَقْفَرًا
سَقَتَهُ دَمْعِي مَا أَرْضَ وَنَوْرًا
فَقَلْتُ لِحَدَنِي الْخَلِيَيْنِ أَعْنِرَا
أَبِي الرَّكْبِ «بِالْيَضَاءِ» إِلَّا تَنَكَّرًا^(٧) وَقَدْ تُعْرِفُ الْآثَارُ ، وَهِيَ مَحْوُلٌ
سَأَلْتُ سَيَالَاتٍ^(٨) الْحَمِي ، قَمَائِلَتٌ
كَمَوْحَدَةٍ مِنْ جَبْرَةٍ قَدْ تَزَايَلَتٌ
فَقَاضَتْ دَمْعٌ كَالْغُرُوبِ تَسَاجَلَتٌ^(٩)
وَمَا وَقَفْنَا بِالذِّيَارِ تَسَاكَلَتٌ^(١٠) جُسُومٌ بَرَاهُنَّ الْبِلَى وَطُلُولٌ

- (١) تَأْوَبَهُ : أَنَاهُ لَيْلًا .
(٢) لَازِيْمُهُ : لَا يَرِيْمُهُ .
(٣) فِي الدِّيْوَانِ (الْمَلِيٌّ) .
(٤) هَذِهِ دَوَايِهُ الدِّيْوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ (تَنَكَّرًا) .
(٥) فِي الْجَهْرَةِ «تَسَايَلَتْ» وَالْغُرُوبُ جَمْعُ غَرَبٍ وَهُوَ الدَّلْوُ .
(٦) اللَّيَالِي : الْيَوْمَاتُ .
(٧) السَّيَالَاتُ كَسَابِغٌ : مَا طَالَ مِنَ السَّرِّ .
(٨) فِي الدِّيْوَانِ (تَشَابَهَتْ) .
(٩) (١٠)

دَعَانَا الْهُوَى وَاسْتَوْقَفْتَنَا الْمَعَارِفُ
وَأَدَمَى الْحَشَا ، وَالشَّوْقُ لِلْكَفَمِ^(١) قَارِفُ
حَمَائِمُ وَرِقٍ فِي الْغُصُونِ هَوَاتِفُ
فَبَاكِ بَدَاءِ بَيْنَ جَنِيهِ عَارِفُ وَبَاكِ بِمَا جَرَّ الْفِرَاقُ جَهُولُ
نَعَمَ ، هَذِهِ الْأَطْلَالُ ، قَفَرُ فَارِبِيعِ^(٢)
وَجَدَّدَ بِهَا عَهْدَ الْمَشُوقِ الْمَوْدِعِ
سَأَسْتَقِي ثَرَاهَا الرَّيَّ مِنْ سُبْحِ أَدْمِي
وَأَسْأَلُ عَنْ ظَمِيَاءِ^(٣) صَمَاءِ لَا تَبِي فَارَضِي^(٤) بِمَا قَالَتْ ، وَلَيْسَ تَقُولُ
تُصَدِّقُ ظَمِيَاءَ الْعُدُولِ إِذَا اقْتَرَى
وَأُكْذِبُ سَمِيَّ فِي هَوَاهَا وَمَا أَرَى
وَأُقْنَعُ مِنْهَا بِالْخِيَالِ إِذَا سَرَى
وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا بُزْنُهَا الْكَرَى دُنُوُّ إِلَى طُولِ الْبِعَادِ يَتَوَلُّ
مَلَلْتُ ، فَكَأ تَدُنِي إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ
وَعِنْدَكَ لِلْوَاشِينَ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ
وَحَفِظْتُ عَهْدَ الْغَادِرِينَ لِإِضَاعَةٍ
وَمَا أَنْتِ يَا ظَمِيَاءُ إِلَّا بَرَاعَةٌ^(٥) تَمِيلُ مَعَ الْأُرْوَاجِ حَيْثُ تَمِيلُ

(١) الكفم : الجرح . والقرف : التمسك في المرض . (٢) ربع كنع : وقف وانتظر وتجنبس .

(٣) الظمياء : الدابة في سمرة .

(٤) في الأمل « قرضى » . وروايه هذا البيت مضطربة في ديوان مهيار . (٥) البراعة : القصة .

لَأَنْتِ لِنَفْسِي دَاوَاهَا وَدَوَاوَاهَا
 وَرَاحَتُهَا، لَوْ نَلْتَهَا وَشِفَاوَاهَا
 إِذَا بِنْتِ ضَاقَتْ أَرْضَهَا وَسَمَاوَاهَا
 فَإِنْ كَانَ سُؤلاً لِلنَّفُوسِ بِهَاوَاهَا فَإِنَّكَ لِلْبَلَوَى ، وَإِنَّكَ سُؤْلٌ

(٥٢٨)

وقال يَسْمَطُ قَصِيدَتَهُ المِيمِيَّةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي مَظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيَوَانِ (١) :

تَوْهْمٌ مَا أَرَانِي الدَّهْرُ ، أَمْ حُلْمٌ
 وَصَبُوءَةٌ كُلُّ هَذَا الِوَجْدُ أَمْ لَمَمٌ (٢)
 أَحْيَيْتُ قَوْمًا، وَإِفْرَاطُ الهَوَى نَدَمٌ

وَلَوْأ ، قَلْبًا رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا

سَاوَى حُضُورَهُمْ عِنْدِي مَغْيِبُهُمْ
 وَصَشْتُهُمْ فِيهَا عَمَّا يَبِيئُهُمْ
 وَمُنْذُ قَالَ الْوَرَى : هَذَا حَيِيْبُهُمْ

مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيْبُهُمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمٌ

كَمْ رَضْتُ نَفْسِي بِالسَّلْوَانِ ، فَامْتَنَعْتُ
 وَكَمْ أَضَاعُوا مَوَائِقَ الهَوَى ، وَرَعْتُ
 فَمَا نَقَمْتُ عَلَيْهِمْ غَدْرَةً، فَضَعْتُ (٣)

وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا أَطَلَعْتُ عَلَى وَدَائِهِمْ فِي صَدْرِي التَّهْمُ

(١) ضما : اختبا واستتر .

(٢) الم : الجنون .

(٣) راجع ص ٤٠

مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي بِهِمْ أَحَبُّتُ غَدْرَهُمْ
 وَاللَّوْمُ فِيهِمْ لَسَمِعِي مِنْهُ ذِكْرَهُمْ
 وَصَنَّتْ حَتَّىٰ عَنِ الْأَوْهَامِ سِرَّهُمْ
 فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَا اسْتَوْجَبْتُ هَجْرَهُمْ مَلُّوا ، فَصَدَّهُمْ عَنِ وَصَلِي السَّامِ
 مَا صَرَّحُوا لِي بِأَسْبَابِ الْقَلْبِي ، وَكُنُوا
 إِلَّا وَقَالَ الْهَوَىٰ : مَهْلًا ، سِوَاكَ عَنَّا
 وَكَلَّمَا أَهْمَلُوا حَفِظَ الْهَوَىٰ ، وَوَنُوا
 حَفِظْتُ مَاضِيَعُوا ، أَغْضَبْتِ حِينَ جَنَوَا وَفَيْتِ إِذْ غَدَرُوا ، وَأَصَلْتِ إِذْ صَرَمُوا
 كَمْ قَدْ سَعَيْتِ حَرِيصًا فِي مُرَادِهِمْ
 وَنَمْ رَعَيْتِ هَوَاهُمْ فِي بَعَادِهِمْ
 فَمِنْ أَصْبَحَتْ طَوْعًا فِي قِيَادِهِمْ
 حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو : مِنْ وَدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي نَجْرِي بِهِ الْقِسْمُ
 أَوْطَنْتُهُمْ خَافٍ ^(١) قَلْبِي ، دُونَ مَوْطِنِهِمْ
 فَأَخْرَجُوا ^(٢) بِالْتَجْنِي رَحْبَ مَسْكِنِهِمْ
 حَتَّىٰ لَعْنَدَ مُسَيِّنِيهِمْ وَمُحْسِنِيهِمْ
 مَحَاسِنِي ، مُنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِيهِمْ قَدَّيْ ، وَذَكَرِي فِي آذَانِهِمْ صَمُّ
 هُمْ أَبَاحُوا الضَّنْيَ جِسْمِي ، وَكَانَ حَمِي
 وَأَمْطَرُوا مُقَلَّتِي بَعْدَ الدَّمُوعِ دَمًا
 وَمَا رَعَوْا فِي الْهَوَىٰ عَهْدًا وَلَا ذَمًّا
 وَبَعْدُ ، لَوْ قِيلَ لِي : مَاذَا تُحِبُّ ، وَمَا مُنَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، لَقُلْتُ هُمْ

(١) الخلب : لحية رفيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٢) أخرجوا : ضيقوا .

رَاعُوا قَوَادِيَّ بِالْهَجْرَانِ حِينَ أَمِنَ
وَكَانَ بِالْوَصْلِ مِنْهُمْ ، لَوَّرَعُوهُ ، قِنٌ ^(١)
وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهُمْ بِالشَّبَابِ غُنٍ
هُمُ مَجَالُ الْكِرَى مِنْ مُقَلَّتِي ، وَمِنْ قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى ، جَارُوا ، أَوْ اجْتَرَمُوا
لَمْ يَتْرِكِ الْوَجْدُ لِي فِي غَيْرِهِمْ أَمَلًا
وَلَمْ أُطِعْ فِيهِمْ نُصْحًا وَلَا عَدْلًا
وَبَعْدَ مَا أَشْعُرُونِي فِي الْهَوَى حَبَلًا
تَبَدَّلُوا بِي ، وَلَا أَبْنِي . بِهِمْ بَدَلًا حَسْبِي بِهِمْ ، أَنْصَفُوا فِي الْحَكْمِ ، أَوْ ظَلَمُوا
فَقُلْ لِسَارِي الدُّجَى تَهْدِيهِ ظُلْمَتُهُ
وَاللَّيْلُ كَالْبَحْرِ ، تَعْلُو الْأَرْضَ جُمَّتُهُ ^(٢)
تُغْرِي الْفَلَا وَالدُّجَى وَالْهَوَلَ عَزْمَتُهُ :
يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ الْبِيَدَاءَ هَمَّتُهُ وَالْعَيْسُ تَعَجِزُ عَمَّا تَدْرِكُ الْهَمْمُ
إِذَا وَصَلْتَ ، وَقَاكَ اللَّهُ مَهْلِكَةً
وَذَاذَ عَنكَ الرَّدَى ، إِنْ خَضْتَ مَعْرَكَةً
فَمَا سَلِمْتَ فَقَدْ مُلِكْتَ مَمْلَكَةً
بَلِّغْ أَمِيرِي مَعِينِ الدِّينِ مَأْلَكَةً ^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وَدَّهْ أُمَّمُ ^(٤)

(١) قِن : خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ .

(٢) الْجَمُّ : الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، كَالْجَمِّمِ . وَمِنْ الظُّهْرِ وَالْمَاءِ ، مَعْظَمُهُ : بَكْمَتُهُ .

(٣) الْمَأْلَكَةُ : الزَّمَالَةُ .

(٤) الْأُمُّ : الْقَرِيبُ . وَفِي هَذَا الدِّيْوَانِ أَنَّ أَسْمَاءَ أَسْقَطَتْهَا هُنَا بَيْنَمَا لَمْ يَرْضَهُ تَصْرِيحُهُ . وَالْبَيْتُ هُوَ :

وَقُلْ لَهَا أَنْتَ خَيْرُ التُّرْكِ ، فَضْلُكَ الْحَيَاءُ ، وَالدِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالْكَرْمُ

(وَانظُرِ الْفُطْلَةَ ٢٦٦ مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ صَفْحَةَ ١٤٦) .

لَمَّا وَلِيَتَ الرَّعَايَا سُرَّ كُلِّ وِلِيٍّ
وَسُسْتَهُمُ بِالتَّقَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تُمْنَضِي الْقَضَايَا بِإِلَاحِيْفٍ وَلَا زَلَلٍ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ يُسَكِّي إِلَيْهِ ، وِلِيٍّ شَكِيَّةً أَنْتَ فِيهَا الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

فَاسْمَعْ قَضِيَّةً مَأْخُوذٍ بِجُلْتَنِهِ (١)
وَفَاؤُهُ لَكَ أَرْدَاهُ بِغُلْتَنِهِ (٢)
وَلَمْ يُكُنْ عَالِمًا فِي طَبِّ عِلَّتِهِ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَا مَنْ فَضَّلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمٌ

أُمٌّ فِي كَرِيمِ السَّجَايَا ، وَهِيَ قَدْ فُقِدَتْ
أُمٌّ فِي الْعَلَا ، وَهِيَ بِالْعُدْوَانِ قَدْ عُدِمَتْ
وَسَاءَهَا ، فَلَحَتْ (٣) ، مِنْ بَعْدِ مَا حَمِدَتْ
تَضْيِيعٌ وَاجِبٌ حَتَّى بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْحِدْمُ

يَا لَهْفَ نَفْسِي ، وَلَهْفُ طَالَمَا شَفَّتْ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي تِجَارِيْبِي وَمَعْرِقِي
حَتَّى اغْتَرَرْتُ بِأَمَالٍ مَزْنَحْرَفَةٍ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِقِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذُمَّ

(١) الخلة بالضم : الصداقة المخصصة لا خلل فيها .

(٢) الغلة : حرارة الحب .

(٣) لحاه : لاهمه .

يَأْمَنُ إِذَا اسْتَأْذَنَ السَّاعِيَ عَلَيْهِ أَذْنُ
 إِذَا الْغَدِيرُ أَقَامَ الْمَاءَ فِيهِ أَجْنُ (١)
 وَلَمْ يَطْلُ مَكْتُ مِيثَاقِي، فَكَيْفَ أُسِنُ (٢)
 وَلَا اعْتَدْتُ الَّذِي بَنِي وَبَيْنَكَ: مَنْ وُدِّ، وَإِنْ أَجْلَبَ (٣) الْأَعْدَاءُ، يَنْصَرُّ
 وَكَمْ رَمَانِي الْعِدَا بَغِيًّا بِإِفْكَهِمْ (٤)
 فَلَمْ أَرْقُ، وَلَمْ أَفْرُقْ (٥) لِبَغِيهِمْ
 وَكَمْ سَعَوَا بِي، فَلَمْ أَحْفَلِ بِسَعِيهِمْ
 لَكِنْ ثِقَاتِكَ مَا زَالُوا بَغَشَهُمْ حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ
 مَا كَانَ أَبْعَدَهُمْ فَهَمًّا، وَأَجْهَلَهُمْ
 مَالُوا، وَمَالُوا (٦) عَلَيَّ مِنْ كَانَ مَوَلَّهُمْ
 وَقَبْلَهُ خَوَلَا كَانُوا نَفْوَلَهُمْ (٧)
 بَاعُواكَ بِالْبَخْسِ، يَرْجُونَ الْغَنَى، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدَمُوكَ، الْوَيْلُ وَالْعَدَمُ
 كَيْفَ اغْتَرَرْتُ بِهِمْ فِيمَا أَمْرَتَهُمْ
 حَتَّى كَانَتْ يَوْمًا مَا خَبَرْتَهُمْ
 وَغَوْرُهُمْ كَانَ يَبْدُو لَوْ سَبَرْتَهُمْ (٨)
 وَاللَّهِ مَا نَصَحُوا، لَمَّا اسْتَشَرْتَهُمْ وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَهُمْ
 كَانَ التَّحَامُلُ مِنْهُمْ فِي إِشَارَتِهِمْ
 وَالتَّقْصُ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عِبَارَتِهِمْ
 وَكُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تِجَارَتِهِمْ
 كَمْ حَرَفُوا مِنْ مَقَالٍ فِي سِفَارَتِهِمْ وَكَمْ سَعَوَا بِفَسَادٍ، ضَلَّ سَعِيهِمْ

(١) أجن الماء: تغير طعمه ولونه. (٢) أسن: أجن. (٣) أجلب: توعده بشيء.
 (٤) الإفك: الكذب. (٥) فرق كفرح: فرح. (٦) مالوا عليه: اجتمعوا.
 (٧) الخول: العبيد. وخوله: أعطاه مفضلاً. (٨) السبر: امتحان غور الجرح وغيره.

قلوا : الأميرُ وفيُّ بالعهودِ ؛ فلذ
بذِي الحمِيَّةِ^(١)، إن خَطْبُ أُمِّ، وَعُذُّ
والوصفُ في السمعِ قبلَ الإمتحانِ يَلذُّ
أين الحمِيَّةُ، والنفسُ الأبيَّةُ، إذ سَامُوكَ خُطَّةُ عَارُهَا يَصُمُّ؟!
لَمَّا رَأَيْتَ لَصَرَفِ الدَّهْرِ وَاعِظَةً
لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ مَا تَنْفِكُ حَافِظَةً
حَتَّى تَشِيعَ سَمَاعًا أَوْ مَلاحِظَةً
هَلَّا أَتَقَتَ حَيَاءً أَوْ مَحَافِظَةً^(٢) من فَعَلَ مَا أَنْكَرْتَهُ العُرْبُ والعَجْمُ؟!
أَتَيْتَ فِينَا ، وَمَا اقْتَادَتِكَ مَوْجِدَةٌ^(٣)
إِسَاءَةٌ هِيَ لِلإِحْسَانِ مُفْسِدَةٌ
أَغْرَبْتَ^(٤) فِيهَا ، بِخَاءَتِ وَهِيَ مُفْرَدَةٌ
أَسْلَمْتَنَا، وَسَيُوفُ الهِنْدِ مَغْمَدَةٌ ولم يَرَوْ سِنَانَ السَمْهَرِيِّ^(٥) دَمٌ
مَا شُبْتُ حُسْنَ ظُنُونِي فَيْكَ بِالثَّهْمِ
ولم تَمُرَّ بِفِكْرِي تَجْمَلَةُ النَّدَمِ
وَأَنْ إِفْكَ الأَعَادِي مُخْفَرٌ^(٦) ذِمِّي
وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ

(١) الحمية : الأئمة .

(٢) المحافظة : الذب عن المحارم .

(٣) الموجدة : النضب .

(٤) أغرب : أزد بالغريب .

(٥) السمهرى : الرخ الصلب .

(٦) مخفري : ناقض عهدي .

يَأْوِي إِلَى حُسْنِ عَهْدٍ مِنْكَ مَا بَدَّلَا
وَلَا ابْتغَى بِصَدِيقٍ صَادِقٍ بَدَلَا
وَلَا رَأَى الْخَلْلَ مِنْهُ سَاعَةً مَلَلَا
وَأَنَّ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمَوَاتِ ، لَا يَخْشَى الْأَعَادَى ، وَلَا تَغْتَالَهُ النَّقْمُ^(١)
إِسَاءَةً جَتَّتَهَا ، وَاللَّهُ يَغْفُرُهَا
يُذِيعُهَا الدَّهْرُ فِي الدُّنْيَا ، وَيُنْشُرُهَا
وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ يَا بَابَا ، وَيُنْكِرُهَا
هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِرُهَا عُدْرٌ ، فَإِذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ
مَا زِلْتِ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْسِنًا وَرِعًا
تَرَى الْإِسَاءَةَ فِي وَجْهِ الْعَلَا طَبَعًا^(٢)
لَكِنَّ فِعْلَكَ فِيهِمْ جَاءَ مُبْتَدَعًا
الْقَيْتَمِ فِي يَدِ الْإِفْرَنْجِ مُتَّبِعًا رِضًا عِدَاً يُسَخِطُ الرَّحْمَنَ فِعْلَهُمْ
أَخْفَى الْهَوَى عَنكَ بَعْدَ الْكُشْفِ أَمْرَهُمْ
حَتَّى لَأَنْكَرْتَ يَا مَخْدُوعٌ مَكْرَهُمْ
وَسَوْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْفَوْتِ غَدْرَهُمْ
هُمْ الْأَعَادَى ، وَقَالَكَ اللَّهُ شَرَّهُمْ وَهُمْ ، بَزَعْمَهُمُ ، الْأَعْوَانُ وَالْخَلْدَمُ

(١) أسقط أسامة بعد هذا البيت يتالم بسطه وهو :

وما طان بأول من أسامة بالـ «سوفاء» ، لكن جرى بالكائن القلم

• وانظر القصيدة ٢٦٦ ص ١٤٧)

(٢) الطبع : الوخ الشديد والعيب

ما أنصفوك ، أتوا ما لست تجهله
 وما استقلوا^(١) بعبء أنت تجهله
 وخالفوا كل خير كنت تفعله
 إذا نهضت إلى مجدٍ تؤلله^(٢) تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
 صدقتهم ، وعهود القوم كاذبة
 وكل أحلامهم في الغدير عازبة^(٣)
 لغير دولتك الغراء طالبة
 وإن عرتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبيك مبتم
 ضلالة قد أظلمت غوايتها
 ودولة رفعت بالغير رايها
 دنت لكفرانها النعمى نهايتها
 حتى إذا ما انجلت عنهم غايتها بجحد عزمك ، وهو الصارم الخدم^(٤)
 وأصبحوا في نعيم ما له خطر
 ما يعترى عيشهم بؤس ولا ضرر
 ولم يرع سرحهم^(٥) خوف ولا حذر
 رشفت آجن عيش ، كله كدر ووردتهم من نذاك الساسل الشيم^(٦)

(١) لا يستقل بالأمر : لا يطيعه .

(٢) أتى ماله : أصله .

(٣) عازبة : بعيدة .

(٤) غيابة كل شيء : ما سترك منه . والخدم : القاطع .

(٥) السرح : فنا . الدار .

(٦) الشيم : البارد .

أَحْلَتَهُمْ غَلَطًا أَعْلَى ذُرَا الْأَفْقِ
 فَلَمْ يَرَوْا حَقَّ تِلْكَ الْأَنْعِمِ الدَّفْقِ
 وَعَامِلُوكَ بِيَغِشِ الْغِلِّ وَالْمَلَقِ
 وَإِنْ أَنَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُحْتَلِقٍ وَأَيْشٍ ، فَذَلِكَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُحْتَرِّمُ

أَخْفَوْا مِنَ الْغِلِّ مَا أَخْفَوْهُ ، ثُمَّ عَلَنَ
 وَأَضْمَرُوا مَحْنًا مِنْ غِشْمِهِمْ وَمَا حَنَ (١)
 وَأَنْكَرُوا نِعْمًا طَوَّقَتْهُمْ ، وَمَنْنَ
 وَكُلُّ مَنْ مَلَتْ عَنْهُ قَرْبُوه ، وَمَنْنَ وَالْآكُ فَهوَ الَّذِي يُقْصَى وَيُهْتَضَمُ (٢)

مَا زِلْتَ فِي وَدَّهِمْ تَجْرِي عَلَى سَنَنِ
 وَهُمْ بِدَاكُ فِيَا لِلَّهِ لِلْغَبَنِ
 أَعْوَانُ عَادِيَةِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
 بَغِيًّا وَكُفْرًا لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ مَنْنِ وَمَرَاتِعِ الْبَغِيِّ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُّ

أَخْفَيْتَ بَادِي مَسَاوِيهِمْ لَتَسْتَرَهُمْ
 وَلَوْ كَشَفْتَهُمْ لَمْ تَرْضَ مَكْسِرَهُمْ (٣)
 فَكَشِفَ بِجَنِّكَ مَا أَخْفَوْا لَتُنْكَرَهُمْ
 جَرِيَهُمْ مِثْلَ تَجْرِي لَتُخْبِرَهُمْ فَلِرَجَالٍ - إِذَا مَا جُرِبُوا - قِيمٌ

(١) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحفدة والغضب .

(٢) الانهضام : الظلم .

(٣) المكسر : المخبر والأصل .

مازلتُ، منذ كنتُ، في عينِ العدوِّ قذِي
يرى محلي فوق النجم مُنْتَبِذًا^(١)
فسلهمُ بي تزدَهُمُ من جَوِي وأذِي
هل فيهمُ رجلٌ يُغْنِي غِنَايَ، إذا جَلَى الحوادثُ حدَّ السَّيفِ والقَسَمُ

أم فيهمُ من يُجَلِّي حِندَسَ الشُّبَه
يَعزِمُ أروع^(٢) مدرأك: لمَطْلَبِهِ
ماضٍ على الهولِ مُستَوِط^(٣) لمرْكَبِهِ
أم فيهمُ من له في الخَطْبِ ضَاقٌ به ذَرعُ الرِّجالِ يدُ يَسْطُو بها وفمُ

عرفتَ غَشْمُهُمُ في السَّرِّ والعَلَنِ
وَأَنَّ نِيَّاتِهِمُ مَلَأَى مِنَ الدَّرَنِ^(٤)
ولم تزل عاكفًا منهم على وثن^(٥)
لكنَّ رأيك أدناهمُ وأبعدي فليتَ أنا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقَسَمُ

لَمَّا خَلَطْتَ يَقِينَ الوُدِّ بالشُّبَه
رَعِبْتَ عَهْدِي بِطَرْفِ غَيْرِ مُنْتَبِه
وملتَ بالودِّ عن مَلْحُوب^(٦) مَذْهَبِهِ
وما سَخَطْتُ بِعَادِي، إذ رَضِيتَ بِهِ وَلَا بِحُجْرٍ، إذا أَرْضَاكُمْ، أَلْمُ

(١) الانباز : التحي .

(٢) الأروع : من يعجبك بحسه ، أو بشجاعته .

(٣) استوطاه : وجده وطياً ، أى على حالة آتية .

(٤) الدرن : الوحش .

(٥) الوثن : البيت .

(٦) الحُب الطريق : بيته .

لَا تَحْسَبَنَّ الرَّزَايَا ضَعُفَتْ جِلْدِي
وَلَا النَّوَىٰ عَن دَمَشِقٍ فَتَّ فِي عَضِدِي
أَنِّي نَوَىٰ اللَّيْثُ فَهوَ الْحَيْسُ^(١) لِلْأَسَدِ
وَلَسْتُ آسَىٰ عَلَى التَّرْحَالِ عَن بَلَدٍ شُهْبُ الْبُرَاةِ سِوَاءَ فِيهِ وَالرَّخْمُ^(٢)
أَقُولُ إِذَا فَاتَ حَزِي عِزْمَةُ الرَّشْدِ
وَقَدْ بَدَأَ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلْدِي:
لَلَّهِ دَرْكٌ ، لَوْلَا الْعَبْنُ ، مَن بَلَدٍ
تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِن بَدِي ثُمَّ أَنْتَتْ ، وَهِيَ صِفْرٌ^(٣) ، مَلُؤَهَا نَدَمٌ
كَمْ عَزَّنِي^(٤) أَمَلِي فِيهِ ، وَسَوْفِي^(٥)
وَكَمْ وَثِقْتُ بِمِعَادٍ فَأَخْلَفَنِي
حَتَّى تَلَاشَىٰ رَجَائِي فِيهِ ، ثُمَّ فَنِي
لَكِن فِرَاقَكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي فَنِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرِمُ
وَمِثْلُ وَجْدِي لُبْعِدِي عَنكَ لَمْ أُجِدْ
وَكَمْ شَجِيتُ بِتَرْحَالٍ وَمُفْتَقِدٌ^(٦)
فَا تَنَكَّرَ لِي صَبْرِي وَلَا جَلْدِي
فَاسْلَمْ ، فَا عِشْتَ لِي فَالْتَهَرُطُوعُ بَدِي وَكُلُّ مَا نَأْتِي مِن بُؤْسِهِ نَعِمٌ

(١) الخيس بالكسر: موضع الأسد، كالحيسة.

(٢) البانزى: ضرب من الصقور. والشهبة: بياض يصدقه سواد. والرخم: جمع رنحة، وهو طائر ضعيف.

(٤) عزه: غلبه.

(٣) صفر: خالية.

(٦) انتقد: طلبه عند غيبته.

(٥) سوفي: مطلقى.



نجز ديوان الأمير: مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (رحمه الله) ،
بحمد الله ومنه ، لتسع بقين من صفر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة .
كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد العجمي ،
حامدا لله على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله ، ومسلما .



الفهارس

١

فهرس القوافي مرتب على أغراضه الشعرية

في الغزل

الباء

الصفحة	البحر	
٥١	الكامل	وئجاب عن تعنيفهم إن أذنبوا
٥١	الطويل	وبعد التقال غير بعد السباب
٥٢	الكامل	إمياض بارقة خلوب
٥٢	الطويل	عن الحب لم يستحسن الظلم في الحب
٥٣	الكامل	كانت قطيعته جوابي
٥٣	الكامل	فألم وهو بودنا مراتب
٥٤	السيط	فكيف حال من الدنيا تعذبه
٥٤	الكامل	لك مسعد فالهجر يظهر حوبه
٥٤	الحفيف	دم هذا بدمع هذا مشوب
٥٥	الكامل	واصدف عن الواشي المراقب
٥٥	البيط	ونظم الدر بين الراح والحب
٥٦	الريح	فإن رآه اكنن في السحب
٥٦	البيط	دعائي قل لي علام ذا الغضب
٥٧	الكامل	فمن العناء قياد غير المصحب
٥٧	الحفيف	ونهانني عن التصابي المشيب
		صاحبهم بترفق ما أصحبا بنفسي قريب الدار والهجر دونه حتى متى أنا شائم نشدتكما يا مدعئين سلوة قمر إذا عاتبته ذكر الوفاء خيالك المتاب نفسي بزهرة دنياها معذبة واعص اصطبارك إن تكفل أنه ليس طرفي جارا لقلبي ولكن أطع الهوى واعص المعاتب من زين الاقحوان الرطب بالشنب مهفهف يججل بدر الدجى أدعو على ظالمي فيغضب من لا تكثرن عتاب من لم يعتب كف عنى واش وأغضى رقيب فأجابه : بأبي شخصك الذي لا يغيب

التاء

٥٨	الكامل	فاليأس ينقض كل ما أبرمته	يا معمل الآمال دع خدع المنى
----	--------	--------------------------	-----------------------------



البحر الصفحة

الجيم

وقائل رأبه ضلالي عن نهجي والحب ما له نهج الخفيف ٥٩

الحاء

نفسي فدت بدر تمام إذا عاتني بالجد أو بالمزاح الخفيف ٥٩
باح بشكوى ما به فاستراح فهل عليه في الهوى من جناح الخفيف ٦٠
أرته غزته في المهجر مصلحتي جهلاً فأفسد مني كل ما صلحا البسيط ٦١
عقائل الحسي أم سرب المها سنحا أفسدن ما كان بالسليوان قد صلحا البسيط ٦١

الدال

حتام أرغب في مودة زاهد وأروم قرب اليدار من متباعد الكامل ٦٢
إن خان عهدك من توده ونأى فلا يجزئك فقدته الكامل ٦٣
يا ملولاً قلما يرعى لمن يهواه عهداً الرمل ٦٤
مروع بالقل والصد ليس له صبر على الهجر والأعراض يسعده البسيط ٦٤
لا تحسبن اللوم أجدي بل زاده كلفا ووجدا الكامل ٦٥
قل لمن لم يرع عهدي والذي ضيع ودّي الرمل ٦٥
حال عما عهدته من وداذي واعتدى في قطيعتي وبعادي الخفيف ٦٦

الراء

كم إلى كم أكاتم الناس وجدني ويظهر الخفيف ٦٦
أيرجع لي شرح الشباب وعصره وكيف رجوع الليل قد لاح فجره الطويل ٦٦
ما هاج هذا الشوق غير الذكر وزورة الطيف سرى من مصر الرجز ٦٧
دعاني إلى هجري بثينة حقبة من الدهر خوفي هجرها آخر الدهر الطويل ٦٨
ويح العواذل لا خلاق لهم وهموا ولم تصدقهم الفكر السريع ٦٩
يا حاضراً بفؤاد ناء غائب والنجم أقرب من ملول حاضر الكامل ٦٩
واها لليل خلنتي من طيبه متفياً في ظل طير طائر الكامل ٧٠
هبوني كما زعموا مذنباً أسأت وقد جئت أستغفر المتقارب ٧٠
يا جائراً وهواي يعذره منك الذنوب ومني العذر السريع ٧٠
ما حيايتي في الملول يظلمني وليس إن جار منه لي جار المنسرح ٧١



البحر الصفحة

٧١	الكامل	أضحى له البين المشت سرارا	لا صبر لي عن بدر تم مشرق
٧١	الخفيف	وهو شمسي ضحى وفي الليل بدري	أنا أفدي مغرى بصدي وهجري
٧٢	البيسط	من ناقض العهد ينساني وأذكره	من عاذر لي ومن للصب يعذره
٧٢	الكامل	باك ووجهي للتجمل مفسر الكامل	حتام قلبي بالكآبة مكمد
٧٢	الخفيف	ه مع النسك والتحلّم صبرا	من عذيري من شادن لم أطلق عند
٧٣	الكامل	ك قلت لا والله ، عمري الكامل	قالوا اتسلو عن حبيي
٧٣	الكامل	ماء الحيا من خده يقطر الكامل	ظبسي تغار الشمس من حسنه

الشين

٧٣	المنسرح	فهي صباح ينجاب عن غبش المنسرح	لا ترتج النجح من مواعده
----	---------	-------------------------------	-------------------------

الصاد

٧٤	الكامل	وعهوده في الحب ظل قالص الكامل	يا من مودته سحاب زائل
٧٤	الكامل	وملالكم أملي بجد ناكص الكامل	يا غادرين إلام ينشي هجركم

الضاد

٧٤	الخفيف	وتناسى الذي مضى الخفيف	صدّ عني وأعرضا
----	--------	------------------------	----------------

الطاء

٧٥	الكامل	وأصون شرك راجياً أو قانطا الكامل	لك أن أطيعك راضياً أو ساخطا
٧٥	البيسط	قد جاء مستدركاً بالعدر ما فرطا البيسط	يقر بالذنب يجنيه فأحبه

الظاء

٧٦	السرير	والقلب أدنى الغدر يحفظه السرير	أحفظتم قلبي بغدركم
----	--------	--------------------------------	--------------------

العين

٧٦	الكامل	فيه المؤمل للتقاضي موضعا الكامل	يا موعدي بالوصل وعدا لا يرى
----	--------	---------------------------------	-----------------------------

البحر الصفحة

٧٦ الطويل وما أنا فيها للنهي بمطيع أطيع هوى عصاء وهو يضلني

الفاء

٧٧ البسيط فعاد ينكر منا كل ما عرفا ما هرفا
٧٨ الكامل سكر يقصر عنه سكر القرقف ومهفف بي من هور جفونه
٧٨ الكامل فالمت في حد الحسام المرفه لا تغتر بنحول خصر أهيف
٧٨ الكامل وكلمها في الحشا يدمي وينقرف مستغفر الذنب إن عدت إساءته
٧٩ البسيط فإنه يستثير الهمم والأسفا قل للوائم كفوا عن ملامكم
٧٩ السريع فالأم تنكر وهي تعترف باحت بسرك أدمع تكف
٨٠ الكامل إن لم تخن فابلغ رضاك من الجفا ما بالملالة حين تعرض من خفا

القاف

٨١ الرجز حبسك قد حملت ما لا تطيق حتى متى يا قلب لا تستفيق
٨١ الكامل غرس الحياء بوجنتيه شفيقا قمر إذا عاتبته شغفا به
٨١ الكامل بكسوف بدري واشتهار محافه انظر شاتة عاذلي وسروره
٨٢ الطويل ولا أنا عما تعلمين مفيق يثينه ما أعرضت عنك ملالة
٨٢ الكامل فيها المرة في مجال ضيق لله ليلتنا التي رحبت لنا
٨٢ السريع في الأرض في وجناته شفق يا لائمي انظر الى قمر
٨٣ الخفيف وعقيق رطب ومسك فتيق وغزال في فيه راح أودر

الكاف

٨٣ البسيط هجر القل والتجني كان يكفيكا عاديبي حين عاديبي الوري فيكا

اللام

٨٤ المتقارب ولا من يكف ولا يعذل أما في الهوى حاكم يعدل
٨٦ المجتث فقلت : حاشا وكلا قالوا : فلاك وملا
٨٦ المنسرح لا تأمنوا من حوادث الملل كم ذا التجني وكثرة العلل
٨٦ البسيط ترى ملالك هذا غير مملول قل للملول الذي أعيا تلونه
٨٧ البسيط أسير ناظره بالوجد مغلول كيف الخلاص لقلبي من يدي قمر



البحر الصفحة

٨٧	غدرا فودي غير منتقل السريع	أحبابنا إن كان هجركم
٨٧	لأكرمها عن عرضة اللوم والعدل الطويل	يلومونني في حب ليل وإني
٨٨	فما الذي أطمع عدالي السريع	ما خطر السلوان في بالي
٨٨	واسأل معالمها بدمع سائل الكامل	وإذا مررت على الديار فقف بها
٨٩	فأسد فاه العذب بالقبل السريع	نفسي الفداء لمن يعاتبني
٨٩	وفمي على فمه يقبله السريع	نفسي الفداء لمن يعاتبني
٨٩	كئان فيض المدمع الهامل السريع	كتمت بشي غير ان لم أطلق

الميم

٩٠	فليتهم حكموا فينا بما علموا البسيط	ولو اقلها رجونا عدلهم ظلموا
٩٠	وناصح العاشقين منهم المنسرح	أقصر فلومي في جهم لم
٩٢	فقواك تضعف عن صدور دائم الكامل	لا تستعر جلدأ على هجرانهم
٩٢	ما عسى دولة الصبا أن تدوما الخفيف	قل لمن ناء بالجمال علينا
٩٢	وجسم مشعر سقما الوافر	جفون تستهل دما
٩٣	وضاع ودي في الظن والتهم المنسرح	مل وأبدي تهم السأم
٩٣	وخافراً حرمة الذمام البسيط	يا ناسياً عشرة التصافي
٩٣	إلى هواكم وفاء لست أسأه البسيط	يريني ما أرى منكم ويعطفني
٩٤	وبح فما الحب في حال بمكتم البسيط	أجب دواعي الهوى بالأدمع السجم
٩٤	سلوا وقلبي بهم مغرم السريع	ما أنصفوا في الحب إذ حكموا
٩٥	ف رقيه لي منه قسا الكامل	قسا بمن لم يبق خو
٩٥	يغضب أن أدعو على ظلمي السريع	قولاً لذا الغضبان يا ظلماً
٩٦	وألزمني الذنب والجاني هم الرجز	لما رأوا وجدي بهم تجرموا

النون

٩٦	وبارق مسم أم برق مزن الوافر	عيا ما أرى ام بدر دجن
٩٧	والياس منك الى السلوان الجاني البسيط	إصلاح قلبك اعيناني فأحياني
٩٨	على قد لجح في صدي وهجراني البسيط	يا رب خذ بيدي من ظلم مقتدر
٩٨	إليه وفاء بالأخاء ضنين الطويل	إذا أوحشتني جفوة الخلل ردي
٩٨	ويا مبيح الدمع أجفاني السريع	بالله يا مغرى بهجراني
٩٩	وأدفع بالشك عنك اليقينا المتقارب	إلى كم أرجم فيك الظنونا
٩٩	يا مرشدي عن منهج السلوان الكامل	زدني جوى يا جهم وأضلني



البحر الصفحة

- | | | | |
|-----|---------|---------------------------------|-----------------------------|
| ٩٩ | المقارب | خضوعي له زاد هجرانه | أيا هاجراً كلما زدت في |
| ١٠٠ | النسرح | وهاجري هاجعاً ويقظانا | يا معرضاً راضياً وغببانا |
| ١٠٠ | البيسط | نفسى عن اللهو واققاد الهوى رسنى | يا فتنة عرضت لى بعد ما عزفت |
| ١٠٠ | السريع | وقلت إن الشيب يسلىنى | أحببها فى عنفوان الصبا |

الهاء

- | | | | |
|-----|--------|-----------------------------|-----------------------------|
| ١٠١ | الخفيف | حورى لا يمل رأؤه منه | يا هلالاً إذا تبدى يراه الـ |
| ١٠١ | الرملى | جفونى من كراهها | قل لمن أوحش بالهجر |
| ١٠٢ | الكامل | ويرى ذنوبى قبل أن أجنبها | تحفى على ذنوبه فى حبه |
| ١٠٢ | البيسط | عهدى وقالوا مضى أمن بما فيه | نبئت انهم بعد العباد نسوا |

الياء

- | | | | |
|-----|--------|-------------------------------|-------------------------|
| ١٠٣ | الطويل | إلىكم على إنكار ما قد بدا لىا | يغالطنى فىكم هواى فأنشى |
| ١٠٣ | الكامل | سر المحب علانيه | يا سائلى عما بيه |
| ١٠٣ | السريع | در بديع النظم فى فيه | يا قمر أعجب ما فىه |

٢

شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق

الباء

- | | | | |
|-----|--------|------------------------------|-----------------------------|
| ١٠٤ | الطويل | فسيان عندى بعده واقترابه | أحبابنا من غاب عمن يوده |
| ١٠٤ | الطويل | فدارك أجبانى القريحة والخلب | ألباء إن شطت بنا الدار عنوة |
| ١٠٥ | الكامل | ن البين موعده الغروب | يا أمرى بالصبر إـ |
| ١٠٥ | الكامل | ك عن إساءتى العتاب | يا دهر مالك لا يصد |
| ١٠٦ | البيسط | فى غير جنسى ولم أفتد ولم أغب | علام يا دهر بالعدوان تحبسى |
| ١٠٦ | الطويل | أشت وأنأى من فراق المحصب | رمتنا اللبالبى بافتراق مشتت |
| ١٠٦ | الطويل | على ودهراً قد ألحت نوابه | إلى الله أشكو عيشة قد تنكدت |
| ١٠٧ | الطويل | ويصدع شملى بالنوى والنواب | إلى كم أعنى بالسرى والسباب |
| ١٠٧ | الطويل | والنصار فى أحشائه تلهب | أمسيت مثل الشمع يشرق نوره |

الجيم

- | | | | |
|-----|--------|------------------------------|-----------------------------|
| ١٠٧ | البيسط | والعذل مما يزيد المستهام شجى | لم ينهه العذل لكن زاده لهجا |
|-----|--------|------------------------------|-----------------------------|

البحر الصفحة

الحاء

- ١٠٨ كتم الجوى القلب القريح
 يا نازحين واصطباري والامسى
 الكامل الفضوح الدمع
 الكامل يجم ذا دمعي وهذا ينزح

الذال

- ١١٠ يا دار إن بخلت على
 أنظن صبرك منجداً إن أنجدوا
 مغناك سارية العهد الكامل
 هيات ليس لمستهام مسعد الكامل
 لا جزعي مسعدي ولا جلدي المنسرح
 عسى جمرات في الجوانح محمد الطويل
 جحد الغرام فأنبتته شهوده الكامل
 ورد بيأس كاشح وحسود الطويل
 لبغضهم نار تلظى وقودها الطويل
 ضلوعى عما تحتهم من الوجد الطويل
 سبيله عنك فاسأل عنه من فقدا البسيط
 النفوس فيها من اللذات موجود البسيط
 جوى أو رآه البعد رق لي البعد الطويل
 نوى غربة كالصدع في الحجر الصلد الطويل
 جرت بنجيع فوق خدي مزبد الطويل
 فما تشكي من أليم الوجد الرجز
 وما أفاد سلوة إذ فندا الرجز
 على الجوى القلب القريح
 يا نازحين واصطباري والامسى
 ما ينكر الأخليات من كمدي
 دعوني أبح ما مثل وجدتي يجحد
 أيلام مسلوب الفؤاد فقيده
 ولما تصافينا وأخلص ودنا
 أسير إلى أرض الأعادي وفي الحشا
 إذا مر ذكراكم بقلبي تضايقت
 عليك بالصبر يا قلبي فإن خفيت
 هب أن مصر جنان الخلد ما اشتهدت
 بنفسي بعيد الدار بي من فراقه
 تناءت بنا عن أرض نجد وأمله
 أقول لعيني يوم توديعهم وقد
 قد مرنت قلوبنا على النوى
 أنهم فيكم لاثمي وأنجدا

الذال

- ١١٨ ظام يحوم عليهم ويلود
 صدوه وهو صدى الفؤاد إليهم

الراء

- ١١٨ لا غرو إن هجر الخيال الزائر
 تناءوا وما شطت بنا عنهم الدار
 ومالت بهم عتاً خطوباً وأقدار الطويل
 ما أنت أول من تناءت داره
 فعلام قلبك ليس تحبو ناره الكامل
 فليس له نهى عليه ولا أمر الطويل
 أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر

البحر الصفحة

١٢٤	الطويل	سوى أنسي باق وولي حاضر	أحبابنا ما أشتكي بعد بعدكم
١٢٤	البيط	بكاء عن لذة التوديع والنظر	يا عين في ساعة التوديع يشغلك الـ
١٢٥	البيط	ولا أجالتك خلواتي بأفكارني	يا مصر ما درت في وهمي ولا خلدي
١٢٥	الكامل	فقد ترى قلة أنصاري	يا غائبين رجاي طيب العيش مذ بنتم غرور
١٢٦	الطويل	جفوني وأذكت بالهموم ضميري	يا صمع أنجدني على بعدهم
١٢٦	الطويل	وراجعني حلمي ووازنني صبري	إلى الله أشكو فرقة دميت لها
١٢٧	الطويل	بسمعي عن غير اعتماد لكم ذكر	وجدد وجددي بعد ما كان قد عفا
١٢٧	المنسرح	ومثلهم لقلبك الفكر المنسرح	كأنني عجول أو نكول إذا جرى
١٢٧	الطويل	ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر	ناوأ فأذنتك منهم الذكر
١٢٧	الحفيف	فارغ البال من همومي وفكري	غرضت من الهجران والشمل جامع
			وصف الصبر لي جهول بأمرني

الضاد

١٢٨	الكامل	ودعته حذرا بطرف معرض	في ذلك الحني المعرض لي هوى
-----	--------	----------------------	----------------------------

الطاء

١٢٨	الطويل	ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا	أجيرة قلبي إن تدانوا وإن شطوا
١٣١	الطويل	مساغاً ولا طول البكاء يميطة	إلى الله أشكو من جوى لم أجد له

العين

١٣١	الكامل	نفس تقوم له حنايا أضلعي	أحبابنا لي عند خطرة ذكركم
١٣٢	البيط	وفي التجارب بعد ألغي ما يزع	يا قلب دعهم فقد جربت غدرهم
١٣٢	الرجز	مروعا بالنوى	إلى متى أمسي وأضحى
١٣٢	الكامل	ومضان ذاك البارق اللعاع	أرأيت بين معاطف الأجرع
١٣٢	الكامل	شوق دعا أفلا أوجب الداعي	ما أنكروا من عزمتي وزماعي

الغين

١٣٣	الكامل	يصني إلى نصح ووعظ بالغ	يا لائم المشتاق دعه فقلنا
-----	--------	------------------------	---------------------------



البحر الصفحة

الفاء

١٣٣	البيسط	إذا تبدت لعيني هيجت أسفي	أسير نحو بلاد لا أسر بها
١٣٤	الكامل	ف المشوق الصب عنف الكامل	يا لائم المشتاق تعني
١٣٤	الرجز	دام التذاني والجفا الرجز	أحبابنا من لي لو
١٣٥	البيسط	إن الكرام إذا استعظمتهم عطفوا	أذكرهم الود إن صدوا وإن صدفوا
١٣٦	البيسط	فكيف يصبر عنهم قلبك الكلف البيسط	ما منهم لك معراض ولا خلف

القاف

١٣٧	الكامل	لصفا لهم من ودنا ما رنقوا	لو أحسنوا في ملكنا أو أعتقوا
١٣٨	المنسرح	غير جميل بمثلك الخرق المنسرح	يا قلب كم يستخفك القلق
١٣٩	البيسط	أم ما يريك من أحناني الدفق البيسط	ماذا يروعك من وجدي ومن قلقي
١٤٠	الطويل	وطرفي وقلبي أدمع وخفوق الطويل	ولما وقفنا للوداع عشية
١٤٠	الكامل	فليت منه بهجرة وفراق الكامل	ألف القل وأجاب داعية النوى
١٤٠	الكامل	هو دونكم بالبين يشقى الكامل	رفقا بقلب الصب رفقا
١٤٠	البيسط	فاضت بدمع على الخدين مستبق البيسط	أقول للعين في يوم الفراق وقد
١٤١	الكامل	من راحل شاك جوى أشواقه الكامل	من مبلغ النائي المقيم تحية
١٤١	الطويل	دليل وقد ضلت على طريقه الطويل	أحبابنا ما لي إلى الصبر عنكم
١٤١	الكامل	فأنا المواصل بالوداد الصادق الكامل	إن تقطع الأيام منك علائقي
١٤٢	البيسط	فيا لها قصرت عن جمع ما افترقا البيسط	طالت يد البين في تضريق ألفتنا
١٤٢	الكامل	بالأبرقين فأين أين الملتقى الكامل	بالغور أهلك يا بشين وأهلنا
١٤٢	السرير	حسبك قد هجت الجوى والأشواق السرير	كم ترزمي وكم تحني يا ناق
١٤٣	الرمل	هل لنا بعد افتراق ملتقى الرمل	ليت من يسأل جيران النقا
١٤٣	الكامل	زاد الدنو صابتي وتشوقي الكامل	أشتاقكم فإذا نظرت إليكم
١٤٣	الطويل	اليها على قرب الزيارة شيق الطويل	خليلي زورابي رويقة إنني

الكاف

١٤٤	البيسط	طلق وقلبي كتيب مكمد باك البيسط	ناقت دهرى فوجهي ضاحك جذل
١٤٤	الكامل	من غبت عنه وغاب عنك الكامل	يا قلب مت كمدا على

اللام

١٤٤	الكامل	أسراره يوم النوى للعدل الكامل	لا ذنب للصب المشوق إذا بدت
-----	--------	-------------------------------	----------------------------



البحر الصفحة

- ١٤٥ البسيط والبين يعجب من وجدتي ومن عجل نفسي الفداء لمن قبلته عجلا
١٤٥ البسيط لم يرو غلته بالعل والنهل ونازح في فؤادي من هواه صدى
١٤٥ الطويل بذكركم روح الحياة عذول بنفسي عذول لام فيكم فرد لي

الميم

- ١٤٦ الكامل إلا ليعلمن سرك المكتوم ما استجهلتك معالم ورسوم
١٤٧ الكامل أن تسعدا فذرا الملامة إن لم تطيقا يوم رامة
١٤٨ الكامل ذا مبطل ما الكتم شيمة هائم إن لم أبح بهواك قلن لوائمي
١٤٨ الطويل صروف الليالي أفردتني بالمهم أحببنا مذ أفردتني منكم
١٤٨ البسيط وجداننا كل شيء بعدكم عدم قل للذين نأوا والقلب دارهم
١٤٩ الكامل وصبرت عنه والحشا يتضرم كم قد جزعت لبين من فارقه
١٤٩ الطويل على غصن في غيضة تترنم وهاج لي الشوق القديم حمامة
١٤٩ الوافر علي ولم يطل ليل النيام سهرت بخزيرت فطال ليل
١٤٩ الكامل كل الهوى جبل أشم بهيم ما لي وللجبل الأغر وإنما

النون

- ١٥٠ الرمل ذكر الآلاف والوصل فحنا ما يريد الشوق من قلب معني
١٥١ الرجز وأعلمني الوجد الذي تجني يا ناق شطت دارهم فحني
١٥٢ الكامل سحت فباحث بالهوى أشجانه اعلمت ما فعلت به أجفانه
١٥٤ البسيط ناء عن الأهل والأوطان والسكن أهكذا أنا باقي العمر مغترب
١٥٤ الكامل أبداً فلا وطن ولا خلان أين السرور من المروع بالنوى
١٥٤ الكامل شطرين بين شثونه وشجونه قسم الهوى دهر المزرع بالنوى
١٥٥ البسيط قد أقفرت بعد سكان وجيران منصور دارك أضحت منك موحشة
١٥٥ الطويل أنيس ولا في طارق الخطب أعوان وقد أفردتني الحادثات فليس لي

الهاء

- ١٥٥ الطويل ورداه في الهوى وغلوه سلا قلبه ما غال حسن سلوه
١٥٦ الطويل له علل من بردها لم يروه إلا من لصاد والموارد حمة
١٥٦ البسيط وأمر صبري بعد البين مشبه بكاء مثلي من وشك النوى سفه
١٥٧ البسيط كم ذا الحنين إلى من أنت مثواه يا قلب رفقا بما أبقيت من جلدي
١٥٧ السريع كوجد من فارق روح الحياة ما وجد من فارق أحبابه
١٥٨ الكامل لو كان يوجد مثله خلق الهوى بأبي هوى فارقه ولثله

المكاتبات والمعاتبات

الهمزة

لئن غربت شمسي المنيرة في النوى
 فليلي وصبحي في الظلام سواء الطويل ١٥٩

الباء

لم يبق لي في هواكم أرب
 سلوتكم والقلوب تنقلب المنسرح ١٥٩
 وقد كنت أرجو أن أراك وبيننا
 مفاوز أذناها الشناخيب والسهب الطويل ١٦٠
 تبذل حتى قد مللت عتابه
 وأعرضت عنه لا أريد اقترابه الطويل ١٦٠
 أيا نازحاً لم أحتسب بعد داره
 وقد كان لو نلت المنى قربه حسبي الطويل ١٦٠
 يا من به سلوتي عن كل مفتقد
 ومن مودته أدنى من النسب البسيط ١٦١
 أيا غائباً يدنيه شوقني على النوى
 لأنت إلى قلبي من الفكر أقرب الطويل ١٦١
 وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم
 ولا رضيت بعد السديار من القرب الطويل ١٦٢
 لئن فرق الدهر المشتت شملنا
 فأصبحت في شرق وأمسيت في غرب الطويل ١٦٤
 أبا البركات لي مولى جواد
 مواهبه كمنهل السحاب الوافر ١٦٤
 لي صديق أفضي إليه بسري
 وخبايا صدري ومكتون قلبي المديد ١٦٤

التاء

وما أشكو تلون أهل ودي
 ولو أجدت شكيتهم شكوت الوافر ١٦٥

الثاء

أيا منقذي والحادثات تنوشني
 ودافع همي إذ ترادف بعثه الطويل ١٦٥



البحر الصفحة

يا ثانيا للنفس وهـ و لناظري أعز ثالث الرجز ١٦٦

الذال

يا من هواه على التنا ئي والتداني في ازدياد الكامل ١٦٧
 أسكن قلبي والمهامه بينا وإنسان عيني والمزار بعيد الطويل ١٦٨
 أبا حسن وافي كتابك شاهرا صوارم عتب كل صفح لها حد الطويل ١٦٨
 ألا أبلغنا عني أناساً صحبتهم فما حفظوا عهداً ولا راعوا الودا الطويل ١٦٨

الراء

أحبابنا خطب التفرق شاغل عن العتب لكن جاش بالكمد الصدر الطويل ١٦٩
 وكتاب منك فاجأني كشير جاء بالظفر المديد ١٧٠
 يا بعيدا أحله الشوق قلبي وناظري الخفيف ١٧٠
 يكأثر ماء الرزم عند أدكاركم دموعي ولكن ذا برود وذو قطر الطويل ١٧٠
 أشمس الدولة اسمع بث شوق يضيق بمثله ذرع الصبور الوافر ١٧١
 أحبابنا ما مصر بعدكم مصر ولكنها قفر إليكم بها فقر الطويل ١٧١
 تذكره أحبابه الأنجم الزهر فيا ويحه ماذا به صنع الذكر الطويل ١٧١
 لأشكرن اهتماماً منك يذكرن في البعد حتى كأنني مصقب الدار البسيط ١٧٢
 أصبحت بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبرح زاخر الكامل ١٧٣

السين

كتابي ولولا أن يأسى قد نبى اشتياقي لذاب الطرس من حر أنفاسي الطويل ١٧٣

العين

ما لي وللشفعاء فيما أرتجي من حسن رأيك في وهو شفيعي الكامل ١٧٤



البحر الصفحة

نظام الدين لا سقيا لخطب رمانا بالنوى بعد اجتماع الوافر ١٧٤

الفاء

مواصلتي كسبي إليك تزيدني
وابتزني رأي عز الدين مستلما
لكنني أشكو قوارص من
إليك اشتياقا بل عليك تأسفا الطويل ١٧٤
من بعد ما عمني إحسانه وضا الطويل ١٧٥
تلقائهم قلبي لها يحف السريع ١٧٦

القاف

يا بن الألى جمع الفخار لبيتهم
إيهأ بحقك مجد الدين تعلم أن
أحبابنا هلا سبقتم بوصلنا
بعدت مسافة بيننا وتوحشت
أبا حسن لولا التعلل بالمتى
لا تفسدن نصيحتي بشقاق
أتظن أني يعد بعدك باقي
يا راكب الشدنية الغيداق
قد كنت أحسب أن أمسد منتهى أمد الفراق الكامل ١٨٥
ضياء الدين ما شوق دعاني
كم إلى كم يلحى المحب المشوق
نظام الدين كم فارقت خلا
أبا الحارث أسلم من حوادث دهرنا
ما شئتوه من العطاء وفرقوا الكامل ١٧٧
الصبر عنك أو السلوان من خلقي البسيط ١٧٩
صروف الليالي قبل أن تنفرقا الطويل ١٨٠
حتى على طيف الخيال الطارق الكامل ١٨١
قضى كمدا قلب إليك مشوق الطويل ١٨١
وأبيك ما السلوان من أخلاقي الكامل ١٨١
أجزى عن الأثواق بالأثواق الكامل ١٨٣
ومتابع الزملان بالإعناق الكامل ١٨٣
فأسمعني بمصر من العراق الوافر ١٨٥
وهو من سكرة الهوى لا يفيق الخفيف ١٨٦
وكم صليت حشاي لظى اشتياق الوافر ١٨٧
ومن حر أنفاس المشوق المفارق الطويل ١٨٧

اللام

أبا حسن قدران بعد بعادكم
على القلب هم ما أراه يزول الطويل ١٨٨

البحر الصفحة

١٨٨	البيط	بفتح سبل اللقاء الزجر والقال	وإني كتابك مفتوحاً فبشرني
١٨٩	البيط	وما استقلت بكم للين أجمال	أبا المظفر أشواق مبرحة
١٨٩	البيط	وصدقت لي في علياء آمال	يا خير من علفت كفي مودته
١٩٠	الخفيف	أنا بالهجر والنوى مشغول الخفيف	أين سمعي عما يقول العذول

الميم

١٩١	الكامل	أغرى الزمان بكم عرامه الكامل	أبني السرى والبيد لا
١٩١	البيط	سرت سرى الطيف من مصر إلى الشام البيط	وكيف أشكر من أسدى إلى يدا
١٩٣	البيط	وما كذا يفعل الإخوان والخدم البيط	قصرت في خدمي تقصير معترف
١٩٤	البيط	حتى يخلصه السلطان والحكم البيط	يلط بالدين من مولاه مسلمه
١٩٤	البيط	وبالمودة منكم إنها رحم البيط	أقسمت بالجوود منا إنه قسم
١٩٦	البيط	والعيس تعجز عما تدرك الهمم البيط	يا راكباً تقطع البيداء همته
١٩٩	البيط	يغني ندى كفه عن وابل الديم البيط	يا ناصر الدين يا بن الأكرمين ومن

النون

٢٠٠	الكامل	أوطانها ونبت به أوطانه الكامل	هذا كتاب فتى أحلته النوى
٢٠٠	الطويل	حنين ألوف بان عنها قرينها الطويل	أحن إليكم والمهامه بيننا
٢٠١	الكامل	عني عوادي الهم والأشجان الكامل	نفسى الفداء لمن أودود بذكروه
٢٠١	الطويل	وفي شيزر أحبابه وشجونه الطويل	وإن امرأ أضحى بإربل داره

الهاء

٢٠١	البيط	وإن أغب صدعني معرضاً ولها البيط	إن ألقه سره قربي وآسه
-----	-------	---------------------------------	-----------------------

الياء

٢٠٢	الكامل	قدحت زناداً في الجوانح واريا الكامل	وإني كتابك معلناً بملامة
-----	--------	-------------------------------------	--------------------------

البحر الصفحة

٤

الأوصاف

الباء

رقصت أرضه عشية غنى الر
٢٠٣ عد في الجو والكريم طروب الخفيف

الذال

وصاحب لا تمل الدهر صحبته
٢٠٣ يشقى لنفمي ويسعى سعى مجتهد البسيط

العين

أنيسي في ليل القطيعة مشهي
٢٠٤ نحولا وتسهيذا ولونا وأمعا الطويل
٢٠٤ خفاتا وفي أحشائها النار واللذع الطويل

القاف

وسل عنك الهموم إن طرقت
٢٠٤ بينت كرم في الكأس تأتلق المنسرح
٢٠٥ صحبته الدهر لم أسبر خلاته البسيط

الميم

وافتك حالكة السواد يخالها
٢٠٥ صبغ الشباب الناظر المتوسم الكامل

٥

الملح

الباء

قولا لريم في حلة العرب
٢٠٦ إليك أشكو ما يصنع اسمك بي المنسرح



البحر الصفحة

الشاء

متى أرى الطوبان قد مهدت حيطانه السود المحارث السريع ٢٠٧

الراء

شبيهة حبات القلوب لك الهوى وهل لفؤاد عن سويدائه صبر الطويل ٢٠٧
 انظر إلى الأيام كيف تقودنا قرأ إلى الإقرار بالأقدار الكامل ٢٠٧

الشين

أميرنا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الطاعات منكمش البسيط ٢٠٨

الصاد

رمان مصر كأنه ذرة آكله شاخص من الغصص السريع ٢٠٨

القاف

إذا صاحبت عمراً في طريق فقد سايرت ظلك في الطريق الوافر ٢٠٨

اللام

عابوا هوى شادن في رجله قصر من سكر الحافظه في مشبه ثمل البسيط ٢٠٩

الميم

نزلت بأرض بالسوا وهي حصن علا حتى تمتطق بالنجوم الوافر ٢٠٩
 عتيق كالهلال إذا تبدي لساري الليل من تحت الغيوم الوافر ٢١٠

النون

يا ساكني جنة رضوان خازنها العيش في روج وريحان البسيط ٢١٠
 وصفوا لي بغداد حيناً فلما جثها جثت أحسن البلدان الخفيف ٢١١

البحر الصفحة

٦

المديح

الباء

٢١٢	وأغنى غناء الغيث حيث يصبوب الطويل	لقد عم جود الأفضل السيد الورى
٢١٢	ر دوني عذب المياه شروب الخفيف	غرني لامع السراب وهذا البحر
٢١٤	فشوقي إليكم لا يغيب الخفيف	يا أخلاي بالشأم لئن غبتم

الجيم

٢١٧	ويا حمى من إليه في الخطوب لجأ البسيط	يا منتهى الأمل امتدت مطارحه
-----	--------------------------------------	-----------------------------

الحاء

٢١٨	في سيره عن مسير العاصفات وحى البسيط	فيا أخوا العزم يطوي اليد متصلنا
-----	-------------------------------------	---------------------------------

الذال

٢١٨	فكيف بالوصل للمستهتر الكمد البسيط	كناس سرب المها عريسة الأسد
-----	-----------------------------------	----------------------------

الراء

٢١٩	ومقيل جدي وهو كاب عائر الكامل	يا منقذي ويد الزمان توشني
٢٢٠	واعتلاء على الأعادي وقهر الخفيف	كل يوم فتح مبین ونصر
٢٢١	خان ويدي النور للمتور الطويل	صديق لنا كالليل يستر الد
٢٢١	ويرى الثناء أجل ذخر يذخر الكامل	يا من يمين المال في كسب العلا
٢٢٢	بشكر يفغم الأفاق نشر الوافر	لكن مكاني من أنعم الملك الصالح لا تهدي له الغير المنسرح
٢٢٣		سأرحل عن جنابك غير قال

السين

٢٢٣	أيامنا بشر الزمان العابس الكامل	لله درك من فتى أبدت به
-----	---------------------------------	------------------------

البحر الصفحة

الطاء

ومن علقته بالصالح الملك كفه
فليس له دون العلا والغنى شرط الطويل ٢٢٤

العين

لئن شئت أيدي الحوادث شملنا
فوجود أبي الغارات للشمل جامع الطويل ٢٢٨
فإليك بنت الفكر من بعد المدى
تهدي فشرها بحسن سماع الكامل ٢٢٨

الفاء

هو الجواد الذي يلقاه مادحه
وإن غلا فوق ما أنسى وما وصفا البسيط ٢٢٩
من كان لي من حماء خيس ذي لبد
ضار ولي من نداه روضة أنف البسيط ٢٢٩
أدابك الغر بحر ما له طرف
في كل سمع بدا من حسنه طرف البسيط ٢٣١
دع ذا وقل لبني الآمال قد وضحت
لكم سبيل الأمانى وانجلى الأسف البسيط ٢٣٣
علومك البحر غمرا ليس تنترف
أساعنا لمعاني درها صدف البسيط ٢٣٥

القاف

تهمي مواهبه والسحب جامدة
فمن يديه مصاب الوابل الغدق البسيط ٢٣٨
مثل منهل أنعم الملك الصا
لح يروي دان به وسحيق الخفيف ٢٣٨

اللام

أبا تراب دهرنا جاهل
يرفع للشبه ذوي الجهل السريع ٢٣٩
أبا حسن في طي كل مساءة
من الله صنع للعباد جميل الطويل ٢٣٩
يا مستقل الغنى فيما تجود به
ومن مواهبه كالعارض المظل البسيط ٢٤٠
فتي التجى إليه من الخط
ب وذخري إن غال وفري غول الخفيف ٢٤١
زدني علا لا أرتضي باللهمي
حسي ما نولت من مال السريع ٢٤٢
والجور في حكم الصباة جائر
بخلاف أحكام المليك العادل الكامل ٢٤٢

الميم

وسر إلى بحر خضم له
من عزمه سيف وغى مخذم السريع ٢٤٣



البحر الصفحة

٢٤٣	المقارب	سات لأمر عرا ومهم ألم	دعوتك يا عمر المكرم
٢٤٤	البيط	قضاء فرضك عما فات من خدمي	لو استطعت ولو ملكت أمري في
٢٤٤	البيط	أخلاقك الغري يا ذا البأس والنعم	خلقت تحي به سلمان بينك من
٢٤٩	السرير	سهل فما في منه من	يا منعماً مورد إحسانه

٧

الافتخار

٢٥٠	الطويل	ضلالاً لما ظنوا وهل يكسد التبر	أظن العدا أن ارتحالي ضائري
٢٥١	الطويل	لتحيا بنا السدينا : ويفتخر العصر	أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر

الفاء

٢٥٦	السرير	فيه على ما رابني صلف السريع	يأبى احتمال الضيم لي خلق
-----	--------	-----------------------------	--------------------------

اللام

٢٥٧	الكامل	مالي أبى لي أن أعد بخيلا الكامل	جودي بموجودي على النكبات في
-----	--------	---------------------------------	-----------------------------

٨

الحماسة

الهمزة

٢٥٨	الطويل	مراراً ولكن ما الدماء سواء	قتلنا بقتلنا من القوم مثلهم
-----	--------	----------------------------	-----------------------------

الباء

٢٥٨	السرير	قواي عن سعي الى الحرب السريع	رجلاي والسبعون قد أوهنت
-----	--------	------------------------------	-------------------------

الجيم

٢٥٩	الكامل	ثبتت أواخي ملك كل متوج الكامل	أنا تاج فرسان الهياج ومن بهم
-----	--------	-------------------------------	------------------------------

البحر الصفحة

الحاء

لخمس عشرة نازلت الحكمة إلى أن شبت فيها وخير الخيل ما قرحا البسيط ٢٥٩

الدال

ولكنني ألقى الحوادث وادعا بقلب أريب بأسه يتوقد الطويل ٢٥٩
 يا عجباً من وشك بين ما رغت فيه مطايانا ولا الحادي حدا الرجز ٢٦٠

السين

سل بي كحمة الوغى في كل معركة يضيق بالنفس فيها صدر ذي الباس البسيط ٢٦١

الطاء

ولكن قضت فينا الليالي بجورها وعادتها كفر الفضائل والغمط الطويل ٢٦١

الفاء

إن يحسدوا في السلم منز لتي من العز المنيف الكامل ٢٦٢

القاف

قلبي وصبري إلفان مذ خلقا تقاسما صادقين لا افترقا المنسرح ٢٦٢
 قالوا ترشفت الليالي مائه واغتاله بعد التمام محاق الكامل ٢٦٣

اللام

قل لابن متقد الذي قد حاز في الفضل الكمالا الكامل ٢٦٣
 يا أشرف الزوراء أخلاقا وأكرمهم فعالا الكامل ٢٦٥
 يجهل في الإقدام رأبي معاشر أراهم إذا فروا من الموت أجهلا الطويل ٢٦٨
 قل للخطوب إليك عني إن لي في الخطب عزماً مثل حد المنصل الكامل ٢٦٩

الميم

إذا ضاق بالخطى معترك الوغى وهال الردى وقع الظبا في الجاحم الطويل ٢٦٩

البحر الصفحة

٢٦٩	الوافر	بجيدي مثل أطواق الحمام	معين السدين كم لك طوق من
٢٧٠	الطويل	وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم	ألا هكذا في الله تمضي العزائم
٢٧٤	الطويل	فمن حاتم ما نال ذا الفخر حاتم	لك الفضل من دون الورى والمكارم

النون

٢٧٨	الطويل	ولا تملك العين الحسان عناني	إليك فما تنشي شئونك شاني
-----	--------	-----------------------------	--------------------------

الهاء

٢٧٩	الخفيف	همتي أن تنال مني مناها	كم تغص الأيام منى وتأبى
-----	--------	------------------------	-------------------------

٩

الأدب

٢٨٠	المجتث	فكل دهرك خطب	لا تجزعن لخطب
٢٨٠	المتقارب	ت، لما غال من نشبي وانتهب	أيحسب دهري أني جزع
٢٨١	البيسط	حتى يرى غير ما قد كان يحسه	لأصبرن لدهري صبر محسب
٢٨١	الكامل	في غيه والفود شائب	دع ذا فما عذر الفتى
٢٨١	الخفيف	وناهني عن التصابي المشيب	كف عنسي واش واغضى رقيب

الحاء

٢٨٢	الكامل	شهد جته يد الوداد الناصح	لا تنكرون مر العتاب فتحته
٢٨٢	الكامل	تظفر بحسن سكينه ونجاح	اصبر على ما تخشني أو ترقي

الخاء

٢٨٢	البيسط	علت بهم رتب الدنيا وإن شمخوا	نزعت نفسي عن من الرجال وإن
٢٨٣	الكامل	عيسى محمول معرسي ومناخي	سر عن بلادهم فقد سئمت بها

الذال

٢٨٣	الكامل	أحدأ يدوم على المودة	انظر بعيشك هل ترى
-----	--------	----------------------	-------------------

البحر الصفحة

٢٨٣	عَلِ فَعَلِ الْخَيْرِ وَالْجُودِ السَّرِيعِ	عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنْ أَقْبَلْتُ
٢٨٤	وَقَدْ يَجْدَعُ الْيَقْظَانُ مِنْ هُوْرَاقِدِ الطَّوِيلِ	تَيْقِظُ فَمَنْ يَشْنَاكَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ
٢٨٤	أَظْلِلُ بِهَا بَعْدَ الْمَيَّاتِ نَخْلِدَا الطَّوِيلِ	سَأَنْفِقُ وَفَرِي فِي اكْتِسَابِ مَكَارِمِ
٢٨٥	وَخَيْرَتِهِ لَمْ تَلْفَهُ بِالشَّاهِدِ الْكَامِلِ	لَا تَرْغِبَنَّ فِيمَنْ إِذَا شَاهَدْتَهُ
٢٨٥	إِلَى كِرْمَاءِ النَّاسِ أَشْهَى مِنَ الْجَدَا الطَّوِيلِ	تَلَقَى ذُوَى الْجَاحَاتِ بِالْبِشْرِ إِنَّهُ
٢٨٥	مِمَّا تَخَافُ وَمَنْ مَعَانِدَةُ الْعَدَا الْكَامِلِ	أَرْضِ الْخَمُولِ تَعِشُ بِهِ فِي نَجْوَةِ
٢٨٥	نَوَائِبِ وَمَلَمَاتٍ لَحْتَ عَوْدِي الْبَسِيطِ	مَا كَفَّ كَفْسِي عَنْ جُودِي بِمَوْجُودِي

الراء

٢٨٦	بِمَا يَسُوءُ فَصَبِرَا الْمَجْتَثِ	إِنْ فَاجَأَتْكَ اللَّيَالِي
٢٨٦	قَنْ بَقَلْبِ مَحْتَسِبِ صَبُورِ الْكَامِلِ	أَلْقِ الْخَطُوبَ إِذَا طَرَّ
٢٨٦	إِنْ الْكَرِيمِ عَلَى الْخَوَادِثِ يَصْبِرِ الْكَامِلِ	اسْتَرْهَمِمْوْكَ بِالتَّجْمَلِ وَاصْطَبِرِ
٢٨٧	وَفَأَمِنْ كَيْدِهِمْ غَرَّرِ الْكَامِلِ	لَا تَأْمَنْنِ كَيْدَ الْعَدِ
٢٨٧	فِي مَحْتَدِي وَرَعِ وَطِيبِ نَجَارِ الْكَامِلِ	عِشْ وَاحِدًا أَوْ فَالْتَمَسْ لَكَ صَاحِبَا

السين

٢٨٧	وَأَنْفَقْتُ مَا لَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسِ الطَّوِيلِ	يَقُولُونَ لِي أَفْنَيْتُ كُلَّ ذَخِيرَةٍ
-----	--	---

الشين

٢٨٨	أَبْوَابِهِ مَتَكَسِبِ وَمَعَاشِ الْكَامِلِ	إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ لَا يَدْنِيكَ مِنْ
٢٨٨	إِذَا مَضَى الْخَفِيفِ	كُلِّ مَسْتَقْبَلٍ مِنْ الْمَهْمِ يَنْسِي
٢٨٨	إِذَا نَهَضَا الْبَسِيطِ	أَصْبَحْتَ كَالنَّسْرِ خَانَتَهُ قَوَادِمِهِ
	لَا تَسْتَقِلُّ جَنَاحَاهُ	

العين

٢٨٩	بِعَزِيمَةٍ فِي الْخَطْبِ لَا تَتَضَمُّعِ الْكَامِلِ	لَا تَسْتَكِنُ لِلْهَمِّ وَائِنَّ جَمَاحِهِ
-----	--	---

الفاء

٢٨٩	لَا زَايَلْتِكُمْ حَسْرَةٌ وَتَلْهَفِ الْكَامِلِ	قُلْ لِلَّذِينَ يَسْرَهُمْ مَا سَاءَ مَا
-----	--	--

البحر الصفحة

السلام

٢٨٩	الوافر	وتستجدي نوالا من بخيل	إلى كم تر تحمي عطف الملول
٢٩٠	الطويل	على شعث الخلان مستبدلا خلا	وإني لعصاء العواذل لا أرى
٢٩٠	الرمل	جد بي عنك الرحيل	أيها الربع المحيل
٢٩١	الطويل	عناني أو زلت بأخصي النعل	أئن غض دهر من جمحي أوئى
٢٩١	الطويل	لأنف ألا يدرك السؤل سائل	توالى إلى السائلون وإني
٢٩٢	البيسط	وما بأيديهم رزقي ولا أجلي	علام أخضع في الدنيا لمن رفعت
٢٩٢	السريع	دهري بما أذهب من مالي	إن سر أعدائي أن عضني

الميم

٢٩٢	البيسط	بها ولم أسل في حال عن الكرم	سلوت عن كل حال كنت ذا شغف
٢٩٢	الطويل	وللجار ما تنفك نهباً مقسماً	لنا هجمة للحق إن ناب والقرى

النون

٢٩٣	الرجز	فالقلب أولى بالذي أجنا الرجز	لا تودعن سمع أخ شكية
-----	-------	------------------------------	----------------------

الهاء

٢٩٣	البيسط	أدعوه وأعصيه البيسط	ظلمت شعري وليس الظلم من شيمي يطيعني حين
-----	--------	---------------------	---

الياء

٢٩٣	الكامل	لما رأيت صروف	هـذا الدهر تلعب بالبرايا الكامل
-----	--------	---------------	---------------------------------

١٠

الشواهد والأمثال

الباء

٢٩٥	الحفيف	لرجونا عنه جزيل الثواب الحفيف	لو صبرنا على البلاء احتساباً
-----	--------	-------------------------------	------------------------------

البحر الصفحة

٢٩٥	البيسط	سواي بي ولي الأوصاب والنصب	حسبي من العيش خير العيش يدركه
٢٩٥	البيسط	يرى مكان الأعادي من ذوي النسب	بعدا لمن شرع أعمى يصيب ولا
٢٩٦	المتقارب	ر وطابت وما خلقتها لي تطيب	ألفت الكجاة بعد النفو
٢٩٦	البيسط	أيامه وهو بالإحسان مقرب	أما ترى الماجد الفضال ترفعه
٢٩٦	الكامل	ذا قد تملكها وهذا يسلب	شاهدت غملا قد تجاذب زهرة

الجيم

٢٩٦	البيسط	تكون يأتيك لطف الله بالفرج	يا الف المهم لا تقنط فأياس ما
٢٩٧	الكامل	أجدي من المتسرع الهلجاج	تقل إذا ناديتني للممة

الحاء

٢٩٧	البيسط	ما نال ذو الجهل دون الحازم المنحا	لولا الذي جرت الأقلام قبل به
-----	--------	-----------------------------------	------------------------------

الدال

٢٩٧	الكامل	وأخو المشيب يجور ثمت يهتدي	قالوا هته الأربعون عن الصبا
٢٩٨	الكامل	فود الجنين ويهرم المولود	أصبحت في زمن يشيب لجوره
٢٩٨	البيسط	بالسباحات بحار المهمة البيد	ودع أخا العزم مصرأ لا ليس وخض
٢٩٨	الوافر	وأم الغدر في الدنيا ولود	صديق لي تنكر بعد ود
٢٩٩	البيسط	دهري فعشت وحيداً ميتاً كمدا	مضت لداتي وإخواني وأفردني
٢٩٩	الخفيف	تنظر العاجز الخطوظ فيستعمل وتعمى عن حازم محدود	

الراء

٢٩٩	البيسط	فالشمس أدنى سحب عن يسترها	أن يسترها وجه إحساني بكفرهم
٢٩٩	البيسط	فضائي بين بدو الناس والحضر	إن كنت في مصر مجهولاً وقد شهرت
٣٠٠	الطويل	يدي ولساني عن نوال وعن أمر	كفى حزناً أن الحوادث قصرت
٣٠٠	السرير	ما ناب من مستصعب الأمر السريع	سهل على العارف بالدهر
٣٠٠	البيسط	ثين نوراً وفيه النار تستمر	انظر إلى حسن صبر الشمع يظهر للرا
٣٠١	المنسرح	تهوى فما جازع بمعذور المنسرح	اصبر على ما كرهت تحفظ بما
٣٠١	البيسط	أبدى المداجاة ما تحفى ضائره	إنني لأعرف من وجه العدو وإن



البحر الصفحة

الزاي

٣٠١ البسيط جارك شأو العلا سبقا وتبريزا اصبر تنل ما ترجيه وتفضل من

السين

٣٠٢ البسيط يأتي به الله بعد الريث والياس اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا
 ٣٠٢ كالليل يغشى سائر الناس السريع الضر في أيامنا هذه

الطاء

٣٠٢ وما في مفرقي للشيب وخط الوافر أراني أستطيل مدى حياتي

العين

٣٠٣ البسيط لك المنى بحديث المين والخذع لا تخرعن بأطباع تزخرفها
 ٣٠٣ الكامل فإذا عرا خطب فأبعد من دعي ومماذق رجع النداء جوابه

القاف

٣٠٣ السريع ضراً وهم منهم على فرق قوم يموت الناس عندهم
 ٣٠٤ البسيط رأيته قط في ود امرئ صدقا لنا صديق يغر الأصدقاء وما
 ٣٠٤ البسيط هياته غير ممنون به الطرقا لا تقربن باب سلطان وإن ملأت
 ٣٠٤ البسيط وإن أذاب حشاك الهم والحرق استر بصبرك ما تخفيه من كمد

الكاف

٣٠٤ ولاحظته السعود في الفلك المنسرح من رزق الصبر نال بغيته

اللام

٣٠٥ البسيط بعد المشيب سوى عاداتي الأول انظر إلى صرف دهري كيف عودني
 ٣٠٦ الطويل فإن اللبالي بالخطوب حوامل إذا ما عرا خطب من الدهر فاصطبر
 ٣٠٦ الخفيف نيا خيال إذا انتهت يزول كل شيء تراه في هذه الد
 ٣٠٦ البسيط فيه وقد قيل كم من واثق خجل إنني وثقت بأمر غرني أملي
 ٣٠٧ الكامل يغترنا بورود لامع آل لا در درك من رجاء كاذب



البحر الصفحة

٣٠٧	الكامل	كثفاف معوج الظلال المائل	لا تعتين من مل ان عتابه
٣٠٧	البيسط	يرضى بما غال من وفر ومن مال	لا يؤسفنك ما غال الزمان فما
٣٠٨	الكامل	في مدافعتي ومطلي	يا جعل الاشغال عذرا
٣٠٨	الطويل	ولا لسيري في البلاد قفول	إلى كم أجوب الأرض ما لي معرس
٣٠٨	السرير	عناية الأيام بالجهل السريع	زهدي في العقل أنى أرى
٣٠٨	الكامل	أخطائه فيه يحار العاقل	رفع الخطوط لمن أصبن وحط من

الميم

٣٠٩	الخفيف	فلم يرع حرمتي وذمامي	لي مولى صحبته مذهب العمر
٣٠٩	المنسرح	نازلت ضاري الأسود في الأجم	لو كان رزق الفتى بقوته
٣٠٩	الطويل	بها مكرها رشف الذعاف من السم	لحى الله أرضاً يرشف المرء رزقه
٣١٠	الكامل	يرجى ولا تتبعه زفرة نادم	لا تأسفن لذهاب أو فائت
٣١٠	الكامل	أتعبتني بعد الكرام	قل للرجاء إليك قد
٣١٠	الكامل	والحاميل همسي	يا أخي الشاكي لما أشكوه
٣١١	الكامل	ضجراً على سر الفؤاد الكاتم	لا تظلمن لسان شكوى بائع

النون

٣١١	الخفيف	أو تلقاك بالمخاوف حيناً	اصطبر للزمان إن حاف حيناً
٣١١	الكامل	أبدى لك اليأس الميننا	من مل فاهجره فقد
٣١٢	البيسط	وبعد ما تاب عما راب مذ حين	يا شارب الخمر بعد النسك والدين
٣١٢	البيسط	تعلم الكرماء البخل يا زمن	كم تقصد الماجدين الفاضلين وكم

الهاء

٣١٢	الكامل	جو والمخشي إلا الله	لا تخضعن رغبا ولا رهبا فما المر
٣١٣	الخفيف	مل من رفعة ومال وجاء	نلت في مصر كل ما يرتجى الا

١١

الكبر والمشيب

الباء

٣١٤	الطويل	وما كل برق لاح يؤذن بالخصب	وشائمة برقا بفودي راعها
-----	--------	----------------------------	-------------------------



البحر الصفحة

- ٣١٤ فوديك واهما لذلك الليل بالعصب البسيط
٣١٥ أعتبته ووضعت خدي تائبها الكامل

التاء

- ٣١٥ صحا وللجهل أوقات وميقات
٣١٦ قلل الريا فزهت بحسن نباتها الكامل

الجيم

- ٣١٦ باك الصبا والشباب الغض قد درجا البسيط

الذال

- ٣١٧ على الماء صدع في الزجاجة باد الطويل
٣١٧ تعقبه ليل أحمر ركود الطويل
٣١٧ أسفا وقالت أين ذلك الاسود الكامل

الراء

- ٣١٨ ومنن ذا يجير إذا الشيب جارا المتقارب
٣١٨ رمى الوجد يوم البين سمعي بالوقر الطويل
٣١٩ إذ عاد حاله كالتلج مثنورا البسيط
٣١٩ فعاد كالتقوس يمشي والعصا الوتر البسيط
٣١٩ له حين يمشي وهي تقدمه وتر الطويل

القاف

- ٣٢٠ قبلي وكم من بعدهم أبقى السريع
٣٢٠ فعلام لون الشيب ليس يروق الكامل

اللام

- ٣٢٠ لم تترك السبعون في إقبالها

البحر الصفحة

٣٢١	الكامل	فإلام توضع في الطريق المجهل	وضح الصباح لناظر المتأمل
٣٢١	الوافر	لصبغ حال أم تغيير حال	نضا صبغ الشباب فلست أدري
٣٢٢	الرجز	ورابني عثارها في السهل	إن ضعفت عن حمل ثقلي رجلي

الميم

٣٢٢	الكامل	ماذا فقلت تريكة الأيام	قالت وأحزنها بياض مفارقي
٣٢٢	الكامل	فكأنهم وكأنه أحلام	انظر إلى لعب الزمان بأهله
٣٢٣	الكامل	ن الدين والأنباء تنمي	من مبلغ عني فلا
٣٢٣	الوافر	من الدنيا فتغشاني الهموم	أفكر في فرية ما تلاقي

النون

٣٢٤	البيسط	وساور الضعف بعد الأيد أركاني	لما تحطنتني السبعون معرضة
٣٢٤	الرمل	ونيت بي حين حاولت الخزونا	حملت ثقلي في السهل العصا
٣٢٤	السرير	نون لما ان علت سنى	نكست في الخلق وحطنتني السبع

الهاء

٣٢٥	الرمل	ثم قالت ما الذي بعدي عراه	نظرت مبيض فودي فبكت
٣٢٥	الكامل	فتحملتة تحمل المتكاره	حملت ثقلي بعد ما شبت العصا

١٢

الزهد والمواعظ

الباء

٣٢٦	البيسط	تضييع وقتي في لهو وفي لعب	يا رب حسن رجائي فيك حسن لي
-----	--------	---------------------------	----------------------------

التاء

٣٢٦	البيسط	له أفيقوا فللنوم هبات	يا غافلين عن الأمر الذي خلقوا
-----	--------	-----------------------	-------------------------------

البحر الصفحة

الحاء

لا ترتج الخلق فالأبواب مرتجة دون الخطام وباب الله مفتوح البسيط ٣٢٧

الدال

مد بصرتني تجاريبي ونهني خبري بدھري ففدت العيشة الرغدا البسيط ٣٢٨
عجزت عن الدنيا فما لي من يد بها ولا الأيد المساعد واليد الطويل ٣٢٨
نزلنا به حتى إذا يومنا انتضى رحلنا على العيس النجائب والجرد الطويل ٣٢٨
أما رأوا تقلب الدنيا بنا وفتكها بمن اليها اخلدا الرجز ٣٢٩
مثوبة الفاقد عن فقده بصيره انفع من وجده السريع ٣٢٩
تبارك اسمك كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلي الصمد البسيط ٣٢٩

الراء

احذر من الدنيا ولا تعتزr بالعمر القصير الكامل ٣٣١
لا تغتبط بسرور دنيا ما يدوم بها سرور الكامل ٣٣١
أرى العين تستحلي الكرى وأمامها كرى ليس تقضيه الى داعي الخشر الكامل ٣٣١
دنياي ناشرة فإن فارقتها طوعاً وإلا فارقتني كارها الكامل ٣٣٢
لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضلاً لا يتوم به شكري الطويل ٣٣٢
أيها الظالم مهلا أنت بالحاكم غر الرمل ٣٣٣

الطاء

الناس كالطير والدنيا شبابهم وهم بها بين ركاض ومخبط البسيط ٣٣٣
ما زلت في غبطة عيش عالماً أن سيزول بالهموم ما غبط الرجز ٣٣٤

العين

من مبلغ المعتز والقانع وأبن السبيل النازح النازع السريع ٣٣٤
أيها الغافل كم هذا المهجوع أعلن الداعي فهل أنت سميع الرمل ٣٣٦

القاف

ت وإذ لا يسوغ في الخلق ريق الخفيف ٣٣٧

البحر الصفحة

الكاف

٣٣٨ البسيط بها وملت إلى الإخبات والنسك سلوت عن صبوات كنت ذا شغف

اللام

٣٣٨ الطويل سوى مانع ما في يديه بخيل أرى الموت يستقري النفوس ولا أرى

الميم

٣٣٩ الطويل وأرمضني الفكر المسهد والهـم إذا ما عرامالا أطيق دفاعه
 ٣٣٩ السريع جنة عدن أو لظأ تـضرم فليس بعد الموت دار سوى
 ٣٤٠ الخفيف لنا نظن اليقين أحلاما فاصبح نمنا عن الموت والمعاد فأصبح
 ٣٤٠ الخفيف جف بالكائن القلم راضيا فوض الأمر راضيا
 ٣٤٠ الكامل م بما احتقبت من المظالم أو بقت نفسك يا ظلو
 ٣٤١ البسيط عجماء أو قد عراها عارض الحكم ماذا الوقوف على دار بذي سلم

النون

٣٤١ البسيط فسوف يطرقهم بالهم والحزن لا تغبطن أهل بيت سرهم زمن
 ٣٤٢ الرمل بلغ العمر مداه أيها المغرور مهلا
 ٣٤٢ الرمل ليس يخلو من رآها من أذاها أف للدينا فما أوبا جناها

١٣

المراثي

الباء

٣٤٤ البسيط أن الليالي يصدن الصقر بالخرب قد كنت أسمع لكن خلته مثلا
 ٣٤٤ الكامل لم تر تحل عنها ولم تغرب ديارها ووح الغريبة والديار ديارها
 ٣٤٥ الرمل ما استوى في أفقه حتى غرب لهف نفسي لهلال طالع
 ٣٤٥ الكامل جبرك حين تطرقك الخطوب يا نفس أين جميل صد



البحر الصفحة

٣٤٦ كان أقوت فليس فيها عريب لهف نفسي على ديار من الد

التاء

٣٤٦ ق والتغرب والشتات الكامل يا دهر، كم هذا التفر

الراء

٣٤٧ وحرقة أحشائي لفقء أبي بكر إلى الله أشكو روعتي ورزيتي

٣٤٧ وأستجد الصبر الجميل ولا صبر أعاتب فيك الدهر لو أعتب الدهر

٣٥٠ ما هيل فوقك من ترب وأحجار أזור قبرك مشتاقاً فيحجن

الزاي

٣٥٠ فنفي عن أنس المسرات ناشز الطويل تحرمت الأيام أهل مودتي

العين

٣٥١ غدر وأجمل بي من صبري الجزع صبري على فند اخواني وفوقتهم

٣٥١ خلي من النادي صموت إذا دعى وقفت على رسم ببيداء بلقع

الفاء

٣٥١ أن أهتدي لطريق حين أنصرف أזור قبرك والأشجان تمنعني

الكاف

٣٥٢ أشكو زماناً لم يدع لي مشتكى أصبحت لا أشكو الخطوب وإنما

٣٥٢ من بعد ما ضاق بي المسلك وسع صبري عن عتيق الاسبى

اللام

٣٥٣ كيف اصطباري ما عنك صبري جميل كيف أنساك يا أبا بكر أم

٣٥٣ وهل تسلو موهبة تكول أحدث عنك بالسلوان نفسي



البحر الصفحة

٣٥٤	الطويل	يفقد أبي بكر حياتي ولا يسلي	لمعرك ما ينسيني الدهر روعتي
٣٥٤	الكامل	ساري الغمام بكل هام هامل	حيا ربوعك من ربي ومنازل

النون

٣٥٦	البيط	فليك أصدقنا بنا وأشجانا	حائم الأيك هيجتن أشجانا
٣٥٩	البيط	أقله فقد أترابي وخلاني	حسي من العيش كم لاقيت فيه أذى
٣٦٠		عن لوعتي وعن جوى أحزاني	ناحت فباحت في فروع البان

المسمطات

٣٦١	الطويل		كعهدك بانات الحمى فوق كثيها
٣٦٤	الطويل		أيا لائمي في وقفة التلود
٣٦٦	الطويل		أسائتها للبين وهي عجول
٣٧١	البيط		توهم ما أراني الدهر أم حلم

(٢)

فهرس الاعلام

(س)

. ابن سبراي ٥٨ .
 . السموءل ١٩٧ .

(أ)

أحمد بن علي بن الزبير (القاضي الرشيد)
 . ٤٢١/١٢١ .

(ش)

شمس الدولة عبد الرحمن ابن أخي
 . ١٩٩/١٨٧/١٧١/١٥٩ .
 . شوق (جارية) ٢٠٦ .

(ب)

أبو بكر بن أسامة ٣٥٣/٣٥٢/٣٥١/٣٤٧/٣٤٥ .
 بهاء الدولة بن منقذ أخو أسامة
 . ١٧٣/١٧٠/١٦٧/١٦٥ .

(ص)

. أبو صالح بن المهذب ٢٠٦ .

(ت)

تاج الدولة عبد الله بن منقذ (ابن عم أسامة) ١٩٨ .



(ف)

فخر الملك بن طليب (أمير) ٢٠٧ .

(ق)

أبو القاسم بن المغربي ١٧٣ .
 القاضي الرشيد = أحمد بن علي .
 القيسان (ابن الملوح وابن ذريح) ١٣٩ .
 قيس بن ذريح ٣٦١ .

(م)

معد الدين (أمير) ٢٥١ .
 مجنون ليل ٣٦٤ .
 المحسن بن الحسين بن أبي المضاء
 ١٨٧ / ١٧٤ / ١٦٢ .
 مرهف بن أسامة ١٧٤ .
 معين الدولة أنر ٢٢٠ .

الملك الصالح ٥٧ / ١٢٧ / ١٢٨ / ١٣٥
 ١٦١ / ١٦٢ / ١٨٦ / ١٩٠ / ١٩٣ / ٢٠٣ / ٢١٢
 ٢٢٢ / ٢٢٤ / ٢٢٨ / ٢٤٧ / ٢٤٧ / ٢٥١ / ٢٦٣
 ٢٦٧ / ٢٧٠ / ٢٨١ / ٣٤٦ .

(ن)

نظام الدين (الوزير) = المحسن بن الحسين .

(ج)

ابن الجباب = عبد العزيز .

(ح)

حاتم (قائد) ٢٧١ .
 حيلرة بن نجم الكاتب ٢٣٩ .

(ز)

زيد بن محمد نقيب الطالبين ١٨٥ / ١٨٩ / ١٩٣

(ض)

ضياء الدين = زيد بن محمد

(ط)

طمان ١٩٧ .

(ع)

الأفضل عباس ١١٦ / ١٩٩ / ٢٢٨ .
 عبد العزيز بن الحسين (ابن الجباب) ١٣٢ .
 عتيق ٢١٠ .
 عز الدولة أخي أسامة ١٥٩ / ١٦١ / ١٦٧ /
 ١٦٨ / ١٨١ / ١٨٨ / ١٨٠ / ١٨١ / ٣٤٤ / ٣٤٤ .

الفهرس

٥	مقدمة
٤١	ديوان أسامة
٤٧	مقدمة صاحب الديوان
٥١	باب الغزل
١٠٤	ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق
١٥٩	ما قاله في المكاتبات ، وما يخطر في سلكها من المعاتبات
٢٠٣	باب الأوصاف
٢١٢	باب المديح
٢٥٠	ما قاله مفتخراً ، وتمدح به متأثراً
٢٨٠	باب الأدب
٢٩٥	في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المنوال
٣١٤	في الكبر والمشيب ، وخلع رداء الشباب القشيب
٣٢٦	في الزهد والاعتبار ، والمواعظ والإنذار
٣٤٤	باب المراثي
٣٦١	مسمطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة
٣٨٣	فهرس القوافي
٤١٤	فهرس الاعلام
٤١٦	الفهرس